مجلــة

المـؤرخ العربـــي

مجلة علمية محكمة

يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

العدد السابع والعشرون - أكتوبر ٢٠١٩ م

-(الجــزء الثانــى)-

جميع المراسلات ترسل باسم

الأستاذ الدكتور رئيس اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

مقر الأنشطة: مدينة نصر- الحى الثامن- ١٠ شارع فؤاد بدواني – خلف مدرسة الصديق

تليفون: ٢٢٨٧٠٠٩٠-٠٢-٠٠٢ - فاكس: ٢٢٨٧٠٠٩١-٠٢-٠٠٢

Email : arabhistoryso@hotmail.com

مقر المؤتمرات: التجمع الأول – بعد سنترال التجمع - خلف مدرسة جرين هايتس

www.arabhistoryso.net

رقم الإيداع: (١٩٩٤/٦٥٤٩)

الترقيم الدولي: (2535-2288) (ISSN)

لا يسمح إطلاقا بترجمة هذه الدورية إلى أي لغة أخرى، أو إعادة إنتاج أو طبع أو نقل أو تخزين أي جزء منها على أية أنظمة استرجاع بأي شكل أو وسيلة، سواء الكترونية أو ميكانيكية أو غيرها من الوسائل دون الحصول على موافقة كتابة خطية مسبقة من: إدارة اتحاد المؤرخين العرب.

شروط نشر البحوث فى مجلة المؤرخ العربي

١. أن يكون عضوا باتحاد المؤرخين العرب.
٢. عدد صفحات البحث فى حدود (٣٠ ورقة) وما يزيد يحاسب بالورقة.
٣. الخط :(Simplified Arabic) بنط (١٦) والهوامش السفلية بنط (١٤).
٤. يقدم البحث من نسختين ورقيتين + نسخة على سي دي CD، أو فلاشة.
٥. يكتب **ملخص للبحث** باللغتين (العربية والانجليزية) فى حدود ورقتين.
٦. سداد رسوم التحكيم والنشر بالمجلة بإدارة الاتحاد.
٧. المجلة غير ملزمة بإعادة البحوث الى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

شروط الاشتراك فى عضوية الاتحاد

١. الحصول على الدكتوراه (فى التاريخ أو الآثار).
٢. عدد (٢) صورة شخصية- ملئ استمارة العضوية.
٣. سداد الرسوم المقـــــررة.

مجلــة
المـؤرخ العربـــي

(مجلة علمية محكمة)
يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

رئيس مجلس الإدارة
أ.د.محمـد عيسى الحريري
رئيس اتحاد المؤرخين العرب
الأستاذ بكلية الآداب - جامعة المنصورة

رئيس التحرير
أ.د.زبيـدة محمد عطا
مسئولة النشاط الثقافى باتحاد المؤرخين العرب
أستاذ بكلية الآداب - جامعة حلوان

هيئة التحرير
أ.د. حامـد زيـان غانـم
أ.د. عفـاف سيـد صبرة
أ.د. عفيفي محمود إبراهيم

سكرتارية التحرير
أ. عبدالعزيز همام
أ. محمـود يحيـى

الرؤيـــة

السعي لتحقيق الريادة في النشر العلمي المتميز في المحتوي والمضمون والتأثير والمرجعية في مجالات الوطن العربي وأقطاره.

الرسالـــة

نشر البحوث العلمية الأصلية والرصينة والمبتكرة في مجالات الوطن العربي وأقطاره في مجالات اختصاص المجلة وفق المعايير والقواعد المهنية العالمية المعمول بها في المجلات المحكمة دولياً.

الأهـــداف

- نشر البحوث العلمية الأصيلة والرصينة والمبتكرة.
- إتاحة المجال أمام العلماء والباحثين في مجالات اختصاص المجلة في التاريخ، على المستوي المحلي والإقليمي والعالمي لنشر بحوثهم وإنتاجهم العلمي.
- نشر أبحاث كبار الأساتذة وأبحاث الترقية للسادة الأساتذة المساعدين والسادة المدرسين بمختلف الجامعات المصرية والعربية.
- تشجيع ونشر مختلف البحوث المتعلقة بالدراسات التاريخية للوطن العربي.
- الإسهام في تنمية مجتمع المعرفة في مجالات اختصاص المجلة من خلال نشر البحوث العلمية الرصينة والمتميزة.

الهيئة الاستشارية المصرية

م	الاسم	الوظيفة
١	أ.د.محمد عيسى الحريري	رئيس اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة الأستاذ بكلية الآداب - جامعة المنصورة
٢	أ.د.عفيفي محمود إبراهيم	أمين عام اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة أستاذ بكلية الآداب – جامعة بنها
٣	أ.د.حامد زيان غانم	أمين عام الصندوق باتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة
٤	أ.د.زبيدة محمد عطا	مسئولة النشاط الثقافى باتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الآداب - جامعة حلوان
٥	أ.د.عفاف سيد محمد صبرة	مسئولة العلاقات العامة باتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر
٦	أ.د.رأفت غنيمي الشيخ	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الآداب - جامعة الزقازيق
٧	أ.د.أشرف محمد مؤنس	مسئول المكتبات باتحاد المؤرخين العرب مدير مركز بحوث الشرق الأوسط- جامعة عين شمس
٨	أ.د.طارق منصور محمد	عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة أستاذ بكلية الآداب – جامعة عين شمس
٩	أ.د. حمدى عبدالمنعم محمد	عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة كلية الآداب جامعة اسكندرية
١٠	أ.د.إيمان محمد عبدالمنعم عامر	عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة أستاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة

الهيئة الاستشارية الدولية

م	الاسم	الجنسية	الوظيفة
١	أ.د.إسماعيل محمد البشرى	سعودى	نائب رئيس اتحاد المؤرخين العرب مدير جامعة الجوف
٢	أ.د.أحمد عمر الزيلعي	سعودى	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية السياحة والآثار-جامعة الملك سعود
٣	أ.د.إبراهيم بن محمد المزيني	سعودى	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض
٤	أ.د.حياة ناصر سالم الحجي	كويتية	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الآداب – جامعة الكويت
٥	أ.د.على منصور آل شهاب	بحريني	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب نائب رئيس جامعة البحرين
٦	أ.د.محمد بهجت القبيسي	سورى	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ محاضر بجامعة حلب– سابقا
٧	أ.د.نبيلة عبدالشكور	جزائرية	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بجامعة الجزائر ٢.
٨	أ.د. عبدالله سعيد الغامدى	سعودى	عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة أستاذ العصور الوسطى-كلية الشريعة- جامعة أم القرى
٩	أ.د. عبدالرحمن محمد الانصارى	سعودى	عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة أستاذ بكلية الآداب – جامعة الملك سعود

هـذه المجلــة

١. مجلة المؤرخ العربى مجلة تاريخية بحتة، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة.
٢. تستهدف المجلة إظهار الحقيقة التاريخية لموضوع محدد صافية نقية، بعيدة عن أي تيارات سياسية أو عقائدية.
٣. البحوث التي تنشر فيها محكمة، تعبر عن وجهة نظر أصحابها، وهيئة التحرير غير مسئولة عما يرد من آراء علمية.
٤. تصدر مؤقتاً سنوياً في أكتوبر من كل عام، علي أن تصلها البحوث المقدمة للنشر في كل عدد في موعد غايته نهاية شهر فبراير من نفس العام.
٥. تعد الخرائط والرسوم وغيرها من الإيضاحات بالحبر الصيني علي ورق الرسم، قابلة للاستنساخ المباشر.
٦. يشترط ألا يكون العمل المقدم قد سبق نشره، أو قدم للنشر في أية جهة أخري، ويكتب الباحث تعهداً بعدم تقديمه للنشر في أي جهة أخري بعد قبوله للنشر بالمجلة.
٧. لا ترد أصول الأعمال المقدمة سواء قبلت للنشر أو لم تقبــل.
٨. يرد عنوان البحث في رأس الصفحة الأولي، متبوعاً باسم المؤلف مقروناً بوظيفته وجهة عمله.
٩. ترتب الهوامش والتعقيبات التفصيلية بترقيم موحد في نهاية العمل.
١٠. يراعي في إعداد قائمة المراجع ما يلي:

(أ) تسجيل أسماء المؤلفين أو المحققين أو المترجمين أو المراجعين، متبوعة بعنوان الكتاب ثم مكان النشر ثم اسم الناشر، ثم تاريخ النشر، مع بيان الطبعة.

(ب) مقالات الدوريات تبدأ باسم صاحب المقال، ثم عنوان المقال، ثم اسم الدورية، ثم رقم المجلد والعدد والمجلة وتاريخه، ثم أرقام الصفحات التي يقع فيها المقال.

(جـ) الرسائل الجامعية يتم تسجيل اسم صاحب الرسالة، وعنوانها، والجامعة التي أجازتها، واسم المشرف، وتاريخ الإجازة.

المحتويــات

م	الموضــوع	الاســـم	ص
أ	كلمة الافتتاح (رئيس اتحاد المؤرخين العرب)	أ.د.محمد عيسى الحريري	١٠
ب	كلمة التحرير (رئيس تحرير مجلة الاتحاد)	أ.د.زبيدة محمد عطا	١١
جـ	السادة أعضاء مجلس الإدارة	اتحاد المؤرخين العرب	١٣
د	السادة الأساتذة المحكمون	لهذا العدد	١٤
١	" الحياة العلمية والثقافية في القيروان في القرون الثلاثة الأولى للهجرة "	أ.د. عامر جادالله أبو جبلة	١٥
٢	جبل طارق: نقطة الانطلاق لفتح الأندلس قراءة تاريخيَّة طبوغرافيَّة	أ.د.صالح محمد السنيدي	٨٠
٣	مدينة طحا الأعمدة وصداها في كتابات الجغرافيين والمؤرخين المسلمين في العصور الوسطى : (ق١١-ق١٥ م/٤-٩هـ)	د.يوسف سمير كامل	١١٠
٤	الأطماع الاقتصادية للقوي الخارجية والداخلية في مدينة وادي آش الأندلسية (٤٠٣-٨٩٥هـ/ ١٠١٢-١٤٨٩م)	د. شيماء أحمد السيد علي صالح	١٤٩
٥	تشابه أسماء المدن وأثره على الكتابة التاريخية "صنعاء الشام أنموذجاً"	أ.د. عبد الله بن سعيد الغامدي	١٨٠
٦	القضاء والحركة العلمية بقمولا في عصر المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)	د/ عبدالله أحمد همام	٢٠٧

٧	الملامـــح العلمية والدينية في إفريقية وإقليمي برقة وطرابلـــس	د.عـــادل يحيى عبدالمنعـم	٢٤٠
٨	الدور السياسى لمدينة البُشرَات الأندلسية في الربع الأخير من القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى	دكتور حسام محمود المحلاوى	٢٨٦
٩	القدس الشريف إبان الحكم العثماني لفلسطين ١٥١٦م-١٩١٧م	د. ازدهار محمد رابى	٣٢٣
١٠	مدينة زنجبار في القرن التاسع عشر (واجهة العرب العمانيين في شرق أفريقيا ووسطها)	د. أحمد عبد الدايم محمد	٣٦٩

كلمة الافتتاح

أ.د.محمد عيسى الحريـــري
رئيس اتحاد المؤرخين العرب

يسعد اتحاد المؤرخين العرب أن يقدم لأعضائه وجميع الباحثين في علم التاريخ عدده الجديد (السابع والعشرون) من مجلة المؤرخ العربي التي يصدرها الاتحاد كل عام ويحرص الاتحاد دائما على الالتزام بمنظومة الحريات الأساسية في الفكر والرأي، مع الاحترام لحقوق الإنسان وبخاصة المرأة والطفل.

ويحتوي هذا العدد الجديد من مجلة المؤرخ العربي على مجموعة متنوعة من الدراسات التاريخية الجديدة تعرض موضوعات في مجالات التاريخ الوسيط والإسلامي والحديث، كتبها مجموعة من صفوة الباحثين في التاريخ من مختلف الجامعات العربية والمصرية، بهدف إستشراق آفاق جديدة لتاريخ العرب عبر العصور.

وقد خضعت هذه البحوث المتميزة للتحكيم الموضوعى والدقيق من أعلام مؤرخي مصر والعالم العربي، فهم أعلام في تخصصاتهم المختلفة حتى يتسنى لنا خروجها للنور على صورتها الحالية.

ومن المؤكد أن هذا العدد من مجلة المؤرخ العربي بعد خروجه للنور بمحتواه بهذا العدد المتميز من الموضوعات المتنوعة سيكون إضافة جديدة للمكتبة التاريخية، نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها، وأن تكون في ميزان حسنات من كتبوها.

والله من وراء القصد إنه نعم المولى ونعم النصير

كلمة التحرير

السادة الزملاء أعضاء اتحاد المؤرخين العرب.. يسر إدارة الاتحاد بمناسبة صدور العدد السابع والعشرون أن ينهي لجميع الزملاء ما تم خلال العام من أنشطة ثقافية، والمجلة أصبحت تصدر في جزئين:

الجزء الأول خاص بالأبحاث التي ألقيت في الندوة السنوية بعد تحكيمها، وتناول دراسات منوعة عن مدن العالم العربي والإسلامي.

فمن مدن الأندلس وحضارتها إلى بلدان المغرب القديم بثقافتها وعمارتها إلى عمان واليمن ثم المدن الزاهرة بالعلم والفنون في مصر والشام، عبر العصور التاريخية المختلفة من القدم إلى المعاصرة.

والجزء الثاني من المجلة يتناول أبحاث تعددت موضوعاتها، دور المرأة في التاريخ الوسيط والحديث، تم تأثير الحضارة الإسلامية في الأندلس على العرب والدور السياسي لبعض الأمر العربية ذات الثقل السياسي والحضاري، وأبحاث عن مكانة المدينة العربية الحضارية والبعض عن المذاهب الدينية كبحث المذهب الشافعي وتأثيره في الحياة الفكرية وأبحاث تناولت تاريخ الغربي الأوربي كذلك كان للتاريخ الحديث نصيبه من الدراسة الجادة كالعرض للموقف الايطالي من حرب يونيو ١٩٦٧، والثورة الإيرانية وأثرها على العلاقات الأمريكية والسوفيتية، فالأبحاث تعد موسوعة شاملة لكل عصور التاريخ.

ولقد حرص الاتحاد إلا يقتصر النشاط على الندوة السنوية فهناك الندوات الشهرية التي شارك فيها كبار الأساتذة وشباب الباحثين والتي حظيت بجمهور كبير من المؤرخين شاركوا في المناقشات بمداخلهم القيمة، ولقد تم تجميع الملخصات الخاصة بالأبحاث التي ألقيت في تلك

الندوات وستصدر في مجلد خاص ليكون الأعضاء جميعهم على اطلاع على مضمون تلك الندوات، ونأمل مستقبلا في مشاركة جميع الزملاء في تلك الندوات، فيما يتعلق بالمكتبة الخاصة بالاتحاد فقد تم قبول مكتبات مهداه من عدد من الأساتذة وتم تصنيفها وفهرستها ونأمل ممن يرغب في إهداء مؤلفاته أن يرسلها إلى الاتحاد ليتم إضافتها لرصيد المكتبة، كذلك نأمل أن تكون إدارة الاتحاد عند حسن ظن الأعضاء ونستطيع أن نقدم كل عام الجديد لخدمة العلم والثقافة.

وفي الختام نأمل أن نتلقى آرائكم ومقترحاتكم لإثراء المجلة .

والله ولي التوفيق،،،

هيئة التحرير

أ.د. حامد زيان غانم

أ.د. عفاف سيد صبرة

أ.د. عفيفي محمود إبراهيم

رئيس التحرير

أ.د. زبيدة محمد عطا

السادة أعضاء مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب

م	الاســـم	الجنسية	الوظيفـــة
١	أ.د.محمـد عيسى الحريري	مصرى	رئيس اتحاد المؤرخين العرب – بالقاهـرة الأستاذ بكلية الآداب - جامعة المنصـورة
٢	أ.د.اسماعيل بن محمد البشرى	سعودى	نائب رئيس اتحاد المؤرخين العرب - بالقاهرة مديـــر جـامعـــة الجـــوف
٣	أ.د.عفيفي محمود إبراهيم	مصرى	أمين عام اتحاد المؤرخين العرب- بالقاهرة أستـاذ بكليـة الآداب – جامعـة بنهـا
٤	أ.د. حـامـد زيـان غانـم	مصرى	أمين الصندوق باتحاد المؤرخين العـرب أستـاذ بكلية الآداب - جامعة القاهـرة
٥	أ.د.زبيـدة محمد عطـا	مصرى	مسئولة النشاط الثقافى باتحاد المؤرخين العرب أستـاذ بكلية الآداب - جامعة حلـوان
٦	أ.د.أحمـد بن عمر الزيلعي	سعودى	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية السياحة والآثـار جامعة الملك سعود
٧	أ.د.عفاف سيد محمد صبرة	مصرية	مسئولة العلاقات العامة باتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الدراسات الإنسانية -جامعة الأزهر
٨	أ.د.إبراهيم بن محمد المريني	سعودى	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية العلـوم الاجتماعيـــة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض
٩	أ.د.رأفت غنيمي الشيـخ	مصرى	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستـاذ بكلية الآداب - جامعة الزقازيق
١٠	أ.د.على منصور آل شهاب	بحريني	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب نائب رئيـس جامعـة البحريـــن
١١	أ.د.أشرف محمد مؤنـس	مصرى	مسئول المكتبات باتحاد المؤرخين العرب مدير مركز بحوث الشرق الأوسط- جامعة عين شمس
١٢	أ.د.نبيلـة عبدالشكـــور	جزائرية	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بجامعـة الجزائـر ٢ .
١٣	أ.د.حياة ناصر سالم الحجي	كويتية	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الآداب – جامعة الكويـت
١٤	أ.د.محمد بهجت القبيسى	سـورى	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ محاضر بجامعـة حلـب– سابقا

السادة الأساتذة المحكمون

م	الاســـم	الوظيفـــة
١	أ.د.محمد عيسى الحريـري	رئيس اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة الأستاذ بكلية الآداب - جامعة المنصـورة
٢	أ.د.عفيفي محمود إبراهيم	أمين عام اتحاد المؤرخين العرب بالقاهـرة أستـاذ بكليـة الآداب – جامعـة بنهـا
٣	أ.د.حـامـد زيـان غانـم	أمين عام الصندوق باتحاد المؤرخين العـرب أستـاذ بكلية الآداب - جامعة القاهـرة
٤	أ.د.زبيـدة محمد عطـا	مسئولة النشاط الثقافى باتحاد المؤرخين العرب أستـاذ بكلية الآداب - جامعة حلـوان
٥	أ.د.عفاف سيد محمد صبـرة	مسئولة العلاقات العامة باتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر
٦	أ.د.أشرف محمد مؤنـس	مسئول المكتبات باتحاد المؤرخين العرب مدير مركز بحوث الشرق الأوسط- جامعة عين شمس
٧	أ.د. رأفت غنيمي الشيخ	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستـاذ بكلية الآداب - جامعة الزقازيق
٨	أ.د.إيمان محمد عبدالمنعم عامر	عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهـرة أستـاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة
٩	أ.د. محمد أحمد بديـوى	عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهـرة أستـاذ بكلية الآداب - جامعة أسيوط

" الحياة العلمية والثقافية في القيروان في القرون الثلاثة الأولى للهجرة "

أ.د. عامـــر جادالله أبو جبلـة
أستاذ بكلية العلوم الاجتماعية
جامعة مؤتـة – الأردن

أولا : **التمهيـــد** :

ثانياً : **العلـــــوم** :

أ – القـــــــرآن. ب – الحديـــــث. ج – الفقـــه.

د– الوعظ والزهد. هـ – اللغة والأدب. و– الطب والأطباء والكيمياء.

ثالثـــاً : **الحركة العلمية والنساء**.

رابعـــاً : **الرحلة العلميـــة**.

خامساً : **التأليف والمكتبات** .

سادساً : **الظروف المعيشية للعلماء** .

سابعـاً : **المؤسسات التعليمية** (**المساجد والكتاتيب**):

أ- المسجد الجامع (الأعظم بالقيروان).

ب- المساجد الخاصة بالعلماء .

ج – مساجد الزهاد والعباد: الصوفية (مسجدي الخميس والسبت)

د- الكتاتيب.

ثامناً : **الخاتمـــة** .

تاسعاً: **الهوامش** .

أولاً: **تمهيد** :

تم إنشاء مدينة القيروان زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان في عام ٥٠هـ/ ٦٧٠م، على يد القائد المسلم عقبة بن نافع وأختط جامعها، من أجل استقرار المسلمين ولتكون قاعدة لانطلاق الفتوح الإسلامية إلى باقي مناطق المغرب العربي، حيث أصبحت منذ البداية مكاناً لحضور الصحابة والفقهاء الذين ساهموا مساهمة كبيرة في نشر الإسلام وتعاليمه للناس في القيروان وعلى مساحة المغرب العربي الكبير مع مرور الوقت[١] .

ومن هؤلاء الصحابة الذين كانوا قد دخلوا القيروان والذين كان لهم دور في بدايات الحركة العلمية في القيروان: أبو سعيد المقداد بن عمرو القضاعي، وأبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري، وعبدالله بن أنيس الجهمي الأنصاري، وأبو عبد الرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وأبو ذر الغفاري، وسلمة بن عمرو بن الأكوع المزني، وأبو عبدالله عمرو بن عوف المزني، وأبو زمعة عبيد بن أرقم البلوي، وأبو سعيد المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي، وأبو محمد فضالة بن عبيد الأنصاري الأوسي.[٢] وأبو العباس عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعقبة بن عامر الجهني، ورويفع بن ثابت بن السكن بن عدي الانصاري[٣] وأبو يحيى عبدالله بن سعد بن أبي السرح القرشي العامري، ومعاوية بن حديج، والمطلب بن أبي وداعة السهمي، وربيعة بن عباد الدؤلي، وزياد بن الحارث الصدائي، وأبو اليمن سفيان بن وهب الخولاني[٤] وأبيض بن حمال السبائي المأربي، وأبو اليقظان، وأبو عبدالرحمن يسر بن أرطأة القرشي العامري[٥]

وذكر بعض المحدثين أن عقبة بن نافع لما دخل القيروان كان معه خمسة وعشرون من أصحاب النبي ﷺ[٦] كما دخل من التابعين إلى القيروان زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ – ١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) عشرة أرسلهم عمر بن عبد العزيز ليفقهوا الناس بالقيروان وهم : أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي أحد الفقهاء[٧] وأبو سعيد جعثل بن هامان بن عمير الرعيني القتباني أحد القراء[٨] وأبو عبد الحميد اسماعيل بن

عبيدالله بن أبي المهاجر القرشي المخزومي، من أهل الدين والزهد والفقه والقضاء، وأسلم على يديه خلق كثير من البربر،(٩) وموهب بن حبي المعافري أحد رواة الحديث،(١٠) وطلق بن حابان الفارسي، أحد الفقهاء،(١١) وحبان بن أبي جبلة أحد الفقهاء سكن القيروان وانتفع به أهلها،(١٢) وأبو عبدالرحمن الحبلي عبدالله بن يزيد المعافري(١٣) وأبو الجهم عبدالرحمن بن رافع التنوخي أحد رواة الحديث،(١٤) وأبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامي أحد الفقهاء،(١٥) وإسماعيل بن عبيد الأنصاري، (١٦)

وهكذا، فإن أفريقيا نالت حظاً وفيراً من العلوم الشرعية منذ البداية وخاصة اهتمام الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي كان قد أرسل هؤلاء العلماء ليفقهوا سكان هذه البلاد ولاسيما البربر في الإسلام ويبثوا اللغة العربية بينهم .. فانتشر العلم وزاد العلماء وكثرت الرحلة في طلب العلم للحجاز ومصر والعراق حتى لم يمض القرن الثاني الهجري حتى صارت القيروان كعبة العلم للأقطار المغربية يؤمها الطلاب من أطراف الأندلس والسوس الأقصى والسودان.(١٧)

ولقد بدأت الحياة الفكرية في القيروان بتعلم القرآن والحديث ثم الفقه والتفسير التي قدم بها أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين، وقد ساهمت هذه العلوم ونشرها في نشر الإسلام واللغة العربية في أرجاء شمال إفريقية انطلاقاً من المقر القيروان .(١٨)

ولذلك امتاز النشاط الثقافي في بلاد المغرب عامة بكثرة الفقهاء والمحدثين، مع نقص في مجالات الفلسفة والعلوم العلمية، ويعزى ذلك لعدم الاستقرار؛ بسبب الثورات ،والفتن، والحروب والدفاع عن المكتسب من الأراضي في الشمال الإفريقي، فانكمشت ثقافتها العلمية والفلسفية وازدهرت ثقافتها الدينية.(١٩)

ثانياً: العلـــــوم :

أ : القرآن :

كانت المهمة الأولى لمن دخل القيروان من الصحابة والتابعين هي تعليم الناس القرآن الكريم، [٢٠] وفي هذا المجال يمكن الإشارة إلى بعض الأسماء كقراء للقرآن الكريم، فمنهم على سبيل المثال لا الحصر أبو سعيد جعثل بن هامان بن عمير الرعيني أحد القراء،[٢١] وأبو منصور مولى سعد بن أبي وقاص من أهل الفضل ومن التابعين كان مقرئاً للقرآن.[٢٢] وهناك اشارة مهمة عند الذهبي تشير إلى كثرة القراء في القيروان سنة ١٢٥هـ؛ إذ خرجت حملة عسكرية في عشرة آلاف وخرج معهم "القراء والوعاظ".[٢٣] فكانت مشاركة أهل القيروان وشمال إفريقيا تقتصر على حفظ القرآن وتلقيه حتى بداية القرن الثالث الهجري.[٢٤] ويشار إلى قدوم أبو يحيى زكريا بن يحيى بن إبراهيم بن عبدالله المعروف بالوقار مصري الأصل، قدم إفريقية سنة ٢٠٥هـ، وكان قرأ القرآن على نافع المدني وعنه أخذ أبو عبد الرحمن المقرئ توفي بالقيروان حرف نافع، وأن محمداً بن برغوث روى عنه القراءة.[٢٥] وكان ابو عبدالله محمد بن برغوث القروي (ت ٢٧٢هـ) قد أخذ القراءة عن عدد من العلماء، وروى عن نافع، وروى عنه القراءة أبو العرب محمد بن أحمد التميمي فكان محمد بن برغوث المقرئ هذا يتصدّر حلقة القراءة في المسجد الجامع بالقيروان.[٢٦]

كما يشار إلى المقرئ المشهور حسنون الدباغ المعروف بابن زبيبة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري الذي أنكر عليه الإمام محمد بن سحنون طريقة اللحن في تلاوة القرآن؛ لأن ذلك مدعاة إلى الغناء. [٢٧]

ثم يذكر شيخ القراء بالقيروان محمد بن عمر بن خيرون أبو عبدالله المعافري الأندلسي ثم القروي (ت ٣٠٦هـ) الذي كان أخذ القراءة عرضاً عن أبي بكر بن سيف واسماعيل النحاس، فكان إماماً في قراءة نافع من رواية ورش، وكان قدم القيروان واستوطنها وأقرأ بها، وروى القراءة

عنه ابنيه محمد وعلي وأبو جعفر أحمد بن أبي بكر وأبو بكر الهواري المعلم، وهو الذي قدم بقراءة نافع على تلك البلاد، فإنها كانت الغالبه على قراءتهم حرف حمزة ولم يكن يقرأ لنافع إلا خواص الناس فلما قدم ابن خيرون القيروان اجتمع عليه الناس، ورحل اليه القراء من الآفاق وألف كتاب "الابتداء والتمام" في القراءات.[٢٨] ويذكر أنه رحل إلى المشرق وأخذ القراءات بمصر عن محمد بن سعيد الأنماطي وغيره كعبيد بن رجاء، كما دخل العراق وسمع هناك من علمائها وعاد إلى القيروان وسمع بها وبقرطبة. [٢٩]

أما علم التفسير وهو العلم الذي يختص يشرح الآيات القرآنية وتوخي المعنى القريب الميسور الراجح[٣٠] فيشار إلى قدوم عكرمة مولى عبدالله بن عباس إلى إفريقية بأنه بداية التأسيس الحقيقي لعلم التفسير؛ إذ إن عكرمة كان أعلم الناس بالتفسير كما أورد ذلك المالكي، وأفاد منه الناس بجلوسه في جامع القيروان .[٣١]

كما يشار إلى أبي زكريا يحيى بن سلام بن ثعلب أو ابن أبي ثعلب التميمي البصري (ت ٢٠٠هـ) الذي استوطن افريقية وعاش بها، واشتهر بعلم التفسير، وكتب كتاباً في هذا الحقل (التفسير) المشهور باسمه، وسمع منه الناس في تفسير القرآن.[٣٢]

ويشار إلى أسد بن الفرات (ت ٢١٣هـ) بأنه كانت له عناية بالتفسير، فيقال أنه كان يقرأ التفسير على طلبته ومريديه. [٣٣]

كما يذكر أن سليمان بن عمران (ت ٢٧٠هـ)، الذي كان قد ولي قضاء القيروان، كان له يوم أو يومان في الجمعة يقرأ عليه فيه العلم تفسير القرآن وغيره.[٣٤] وهكذا، فإن علوم القرآن كانت قد دخلت إلى القيروان، وانتشرت هناك قراءة نافع، وحمزة وورش للقرآن الكريم، كما ظهر فيما بعد علماء للقراءات تمكنوا من التأليف في هذا المجال مع نهايات القرن الثالث الهجري.

ب : الحديث :

قدم الصحابة والتابعون إلى القيروان[٣٥] وهم يحفظون أحاديث الرسول ﷺ، كون الحديث هو المصدر الثاني بعد القرآن الكريم للتشريع الإسلامي، وذلك خلال القرن الأول الهجري، حتى أصبحت القيروان تعد في القرن الثاني الهجري جامعًا لطلبة العلم، ومع مرور الوقت أصبحت المركز الذي ينتسب إليه أكابر العلماء والفقهاء. [٣٦]

ومن المحدثين عمارة بن غراب التجيبي، الذي روى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وعن التابعين، وروى عنه ابن أنعم [٣٧] والمحدّث أبو غطيف الهذلي جندب بن بشر وقيل حبيب بن بشر، الذي روى عن ابن عمر، وعليه معتمده في الرواية، وروى عنه عبد الرحمن بن أنعم وموسى بن علي[٣٨] والمحدّث أبو ليلى دخين بن عامر الحجري، الذي روى عن عقبة بن عامر الجهني صاحب رسول الله ﷺ وعن جماعة من التابعين، وروى عنه من أهل القيروان بكر بن سوادة الجذامي ويزيد بن أبي منصور.[٣٩] والمحدّث أبو عثمان مسلم بن يسار الأنصاري المعروف بالطنبذي، الذي روي عن ابن عمر وأبى هريرة، وروى عنه عمرو بن أبي ربيعة...[٤٠] والمحدّث زياد بن أنعم الشعباني، روي عن عبدالله بن عمر وأبي أيوب الأنصاري، وروى عنه ابنه عبد الرحمن. [٤١] والمحدّث أبو معمر عباد بن عبد الصمد، الذي كان يعد في جملة التابعين، ذكر أنه كان يروي عن أنس بن مالك، ويعتمد عليه وممن روى عنه كامل بن طلحة، وبعض أهل القيروان.[٤٢] والمحدّث أبوعثمان مسلم بن يسار الأنصاري مولى الأنصار، الذي روى عن ابن عمر وأبي هريرة، وسفيان بن وهب، وروي عنه عمر بن أبي نعيمة، وشراحيل بن يزيد، وحميد بن هاني وابن أنعم.[٤٣] والمحدّث أبو المغيرة عبدالله بن المغيرة بن أبي بردة القرشي، من فضلاء التابعين، ولي القضاء لعمر بن عبد العزيز على القيروان، روي عن سفيان بن وهب الخولاني صاحب رسول الله ﷺ، وروى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري .[٤٤]

ثم المحدّث أبو يحيى عياض بن عقبة بن نافع الفهري، كان من خيار التابعين وفضلاء المؤمنين، روى عن عبدالله بن عمر وغيره من الصحابة والتابعين، وروى عنه يزيد بن أبي حبيب واسحق بن أبي بريدة وأخوه أبو عبيد بن عقبة، سكن القيروان مع أبيه ثم انتقل إلى مصر حيث توفي هناك سنة ١٠٠ هـ/٧١٨م . [٤٥] والمحدّث حنش بن عبدالله السبائي الصنعاني، الذي روى عن علي بن أبي طالب وعبدالله بن عمر وابن عباس، وروى الحارث بن يزيد وعبد الرحمن بن أنعم، وقيس بن الحجاج، وعامر بن يحيى المعافري، وخالد بن أبي عمران، وصلاح بن عبدالله بن هبيرة السهمي وأبو مروان.[٤٦] والمحدّث أبو سعيد المقري، واسمه كيسان، كان من فضلاء التابعين، روى عن عمر بن الخطاب، وروى عنه جماعة من المحدثين منهم يزيد بن أبي حبيب، وله ذكر في موطأ مالك. [٤٧] والمحدّث أبو علقمة مولى عبدالله بن عباس قاضي افريقية روى عن عبدالله بن عباس وابن عمر وأبي هريرة، وروى عنه عبد الرحمن بن أنعم وخالد بن عمران ومن أهل مصر.[٤٨] والمحدّث أبو عبدالله عكرمة مولى عبدالله بن عباس، كان كثير الرواية عن مولاه ابن عباس، ويعتمد عليه، روى عن عبدالله بن عمر، وروى عنه خلق يطول ذكرهم، ودخل عكرمة إفريقية وأقام بالقيروان وبث بها العلم، وكان مجلسه في مؤخر جامع القيروان في غربي الصومعة. [٤٩]

والمحدّث أبو عبدالله علي بن رباح بن قصير اللخمي، كان من التابعين، روى عن جماعة من الصحابة منهم عمرو بن العاص، وروى عنه جماعة يكثر عددهم، اذا انتفع به وتفقه على يديه أهل القيروان.[٥٠] والمحدّث أبو عبد الرحمن عبدالله بن يزيد المعافري الحبلي، روى عن أبي أيوب الأنصاري وعبدالله بن عمرو بن العاص وفضالة بن عبيد الأنصاري وعقبة بن عامر وغيرهم، وروى عنه جماعة منهم يزيد بن عمرو وأبو هاني الخولاني وعامر بن يحيى المعافري. [٥١] والمحدّث أبو الأشعث ربيعة بن يزيد من التابعين، روى عن عقبة بن عامر الجهني وعطية السعدي وأبي إدريس الخولاني، وروى عنه الفرج بن فضالة وعبدالله بن عامر القاري وسعيد بن عبد العزيز وحيوة بن شريح.[٥٢] والمحدث خالد بن عمران التجيبي، اهتم برواية الحديث ودراسته،[٥٣] والمحدّث أبو روح يزيد بن منصور الأزدي من التابعين، لقي أنس بن مالك، وكان محدّثاً راوياً، روى عنه موسى بن علي، وعبد الرحمن بن أنعم، وعبيد الله بن زحر .[٥٤]

والمحدّث يحيى بن سعيد بن فهد الأنصاري، الذي اشتهر بالحديث وروايته، وكان تواجده بإفريقية قرابة نصف قرن.(٥٥) والمحدّث يزيد بن الطفيل القاضي، واسمه عبدالله بن عبدالرحمن بن الطفيل، الذي روى عن علقمة بن وقاص الليثي، وروى عنه ابن أنعم، وتولى القضاء في القيروان .(٥٦)

والمحدّث أبو كريب جميل بن كريب المعافري القاضي، ويقال اسمه عبد الرحمن، روى عن أبي عبد الرحمن الحبلي، وروى عنه جماعة. (٥٧) والمحدّث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم محدّث إفريقية وقاضيها وعالمها، روى عن أبيه وبكر بن سوادة وأبي عبدالرحمن الحبلي، وروى عنه ابن وهب وأبو أسامة وخلق كثير. (٥٨)
والمحدّث أبو عثمان حاتم بن عثمان المعافري سمع من مالك ومن ابن أنعم، روى عنه داوود ين يحيى وغيره، وهو الذي كان يمضي بمسائل ابن غانم إلى مالك .. وكان يروي عن مالك غرائب لا يكاد يرويها غيره. (٥٩) والمحدّث أبو عمران موسى بن علي بن رباح اللخمي روى عن جماعة من التابعين منهم والده علي بن رباح وغيره، وروى عنه أكابر العلماء منهم الليث بن سعد، وابن المبارك وابن وهب. (٦٠)
والمحدّث أبو يزيد رباح بن يزيد بن رباح اللخمي الذي سمع من الأوزاعي ومن سفيان، وروى عنه أبو خارجة الغافقي .(٦١)

والمحدّث أبو محمد عبدالله بن فروخ الفارسي، كان اعتماده في الحديث على مالك بن أنس وبصحبته اشتهر، وعندما رحل إلى المشرق لقي جماعة من العلماء والمحدثين كزكريا بن أبي زائدة، ومالك والثوري وأبي حنيفة وغيرهم فسمع منهم .. ولما انصرف إلى إفريقيا، أقام بالقيروان يعلم الناس ويحدّثهم فانتفع به خلق كثير، ثم ارتحل ثانية إلى مصر فمات بها. (٦٢) والمحدث أبو علي شقران بن علي القيرواني، روى عنه سحنون، وعون بن يوسف، وأبو الفيض المعروف بذي النون (٦٣)

والمحدّث أبو عبد الرحمن عبدالله بن عمر بن غانم الرعيني، روى عن مالك وصحبه، وكان معتمده عليه، وروى أيضاً عن الثوري واسرائيل بن يونس وعثمان بن الضحاك المدني، وجماعة، وروى بإفريقية عن ابن أنعم وخالد بن نعمان .. ولقي أبا يوسف صاحب أبي حنيفة في العراق، وكان قاضيًا لإفريقية لمدة عشرين سنة حتى مات. (٦٤)

والمحدّث صقلاب بن زياد الهمداني الفقيه المتعبد، سمع مالك، وسمع منه أبو سنان زيد بن سنان الأزدي، وداود بن يحيى وغيرهم. (٦٥) والمحدّث أبو عون معاوية بن الفضل الصمادحي، روى عن مالك، وروى عنه سحنون وروى عنه ولده موسى وأبو داود العطار، وكان ثقة قليل الحديث.(٦٦) والمحدّث زكريا بن محمد بن الحكم اللخمي أبو يحيى، كان ثقة، سمع من مالك، وحيوة بن شريح، وكان يستفتى بالقيروان. (٦٧)

والمحدّث أبو خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي، سمع من مالك والثوري والليث بن سعد، واليسع بن حميد وعبدالله بن وهب، ورشدين بن سعد، والمغيرة بن عبدالرحمن المخزومي، وسفيان بن عيينة، وله سماع مدوّن من مالك، واعتماده عليه، وسمع منه نظراؤه بإفريقية البهلول بن راشد وغيره (٦٨)

والمحدّث أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم(٦٩) رحل إلى المشرق فجمع من مالك موطأه، ثم ذهب إلى العراق، فلقي أبا يوسف ومحمد بن الحسن وأسد بن عمر وكتب عن يحيى بن زائدة وهشيم والحسيب وأبي شريك وأبي بكر بن عياش وغيرهم، وأخذ عنه أبو يوسف موطأ مالك،(٧٠) وسمع الحديث من علي بن زياد، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة (٧١) والمحدّث أبى محرز محمد بن عبدالله بن قيس أبو مسلم الكناني القاضي، سمع من مالك ومن عباد بن كثير وعبد الرحمن بن أنعم وعبدالله بن فروخ، (٧٢)

والمحدّث أبى جعفر موسى بن معاوية الصمادحي كان عالماً بالحديث قال: "لم ألق أحداً أروى من وكيع، وكان يروي خمسة وثلاثين ألف حديث يقرؤها علينا ظاهراً ما يشل في حديث منها". (٧٣)

والمحدّث البهلول بن راشد الحجري الرعيني، سمع من مالك، والليث وسفيان والحارث بن نبهان ويونس بن يزيد، وروى جامع سفيان عن زياد عن سفيان، وسمع بإفريقية من ابن أنعم وموسى بن علي بن رباح، وسمع من سحنون وعون بن يوسف وأبى زكريا الحفري .. وسمع منه يحيى بن سلام حديثًا واحدًا، وروى عنه عبدالله بن مسلمة القعنبي، قال القعنبي: حدثني البهلول "وهو وتد من أوتاد المغرب"، كما روى عنه مسلم بن الحجاج في سننه. (٧٤)

والمحدث أبو زكريا يحيى بن سليمان الفارسي الحفري، ذهب إلى المشرق ولقي يونس بن يزيد ثم مرّة أخرى خرج إلى المشرق، فلقي سفيان بن عيينه، والفضيل بن عياض وغيرهما، وسمع بإفريقية من عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وعبد الملك بن أبي كريمة وغيرهما، وسمع منه يحيى بن عمر وبشر كثير من أهل القيروان من أصحاب سحنون.(٧٥)

والمحدث أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، كان اسمه عبد السلام فغلب عليه اسم سحنون، سمع بإفريقية من جماعة من العلماء منهم: علي بن زياد وأبو العباس ين أشرس والبهلول بن راشد، وعبدالله بن عمر بن غانم، ومعاوية الصمادحي، وسمع بمصر من ابن القاسم وأشهب وابن وهب، وسمع بالمدينة من عبدالله بن نافع، ومعن بن عيسى، وسمع بالشام من الوليد بن مسلم، وفي مكة سمع من عبد الرحمن بن مهدي البصري، ووكيع بن الجراح الكوفي (٧٦) وروى عنه جماعة منهم يحيى بن عمرو، وعيسى بن مسكين، (٧٧) قال جبلة: سحنون أخذ العلم عن رجال مالك، ورجال مالك أخذوه عنه، وأخذه مالك عن التابعين، والتابعون عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين والصحابة عن الرسول ﷺ .(٧٨)

والمحدّث أبو محمد عون بن يوسف الخزاعي، كان محدثاً، سمع بإفريقية من البهلول بن راشد، وعبدالله بن عمر بن غانم، وبمصر سمع من ابن وهب ومن المفضل بن فضالة.(٧٩) وسمع منه ابنه وبكر بن حماد وابن طالب .(٨٠)

والمحدّث أبو الوليد مروان بن شحمة البلوي مولى آل عمر بن الخطاب، سمع من وكيع بن الجراح وعبدالرحمن بن مهدي وغيرهم.(٨١) والمحدّث أبو خلف مطروح بن قيس الخياط الزاهد، كان من أصحاب البهلول بن راشد، سمع من البهلول والفضل بن عياض، وصحب جماعة من العلماء والمتعبدين.(٨٢)

والمحدّث محمد بن سحنون الذي تفقه بأبيه سحنون، ويذكر أنه ألف كتاب المسند في الحديث، وكان قد سمع من أبيه ومن موسى بن معاوية الصمادحي . (٨٣)

والمحدّث محمد بن تميم العنبري، الذي حدّث بالقيروان عن ابن وهب وأنس بن عياض.(٨٤) والمحدّث محمد بن يحيى بن سلام التيمي، كان له عناية كاملة بالحديث ونقله وروايته وضبطه، ومعرفة رجاله وحملته، حافظا للسنن جامعا لها.(٨٥) والمحدّث أبو عبدالله محمد بن شوال الطائي، من أصحاب سحنون ثقه في حديثه .(٨٦)

والمحدّث أبو عبدالله أحمد بن يزيد المعلم يروي عن موسى بن معاوية الصمادحي، وكان عالماً بالحديث وعلله.(٨٧) والمحدّث أبو جعفر محمد بن ابان الحميري، سمع من المدنيين والعراقيين، وسمع من سحنون وعون بن يوسف ويحيى بن سليمان الحفري.(٨٨) والمحدّث أبو سهل فرات بن محمد العبدي الراوية المحدّث العارف بأسماء الرجال، سمع من سحنون وابنه وعبدالله بن أبي حسان، وموسى بن معاوية وغيرهم بإفريقية، وسمع بالمشرق من أصحاب مالك. (٨٩) والمحدّث عيسى بن مسكين، سمع من سحنون وابنه جميع كتبه، وسمع بالمغرب من غيره، وسمع بالشام وبمصر، كان متفنناً في علوم الحديث وأسماء الرجال وكناهم وقويهم وضعيفهم.(٩٠) والمحدّث أبو عبدالرحمن بكر بن حماد العالم بالحديث، وتمييز الرجال، سمع من سحنون وعون بن يوسف.(٩١) والمحدّث محمد بن خيرون أبو عبدالله المعافري، الذي حدّث عن عيسى بن مسكين. (٩٢)

ج - الفقـــــه :

كان لدخول الصحابة والتابعين إلى القيروان النواة الأولى لظهور علم الفقه خلال القرنين: الأول والثاني الهجريين، وظهور فقهاء تركزوا في القيروان، فكان لهم شهرتهم في إفريقية خلال القرن الثالث الهجري من خلال رحلاتهم وكتبهم وتلاميذهم وفتاويهم .

أما المصادر، فتذكر لنا قائمة طويلة بأسماء من اشتهر بالفقه في القيروان خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، فمنهم: عكرمة مولى ابن عباس، الذي دخل القيروان في زمن بني أمية، حيث كان له مجلس علم في مؤخر المسجد الجامع بالقيروان،(٩٣) والفقيه أبو منصور الفارسي الذي يذكر أن له صحبة والذي كان مفتيًا، وسكن القيروان حتى مات فيها (٩٤)

والفقيه أبو عبدالرحمن عبدالله بن يزيد المعافري الإفريقي الحبلي، الذي كان بعثه عمر بن عبد العزيز ليفقه أهل إفريقية، فانتفعوا به وبث فيها علمًا كثيرًا. (٩٥)

ويذكر عبدالله بن فروخ أبو محمد الفارسي في عداد الفقهاء، فيذكر أنه تفقه مرة بمالك، ويذكر عنه أنه فقيه القيروان وزاهدها، وتعلم به خلق من أهل القيروان. (٩٦) وكان عالمًا بالفرائض، وله فيها كتاب.(٩٧) وكان اعتماده في الفقه على مالك، لكنه كان يميل إلى طريق النظر والاستدلال كأهل العراق، إذا تبين له أن الصواب قولهم.(٩٨)

والفقيه عبدالله بن عمر بن غانم القاضي، الذي كان ثبتا ثقًه فقيها.(٩٩) قال أسد بن الفرات "كان ابن غانم يقرأ لنا كتب أبي حنيفة في الجمعة يومًا"، وكانت بينه وبين مالك، والقاضي أبى يوسف مراسلات تتعلق بمسائل فقهية.(١٠٠) وفي حوار بين ابن ناجي وابن عانم، يذكر ابن ناجي أنه رأى في جامع القيروان سبعين قلنسوة تصلح للقضاء وثلاثمائة قلنسوة فقه، فاستقل عددهم ابن غانم وقال: "مات الناس". وذلك في الربع الأخير من القرن الثاني الهجري .(١٠١)

والفقيه صقلاب بن زياد الهمداني [١٠٢] والفقيه زكريا بن محمد بن الحكم اللخمي أبو يحيى، كان من أهل العلم، وكان يستفتى بالقيروان.[١٠٣] والفقيه أبو خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي كان متفننا في العلوم وخاصة الفقه.[١٠٤] والفقيه أسد بن الفرات عندما التقى بابن القاسم بمصر دوّن أسد بن الفرات عنه ستين كتاباً (باباً في الفقه) وهي الأسدية، ونسخها عنه أهل مصر، وأتى بها القيروان فكتبها الناس، وهو يجمع بين فقه أهل العراق والمدينة، فيسرد أقوالهم على أهل القيروان . [١٠٥]

والفقيه أبو محرز محمد بن عبدالله بن قيس أبو مسلم الكناني القاضي، كان فقيهاً عارفاً بالحجة.[١٠٦] تسلم القضاء بالقيروان لمدة تسعة أشهر ثم توفي . [١٠٧]، وكان بحرًا من بحور العلم، حافظا للسنن جامعا لها إماماً فيها عارفاً بأصول الديانات.[١٠٨] والفقيه أبو زكريا محمد بن رشيد مولى عبد السلام بن مفرج العابد، كان له سماع مع سحنون للعلماء في مصر.[١٠٩]

والفقيه أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي، كان عالما بالفقه، وكان يفتي الناس بالجامع بالقيروان أكثر من ثلاثين سنة. [١١٠] والفقيه عبدالله بن أبي حسان اليحصبي، فقيه إفريقية، الذي التقى بالإمام مالك واستفاد منه.[١١١] وأفاد سحنون من فقه في كثير من المسائل الفقهية. [١١٢]، وقال عياض عن عبدالله اليحصبي: "كان غاية في الفقه بمذهب مالك". [١١٣]

والفقيه أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن، كان يقدم إلى القيروان، فيسمع الناس منه ثم يرجع إلى بلده في قصر الطوب المرابط، فكان جبلة بن حمود من أفضل رجال سحنون.[١١٤] والفقيه أبو الحسن علي بن زياد العبسي التونسي، كان بارعًا في الفقه، ولم يكن في عصره بإفريقية مثله، وهو أول من أدخل المغرب "جامع سفيان الثوري"، وموطأ مالك، وهو معلم سحنون، وكان أهل القيروان إذا اختلفوا في مسألة كتبوا بها إلى علي بن زياد ليخبرهم من على الصواب فيها. [١١٥]

والفقيه أبو محمد يونس بن محمد الورداني الذي أطلع على كتب سحنون في الفقه، قيل : " لم يبق عند سحنون كتاب إلا وقد اطلع عليه يونس". [١١٦]

والفقيه أبو عمرو البهلول بن عمرو التجيبي، كان عالماً مجتهداً، ومن العلماء الراسخين في العلم، وسمع منه سحنون [١١٧] وذكر الذهبي: " دوّن الناس عنه جامعاً، وقام بفتياهم".[١١٨] وألف ديواناً في الفقه.[١١٩] والفقيه أبو زكريا يحيى بن سليمان الفارسي، كان ثقة وكان عالماً بالفرائض والحساب .[١٢٠]

والفقيه سحنون بن سعيد، ولي القضاء بإفريقية [١٢١] وكان طلبة العلم والعبّاد يحضرون مجلسه من أقطار الأرض. [١٢٢] وكان سحنون يقول: "إني لأسال عن المسألة فأعرفها وأعرف في أي كتاب هي وفي أي ورقة وأي صفحة وعلى كم هي من سطر فما يمنعني من الجواب إلا كراهية الجراءة بعدي على الفتوى" [١٢٣] وكان اعتماد سحنون في الفقه والمسائل الفقهية على ابن القاسم، وبه تفقه، وصحح عليه المسائل الأسدية.[١٢٤] وصفه المالكي بالفقيه البارع والورع الصادق والصرامة في الحق والزهادة في الدنيا .[١٢٥] ذكره الذهبي بقوله: "انتهت إليه رئاسة العلم بالمغرب وتفقه به خلق كثير. [١٢٦] وصنف المدونة في الفقه وعليها اعتماد أهل القيروان[١٢٧] ويذكر أن القاضي سحنون كان قد أدّب جماعة من فرق أهل البدع الذين كانت لهم حلقات في الجامع كالصفرية والأباضية والمعتزلة، وأمرهم أن لا يجلسوا في حلقة بالجامع وأدب جماعة منهم لمخالفتهم أمره.[١١٨] وتفقه على يد سحنون مجموعة من الطلبة من المغرب الأوسط بالقيروان، ثم عادوا إلى بلادهم ومنهم عبدالله المكشوني الذي ينتمي إلى مدينة يسكرة، وبكر بن حماد التاهرتي . [١٢٩]

والفقيه أبو محمد عون بن يوسف الخزاعي، الذي كان فقيهًا صالحًا .[١٣٠] والفقيه أبو سنان زيد بن بن سنان الأسدي [١٢١] والفقيه أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن عبدوس الحافظ، تفقه على سحنون، وتفقه به جماعة، وله كتب في الفقه .[١٣٢] والفقيه عبدالله بن سهل القرياني، القاضي، من أهل القيروان، صحيح الكتب، تولى قضاء قصطيلية، وقفصة، ونفزاوة. [١٣٣] والفقيه أبو عثمان سعيد بن عباد السرتي،

تفقه بسحنون، كان فقيها عالما [١٣٤] والفقيه عبدالجبار بن خالد بن عمران، كان من كبار العلماء بالقيروان، صاحب سحنون، وتفقه عليه طائفة من الناس.[١٣٥] والفقيه أحمد بن علي بن حميد التميمي أبو الفضل، كان من أهل الفضل والدين والفقه، ضابطا لكتبه، وكان اعتماده على سحنون، وكان كثير الكتب صحيحها. [١٣٦]

والفقيه محمد بن سحنون الذي كان إمامًا ثقة عالمًا بمذهب مالك مذهب أهل المدينة، وكانت له حلقة علم خاصة به، واشتهرت إمامته في العلم والفقه في حياة والده سحنون.[١٣٧] وهو خبير بمذهب مالك، ألف كتابه المشهور "الجامع" جمع فيه فنون العلم والفقه [١٣٨]، وكتاب السير، وكتاب الزهد وغيرها.(فكان غزير التأليف [١٣٩]

والفقيه محمد بن تميم القصطلي العنبري من أهل قفصة، كان يقدم سوسة فيأتيه أهل القيروان يسمعون منه.[١٤٠] والفقيه أحمد بن لبده ابن أخي سحنون، كان ثقة فقيها من أدهى الناس وأعلمهم بالفقه، تفقه على سحنون.[١٤١] والفقيه محمد بن يحيى بن سلام التميمي، كان فقيهًا حافظًا [١٤٢] والفقيه أبو عبدالله محمد بن شوال الطائي، كان من أكابر أصحاب سحنون، كان عالمًا فقيهًا إمامًا. [١٤٣]

والفقيه أبو الربيع سليمان بن عمران، كان من أعلام العلماء، ومن أحضر فقهاء إفريقية جوابا، وتولى القضاء لإفريقية بعد سحنون.[١٤٤] والفقيه أبو داود العطار، واسمه أحمد بن موسى بن جرير الأزدي، أخذ عنه الناس، وكان محبًّا للعلم ثقة. [١٤٥] والفقيه أحمد بن طالب أبو العباس التميمي القيرواني، قاضي القيروان، تفقه على سحنون حتى برع.[١٤٦] والفقيه أبو جعفر أحمد بن متعب بن أبي الأزهر عبد الوارث بن حسن الأزدي، تفقه بسحنون وبغيره في المشرق، كان فقيهًا صالحًا .[١٤٧]

والفقيه أبو اسحق إبراهيم بن المضاء الضرير تفقه بسحنون، وكان فقيها صالحًا زاهدًا ثقة، وغلب عليه علم التصوف .[١٤٨] والفقيه أبو عبدالله محمد بن زرقون بن أبي مريم، المعروف بالطيارة، تفقه بسحنون وولده محمد، وكان مجلسه حسنًا، فكان فقيهًا متفننا في العلم، وأقام إمامًا وخطيبًا بجامع القيروان عشرين سنة. [١٤٩] والفقيه محمد بن محمد بن يحيى بن

سلام التميمي، تفقه على أبيه، فكان فقيها ثقة، كان عالمًا بكتبه ضابطا لها. [١٥٠] والفقيه أبو الربيع سليمان بن سالم الكندي القطان القاضي، كان من أهل الفقه البارع، وله تأليف في الفقه يعرف بالسليمانية، ولما ولي قضاء صقلية نشر بها علما كثيرا.[١٥١]

والفقيه أبو حفص عبد الجبار بن خالد بن عمران السرتي، تفقه على سحنون وغيره، فكان فقيها ثقة زاهدًا [١٥٢] من عقلاء شيوخ إفريقية.[١٥٣] والفقيه مطرف بن عبدالرحمن بن إبراهيم القرطبي، تفقه على سحنون، وكان بصيرًا بالفقه. [١٥٤] والفقيه أحمد بن وزان الصواف أبو جعفر، تفقه على سحنون وغيره، وكان يسمى جوهرة أصحاب سحنون، ومن صفاته أنه كان مجتهدا فقيها عالما بالفقه والمناظرة.[١٥٥]

والفقيه أبو يزيد سهل بن عبدالله بن سهل القرياتي[١٥٦] والفقيه أبو عبدالله أحمد بن يزيد القرشي، المعروف بالمعلم، كان ثقة فقيهًا عالمًا.[١٥٧] والفقيه أبو جعفر محمد بن أبان الحميري، تفقه على المدنيين والعراقيين، وسحنون وغيره، أراد إبراهيم بن الأغلب أن يوليه القضاء، ويبدو أنه لم يرغب في أن يتولى القضاء، فأهل بالحج وخرج إلى مكة.[١٥٨]

والفقيه حبيب بن نصر بن سهل التميمي، من أصحاب سحنون، وله تأليف في الفقه وروايات عن سحنون وغيره.[١٥٩] والفقيه أبو محمد عبدالله بن محمد سعيد بن الأشج، كان عالمًا ثقة عارفًا بطرق المناظرة على طريقة أهل العراق.[١٦٠] والفقيه أبو جعفر حمديس القطان، واسمه أحمد بن محمد الأشعري، من أصحاب سحنون، كان يحضر مجلس مذاكرة عند الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب.[١٦١]

والفقيه يحيى بن عمر أبو يوسف الأندلسي، سكن القيروان، ثقة ضابطا لكتبه، وأخذ عنه جماعة من أهل القيروان .[١٦٢] وكان إمامًا في الفقه وكثير الكتب في الفقه أيضًا، ورحل إليه الناس، فلا يروون المدونة والموطأ إلا عنه، وله من المصنفات نحو الأربعين.[١٦٣] والفقيه يوسف بن يحيى الإمام أبو عمرو الأزدي المعروف بالمغامي المالكي، وتفقه به خلق منهم سعيد بن فلحون ومحمد بن فطيس. [١٦٤]

والفقيه أبو زكريا يحيى بن عون بن يوسف الخزاعي تفقه بأبيه وبسحنون، كان من أهل الفقه والعلم.(١٦٥) والفقيه أبو عثمان سعيد بن اسحق الكلبي، من أصحاب سحنون، كان ثقة يأتون إليه في القيروان عند قدومه من قصر الطوب فيسمعون منه. (١٦٦) والفقيه عيسى بن مسكين، من العجم، تفقه على سحنون، وابنه محمد، ومن غيرهم بالشام ومصر، كان لديه بيت مملوء بالكتب، كلها روايته، قال : "وما فيها كلمة غريبة إلا وأنا أحفظ لها شاهدًا من قول العرب"(١٦٧) وتولى عيسى بن مسكين القضاء.(١٦٨) ذكره الذهبي قال: "عالم إفريقية وشيخها، وكان متمكنا من الفقه". (١٦٩)

والفقيه أحمد بن موسى الغافقي، تفقه على سحنون، كان ثقة فقيها صحيح الكتب، كان يميل إلى المواعظ والرقائق، ويختم بها مجلسه إذا فرغ من المسائل الفقهية والكلام عليها.(١٧٠) والفقيه أبو عبدالله محمد بن مسرور الضرير، تفقه على عدد من فقهاء القيروان، فكان فقيهًا بارعًا، ومفتيًا، وكان القاضي حماس يشاوره، في أحكامه، وكان الناس يأتونه للفقه والمناظرة والفتيا.(١٧١) والفقيه أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن حسين الضبي، الشهير بابن برذون، تفقه على رجال سحنون، وكان فقيها بارعًا في العلم، يذهب مذهب النظر، ولم يكن في شباب عصره أقوى على الجدل والمناظرة منه، وإقامة الحجة على المخالفين منه . (١٧٢)

والفقيه أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن الصدفي، تفقه على سحنون وغيره، وأخذ عن سحنون المدونة، والمختلطة، والموطأ، وثلاثة أجزاء مجالس عن سحنون، وأخذ ذلك عنه الناس، وكان ثقة، فكان فقيهًا زاهدًا، يغلب عليه النسك والزهد.(١٧٣) عارض خطبة الشيعة عندما ملكوا القيروان، ومنذ ذلك الحين ترك العلماء حضور جمعتهم، بعد أن سمع منهم ما لا يجوز سماعه. (١٧٤)

والفقيه أبو عبدالله بن أبي داود أحمد بن موسى بن حريز الأزدي العطار، تفقه على والده، وعلى محمد بن سحنون وغيره، أخذ عنه الناس في القيروان، وكان فقيهًا

عالمًا ثقة. [١٧٥] والفقيه أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني المعروف بابن الحداد، تفقه على سحنون، ثم تحول إلى مذهب الشافعي من غير تقليد له بل كثيرا مما كان يخالفه، وله كتب في الفقه كثيرة،[١٧٦] ويذكر أنه ناظر أبا العباس الشيعي داعي الروافض بني عبيد، كما ناظر بالقيروان الفراء شيخ المعتزلة. [١٧٧]

ويذكر ابن عذاري أنه كان لما دخل أبي عبدالله الشيعي لمدينة القيروان قام بأعمال منها: أمره القاضي بإسقاط التراويح في رمضان، وحمله الناس على التشيع، وقام أخوه أبو العباس المخطوم بقتل بعض فقهاء القيروان، وصلحائها، لكونهم لا يفضلون عليا على أبي بكر وعمر، وصلب أولئك الصالحين والفقهاء على باب القيروان، وفي ذلك إشارة لتراجع علم الفقه والعلوم الدينية بعد دخول أبي عبدالله الشيعي للقيروان وأعماله فيها. [١٧٨]

د- الوعظ والزهد :

ورود كلمات تدل على وجود الوعاظ والزهاد والعباد في القيروان، والذين كان لهم دور مساند لنشر العلم بين الناس إلى جانب العلماء، مع أن بعضهم كان إما قارئاً أو محدّثاً أو فقيهًا، فيذكر الذهبي إشارة إلى خروج جماعة من الوعاظ إلى جانب حملة عسكرية خرجت من القيروان وذلك سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م.[١٧٩]

ومن الأمثلة على هؤلاء الوعاظ والزهاد والعبّاد، أبو يزيد رباح بن يزيد بن رباح اللخمي، الذي ذكر بأنه كان " زاهداً مستجاب الدعوة مشهورًا بذلك، وبه يضرب المثل في زهده وعبادته، غزير الدمعة، كثير الاشفاق والخشية، وله كرامات مشهورة ".[١٨٠]

والعابد عبد الخالق المتعبد، الذي يعتبر من طبقة المجتهدين في العبادة، كثير الخوف دائم الحزن، له مواعظ كان يكتبها ويرسلها لإخوانه. [١٨١] والواعظ مسافر بن سنان، الذي كان يجتمع إليه الناس للذكر والوعظ، فانتفع به وعلى يده جماعة من الناس، وله مواعظ مذكورة، وكان يجلس بالمسجد الجامع بالقيروان يذكِّر الناس ويعظهم، فيحضر المتعلمون والناس مجلس وعظه. [١٨٢]

ويشار إلى عبدالله بن فروخ بأنه كان زاهد مدينة القيروان، [١٨٣] وكان الناس يتبركون به ويجلسون له على طريقه إذا خرج يغتنمون منه دعوة وموعظة. [١٨٤] ويذكر أبو عبدالله محمد بن أحمد السوسي في عداد الزهاد ورعًا متجردًا في مدينة القيروان، ثم خرج منها إلى المشرق. [١٨٥] ويشار إلى أبي عبدالله محمد بن مسروق بأنه عرف بالزهد، زاهدا في الدنيا، راغبًا في الآخرة. [١٨٦] ويعتبر أبو عبدالرحيم بن عبد ربه من الزهاد في القيروان في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، ويشار إلى استجابة دعوته وبعض كراماته .[١٨٧]

كما يذكر أبو علي شقران بن علي الهمداني في عداد الوعاظ والعباد والزهاد، وانتفع به جماعة من المريدين منهم ذو النون المصري وغيره .[١٨٨] ويشار إلى أبي زكريا الهرفلي بأنه كان في عداد الزهاد وأهل الورع، وتذكر له بعض الكرامات . [١٨٩] ويذكر أبو حفص عمر بن عبدالله الفتّال من الزهاد بأنه كان من الإبدال (الصوفية) [١٩٠] ويشار إلى أبي خلف مطروح بن قيس الخياط بأنه كان في الزهد والعبادة بالمحل الرفيع .[١٩١]

وكان أبو عثمان سعيد بن اسحق من الزهاد يقيم في قصر الطوب ومعه أبو يونس وجبلة، حيث أن قصر الطوب هذا كان مكانا للمرابطة والحراسة، ويفهم من النصوص بأن قصر الطوب هذا كان مكانًا يجتمع فيه أو يلجأ إليه العبّاد والزهاد فينزوون في هذا الثغر.[١٩٢] ويذكر أبو اسحق إبراهيم بن المضاء الضرير بأنه كان من كبار الزهاد بالقيروان، وغلب عليه التصوف، وكان له مسجد الخميس، الذي كان يقرأ به الرقائق كل خميس. [١٩٣]

وكذلك يشار إلى أبي محمد الأنصاري الضرير في عداد الزهاد، الذي ينسب إليه مسجد السبت، الذي يقرأ فيه الرقائق يوم السبت كل جمعة، ويحضره أولياء الله والصالحون والعباد، فيستمعون إلى الوعظ والإنشاد . [١٩٤] ويذكر أبو السري واصل بن عبدالله الجمي في عداد العبّاد بقصر جمه، والذي يعرف بقصر الرباط بالمهدية، وكان من أهل الزهد والعبادة والنسك والإرادة والفضل والإجابة، قيل عنه : من الأولياء المعدودين ومن الأصفياء المقربين والنساك المتجردين، وتذكر عنه قصص من كراماته. [١٩٥]

ويشار إلى محمد بن إبراهيم بن عبدوس بن بشير بأنه كان زاهدًا ظاهر الخشوع ذا ورع، وتواضع.[١٩٦] ويذكر أبو محمد عبدالله بن خليل التونسي المقعد بأنه كان من كبار العابدين وأفاضل عباد الله الصالحين.[١٩٧] ويذكر أبو عياش أحمد بن موسى الغافقي بأنه كان ورعًا عاقلًا عابدًا زاهدًا متواضعًا، ويميل إلى المواعظ والرقائق، ويختم به مجلسه إذا فرغ من المسائل والكلام عليها [١٩٨]

ويشار إلى أبى عقال غلبون بن الحسن من بني الأغلب بأنه كان من كبار العباد، وأفاضل الزهاد في القيروان، وتجرد من الدنيا وزهد فيها بعد أن كان في رفاهية عظيمة؛ لأنه كان من بني الأغلب [١٩٩]

ويذكر أبو خلف الخياط واسمه مطروح بن قيس في عداد العبّاد مشهورًا بالعبادة والاجتهاد، صحب جماعة من العلماء والمتعبدين.[٢٠٠] ويشار إلى أبي عبدالله حمدون بن عبدالله العسال بأنه كان من أهل الفضل والدين والاجتهاد في العبادة، فكان يتردد على مسجد القيروان، ويذهب إلى قصر الطوب، حيث يتواجد العباد والزهاد.[٢٠١] ويذكر أحمد بن موسى بن مخلد بأنه كان زاهدًا ورعًا متعبدًا فاضلا ومن أصحاب سحنون.[٢٠٢]

هـ - اللغة والأدب:

كان دخول العرب لشمال إفريقية بعامة والقيروان على وجه الخصوص بداية التعريب لهذه البلاد ابتداء من تأسيس المساجد والكتاتيب في القيروان وما جاورها، ودخول البربر في الإسلام، وتعلمهم القرآن الكريم والسنة النبوية، ولكن هناك مؤشرات واضحة على الاهتمام باللغة والأدب والشعر، فيشار إلى إبراهيم بن الأغلب وإلي الرشيد على القيروان بأنه كان خطيبًا وشاعرًا. [٢٠٣] وعدد من أمراء الأغالبة .

ويذكر أن القاضي عبدالرحمن بن زياد بن أنعم كان ينظم الشعر، [٢٠٤] وفي ولاية يزيد بن حاتم المهلبي (١٥٥– ١٧٠هـ /٧٧١–٧٨٦م) استقدم بعض الأدباء والشعراء ممن ذاع صيته إلى جانب أن بعضا من الشعراء والأدباء قصدوا بلاطه لما تناهت إلى أسماعهم

عطايا الأمير يزيد وهداياه، ومن هؤلاء الشعراء أبو أسامة ربيعة بن ثابت الرقي الأسدي، امتدحه بقصيدة خالدة، [٢٠٥] وكذلك الشاعر محمد بن عبدالله بن مسلم المعروف بابن المولى، الذي مدح يزيد بن حاتم المهلبي بمقطوعة شعرية، فضلاً عن الشاعر المسهر التميمي الذي مدحه أيضًا بقصيدة، فأغدق عليه الجوائز .[٢٠٦]

وفي مجال أدب الإنشاء وبلاغته يذكر أن خالد بن ربيعة الإفريقي الكاتب، كان له دور معروف في تقدم الكتابات الرسمية، أو ما يعرف بديوان الإنشاء، حيث رحل إلى المشرق، والتقى بعبد الحميد الكاتب كبير كتاب الإنشاء، فاستفاد من أدبه وبلاغته في إنشاء الرسائل، وكتابة ديوان الإنشاء[٢٠٧] ومن الشعراء الذين شاركوا في الحياة الأدبية في إفريقية الحكم بن ثابت السعدي، في القيروان [٢٠٨]

وكان الثائر الحسن بن حرب الكندي على الأغلب بن سالم ينظم الشعر في رسائله للأغلب، [٢٠٩] ويذكر أن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب أبا عقال، كان له حظ من الأب يصوغ به مقطوعات من الشعر.[٢١٠]، كما يشار إلى ابنه محمد بن الأغلب بأنه كان شاعرًا ايضًا قال أبيات يفخر بما نسبه إليه بعض خاصته.[٢١١] وكذلك إبراهيم بن أبي إبراهيم بن أحمد بن أبي عقال الأغلب الذي كان يصنع من الشعر شيئًا ضعيفًا وكان طاغية، وكان الشاعر بكر بن حمّاد التاهرتي يمدحه.[٢١٢] وكذلك للشاعر سعيد بن محمد بن جرير مرثية في القاضي سليمان بن عمران الذي أمضى ستاً وخمسين سنة قاضيًا، ولقد تولى القضاء للقيروان بعد وفاة سحنون، [٢١٣] ويشار إلى وفود الأعراب والعلماء بالعربية والشعر على إبراهيم بن الأغلب، طلب منهم ملازمة ابنه زيادة الله، فكان زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب أفضل أهل بيته وأفصحهم لسانًا وأكثرهم بيانًا، وكان يعرب كلامه ولا يلحن دون تشدق ولا تقعر، ويصوغ الشعر الجيد .[٢١٤] وتذكر له أشعار ذكرها ابن الأبار .[٢١٥]

ويشار إلى الفقيه عيسى بن مسكين بأن له أبيات شعر يرثي بها شبابه[٢١٦] فكان فصيحًا يجيد الشعر، عالمًا بالعربية.[٢١٧] ويذكر الكاتب محمد بن حيون المعروف بابن البريدي، كاتب إبراهيم بن أحمد بن محمد بن غلبون، بأنه يجيد نظم الشعر، وله أبيات في الأمير الأغلبي.[٢١٨] وكان مطرف بن عبدالرحمن بن إبراهيم القرطبي بصيرًا بالنحو واللغة والشعر .[٢١٩] ويذكر بكر بن حمّاد الزناتي في عداد مشاهير شعراء العصر الأغلبي في القرن الثالث، وقد نحى في شعره منحى الزهد والوعظ والتأمل ولقي من الشعراء دعبلاً وحبيباً وصريفاً وعلي بن الجهم وغيرهم. [٢٢٠]

ويشار إلى أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني المعروف بابن الحداد، بأنه كان ناقدًا في النحو، عربي اللسان، وإذا تكلف الشعر أجاد، وكان عالمًا بالعربية واللغة والجدل.[٢٢١]

ويذكر أن أمان بن الصمصامة بن الطرماح الأديب واللغوي والشاعر كان قد وفد على المهالبة بالقيروان، فأكرموا وفادته، فاتخذ من القيروان مقامًا له، وتوثقت الصلة بينه وبين كاتب المهالبة أبي الحسن بن سعيد البصري، فكان يعقد المجالس الأدبية، يعرض فيها فنون أدبه، فأقبل عليه المتأدبون يأخذون عنه الشعر واللغة، وكان عالمًا باللغة والشعر، حافظا للقريض شاعرًا مفوهًا، وقد تخرج به قوم منهم أبو الوليد عبد الملك بن قطن المهري.[٢٢٢]

ويشار إلى أسماء بعض النحويين الذين وفدوا إلى القيروان، اشتهروا بالنحو فيها مثل قتيبة النحوي الكوفي،[٢٢٣] وعياض بن عوانة بن الحكم بن عوانة الكلبي النحوي أخذ عنه الناس كثيرًا من اللغة والنحو والشعر، فكانت المهالبة تؤثره وتكرمه.[٢٢٤] ويذكر العالم عبدالرحمن بن زياد بن أنعم القاضي بأنه كان متفننًا في علم العربية والشعر .[٢٢٥] ويشار إلى إبراهيم بن محمد الشيعي بأنه كان من أهل خرسان، ومن وجوه أصحاب الأمير إبراهيم بن الأغلب، وكان من أقرب الناس إليه، فكان إبراهيم بن محمد الشيعي بليغا، قال شعرًا في مدح الأمير إبراهيم بن الأغلب.[٢٢٦]

وكان عبدالله بن عمر بن غانم القاضي فصيح اللسان، حسن البيان، بصيرًا بالعربية ورواية الشعر.(٢٢٧) وكان له ابن هو أبو شراحيل كان أديبًا وشاعرًا أيضًا.(٢٢٨) ويشار إلى أبي محرز محمد بن عبدالله بن قيس أبي مسلم الكناني القاضي بأنه كان فصيح اللسان بصيرًا باللغة والشعر وينظم الشعر ويجيده.(٢٢٩) وذكر عبدالملك بن قطن أبو الوليد المهري القيرواني في عداد النحويين واللغويين في القيروان، فكان أحفظ أهل الأدب بالمغرب، وشيخ أهل اللغة والنحو والرواة ورئيسهم وعميدهم ببلده، شاعرًا خطيبًا بليغًا.(٢٣٠) وكان لقي جماعة من العلماء بالعربية والمعروفين بالرواية منهم ابن الطرماح، وعياض بن عوانه، وأبو عبدالرحمن المقرئ الكوفي، وقتيبة النحوي، وكثير من الأعراب منهم أبو منيع الأعرابي.(٢٣١)

ويذكر أن من تلاميذ المهري حمدون بن إسماعيل أبو عبدالله المعروف بالنعجة لغوي ونحوي قيرواني من خاصة تلاميذ المهري.(٢٣٢) قال الزبيدي في حمدون النحوي: "كان مقدمًا بعد المهري في اللغة والنحو، وكان يقال إنه أعلم بالنحو خاصة من المهري؛ لأنه يحفظ كتاب سيبويه، وله كتب في النحو وأوضاع في اللغة، وكان في العربية والغريب والنحو الغاية التي لا بد منها".(٢٢٣) ويشار إلى أحمد بن أبي الأسود القيرواني بأنه كان غاية في النحو واللغة شاعرًا مجيدًا من أصحاب أبي الوليد المهري.(٢٣٤)

ويعتبر الأمير الأغلبي عبدالله بن إبراهيم بن أحمد في عداد الأدباء، وله نظر في الجدل وعناية باللغة والأدب، وتذكر له أبيات من الشعر.(٢٣٥) ويذكر أبو عبدالله محمد بن زرزر الفارسي بأنه كان حافظا للغريب بصيرًا باللغة راوية للأشعار يحسن الصفة لها جيد القول فيها، وشعره كثير جدًّا، وأكثره في توحيد الله عز وجل، والرد على الزنادقة والمكذبين، وكان يحفظ كثيراً من دواوين العرب وأشعارها.(٢٣٦)

ويشار إلى إبراهيم بن أحمد أبو اليسر الشيباني البغدادي اللغوي الإخباري الشاعر المعروف بالرياضي، نزيل القيروان، بأنه كان كاتبًا مترسلًا بليغًا، علّامة، وأدخل لإفريقية ترسّل المحدثين وطرقهم وأشعارهم .(٢٣٧)

ويذكر أبو السميدع أحمد بن شريس في عداد علماء العربية واللغة، وهو من أصحاب حمدون النعجة وتلاميذه،(٢٣٨) وكان يحيى بن المثنى قد ذكر في الطبقة الرابعة من نحاة القيروان، فكان عالماً بالعربية واللغة .(٢٣٩) كما يذكر علي بن الحسن التنوخي المعروف بالخروفي، المذكور في الطبقة الرابعة من نحاة القيروان، وكان حافظاً للأشعار.(٢٤٠) ويذكر كذلك في الطبقة الرابعة من نحاة القيروان النحوي عامر بن إبراهيم بن العباس الفزاري، وكان شاعرًا بصيرًا باللغة،(٢٤١) ومنهم كذلك إبراهيم بن زياد أبو اسحق المكفوف في الطبقة الرابعة من نحاة القيروان، (٢٤٢) ويذكر النحوي عبدالله بن محمود المكفوف القيرواني بأنه كان من أعلم خلق الله بالعربية والغريب والشعر، وله مؤلف في العروض، يفضله أهل اللغة على سائر الكتب.(٢٤٣)

وهكذا، فإنه من الملاحظ ازدياد علماء اللغة والنحو والشعر في القيروان لأسباب عديدة منها ورود شعراء وأدباء من المشرق، ورحلة الأدباء والشعراء من القيروان إلى المشرق، وتشجيع بلاط المهالبة والأغالبة فيما بعد للأدب والشعر، ورافق ذلك حركة علمية في مجال النحو وضبط اللغة بعد استقرار الأوضاع العامة في القيروان، وبعد فتح صقلية في عام ٢١٣ هـ .

و - الطب والأطباء والكيمياء :

هناك ذكر لبعض الأطباء في القيروان؛ إذ يذكر اسم يوحنا (يحيى) الطبيب بأنه كان يحضر مائدة الوالي يزيد بن حاتم المهلبي.(٢٤٤)

ويشار إلى "الدمنة" أي البيمارستان في القيروان، كان يسكنه أبو محمد الأنصاري الضرير، الذي كان يجتمع إليه القراء للذكر، ويبدو أنه كونه ضريرًا كان مسكنه هذا المستشفى للعناية به وبأمثاله.(٢٤٥)

ويذكر أن اسحق بن عمران الإسرائيلي كان بارعًا في الطب، وكان المعتمد عليه عند الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، أتى به من بغداد، وكان

إبراهيم الأغلبي يجزل له عطاياه، فكان طبيبًا حاذقًا متميزًا بتأليف الأدوية المركبة، وبه ظهر الطب بالمغرب، وعرفت الفلسفة.(٢٤٦)

وترد عبارة "فقيه البدن" أي بمعنى طبيب، فيشار إلى يوسف بن يحيى الإمام أبو عمرو الأزدي القرطبي المعروف بالمغامي الفقيه المالكي بأنه كان "فقيه البدن".(٢٤٧) وكذلك أبو زكريا يحيى بن عمر بأنه كان "فقيه البدن".(٢٤٨) ويشار إلى زياد بن خلفون مولى بني تغلب بأنه تتلمذ على اسحق بن عمران في الطب، ويشار إليه بأنه كان يقوم بمعالجة الأمراء والرؤساء والأعيان، كما كان يباشر عمله ويزور "الدمنة" أي المستشفى في القيروان.(٢٤٩)

وكان الطبيب إسحق بن سليمان الإسرائيلي، حاذقا بالطب وطبيبًا فاضلا، من أهل مصر، سكن القيروان، وكان ملازمًا لاسحق بن عمران الطبيب، وتتلمذ له، ويذكر إسحق بن سليمان الإسرائيلي هذا كان في خدمة الإمام أبي محمد عبيدالله المهدي صاحب إفريقية بصناعة الطب، (٢٥٠)

ويبدو أن الفضل بن علي بن ظفر وهو من أبناء القيروان كان قد تلقى علمه على يد علماء بلده إسحق بن عمران وإسحق بن سليمان وزياد بن خلفون، فقد ساهم في تنشيط وبث هذا النوع من العلم أي العلوم الطبية .(٢٥١) ويشار إلى جهود الطبيب إسحق بن عمران الإسرائيلي بعد وصوله للقيروان في تعليم علم الطب في بيت الحكمة، فكان من تلاميذه ابنه علي بن إسحق، وزياد بن خلفون، وإسحق بن سليمان وغيرهم، فضلاً عن المؤلفات الطبية التي ألفها في هذا المضمار .(٢٥٢)

أما في مجال علم الكيمياء فيعتبر اسماعيل بن يوسف المعروف بالطلّاء المنجم من أشهر علماء الكيمياء، فهو أول من أدخل الطلاء العراقي للقيروان؛ إذ سار إلى العراق ولازم أهل العراق في هذه الصنعة حتى أتقنها، بعد أن كتب ودوّن ما يلزمه من أجل استعمال أوزان العقاقير "فقامت له الصناعة"(٢٥٣).

ثالثاً : الحركة العلمية والنساء :

لا نجد إشارات صريحة لذكر نساء لهن اهتمام بالأدب والعلم قبل الفترة الأغلبية، فهذا الأمير إبراهيم بن الأغلب الفقيه العالم والشاعر والخطيب، يتزوج جلاجل الجارية التي أهداها له الفقيه الليث بن سعد، وكانت أديبة ذكية، وولدت له ابنه زيادة الله.(٢٥٤)

ويشار إلى الفقيه عبدالله بن غانم أنه كان قد جعل لخصومات النساء يوما يجلس فيه للنظر والفصل بينهن.(٢٥٥) وتذكر أسماء بنت أسد بن الفرات التي نشأت بين يدي أبيها، ولم يكن له سواها فأحسن تهذيبها، وثقف ذهنها، علما وحكمة، وكانت تحضر مجالسه العلمية في داره، وتشارك في السؤال والمناظرة حتى اشتهرت بالفضيلة ورواية الحديث والفقه على رأي أهل العراق، أصحاب أبي حنيفة.(٢٥٦)

و يبدو أن تعليم صغار الجواري (البنات) في الكتاتيب كان شائعًا منذ وقت مبكر في القيروان خاصة، والمغرب عامة، وهذا يفهم من قول سحنون: "وأكره للمعلم أن يعلم الجواري، ولا يخلطهن مع الغلمان؛ لأن ذلك فساد لهم .(٢٥٧)

وتذكر خديجة بنت سحنون بأنها كانت من ربّات العقل والرأي والعلم والفضل والدين والصلاح، وكان أبوها يستشيرها في مهمات أموره، وأخذت العلم عن أبيها على مذهب مالك، ويشار إلى أن نساء عصرها كن يستشرنها ويستفتينها في المسائل الشرعية (٢٥٨)

ويشار إلى الأديبة الشاعرة مهرية بنت الحسن بن غلبون في القرن الثالث الهجري، (٢٥٩) ورحلتها إلى مكة، ولها شعر في رثاء أخيها أبي عقال غلبون بن الحسن بن غلبون، وذكرها الدباغ، وذكر لها شعر فصيح، (٢٦٠) ويذكر أنها تلقت العلوم حتى اتقنت العربية، ونبغت في القريض، ولذلك اشتهرت في زمانها بالأدب الغض، ووصف نظمها بالجودة .(٢٦١)

وكان الفقيه عيسى بن مسكين يقرئ بنته وبنات أخيه، وقال عياض: "فإذا كان بعد العصر دعا بنته وبنات أخيه يعلمهن القرآن الكريم".(٢٦٢) ويشير البعض إلى تعليم الجواري القرآن والأدب، والشعر والغناء في بلاط الأغالبة، وذلك فيما ينسب لأم الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني، بأنها قدّمت له جاريتين تحسنان القراءة بالألحان، وتنشدان الشعر، وغنتا بالعود والطنبور.(٢٦٣)

ويذكر أن الحافظة الفاضلة (فضل) مولاة أبي أيوب أحمد بن محمد، أنها كتبت نسخة من المصحف الشريف بخط جميل، وأوقفتها سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م، والموجودة في جامع عقبة بن نافع بالقيروان.(٢٦٤) وهذا دليل على عناية المرأة بالقرآن وحفظه، وكتابته .

ويشار إلى جارية أبي مضر زيادة الله الثالث الأغلبي الأديبة التي رافقته في خروجه من القيروان، وذكر لها شعر مغنى على العود .(٢٦٥)

رابعاً : الرحلة العلمية:

كانت الرحلة العلمية ابتداء وليدة الحاجة، لضبط وتصحيح وحفظ الأحاديث النبوية لشريفة، ثم إن تأسيس الأمصار وظهور مراكز العلم في البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان، وما شكلته المدينة المنورة ومكة من كونهما مراكز علمية فضلا عن دمشق وبغداد، استقطبت العلماء وتلاميذ العلم من كل أنحاء وامتداد الدولة الإسلامية، كل ذلك جعل للرحلة العلمية أهميتها ومكانتها في تطوير العلوم الدينية، والأدبية، وغيرها، فكانت الرحلات العلمية من أهم السمات أو الخصوصيات للثقافة الإسلامية .(٢٦٦) كما أن أول ما يمكن استخلاصه من رحلات علماء المغرب الأدنى إلى المشرق هو كثرة تلك الرحلات، طوال النصف الثاني من القرن الثاني وحتى نهاية القرن الثالث الهجري .(٢٦٧)

وهناك اشارة مبكرة للرحلة من القيروان إلى المشرق قام بها خالد بن ربيعة الإفريقي الكاتب في ديوان الانشاء (كان حيًّا سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م) وتحديدًا إلى الشام

التقى خلالها يعبد الحيد الكاتب واستفاد من طريقته وبلاغته .[٢٦٨] ثم إن أبا خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري قاضي إفريقية (ت ١٦١هـ/٧٧٧م) كان قد رحل إلى المشرق في طلب الحديث، إلى العراق؛ إذ روى عن جماعة من التابعين، وسمع من سفيان الثوري، أحد أشهر علماء العراق في وقته .[٢٦٩]

ويشار إلى عبدالله بن فروخ أبى محمد الفارسي المحدّث الفقيه بالقيروان، بأنه ولد بالأندلس، ورحل إلى المشرق، فلقي الشيوخ من الفقهاء في العراق والمدينة وأفاد من علومهم .[٢٧٠] ويذكر البهلول بن راشد أبو عمرو من أهل القيروان، كان من الراحلين للمدينة ومصر في سبيل سماع العلم والفقه.[٢٧١] ويشار إلى أبي مسعود العباس بن أشرس الأنصاري، بأنه كان قد رحل إلى القيروان من تونس، واجتمع بالبهلول بن راشد ليستفتيه، والاستفادة من علمه.[٢٧٢] وكان عبدالله بن عمر بن غانم الفقيه قد رحل إلى الحجاز والشام والعراق في طلب العلم، فسمع من علمائها.[٢٧٣] ويذكر أبو عثمان حاتم بن عثمان المعافري، بأنه رافق ابن غانم في رحلته إلى المشرق، فالتقى مالكا وغيره.[٢٧٤] كما رحل أسد بن الفرات إلى المشرق إلى المدينة، ثم إلى العراق، والتقى بعلمائها كمالك في المدينة، وأبي يوسف وأصحاب أبي حنيفة في بغداد.[٢٧٥] وأفاد من علوم علماء أهلها، وقال : " ضربنا في طلب العلم آباط الإبل، واغتربنا في البلدان، ولقينا العلماء، وغيرنا إنما طلب العلم خلف كانون أبيه ووراء منسج أمه ويريدون أن يلحقونا" [٢٧٦] ورحل الناس إلى أسد بن الفرات بالقيروان من البلدان، وسمعوا عليه وتفقهوا به.[٢٧٧] وكان أهل الحرث والحصاد يأتون إلى حلقة أسد بن الفرات، يتعلمون ويتفقهون عليه، في وقت ينقضي فيه وقت حرثهم وحصادهم.[٢٧٨] ويذكر أن أسد بن الفرات كان بما نهله من علم المشرق كان إمام العراقيين بالقيروان ومذهبه السنة.[٢٧٩] ورحل الفقيه المحدّث أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي إلى المشرق سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م، وأكثر عن وكيع بن الجراح، رحل إلى الكوفة والري أيضاً.[٢٨٠] والحجاز ومكة، والتقى بعلمائها واستفاد منهم، كما كانت له رحلة علمية إلى خرسان .[٢٨١]

وكان الفقيه عبدالله بن أبي حسان اليحصبي قد رحل إلى المدينة، وسمع من مالك، وكان سحنون أول طلبه للعلم إذا انغلقت عليه مسألة من الفقه رجع إلى أبي حسان اليحصبي .[٢٨٢] وخرج أبو زكريا يحيى بن سليمان الفارسي الحفري من القيروان راحلا إلى المشرق إلى الحجاز فلقي علماء مكة، كما سمع منه علماء إفريقية، وسمع منه بشر كثير من أهل القيروان من أصحاب سحنون.[٢٨٣] وكان الفقيه المحدّث أبو محمد عون بن يوسف الخزاعي قد رحل إلى المشرق، قال: "قدمت المدينة سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م، فأدركت فيها أربعين رجلا من معلمي ابن وهب".[٢٨٤]

ورحل الفقيه سحنون بن سعيد التنوخي في طلب العلم سنة ١٨٨هـ/٨٠٣م، إلى مصر وكان اعتماده على ابن القاسم، من أصحاب مالك، وبه تفقه، وصحح عليه الأسدية، وكان سمع بالشام من الوليد بن مسلم، ثم نزل مكة، فسمع من عبدالرحمن بن مهدي البصري، ومن وكيع بن الجراح الكوفي .[٢٨٥] كما سمع بالمدينة من عبدالله بن نافع الصائغ، ومن معن بن عيسى، وغيرهم ولذلك انتشرت امامته بالمشرق والمغرب، وسلم له الإمامة أهل عصره، وأجمعوا كلهم على فضله، وتقدمه.[٢٨٦] وأشار الفقيه عيسى بن مسكين إلى مجيء قوم من الأندلس، قد رحلوا إلى سحنون، وقد كتبوا عنه المدونة، وطلبوا منه أن يسمعهم المدوّنه حتى يتأكدوا من صحة محتواها.[٢٨٧]

ورحل الفقيه عبد الوهاب بن عباس بن ناصح من الأندلس إلى القيروان، في أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم، فسمع بالقيروان من سحنون.[٢٨٨] وكذلك الفقيه عثمان بن أيوب بن أبي الصلت كان قد رحل من الأندلس إلى القيروان ليسمع من سحنون.[٢٨٩] ثم الفقيه محمد بن عامر القيسي أبو عبدالله الذي رحل من الأندلس أيضا، فسمع بالقيروان من سحنون ومن جماعة من محدّثي المشرق.[٢٩٠] ورحل محمد بن سحنون إلى المشرق، إلى الحجاز مكة والمدينة، ولما أتى مصر، أتى إليه

فقهاء مصر ونزل عند رجاء بن أشهب، ولما جلس حلق عليه العلماء، وكان إذ ذاك ابن خمس وثلاثين سنة، ووصلت مؤلفاته إلى بغداد، وأحتفي بها.[٢٩١]

ورحل من شذونة بالأندلس إلى القيروان الفقيه أصبغ بن منبه الذي له رحلة إلى المشرق، سمع فيها من محمد بن سحنون.[٢٩٢]، كما رحل الفقيه يحيى بن حجاج من أهل طليطلة بالأندلس إلى القيروان، فسمع من سحنون بن سعيد وعون بن يوسف، ونظرائهما من مشيخة القيروان.[٢٩٣] ورحل الفقيه أبى اسحق إبراهيم بن شعيب الباهلي من أهل البيرة بالأندلس إلى القيروان، فلقي سحنون بن سعيد وحدّث.[٢٩٤] كما رحل الفقيه محمد بن يوسف بن مطروح بن عبدالملك بن أبي السيراء، من أهل قرطبة بالأندلس إلى القيروان، وذلك في زمن الأمير عبدالرحمن بن الحكم، فسمع بالقيروان من سحنون، وكان مفتيا .[٢٩٥]

وكان الفقيه يحيى بن قاسم بن هلال من أهل قرطبة بالأندلس، قد رحل إلى المشرق إلى القيروان، فسمع من سحنون، وكان مفتيًا في المسائل عالمًا بها .[٢٩٦] وكان الفقيه عيسى بن مسكين وأصله من العجم، قد رحل وطلب العلم فسمع بالشام، وبمصر، وبلاد المغرب.[٢٩٧] ورحل الفقيه بقي بن مخلد من أهل قرطبة بالأندلس إلى المشرق، ولقي جماعة من أئمة المحدثين، وكبار المسندين، وسمع بإفريقية من سحنون، وعون بن يوسف وغيرهم جماعة .[٢٩٨] ورحل الفقيه مطرف بن عبدالرحمن بن إبراهيم القرطبي إلى القيروان والتقى بسحنون وسمع منه.[٢٩٩] وتذكر له رحلة إلى المشرق، إلى الحجاز فسمع بمكة، والمدينة، وكذلك بمصر، واستفاد من علمائها وسمع منهم .[٣٠٠]

وكان إبراهيم بن قاسم بن هلال بن يزيد بن عمران القيسي الفقيه، قد تلقى علومه في الأندلس، ثم رحل إلى القيروان، فسمع من سحنون وغيره .[٣٠١] وكان الفقيه يحيى بن عمر بن يوسف أبو زكريا الكناني الأندلسي المالكي، قد رحل من الأندلس إلى القيروان، وسمع من سحنون وغيره، ورحل إلى مصر، فسمع من يحيى بن بكير،

ورحل إلى المدينة، وسمع من أبي مصعب، ثم انصرف إلى القيروان واستوطنها، فسمع منه جماعة من الأندلسيين والقيروانيين .[٣٠٢]

ومن علماء إفريقية وقتهائها عبدالله بن الأشج، الذي رحل إلى المشرق، ودخل العراق، فكان من أهل المناظرة والجدل.[٣٠٣] ويشار إلى الفقيه محمد بن أسامة بن صخر الحجري، من أهل سرقسطة، من الأندلس، رحل إلى إفريقية، والتقى بعلماء القيروان، وسمع بالقيروان من العتبي وغيره.[٣٠٤] ويذكر الفقيه أبو جعفر حمديس القطان، واسمه أحمد بن محمد الأشعري، الذي قرأ على سحنون، ورحل إلى مصر، فلقي أصحاب ابن القاسم، وأشهب، وابن وهب، ورحل أيضا إلى المدينة فلقي أبا مصعب وغبره.[٣٠٥]

وكان أبو سهل فرات بن محمد العبدي الفقيه، قد أخذ علومه بإفريقية ثم رحل للمشرق، فسمع من رؤساء أصحاب مالك.[٣٠٦] ويذكر أن الفقيه سعيد بن شعبان بن قرّة الأندلسي، كان قد وفد إلى القيروان، فسمع منه جماعة، ثم خرج إلى صقلية.[٣٠٧] ويشار إلى رحلة بكير بن حماد بن سهل بن أبي اسماعيل الزناتي (ت ٢٩٦هـ) أحد أشهر الأدباء والشعراء اللغويين في المغرب كله. من القيروان رحل إلى المشرق، وخاصة إلى العراق، حيث التقى هناك بالعلماء واللغويين والشعراء المشهورين كالشاعر أبي تمام، ودعبل الخزاعي، وعلي بن الجهم، وابن حاتم السجستاني.[٣٠٨]

ورحل الفقيه أبو عبدالله محمد بن محمد بن خيرون، وقيل محمد بن عمر بن خيرون، الأندلسي، الذي سكن القيروان، ورحل إلى المشرق، وأخذ القراءات بمصر عن محمد بن سعيد الأنماطي وغيره، ورحل إلى العراق، وسمع من أصحاب علي بن المديني، ويحيى بن معين، وعاد إلى القيروان، وسمع بها وبقرطبة، وقدم بقراءة نافع على أهل إفريقية، وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة، ولم يكن يقرأ بحرف نافع إلّا الخاصة، فكان إمامًا في القراءات.[٣٠٩] وكان اللغوي عبدالله بن محمد وقيل ابن محمود النحوي القيرواني، أبو محمد المكفوف، من الشهرة بالقيروان بمكان، فكانت الرحلة إليه من جميع إفريقية؛ لأنه كان أعلم خلق الله بالنحو واللغة والشعر والأخبار .[٣١٠]

خامساً : التأليف والمكتبات : -

لقد رافق التأليف تطور العلوم في القيروان وتواجد العلماء على اختلاف تخصصاتهم، فيما من شأنه أن يكون نتيجة طبيعية للنشاط والحركة العلمية في القيروان، وظهر ذلك جليًّا ابتداء من النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، فهذا الفقيه أبو عمرو البهلول بن راشد (ت ١٨٣ هـ /٧٩٩م)، كان قد ألف ديوانًا في الفقه [٣١١] وفي رواية أخرى "ودوّن الناس عنه جامعًا" [٣١٢]

ويشار إلى الفقيه أبي علي شقران بن علي الفرضي بأنه كان عالمًا بالفرائض، وله فيها "كتاب"[٣١٣] وكان أبو زكريا يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي، له كتاب في "التفسير".[٣١٤] ويذكر أن الفقيه أسد بن الفرات لما عزم على الرحيل من مصر وجه معه ابن القاسم بضاعة وقال له إذا قدمت إفريقية فبعها، واشتر بثمنها رقوقاً وانسخ "الكتب" ووجه بها إلي . فلما قدم أسد افريقية أظهر "الكتب" وأسمعها الناس، وانتشرت في إفريقية.[٣١٥]

ثم إن الفقيه أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي، يذكر أنه ألف كتاب الزهد، وكتاب مواعظ الحسن،[٣١٦] ويشار إلى الفقيه سحنون بن سعيد، بأنه مصنف "المدوَّنه" في الفقه.[٣١٧] وحدّث سليمان قال: غدوت إليه (سحنون) فوجدته يقرأ للناس "كتاب المناسك في الحج" الذي اختصره.[٣١٨] ويشار إلى أن المتعلمين من الفقهاء كانوا يدوّنون ما يسمعونه من سحنون؛ إذ " يمر قوم معهم المحابر والدفاتر.. إلى سحنون يمرون" [٣١٩]

ويذكر الفقيه أبو محمد بن سحنون وهو من رجال القيروان، بأنه كان " كثير الوضع للكتب، غزير التأليف" [٣٢٠] وذكر المالكي: "لم يكن في عصره أحد أجمع لفنون العلم منه له في جميع ذلك كتبًا كثيرة تنتهي إلى نحو مائتي كتاب في جميع العلوم، وفي المغازي والتواريخ" [٣٢١] ويقول الدباغ: "والمراد بالكتب، كتاب الطهارة، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة .. وليس سفر".[٣٢٢]

ويذكر أن محمد بن سحنون هذا قد ألف " كتاب المسند في الحديث وهو كبير، وكتابه المشهور الجامع فيه فنون العلم والفقه في عدة كتب نحو الستين، وكتاب السير عشرين كتاباً، وكتابه في المعلمين، ورسالته في السنة، ورسالته في آداب المتناظرين جزءان، وكتاب التاريخ ستة أجزاء، وغيرها" [٣٢٣] ومن كتبه المشهورة والتي وصلت إلى بغداد " كتاب الإمامة " الذي كتب بماء الذهب، وأهدي إلى الخليفة .[٣٢٤]

وكتاب " اشتقاق الأسماء" [٣٢٥] وكتب تسمى كتب الألفاظ.[٣٢٦] ويشار إلى الفقيه محمد بن إبراهيم بن عبدوس بأن له كتاب سماه "المجموعة" ألفه في الفقه على مذهب مالك وأصحابه .[٣٢٧] قال عنه ابن فرحون : " كان صحيح الكتاب، حسن التقييد، عالماً بما اختلف فيه أهل المدينة وما أجمعوا عليه، وله من الكتب أيضاً " كتاب التفاسير"، وكتاب الشفعة، وله أربعة أجزاء في شرح مسائل من كتب المدوّنه ، وكتاب "الورع" وغيرها .[٣٢٨] ويذكر الفقيه عيسى بن مسكين، الذي سمع من سحنون وابنه جميع كتبه، وصف بأنه كثير الكتب في الفقه والآثار صحيحها، قال الحسن الكانشي: "أدخلني عيسى بن مسكين إلى بيت مملوء بالكتب ثم قال كلها رواية وما فيها كلمة غريبة إلا وأنا أحفظ لها شاهداً من قول العرب"[٣٢٩]

ويشار إلى الفقيه عبدالله بن أحمد بن طالب التميمي عم بني الأغلب أمراء إفريقية، بأنه ألف كتابًا في الرد على من خالف مالكاً، وثلاثة أجزاء من أماليه.[٣٣٠] وكان الفقيه محمد بن أسامة بن صخر الحجري من أهل سرقسطة، ويكنى أبا محمد، من الأندلس، رحل إلى القيروان وسمع منه تميم بن محمد وجماعة بالقيروان "مستخرجة" العتبي .[٣٣١] وألف الفقيه حبيب بن نصر بن سهل التميمي، صاحب مظالم سحنون، كتاباً في مساءلة سحنون سمّاه الأقضية، وله تأليف في الفقه وروايات عن سحنون وغيره.[٣٣٢]

ويذكر الفقيه أبو الربيع سليمان بن سالم الكندي القطان القاضي، المعروف بابن كحالة، صاحب سحنون بأن له " تأليف في الفقه يعرف بالسليمانية ".[٣٣٣] وألف الفقيه أبو زكريا يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني الأندلسي القيرواني "كتابا في النهي عن حضور مسجد السبت" [٣٣٤] وذكرت له مصنفات منها كتاب "الصراط"، وكتاب "الميزان"، وكتاب يرد به على الشافعي، وكتاب اختصار المستخرجة المسمى "المنتخبة" وقيل أن له من المصنفات نحو أربعين جزءاً.[٣٣٥]

ويشار إلى النحوي محمد بن اسماعيل أبو عبدالله المعروف بحمدون النحوي، بأنه كان يحفظ كتاب سيبويه، وله كتب في النحو وأوضاع في اللغة .[٣٣٦]

وألف الطبيب اسحق بن عمران البغدادي الأصل الذي دخل القيروان في فترة حكم الأمير زيادة الله بن الأغلب، وبه ظهر الطب بالمغرب، فألف كتباً منها كتابه المعروف "بنزهة النفس" وكتابه في داء المالنخوليا،[٣٣٧] ومن كتبه أيضا كتاب الأدوية المفردة، وغيرها، وهو الذي ألف بين الطب والفلسفة بديار المغرب.[٣٣٨]

ويشار إلى مؤلفات الطبيب اسحق بن سليمان الإسرائيلي في الطب في القيروان، فساهم مساهمة كبيرة بمؤلفاته في هذا المجال مثل: الحميات وبستان الحكمة، كما شرح مؤلفات أستاذه إسحق بن عمران الطبيب، واختصرها ليسهل تدريسها وتداولها .[٣٣٩]

وكان الفقيه سعيد بن شعبان بن قرّة الأندلسي الذي زار القيروان، كان كثير الكتب ضابطاً لما كتب[٣٤٠] وألف اللغوي إبراهيم بن أحمد أبو اليسر الشيباني البغدادي المعروف بالرياضي، نزيل القيروان، كتاباً " لفظ المرجان " في الأدب، وكتاب " سراج الهدى " في معاني القرآن .[٣٤١]

ويذكر أن اللغوي أبا عثمان سعيد بن محمد الغساني المعروف بابن الحداد، كانت له تآليف منها كتاب "إيضاح المشكل" وكتاب "المقالات" رد فيه على أهل

المذاهب أجمعين، وكتاب "الاستيعاب "، وكتاب "الأمالي" وغيرها .[٣٤٢] وقال الخشني : " كان سعيد بن محمد غزير التأليف كثير الوضع له كتب مؤلفة في فن الكلام والجدل، وله كتاب في فن الفقه والمسائل، وله كتب في النظر والجدل".[٣٤٣] وله أيضًا كتاب عصمة المسلمين، وكتاب العبادة الكبرى والصغرى، وكتاب الاستواء، وله كتب كثيرة جملتها في الاحتجاج على الملحدين .[٣٤٤]

وألف شيخ القراء بالقيروان محمد بن عمر بن خيرون أبو عبدالله المعافري الأندلسي ثم القروي كتاب "الابتداء والتمام" وكتاب "الألفات واللامات" في القراءات.[٣٤٥]

ويذكر أن النحوي عبدالله بن محمود المكفوف القيرواني بأنه ألف كتباً منها: "كتاب في العروض" يفضله أهل اللغة على سائر الكتب[٣٤٦].

أما المكتبات في القيروان، فمن المنتظر أن هذه الحركة العلمية والرحلة العلمية ونشاط التأليف في مختلف حقول المعرفة خلال فترة الدراسة قد أدت إلى توفر الكتب العديدة واهتمام العلماء باقتناء الكتب، كمكتبات خاصة بهم، وكذلك في الجوامع والمساجد، واهتمام الحكام بإنشاء المكتبات لأهميتها في نشر العلم والمعرفة .

وتذكر مكتبة المسجد الجامع بالقيروان بأنها أول مكتبة عامة أنشأها الأغالبة في إفريقية، وخصص البيت المجاور للمحراب من الجامع الأعظم لخزين الكتب، وقد ازداد عدد هذه الكتب بسبب وقف أهل الخير للكتب فيها طلباً للأجر، ويشار إلى وجود كتب موقوفة منذ عهد القاضي سحنون بن سعيد.[٣٤٧]

ويشار في هذا الإطار إلى جهود الأغالبة في إنشاء بيت الحكمة في رقادة قرب القيروان سنة ٢٦٤هـ/٨٧٧م، على غرار ما هو في بغداد، حيث المترجمون الذين يترجمون الكتب العلمية من طبية وصيدلية ونباتية ورياضية من اللغة اللاتينية، فيذكر أن قسطنطين الإفريقي كان قد ترجم لإسحق بن سليمان الطبيب بالقيروان كتاب الحميات، وكتاب البول، وكتاب العناصر، وكتاب الحدود والرسوم، وترجم كتاب الملانخوليا للطبيب اسحق بن عمران.[٣٤٨]

وكانت الكتب الصادرة في بغداد أو قرطبة لا يمض عليها الحول إلا وقد وصلت إلى القيروان، بفضل ما كان يبذله المهتمون بالكتب من العلماء أو الأغالبة، وما يبذلونه من أموال في سبيل شرائها واحضارها للقيروان للاستفادة منها.(٣٤٩)

كما تم تزويد بيت الحكمة بمختلف الكتب منها ما هو مترجم عن اليونانية والسريانية والفارسية، وحوت المكتبة على كتب الرياضيات، والحكمة، والفلسفة، والطب، وسائر العلوم التجريبية، فضلاً عن الكتب الفقهية والعقائدية والأدبية، فكان الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبي قد ساهم في إثراء تلك المكتبة، إذ حشد عددًا من الكتاب والوراقين، لنسخ الكتب داخل بيت الحكمة، وخصص للنسخ مكانًا خاصًّا، وكان يرسل سفارة للمشرق الإسلامي مرة أو مرتين في السنة، لإحضار نفائس الكتب المشرقية، وإيداعها في بيت الحكمة، وكان أول من تولى منصب صاحب بيت الحكمة هو أبو اليسر الشيباني.(٣٥٠)

ومن أشهر المكتبات الخاصة التي تم ذكرها مكتبة القاضي عيسى بن مسكين (ت٢٩٠هـ/٩٠٢م)، الذي كان جماعًا للكتب، حكى عنه تلميذه الكاشي قال: "أدخلني عيسى بن مسكين إلى بيت مملوء بالكتب ثم قال كلها رواية لي وما فيها كلمة غريبة إلا وأنا أحفظ لها شاهداً من قول العرب".(٣٥١)

وذكر التوزري أن أدوات الكتابة كانت متنوعة وكثيرة، يصنع أغلبها بالقيروان، فكانوا يكتبون على جلود الخراف المصقولة، أو على البردي المصنوع من قصب خاص، وكان أجوده ما يجلب من مدينة الإسكندرية، وأما الحبر فكان يصنع من الصمغ أو من مواد كيماوية.(٣٥٢) أما الكاغد وهم ورق كان يصنع ببغداد بداية، فقد كان مستعملاً في القيروان في أواسط القرن الثالث الهجري.(٣٥٣) وظل هذا التراث العلمي موجوداً ضمن المشاهدات الحديثة، في مكتبة القيروان العتيقة، يذكر التوزري بأنه اطلع على نماذج رائعة من المصنفات والمخطوطات التي يرجع تاريخها إلى ما قبل الإسلام حتى العهد الهلالي، واطلع على صحف مكتوبة في العهد الأغلبي، بالخط الرقعي الجميل، مكتوباً على الرق الأزرق البديع، ثم إن السيد

إبراهيم شبوح كان قد نشر سجلاً قديماً لمكتبة جامع القيروان / القاهرة ١٩٥٧م، أثبت فيه أن أقدم وثيقة مؤرخة في المكتبة هي نص التحبيس (الوقف) المصحف الشريف الذي كتبته بخطها السيدة فضل مولاة أبي أيوب أحمد سنة ٢٩٥ هـ٩٠٧م.[٣٥٤]

سادساً : **الظروف المعيشية للعلماء** : -

من المعلوم أن الصحابة الأول والذين كان لهم دور في الحركة العلمية كانوا على حساب العطاء أي ديوان الجند، كما أن الذين كان قد بعثهم الخليفة عمر بن عبد العزيز ليعلموا في القيروان وإفريقية كان الخليفة قد رتب لهم الرواتب، ولكن فيما بعد نجد أن بعض العلماء كان يتلقى الصلات مثل الرواية التي تشير إلى أن جماعة من العلماء كانوا جلوسًا عند الأمير زيادة الله بن الأغلب، فأتى بجراب فيه حلي من حلي النساء ودنانير فأعطى منه من حضر فأخذوا غير زكريا بن محمد بن الحكم اللخمي، الذي أبى أن يأخذ منه شيئاً[٣٥٥]. ويذكر أن أسد بن الفرات الفقيه كان ممن أخذ منها، ويشار إلى أن الأمير زيادة الله كان قد عاب على من أخذ وقبل، فيذكر أن الفقيه أسد بن الفرات عندما بلغه ذلك قال : " لا عليه، إنما أخذنا بعض حقوقنا، والله يسأله عما بقي" [٣٥٦]

أما الفقيه سحنون بن سعيد، فيذكر أنه لم يرحل إلى مالك بسبب الفقر، ولكنه اتصل بتلاميذه.[٣٥٧] ويذكر أن سحنون هذا كان لا يقبل من السلاطين شيئاً، وربما وصل أصحابه بالثلاثين دينارًا أو نحوها، وذلك بعد أن استقرت أحواله واشتهر اسمه وتحسنت أوضاعه المعيشية من عمل يده، قال العنبري : كانت غلة سحنون في زيتونه خمس مائة دينار في السنة فما تمضي السنة إلّا والديون عليه لكثرة صدقته ومعروفه،[٣٥٨] حتى أنه تولى القضاء سنة ٢٣٤ هـ للأمير محمد ابن الأغلب بشرط أن لا يرتزق له شيء على القضاء، وكان يقول : لا أحب أن يكون عيش الرجل إلا على قدر ذات يده، فإن كان له مال حلال اعتمد عليه وتفرغ للعبادة، وان لم يكن عنده فعليه بكسب يده، فذلك أولى له من مسألة الناس.[٣٥٩]

أما الفقيه أبو محمد عون بن يوسف الخزاعي، الذي عاصر الفقيه سحنون، يشار إليه بأنه كان يبيع الكتان في حانوت ويعتاش منه.[٣٦٠]

ويشار إلى الزاهد أبو محمد الأنصاري الضرير، بأن الأمير زيادة الله بن الأغلب كان قد أرسل له بصلة فلم يقبلها.[٣٦١] وكان أبو عبدالملك الملشوني صاحب أخبار ومغازي، كان قد استدعي لبلاط الأمير محمد بن الأغلب في شهر رمضان يحدثه بأخبار الأمم السالفة والأعوام الماضية، وذلك كل يوم من أيام رمضان، حتى انقضى شهر رمضان، فوصله الأمير محمد بمائة وخمسين ديناراً من بيت المال، لقضاء دينه، وخمسين قفيز قمح، وطلب منه أيضاً شعيراً لبرذونه وزيت وحطب، فأمر له الأمير بما طلب.[٣٦٢]

وكان الفقيه أبو الوليد مروان بن شحمة البلوي يعمل الطوب بيده، فيتصدّق بثلث ما يربح وينفق ثلثاً على عياله، ويرد في الطين والتبن ثلثاً [٣٦٣] وفيما يصلح به عمل الطوب.[٣٦٤]

ويذكر أن الفقيه أبا عثمان سعيد بن عباد السرتي كان فقيرًا صابرًا، حاول سحنون أن يصله بمبلغ من المال فرفض، وكان يعمل أجيراً كل يوم سبت في عمل الطوب .[٣٦٥]

وكان الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، كان قد رتب إماماً لأداء الصلوات الخمس في المسجد، وأجرى عليه راتباً قدره عشرة دنانير ذهبية شهريًّا .[٣٦٦]

وعندما تولى أبا العباس عبدالله بن أحمد بن طالب التميمي قضاء القيروان للأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، أمر له الأمير بصلة وكسوة. [٣٦٧]

ويشار إلى الفقيه أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن عبدوس إلى أنه كانت له ضيعة تدر عليه مالاً، وفي أحدى ليالي الشتاء جاء بمائة دينار ذهبًا دفعها إلى محمد بن سطام ليوزعها على فقراء المسلمين.[٣٦٨]

وكان الفقيه القاضي عيسى بن مسكين، الذي تولى القضاء للأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، لم يأخذ على القضاء أجراً وامتنع عن قبول الكسوة والصلة أيضاً.[٣٦٩]

وكان اللغوي أبو الوليد عبد الملك بن قطن المهري قليل النظر في تدبير معيشته، لا يمسك ديناراً ولا درهماً على كثرة ما كان يوصل ويجبى ويعطى.(٣٧١) ويذكر أنه كان قد مرّ يوماً بناحية القيسارية، عند الصيارفة، فقام إليه فتى كان يختلف إليه ويسمع منه، فدفع إليه صرة بها خمسون ديناراً.(٣٧٢)

ويشار إلى الفقيه أبي بكر بن هذيل بأن عيشه كان من غزل امرأته، كان يشتري الكتان، فتغزله، وينسج منه أبداناً فيبيعها، فما كان فيها من فضل تقوتا به، واشترى برأس المال كتاناً فمن ذلك كان عيشهما.(٣٧٣)

ويذكر الفقيه ابن الحداد، أبو عثمان سعيد بن محمد بأنه كان مقلاً في عيشه حتى مات أخ له بصقلية فورث منه أربع مائة دينار، فبنى منها داره بمئتي دينار واكتسى بخمسين دينارا .(٣٧٤)

ويذكر عن اللغوي عامر بن إبراهيم بن العباس الفزاري بأنه كان تاجرًا، وهو في الطبقة الرابعة من نحاة القيروان.(٣٧٥)

سابعاً: **المؤسسات التعليمية** (**المساجد والكتاتيب**) : -

أ - المسجد الجامع (**الأعظم**) **بالقيروان** : -

بدأ المسجد الجامع دوره التعليمي والتثقيفي منذ تأسيس مدينة القيروان سنة ٥٠ هـ/٦٧٠م، على يد عقبة بن نافع؛ إذ تم تخطيط المسجد الجامع كمعلم أساسي من معالم مدينة القيروان، وأخذ العلماء منذ البداية على عاتقهم مهمة نشر علوم القرآن، والحديث، والفقه، واللغة، وغيرها من العلوم، ابتداء من وصول عكرمة مولى ابن عباس، والتحاقه بالقيروان، الذي كان له مجلس في مؤخر المسجد، ومن بعده كانت تنعقد حلقات العلم، وتصدر العلماء، والفقهاء للتدريس فيه حتى عام ٢٩٦هـ/٩٠٨م ،أي حتى سيطرة الفاطميين على القيروان، حيث ترك علماء المالكية التدريس في جامع القيروان؛ بسبب الاختلاف المذهبي مع الفاطميين.(٣٧٦)

ومن الفقهاء الذين كان لهم دور في التدريس في الجامع الأعظم بالقيروان الفقيه يزيد بن الطفيل الذي كان أحد علماء القيروان المتقدمين، ويشار إليه بأنه كانت له حلقة عظيمة بالمسجد الأعظم بالقيروان .[٣٧٧]

وفي رواية عن ابن غانم أنه انصرف يومًا من جامع القيروان الأعظم بعد صلاة الجمعة، فدخل عليه بعض أصحابه، فسأله ابن غانم حضرت اليوم الجمعة؟ قال: نعم، قال: كيف رأيت، قال: رأيت أصلحك الله به سبعين قلنسوة تصلح للقضاء، وثلاثمائة قلنسوة فقه .. وهذا دليل على النشاط العلمي في حلقات العلم في المسجد الجامع بالقيروان في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري .[٣٧٨]

ومن العلماء الذين كانت لهم حلقات وتدريس في المسجد الأعظم بالقيروان: مسافر بن سنان الواعظ،[٣٧٩] والفقيه أبو عبدالله محمد بن زرقون بن أبي مريم المعروف بالطيارة، الذي أقام إمامًا وخطيبًا بجامع القيروان عشرين سنة .[٣٨٠] والفقيه يحيى بن عمر بن يوسف الأندلسي، الذي كان له كرسي في الجامع للسماع، فيجلس عليه، ليسمع عليه الناس.[٣٨١]

وكان الفقيه سحنون بن سعيد، يجلس في جامع القيروان يفتي ويفقه الناس على مذهب مالك، فكان إمام عصره .[٣٨٢] وكان المقرئ محمد بن برغوث يجلس في المسجد الجامع في القيروان، ليعلم الناس القراءات، ويبدو أنه كان له إلمام بأكثر من قراءة؛ لأن القاضي كان قد أمره بإقراء الناس على قراءة نافع .[٣٨٣]

وكان أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي الفقيه، يفتي في جامع القيروان أزيد من ثلاثين عامًا.[٣٨٤] ثم إن الفقهاء كانوا يجلسون للإفتاء بالجامع بالقيروان، وكانت تقدم عليهم وفود المستفتين.[٣٨٥] .

ب - المساجد الخاصة بالعلماء : -

يذكر أن العلماء من التابعين الذين أرسلهم الخليفة عمر بن عبد العزيز كان نشاطهم كبير لتعليم القرآن، فكانوا حريصين على بناء دار لسكناهم، واتخاذ مسجد وبجواره الكتاب، من أجل تحفيظ الناس القرآن الكريم ابتداء [٣٨٦]

وكان المحدّث حنش بن عبدالله السبأي الصنعاني، قد سكن القيروان، واختط بها دارًا ومسجدًا[٣٨٧]، وكذلك المحدّث أبو عبدالرحمن عبدالله بن يزيد المعافري الحبلي، الذي سكن القيروان، واختط بها دارًا ومسجدًا.[٣٨٨] والمحدّث زياد بن أنعم الشعباني، الذي سكن القيروان واختط بها دارًا ومسجدًا.[٣٨٩]

ومسجد أبي ميسرة، وهو منسوب إلى أبي ميسرة الفقيه أحمد بن نزار الزاهد، كان هذا المسجد بناه أحد التابعين.[٣٩٠] ويذكر أن عبدالله بن أبي السرح، كان قد بنى مسجدًا بالقيروان، وقد عرف بمسجد ابن أبي السرح.[٣٩١]

ومن المساجد المعروفة بالقيروان المسجد المعروف باسم مسجد الأنصار، الذي كان قد اختطه رويفع بن ثابت الأنصاري، صاحب رسول الله ﷺ، ومن كان معه من الصحابة والتابعين، قبل أن تختط القيروان، وهذا المسجد بمحرس الأنصار، ولم يزل الصلحاء والأبدال (الصوفية) يتناوبونه ويعمرونه.[٣٩٢] وكان أبو عبدالله علي بن رباح بن قصير اللخمي، من جملة التابعين، سكن القيروان، واختط بها دارًا ومسجدًا، ومسجده عند باب نافع على يمين الخارج قبل أن يخرج، وانتفع به أهل القيروان.[٣٩٣]

ويشار إلى المحدّث اسماعيل بن عبيد الأنصاري المعروف بتاجر الله، سكن القيروان، وانتفع به خلق كثير من أهلها، وهو الذي بنى المسجد الكبير المعروف بجامع الزيتونة.[٣٩٤]

ويشار إلى مسجد الزاقول الذي عند دار أبي الحسن الزعفراني بالقيروان، كان الفقيه أبو عقال كثيراً ما يأتي هذا المسجد، ويأوي إليه.[٣٩٥] ويذكر مسجد عبد الجبار بالقيروان، وعبدالجبار هو الفقيه أبو حفص عبدالجبار بن خالد بن عمران السرتي،

ذكره هاشم بن مسرور قال: مضيت ليلة من ليالي رمضان إلى مسجد عبدالجبار لأصلي خلفه التراويح.[٣٩٦]

وكان لشيخ الإقراء بالقيروان محمد بن عمر بن خيرون مسجد يعرف باسمه، في موضع يقال له الزيادية، فكان إمامًا في القراءة، مشهورًا في عالم التجويد والقراءات .[٣٩٧]

وهكذا فإن المساجد الخاصة بالعلماء قد ساهمت مساهمة واضحة في نشر علوم وتخصصات هؤلاء العلماء كل حسب علمه سواء في القراءات، أو التفسير، أو الحديث، أو الفقه، أو اللغة والنحو، مما كان له الأثر الواضح في نشر العلوم الدينية مع اللغة العربية في القيروان وشمال إفريقية خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة .

ج - مساجد الزهاد والعباد: الصوفية (مسجدي الخميس والسبت)

قام ببناء مسجد الخميس أبو إسحق إبراهيم بن المضاء الضرير، وهو من كبار علماء التصوف، وكان يقرأ الرقائق في هذا المسجد كل خميس .[٣٩٨]

أما مسجد السبت، فكان أيضا يجتمع فيه الزهاد والمتصوفة يقرؤون فيه الرقائق أيضًا كل سبن، ويحضره " أولياء الله والصالحين والعلماء كأبي بكر بن لباد"[٣٩٩] وفي رواية أخرى قال الدباغ: " يحضره الزهاد والعباد يقرأ فيه القارئ آية من كتاب الله عز وجل، وبعض حكايات الصالحين وتنشد فيه الأشعار وهو الذي يسمى عندنا بالرقائق، فكان الفقيه يحيى بن عمر يرى أن هذا بدعة".[٤٠٠] وألف كتاباً ينهى الناس فيه عن حضور هذا المسجد وما يدور فيه .[٤٠١]، وهكذا فإن مسجدي الخميس والسبت في القيروان، كانا مكانًا لإجتماع الزهاد والعباد المتصوفة الذين يتداولون قراءة القرآن، والذكر، والأشعار (الرقائق).

د : الكتاتيب :

إن الكتّاب والمكتب معروف في تاريخ الأمة منذ وقت مبكر، وهو خاص بتعليم أبناء عامة المسلمين.[٤٠٢] ويظهر أنه بعد بناء وتأسيس مدينة القيروان سنة

٥٠هـ٦٧٠م، بدأت تنتشر فيها الكتاتيب، التي من شأنها تعليم أبناء المسلمين شيئاً من القرآن، والعربية، والخط، والحساب، والشعر، والوضوء والصلاة وغيرها من المبادئ الأساسية لتنشئة الجيل في ذلك الوقت. (٤٠٣)

ومن الإشارات المهمة في هذا المجال، أن أحد التابعين الذين أرسلهم الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى القيروان، كانوا قد حرصوا على بناء الكتاب إلى جوار سكناهم ومسجدهم، للاعتناء بتعليم صبيان المسلمين ما يلزم من علوم شرعية ولغوية وغيرها.(٤٠٤)

ومن الكتاتيب التي تمت الإشارة إليها مبكرًا من تاريخ القيروان، روى غياث بن أبي شبيب قائلاً: "كان سفيان بن وهب (ت ٨٢هـ/٧٠١م) صاحب رسول الله ﷺ يمرّ بنا ونحن غلمة في الكتّاب".(٤٠٥)

و في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، نجد أن الفقيه أبو عبدالرحمن عبدالله بن غانم قاضي إفريقية (ت ١٩٠هـ/٨٠٥ م) يرسل إلى معلم الكتاب الذي كان يعلم ابنه نقودا(دنانير ذهبية) ً لقاء تعليم ابنه القرآن .(٤٠٦)

وذكر محمد بن سالم القطان في كتابه أجوبة محمد بن سحنون كان سحنون يكري بيتًا يعلم فيه الصبيان .(٤٠٧)

وكدليل على وجود الكتاتيب في القيروان خاصة وخطورة دورها، وأهميتها في تعليم أبناء الأمة، في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري نجد أن الفقيه محمد بن سحنون من أهل القيروان كان قد حرص على تأليف كتاب خاص بالمعلمين القائمين على الكتاتيب بعنوان "آداب المعلمين والمتعلمين" فيما من شأنه إيضاح دور الكتاتيب في تنشئة أبناء الأمة آنذاك .

ويشار إلى مكتب (كتّاب) المقرئ حسنون المعروف بابن زبيبة في القيروان، في أواسط القرن الثالث الهجري .(٤٠٨) وهكذا نرى أن الكتاتيب كانت موجودة ومنتشرة في القيروان وأدت دوراً مهمًّا في تعليم أبناء الأمة العلوم الضرورية التي من شأنها أن تُعدُّهم للالتحاق بحلقات المساجد بعد تعليمهم في الكتاتيب وتخرجهم منها .

ثامنا :الخاتمة :

استعرض هذا البحث الحياة العلمية والثقافية في القيروان في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ابتداء من تأسيس القيروان على يد القائد والفاتح عقبة بن نافع عام ٥٠هـ/٦٧٠م، وتبين أن مدينة القيروان، كانت قد استقطبت عددًا من الصحابة والتابعين، الذين اعتنوا عناية كبيرة بعلوم القرآن (القراءات والتفسير)، وعلوم الحديث (حفظاً واسناداً)، والفقه وأشهر الفقهاء الذين برزوا خلال فترة الدراسة، اضافة إلى ازدهار الدراسات اللغوية والأدبية والشعر، فضلاً عن الوعظ والزهد، والعناية بعلم الطب والكيمياء على نطاق ضيق .

ثم أظهر البحث أنه كان للمرأة نصيب من العلم، تعلّمًا وتعليمًا، في قراءة القرآن، واللغة، والشعر، والفقه، وكن قد تعلمن ذلك على علماء عصرهن في هذه العلوم، وكان لبعضهن مشاركات علمية ملموسة في مجالس العلم، كما اهتم بعض العلماء بتخصيص أوقات خاصة في اليوم لتعليم بناته وبنات أهله، فضلاً عن وجود إشارات لتعليم البنات إلى جانب الصبيان في الكتاتيب؛ إذ يتعلمن العلوم الأولية .وبين البحث كذلك حركة الرحلة في طلب العلم والتي نشطت منذ منتصف القرن الثاني الهجري، واستمرت حتى نهاية القرن الثالث الهجري، وكانت رحلة العلماء من القيروان إلى مصر، وإلى الحجاز (مكة والمدينة)، وإلى العراق : الكوفة وبغداد، وإلى الشام، وكذلك الرحلة العلمية للعديد من العلماء من الأندلس إلى القيروان، ومنها إلى المشرق، فكان لهذه الرحلات الأثر الكبير في تقدم العلوم المختلفة في القيروان، وبلاد المغرب والأندلس بعامة.

وأظهر البحث النشاط المتعلق بالتأليف لدى علماء القيروان في علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب والشعر والطب ..وكذلك الاهتمام بمكتبات المساجد

وعلى رأسها مكتبة الجامع الأعظم بالقيروان وبيت الحكمة الذي أنشأه الأغالبة لأغراض الترجمة والمكتبات الخاصة بالعلماء التي يعتمدون عليها في تأليفهم وتدريسهم ومناظراتهم مما يكشف لنا عن حركة علمية واسعة في القيروان منذ النصف الثاني للقرن الثاني الهجري إلى نهاية القرن الثالث الهجري .

وبين البحث جوانب الظروف المعيشية للعلماء، فكانت البدايات بأنهم كانوا مع الفاتحين ويأخذون رواتبهم من ديوان الجند (العطاء)، ولكن بعد استقرار الأوضاع في مدينة القيروان أصبح العلماء يعتمدون على أنفسهم في معيشتهم فمنهم المزارع ومنهم التاجر ومنهم الأجير ومنهم من كان يعمل في الحرف البسيطة، علما أن البعض من القضاة كان لا يأخذ أجرًا على القضاء، وكان من العلماء من لا يقبل حتى صلة الحكام أو السلاطين .. فكانوا يقصدون بعلمهم الثواب ووجه الله الكريم .

كما أوضح البحث مساهمة المؤسسات التعليمية التي كان لها دور أساسي في الحياة العلمية والقافية مثل الجامع الأعظم في القيروان، والمساجد الخاصة بالعلماء، ومساجد الزهاد والعباد : الصوفية، والكتاتيب .. هذه المؤسسات التي كانت عبارة عن منابر علمية وثقافية من خلال حلقات العلم في مختلف العلوم ..فضلا عن الكتاتيب التي تضطلع بتعليم وتنشئة أبناء المسلمين من خلال تعليمهم العلوم الأولية من أجل إعدادهم للالتحاق بحلقات العلم والدروس العليا في المساجد بالقيروان .

تاسعاً :الهوامش :

١ – الدباغ (ت ٦٩٦ هـ /) ، معالم الإيمان ، صحح وعلق على الجزء الأول إبراهيم شبوخ والجزء الثاني تحقيق محمد الأحمدي ، ٢ج، ط٢، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٨ م، بمصر، ج١، ص ١٦٤، و ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥ م، دار صادر، بيروت، م٤، ص ٤٢٠ – ٤٢١ .

٢ – أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص١٦، ١٧. والدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٧١، ٧٦، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٥، ٩٢، ٩٨، ١٠٢، ١٠٥ .

٣ – أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص ١٦، ١٧، والدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ١٠٧، ١٠٨، ١١٢، ١١٦، ١٢٠، ١٢٢ .

٤ – أبو العرب، المصدر نفسه، ص ١٦، ١٧، والدباغ، المصدر نفسه، ج١، ص ١٣٧، ١٤٠، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٨، ١٥١ .

٥ – أبو العرب، المصدر نفسه، ص ١٦، ١٧ . الدباغ، المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧ .

٦ – الخشني، طبقات علماء إفريقية، تحقيق : محمد زنهم، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٣ م، ص ١٧.

٧– أبو العرب، المصدر نفسه، ص ٢١، والمالكي، رياض النفوس، تحقيق : بشر بكوش، ٢ج، ط٢، دار المغرب العربي، ١٩٩٤ م، ج١، ص ١٠٢، وانظر : الدباغ، المصدر نفسه، ج١، ص ١٨٤ .

٨ – الدباغ، المصدر نفسه، ج١، ص ٢٠٢ .

٩ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١١٦ – ١١٧، وانظر : الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٠٣، وابن عذارى، البيان المغرب، تحقيق : بشار عواد ومحمود بشار، ٣م، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٣ م، م١، ص ٧٦ .

١٠ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١١٠– ١١١، و الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص٢١٣.

١١ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢١٥ .

١٢ – التلمساني، نفح الطيب، تحقيق : احسان عباس، ٨ج، دار صادر بيروت، (د . ت)، ج١، ص ٢٧٨ .

١٣ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٩٩ .

١٤ – المصدر نفسه ج ١، ص ١١٠، و الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ١٩٨ .

١٥ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١١٢، و التلمساني، نفح الطيب، ج٣، ص ٥٧ .

١٦ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١٠٦ .

١٧ – انظر : حسن حسني عبدالوهاب، بساط العقيق في حضارة القيروان، ط٢، ١٩٧٠، ص ٥٥، و لمياء عز الدين الصباغ، القيروان ملتقى الأندلسيين، مجلة التربية والتعليم، م ١٨، العدد ٤، سنة ٢٠١١ ، ومحمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط١، دار المنار، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٩٠ .

١٨ – محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ص ١٨٥ – ١٨٦ .

١٩ – محمد كرو، عصر القيروان، ط٢، دار طلاس للدراسات، دمشق، ١٩٨٩ م، ص ٣٢، ٣٦، ١٢١ .

٢٠ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٧١، ٧٦، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٥، ٩٢، ٩٨، ١٠٢، ١٠٥، وانظر: يوسف حوالة، الحياة العلمية، جامعة أم القرى، ٢٠٠٠ م، ج١، ص ٤٠٧ – ٤٠٨.

٢١ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٠٢ .

٢٢ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١٣٣، و الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ١٧٧ .

٢٣ – الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق : بشار عواد، ١٧ ج، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣ م ، ج٣، س (١٠١ – ١٥٠ هـ)، ص ٣٥٧ .

٢٤ – فاطمه عبد القادر، مدينة القيروان في عهد الأغالبة، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٩٩١، ص ٢٢٤ .

٢٥ – يوسف حوالة، الحياة العلمية، ج١ ص ٤١١، ٤١٢، الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص ١٨ .

٢٦ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٣٧٨، و يوسف حوالة، الحياة العلمية، ج١، ص ٤١١، و فاطمه عبد القادر، مدينة القيروان في عهد الأغالبة، ص ٢٢٣ .

٢٧ – أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص ٦٤، و فاطمه عبد القادر، مدينة القيروان في عهد الأغالبة، ص ٢٢٠، و يوسف حوالة، الحياة العلمية، ج١، ص ٤١٠ .

٢٨ – ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦ م، ج٢، ١٩١ .

٢٩ – التلمساني، نفح الطيب، ج ٢، ص ٦٥، وانظر : العمري، مسالك الإبصار، تحقيق : كامل الجبوري ومهدي نجم، ٢٧ ج، ط١، دار التب العلمية، ٢٠١٠ م، ج٥، ص ١٤٤، والذهبي، معرفة القراء الكبار، تحقيق : طيار آلتي قولاج، ٤ م، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣ م، م٢، ص ٥٦١ .

٣٠ – فاطمه عبد القادر، مدينة القيروان في عهد الأغالبة، ص، ٢٢٤ .

٣١ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١٤٥، و فاطمه عبد القادر، مدينة القيروان في عهد الأغالبة، ص ٢٢٥، و يوسف حوالة، الحياة العلمية، ج١، ٤٠٩ .

٣٢ – ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج٢، ص ٣٢٥، وانظر : يوسف حوالة، الحياة العلمية، ج١، ص ٤١٥، ج٢، ص ٣٧١ .

٣٣ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٤٧٥، و فاطمه عبد القادر، مدينة القيروان في عهد الأغالبة، ص ٢٢٧ .

٣٤ – الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص ٤٩ .

٣٥ – عياض، ترتيب المدارك، ضبطه وصححه : محمد سالم هاشم، ٢ج، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨ م، ج١، ص ٧١، ٧٦، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٥، ٩٢، ٩٨، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٧، وانظر : الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص ١٧، و المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٩٩، ١١٠ .

٣٦ – انظر : أحمد قارح وامين راهب، القيروان ودورها في نشر المذهب المالكي، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجيلاني، في بو نعامه، ٢٠١٥ – ٢٠١٦، ص ١٦،

٣٧ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١٢٨، و الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢١٧ ز

٣٨ – أبو العرب، طبقات علماء افريقية، ص ٢٣، و المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١٢٢، الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢١٦ .

٣٩ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١٥٠ .

٤٠ – المصدر نفسه، ج١، ص ١٣٥ .

٤١ – المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٩، و الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٢٠ .

٤٢ – أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص ٢٦، و المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١٣٨ .

٤٣ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢١٤ .

٤٤ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١٢٦، و الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢١٠ .

٤٥ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ١٩٠ .

٤٦ – المصدر نفسه، ج١، ص ١٨٧ – ١٨٨ .

٤٧ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١٢٣– ١٢٤، و الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ١٧٩.

٤٨ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١٣٤، والدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢١٨ .

٤٩ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١٤٥، ١٤٦، وانظر : يوسف حوالة، الحياة العلمية، ج١، ص ١٠١ .

٥٠ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص١١٩، و الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ١٩٩– ٢٠١.

٥١ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ١٨٠ .

٥٢ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٠٦ .

٥٣– الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق : شعيب أرناوط وآخرون، ٢٩ ج، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٥، ص ٣٧٨، و يوسف حوالة، الحياة العلمية، ج١، ص ١٠١ .

٥٤ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٢١ .

٥٥ – الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص ٤٧٢، و يوسف حوالة، الحياة العلمية، ج١، ص ١٠٢ .

٥٦ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١٧٢ .

٥٧ – المصدر نفسه، ج١، ص ١٦٨، الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٢٤ .

٥٨ – الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ٤١٢، والرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق : محمد زنهم، ط١، دار الفرجاني، القاهرة، ١٩٩٤ م، ص ٩٤، و الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٣٠، و المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١٥٢ .

٥٩– المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٢٣٨، وعياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ٢٨١، وعياض، تراجم أغلبية، تحقيق : محمد الطالبي، الجامعة التونسية، ١٩٦٨، ص ٧٧ .

٦٠ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٣٨ .

٦١ – المصدر نفسه، ج١ ص ٢٥٤ .

٦٢– عياض، تراجم أغلبية، ص ٤٠، وترتيب المدارك، ج١، ص ١٩٧، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤، ص ٦٦٦، و الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٣٨، ٢٤٠، ومحمد مخلوف، شجرة النور الزكية، علق عليه : عبد المجيد الخيالي، ٢ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣ م، ج١، ص ٩١ .

٦٣ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٣١٢، ٣١٤ – ٣١٨، و الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٧٩، ٢٨٠، محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج١، ص ٩١ .

٦٤ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٨٨، ٣٠٦، عياض، تراجم أغلبية، ص ٨، ٩، ١٠، ١٢، ١٩، والمالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٢١٥، ٢١٧، ٢١٩ – ٢٢٠، عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ١٧٩، و محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج١، ص ٩٢ .

٦٥ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٣١٦ .

٦٦ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٢٣١، و الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٣١٧ .

٦٧ – عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص٢٨٥ .

٦٨ – عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ٢٨٢ .

٦٩ – عياض، تراجم أغلبية، ص ٥٢، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٢٢٥ .

٧٠ – عياض، ترتيب المدارك، ج٢، ص ٢٧٠ .

٧١ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٣٠، وانظر : المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٣٩٥ – ٣٩٧، ٤٠٠ .

٧٢ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٣٧٦، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص ١٠٨ – ١٠٩، و عياض، تراجم أغلبية، ص ١٤٣، وابن عذاري، البيان المغرب، م١، ص ١٤٨ .

٧٣ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ٥١، و عياض، تراجم أغلبية، ص ١٤٢، وابن عذارى، البيان المغرب، م١، ص ١٤٨، والذهبي، تاريخ الاسلام، ج٥، ٩٤٦ .

٧٤ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٢٠٠، ٢٠١، و عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ١٨٨، و عياض، تراجم أغلبية، ص ٢٨، و الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٦٤، ج٢، ص ٦٦، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤، ص ٨١٧، و ابن فرحون، الديباج المذهب، تحقيق : محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة (د . ت)، ج١، ٣١٥ .

٧٥ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ٦٣ – ٦٤ .

٧٦ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨ .

٧٧ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص ٨٦٧ .

٧٨ – المالكي، رياض النفوس، ج٢، ص ٤٤ .

٧٩ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ٧٢ .

٨٠ – عياض، تراجم أغلبية، ص ١٣٧ .

٨١ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ١٠٥ .

٨٢ – المصدر نفسه، ج٢، ص ١١٠ .

٨٣ – الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص ٩ – ١٠، وابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢، ص ١٦٩ .

٨٤ – الذهبي تاريخ الإسلام، ج٦، ص ١٦٨ .

٨٥ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ١٤٥ .

٨٦ – المصدر نفسه، ج٢، ص ١٤٥ .

٨٧ – المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٠٠، وانظر : المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٤٧٣ .

٨٨ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ٢٠٠ .

٨٩ – المالكي، رياض النفوس، ج٢، ص ١٢، و محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج١، ص ١٠٧ .

٩٠ – عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ٤٩٢ .

٩١ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ٢٨١، و محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج١، ١٠٨ .

٩٢ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٧، ص ١٠٩ .

٩٣ – الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص ١٩، ويوسف حوالة، الحياة العلمية، ج١، ص ١٠١ .

٩٤ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ١، ص ١٧٧، و المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١٣٣ .

٩٥ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ١، ص ١٨٠ .

٩٦ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٧ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٦٦٦ .

٩٧ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ١، ص ٢٧٩، وانظر : المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٣١٢ .

٩٨ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ١، ص ٢٣٨، ٢٤٠ .

٩٩ – عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ١٧٩ .

١٠٠ – عياض، تراجم أغلبية، ص ٨ –١١ .

١٠١ – حسن حسني عبد الوهاب، بساط العقيق، ص ٥٧ .

١٠٢ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ١، ص ٣١٦ .

١٠٣ – عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ٢٨٥ .

١٠٤ – عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ٢٨٢ .

١٠٥ – المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٧٠، ٢٧٣ – ٢٧٥، وتراجم أغلبية، ص ٥٢، ٥٨، وابن عذارى، البيان المغرب، م١، ص ١٣٧ .

١٠٦ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ٣٠ .

١٠٧ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٣٩٥ .

١٠٨ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ٤٠ .

١٠٩– المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٩ – ٥٠ .

١١٠ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٣٧٦، والذهبي سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ١٠٨، وعياض، تراجم أغلبية، ص ١٤٣ .

١١١ – ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص ١٤٩ .

١١٢ – عياض، تراجم أغلبية، ص ٧٢ .

١١٣ – المصدر نفسه، ص ٧٣ ، وترتيب المدارك، ج١، ص ٢٧٩ .

١١٤ – المالكي، رياض النفوس، ج ٢، ص ٢٧ – ٢٨ .

١١٥ – المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٤ – ٢٣٥، و عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ١٨٦ .

١١٦ – المالكي، رياض النفوس، ج٢، ص ٤٥ – ٤٦ .

١١٧ – المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٣، و الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ٦٦، وابن فرحون، الديباج المذهب، ج ١، ص ٣١٥ .

١١٨ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٨١٧، و عياض، تراجم أغلبية، ص ٢٨ .

١١٩ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ١، ص ٢٦٤، و ابن عذارى، البيان المغرب، م١، ص ١٤٩، و المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٢٠١ .

١٢٠ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ٦٣ – ٦٤ .

١٢١ – ابن عذارى، البيان المغرب، م١، ص ١٥٠ .

١٢٢ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٤٤٣ .

١٢٣ – المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٥٤ .

١٢٤ – المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٤٨ .

١٢٥ – المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٤٥ .

١٢٦ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٥، ص ٨٦٧ .

١٢٧ – ابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢، ص٣٢ .

١٢٨ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص٨٦ .

١٢٩ – أنظر، أحمد قارح وأمين راهب، القيروان ودورها، ص ٢٩ .

١٣٠ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ج٢، ص ٧٢ .

١٣١ – المصدر نفسه، ج٢، ص ١٠٨ .

١٣٢ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٤٥٩، والخشني، طبقات علماء إفريقية،، ص ١٢ – ١٣، و الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ١٣٧، ١٤٠، وأنظر : مخلوف، شجرة النور الزكية، ج١، ص ١٠٥ .

١٣٣ – عياض، تراجم أغلبية، ص ١٥٨ .

١٣٤ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ١١٨ .

١٣٥ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦، ص ١١١ .

١٣٦ – ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١، ص ١٥١ .

١٣٧ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٤٤٣، و – ابن عذارى، البيان المغرب، م١، ص ١٥٨، و ابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢، ص ١٦٩.

١٣٨ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٦، ص ٤٠٣ .

١٣٩ – الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص ٩ .

١٤٠ – عياض، تراجم أغلبية، ص ١٥٧ .

١٤١ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ١٤٥ .

١٤٢ – المصدر نفسه، ج٢، ١٤٥ .

١٤٣ – المصدر نفسه، ج٢، ص ١٤٥ .

١٤٤ – انظر : مخلوف، شجرة النور الزكية، ج١، ص ١٠٥ .

١٤٥ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ١٥٨ .

١٤٦ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٦، ص ٤٨٣ .

١٤٧ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ١٧٧ .

١٤٨ – المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٧٤ .

١٤٩ – المصدر نفسه، ج٢، ١٨٤ .

١٥٠ – المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٩٥ .

١٥١ – المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٠٦ .

١٥٢ – المصدر نفسه، ج٢، ١٨٥ .

١٥٣ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٤٦٣ .

١٥٤ – ابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢، ص ٣٤٢ .

١٥٥ – المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٩ – ١٥٠، و الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ١٩٧، وانظر : المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٤٧٢ .

١٥٦ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ١٩٦ .

١٥٧ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٤٧٣ .

١٥٨ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ٢٠٠ .

١٥٩ – المصدر نفسه، ج٢، ١٩٩ .

١٦٠ – المصدر نفسه،، ج٢، ٢٣٢ .

١٦١ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ٤٨٨ .

١٦٢ – الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٤٦٢ .

١٦٣ – ابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢، ٣٥٤ .

١٦٤ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٦، ص ٨٥٦ .

١٦٥ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ٢٤٦ .

١٦٦ – المالكي، رياض النفوس، ج٢، ص ١٢ .

١٦٧ – عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ٤٩٢ .

١٦٨ – المصدر نفسه، ج١، ص ٤٩٦ .

١٦٩ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٦، ص ٩٩٦ .

١٧٠ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ٢٥٨، وانظر : المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٤٦١ .

١٧١ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ٢٦٠ .

١٧٢ – المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٦٢ .

١٧٣ – المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٧٠، ٢٧٢، و ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١، ص ١٣٣ .

١٧٤ – المالكي، رياض النفوس، ج ٢، ص ٣٧ – ٤٣ .

١٧٥ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ٢٨٨ .

١٧٦ – المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٩٥ .

١٧٧– الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٧، ص٥٠، وسير أعلام النبلاء، ج١٤، ص ٢٦ .

١٧٨ – – ابن عذارى، البيان المغرب، م١، ص ١٨٥ – ١٨٧ .

١٧٩ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ٣٥٧ .

١٨٠ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ١، ص ٢٥٤، والمالكي، رياض النفوس، ج ١، ص ٣٠٠ .

١٨١ – المالكي، رياض النفوس، ج ١، ص ٣١٤ .

١٨٢ – المصدر نفسه، ج١، ص ١٩٩ – ٢٠٠ .

١٨٣ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٦٦٦ .

١٨٤ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ١، ص ٢٣٨ .

١٨٥ – المالكي، رياض النفوس، ج ١، ١٩٦ .

١٨٦ – المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٠ .

١٨٧ – المصدر نفسه، ج١، ص ٢٢٤ –

١٨٨ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ١، ص ٢٧٩ .

١٨٩ – المالكي، رياض النفوس، ج ١، ص ٤١٥ .

١٩٠ – المصدر نفسه، ج١، ص ١٩٧ .

١٩١ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ١١٠ .

١٩٢ – المالكي، رياض النفوس، ج ٢، ص ١٣، ١٥، ٣٧ .

١٩٣ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ١٧٤ .

١٩٤ – المصدر نفسه، ج ٢، ص ١١٤ – ١١٦، والمالكي، رياض النفوس، ج ١، ص ٤١١ – ٤١٢ .

١٩٥ – المالكي، رياض النفوس، ج ١، ص ٤٣١، ٤٣٢ – ٤٤١ .

١٩٦ – الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص ١٢ – ١٣ .

١٩٧ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ١٧٦ .

١٩٨ – المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥٨ .

١٩٩ – المصدر نفسه، ج٢، ص ٢١٦ .

٢٠٠ – المالكي، رياض النفوس، ج ١، ص ٤٠٨ .

٢٠١ – المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١٠ – ٤١١ .

٢٠٢ – ابن عذارى، البيان المغرب، م١، ص ١٨٢ .

٢٠٣ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٧٨١، ١٠٦٤ .

٢٠٤ – المالكي، رياض النفوس، ج ١، ص ٩٩، ويوسف حولة، الحياة العلمية، ج٢، ص ٢٢٣ .

٢٠٥ – ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢ج، دار المعارف،،القاهرة، ١٩٨٥، ج ١، ص ٧٤ – ٧٥، ويوسف حوالة، الحياة العلمية، ج ٢، ص ٢٢٥ .

٢٠٦ – انظر : يوسف حوالة، الحياة العلمية، ج ٢، ص ٢٢٦،

٢٠٧ – انظر : المرجع نفسه، ج١، ص ١٤٠ .

٢٠٨ – محمد الحاجري، دراسات وصور من تاريخ الأدب، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣ م، ص ٥١، وانظر : سحر المجالي، القيروان ودورها العسكري والعلمي، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، م ٤٠، العدد٢، ٢٠١٣ م، ص ٢٥٦ .

٢٠٩ – ابن عذارى، البيان المغرب، م١، ص ١٠٧ .

٢١٠ – ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٦٨ .

٢١١ – المصدر نفسه، ج١، ص ١٦٩ .

٢١٢ – المصدر نفسه، ج١، ص ١٧٢ – ١٧٣ .

٢١٣ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ١٥٢ .

٢١٤ – ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٦٣ .

٢١٥ – المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٦ – ١٦٧ .

٢١٦ – عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ٥٠٠ .

٢١٧ – المصدر نفسه ج ١، ص ٤٩٢ .

٢١٨ – ابن عذارى، البيان المغرب، م١، ص ١٦٥ .

٢١٩ – ابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢، ص ٣٤٢ .

٢٢٠ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ٢٨١، ومحمد كرو، ص ٣٩ .

٢٢١ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ٢٩٥، والزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف (د.ت)، ص٢٣٩– ٢٤٠، و والذهبي، تاريخ الإسلام، ج٧، ص ٥٠ .

٢٢٢ – محمد الحاجري، دراسات وصور، ص ٥٦، وسحر المجالي، القيروان ودورها العسكري والعلمي، ص ٢٥٦.

٢٢٣ – السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ٢ج، ط١، مطبعة عبسي البابي، ١٩٦٥، ج٢، ص ٢٦٥ .

٢٢٤ – المصدر نفسه ج ٢، ص ٢٣٤ .

٢٢٥ – الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص ٩٤ .، الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٣٠ .

٢٢٦ – ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص ١١٠ .

٢٢٧ – الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص ١٠٠ .، وعياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ١٨٤ .

٢٢٨ – عياض، تراجم أغلبية، ص ٢٠ .

٢٢٩ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ٣٠ .

٢٣٠ – السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص ١١٤ .

٢٣١ – الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٢٦ – ٢٣٠، والمالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٤٠٤، و والذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦، ص ١١٧ .

٢٣٢ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٤٠٤، و السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص ٥٦ .

٢٣٣ – السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص ٥٦ .

٢٣٤ – المصدر نفسه ج ١، ص ٢٩٧ .

٢٣٥ – ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٧٤ .

٢٣٦ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ٢٤٨ .

٢٣٧ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦، ص ٩٠٦ .

٢٣٨ – الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٥٠ .

٢٣٩ – السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص ٣٤٠ .

٢٤٠ – المصدر نفسه ج ٢، ص ١٥٥ .

٢٤١ – المصدر نفسه ج ٢، ص ٢٤ .

٢٤٢ – المصدر نفسه ج ١، ص ٤١١ .

٢٤٣ – العمري، مسالك الأبصار ج٧، ص ١٩٧ . و السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص ٦٢ .

٢٤٤ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٣٠، والرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص ٩٤ .

٢٤٥ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٤١١ .

٢٤٦ – والذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦، ص ٧٠١، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق : نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ٤٨٧، و ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٧٢ .

٢٤٧ – والذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦، ص ٨٥٦ .

٢٤٨ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ٢٣٦ .

٢٤٩ – انظر : يوسف حوالة، الحياة العلمية، ج ٢ ص ٣٧٧، و فاطمه عبد القادر، مدينة القيروان في عهد الأغالبة، ص ٢٦٠ .

٢٥٠ – ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٧٩، والعمري، مسالك الأبصار، ج٩، ص ١٣٣ .

٢٥١ – انظر : فاطمه عبد القادر، مدينة القيروان في عهد الأغالبة، ص ٢٦١ .

٢٥٢ – وانظر : المرجع السابق، ص ٢٥٩، ٢٦٠ .

٢٥٣ – الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٤١ . وانظر : يوسف حوالة، الحياة العلمية، ج١، ١٤١ .

٢٥٤ – الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص ١٢٧، و عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ١٧٩ .

٢٥٥ – الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص ١٣٩ .

٢٥٦ – حسن حسني عبد الوهاب، شهيرات التونسيات، المطبعة التونسية، ١٣٥٣ هـ، ص ٢٢، وعمر كحالة، أعلام النساء، ٥ج، ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤ م، ج١، ص ٤٥، وأنظر : إبراهيم التوزري، تاريخ التربية بتونس، الشركة التونسية للتوزيع، ج١، ص ١٢٣ .

٢٥٧ – محمد بن سحنون، أداب المعلمين، تحقيق حسن حسني، مراجعة محمد العروسي، تونس، ١٩٧٢، ص ١١٧ .

٢٥٨ – عمر كحالة، أعلام النساء، ج١ ص ٣٣٢، وحسن حسني، شهيرات التونسيات، ص ٢٤ .

٢٥٩ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ٢١٧، وكرو، عصر القيروان، ص ٤٣ .

٢٦٠ – الدباغ، المصدر نفسه، ج٢، ص ٢١٧ .

٢٦١ – انظر : حسن حسني عبد الوهاب، شهيرات التونسيات، ص ٢٥ .

٢٦٢ – عياض، تراجم أغلبية، ص ٢٥١، و محمد بن سحنون، أداب المعلمين، المقدمة، ص ٣٨ .

٢٦٣ – ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق أحمد مختار ومحمد إبراهيم، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤ م، القسم الثالث، ص ٣٣، و محمد بن سحنون، أداب المعلمين، المقدمة، ص٤٠ .و حسن حسني عبد الوهاب، شهيرات التونسيات، ص ٢٦ – ٢٧ .

٢٦٤ – محمد بن سحنون، أداب المعلمين، المقدمة، ص ٣٩، و حسن حسني عبد الوهاب، شهيرات التونسيات، ص ٣٠ .

٢٦٥ – حسن حسني عبد الوهاب، شهيرات التونسيات، ص ٣١ .

٢٦٦ – انظر : يوسف حوالة، الحياة العلمية، ج ١، ص ١١٢، ١٢٠ – ١٢١ .

٢٦٧ – المرجع نفسه، ج١، ص ١٢٢.

٢٦٨ – المرجع نفسه، ج ١، ص ١٤٠ .

٢٦٩ – المرجع نفسه، ج ١، ص ١٢٤ .

٢٧٠ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٢٦٦، و الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٣٩، عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ١٩٧، و عياض، تراجم أغلبية، ص ٤٠ .

٢٧١ – ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١، ص ٣١٥، و عياض، تراجم أغلبية، ص ٢٨، و الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤، ص ٨١٧ .

٢٧٢ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٢٥٢ .

٢٧٣ – عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ١٧٩، و المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٢١٥ .

٢٧٤ – المالكي، رياض النفوس، ج ١، ص ٣٣٢، و عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ٢٨١ .

٢٧٥ – ابن فرحون، الديباج المذهب، ج ١، ص ٣٠٥ .

٢٧٦ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ١٨ .

٢٧٧ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٢٦٦ .

٢٧٨ – المصدر نفسه ج ١، ص ٢٦٨ – ٢٦٩ .

٢٧٩ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ١٨ .

٢٨٠ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص ٩٤٦، و الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ٥١ .

٢٨١ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٣٧٦، ٣٨١ .

٢٨٢ – عياض، تراجم أغلبية، ص ٧٢، وترتيب المدارك، ج١، ص ٢٧٩ .

٢٨٣ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ٦٣ – ٦٤ .

٢٨٤ – المصدر نفسه ج ٢، ص ٧٢ .

٢٨٥ – المالكي، رياض النفوس، ج ١، ص ٣٤٨، و الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص ٨٦٧ .

٢٨٦ – المالكي، رياض النفوس،ج١، ص ٣٤٥، ٣٤٧ .

٢٨٧ – المصدر نفسه ج ١، ص ٣٦٩ .

٢٨٨ – ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ٢٠٠٨ م، ص ٢٨٤ .

٢٨٩ – المصدر نفسه، ص ٣٠٢ .

٢٩٠ – المصدر نفسه، ص ٣٨٥ .

٢٩١ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ١٢٥ – ١٢٦ .

٢٩٢ – ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٧٨ .

٢٩٣ – المصدر نفسه، ص ٥٦٠ .

٢٩٤ – المصدر نفسه، ص ٩،

٢٩٥ – المصدر نفسه، ص ٣٨٧ .

٢٩٦ – المصدر نفسه، ص ٥٦١ .

٢٩٧ – عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ٤٩٢ .

٢٩٨ – ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٩١ .

٢٩٩ – ابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢، ص ٣٤٢ .

٣٠٠ – ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٥١٣ .

٣٠١ – الحميدي، جذوة المقتبس، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨ م، ص ١٥٦ .

٣٠٢ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦، ص ٨٥١، و ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٥٦٢.

٣٠٣ – الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص ٧٤، و الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ٢٣٢ .

٣٠٤ – ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٩٥ .

٣٠٥ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ٢٠١ .

٣٠٦ – محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج١، ص ١٠٧ .

٣٠٧ – ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٦٣ .

٣٠٨ – أنظر : يوسف حوالة، الحياة العلمية، ج ١، ص ١٤٠، وكرو، عصر القيروان، ص ٣٩ .

٣٠٩ – التلمساني، نفح الطيب، ج٢، ص ٦٥، وأنظر الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٥٤ .

٣١٠ – السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص ٦٢ .

٣١١– الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٦٤، و المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٢٠٠ .

٣١٢ – عياض، تراجم أغلبية، ص ٢٨، وترتيب المدارك، ج ١، ص ١٨٨ .

٣١٣ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١٢، و الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٧٩ .

٣١٤ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٣٢٦، وانظر : يوسف حوالة، الحياة العلمية، ج ١، ص ٤١٥، وج٢ ، ص ٣٧١ .

٣١٥ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٢٦٢ .

٣١٦ – عياض، تراجم أغلبية، ص ١٤٣ .

٣١٧ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص ٨٦٧ .

٣١٨ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٣٧٤ .

٣١٩ – المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٧٤ .

٣٢٠ – الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص ٩ .

٣٢١ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٤٤٣ .

٣٢٢ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ١٢٣ .

٣٢٣ – ابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢، ص ١٧١ – ١٧٢ . و الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦، ص ٤٠٣، وانظر : محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج١، ص ١٠٥ .

٣٢٤ – الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ١٢٦ .

٣٢٥ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦، ص ١١٧، و السيوطي، بغية الوعاة، ج ٢، ص ١١٤ .

٣٢٦ – الزبيدي، طبقات النحويين واللغوين، ص ٢٦ – ٢٣٠ .

٣٢٧ – الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص ١٢، وابن عذارى، البيان المغرب، م١، ص ١٥٨ .

٣٢٨ – ابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢، ص١٧٤ .

٣٢٩ – عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ٤٩٢ .

٣٣٠ – محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج١، ص ١٠٦ .

٣٣١ – ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٩٥، ٣٩٦ .

٣٣٢ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ١٩٩ .

٣٣٣– المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٠٧ .

٣٣٤ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٤٩٣ .

٣٣٥ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ٢٣٨ .

٣٣٦ – السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص ٥٦ .

٣٣٧ – ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء

٣٣٨ – انظر : فاطمه عبد القادر، مدينة القيروان في عهد الأغالبة، ص ٢٥٩، ٢٦٠ .

٣٣٩ – ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٧٩، والعمري، مسالك الأبصار، ج٩، ص ١٣٣، وانظر فاطمه عبد القادر، مدينة القيروان في عهد الأغالبة، ص ٢٦٠ .

٣٤٠ – ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٦٣ .

٣٤١ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦، ص ٩٠٦ .

٣٤٢ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ٢٩٦ .

٣٤٣ – الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص ٢٨ .

٣٤٤ – الزبيدي، طبقات النحويين واللغوين، ص ٢٣٩ – ٢٤٠ .

٣٤٥ – الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج٢، ص ١٩١ .

٣٤٦ – العمري، مسالك الأبصار، ج٧، ص ١٩٧، وانظر : السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص ٦٢ .

٣٤٧ – انظر : فاطمه عبد القادر، مدينة القيروان في عهد الأغالبة، ص ٢٦٤، و يوسف حوالة، الحياة العلمية، ج ١ ص ٢٥٠ .

٣٤٨ – انظر : سحر سالم، القيروان ودورها السكري والعلمي، ص ٢٥٧ .

٣٤٩ – انظر : فاطمه عبد القادر، مدينة القيروان في عهد الأغالبة، ص ٢٣٠ .

٣٥٠ – المرجع السابق، ص ٢٦٤ .

٣٥١ – عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ٤٩٢، وانظر : التوزري، تاريخ التربية بتونس، ص ١٥٦ .

٣٥٢ – التوزري، تاريخ التربية بتونس، ص ١٥٦ .

٣٥٣ – انظر : هند شلبي، القراءات بافريقية، ص ٦٠ .

٣٥٤ – انظر : التوزري، تاريخ التربية بتونس، ص ١٥٥ .

٣٥٥ – عياض، تراجم أغلبية، ص ٨٤، و الدباغ، معالم الإيمان،، ج ٢، ص ٦٨ .

٣٥٦ – ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ٢٣٢ .

٣٥٧ – عياض، تراجم أغلبية، ص ٨٧ – ٨٨ .

٣٥٨ – المصدر نفسه، ص ٨٩، ٩٧، ١٢٨، و ابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢، ص ٣٢ .

٣٥٩ – عياض، تراجم أغلبية، ص ٩٦، و محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج١، ص ١٠٣ .

٣٦٠ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ٧٣، و عياض، تراجم أغلبية، ص ١٣٨ .

٣٦١ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٤١٣، وانظر ص ٣٨٥ .

٣٦٢ – المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٠١ .

٣٦٣ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ١٠٥، و المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٣٩٢ .

٣٦٤ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٣٩٢ – ٣٩٣ .

٣٦٥ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ١١٩ .

٣٦٦ – انظر : فاطمه عبد القادر، مدينة القيروان في عهد الأغالبة، ص ٧٧ .

٣٦٧ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ١٦٢ .

٣٦٨ – المصدر نفسه، ج٢، ص ١٤٠، و المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٤٥٩ .

٣٦٩ – الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص ٢١، و عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ٤٩٦، وتراجم أغلبية، ص ٢٣٧ .

٣٧٠ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٤٨٠ .

٣٧١ – المصدر نفسه، ج١، ص ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦ .

٣٧٢ – الزبيدي، طبقات النحويين واللغوين، ص ٢٣١ .

٣٧٣ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ٢٦٦، و المالكي، رياض النفوس، ج٢، ص ٥٠ .

٣٧٤ – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٤، ص ٢٠٥ .

٣٧٥ – السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص ٢٤ .

٣٧٦ – انظر : المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١٤٥، و الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص١١، و الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص ١٩، و يوسف حوالة، الحياة العلمية، ج ١، ص ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦، و فاطمه عبد القادر، مدينة القيروان في عهد الأغالبة، ص ٢٦٢ .

٣٧٧ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١٧٢، وانظر : يوسف حوالة، الحياة العلمية، ج ١، ص ٢١٠ .

٣٧٨ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٣١٠، حسن حسني، بساط العقيق، ص ٥٧ .

٣٧٩ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١٩٩ .

٣٨٠ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ١٨٤ .

٣٨١ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٤٩٣، و الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ٢٣٣، و ابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢، ص ٣٥٦ .

٣٨٢ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٣٧٤، وانظر : أحمد قارح وأمين راهب، القيروان ودورها في نشر المذهب المالكي، ص ٢٧ – ٣٠ .

٣٨٣ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٣٧٨، و فاطمه عبد القادر، مدينة القيروان في عهد الأغالبة، ص ٢٢٢ .

٣٨٤– انظر : يوسف حوالة، الحياة العلمية، ج ١، ص٢١٠ .

٣٨٥ – انظر : التوزري، تاريخ التربية بتونس، ص ١٣٥ .

٣٨٦ – انظر : فاطمه عبد القادر، مدينة القيروان في عهد الأغالبة، ص ٢١٨ .

٣٨٧ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ١٨٨، وانظر ص ٣١ .

٣٨٨ – المصدر نفسه، ج١، ص ٣٠ – ٣١، ١٨٠ .

٣٨٩ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١٢٩، و الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٢٠ .

٣٩٠ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٣٠ .

٣٩١ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٦٧، و الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ١٣٧ .

٣٩٢ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٧ .

٣٩٣ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ١١٩، و الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٣١، وانظر : ص ١٩٩ – ٢٠١ .

٣٩٤ – الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ١٩١، وانظر : ٢٧ – ٢٨ .

٣٩٥ – المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٢٣ .

٣٩٦ – المصدر نفسه، ج٢، ص ١٨٧ .

٣٩٧ – الذهبي، معرفة القراء الكبار، م٢، ص ٥٦١، و المالكي، رياض النفوس، ج٢، ص ٥٣، والعمري، مسالك الأبصار، ج٥، ص ١٤٤ .

٣٩٨ – الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ١٧٤، وأنظر : ج١، ص ٣٢ .

٣٩٩ – المصدر نفسه، ج ٢، ص ١١٤ .

٤٠٠ – المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٣٨ .

٤٠١ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٤٩٣ .

٤٠٢ – انظر : مادة " كتب " لسان العرب، م١، ص ٦٩٩، والصولي، أدب الكتاب، باعتناء محمد بهجت الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٤١ هـ، ص ١١٤، وعامر أبو جبلة، تاريخ التربية والتعليم في صدر الإسلام،ط١، ١٩٩٨، ص ٣٩ .

٤٠٣ – انظر : محمد بن سحنون، آداب المعلمين، ص ١٠٢ – ١١٣ .

٤٠٤ – انظر : فاطمه عبد القادر، مدينة القيروان في عهد الأغالبة، ص ٢١٨، ومحمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ص ١٩٠ .

٤٠٥– المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٩١، والدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ١٥١، والتوزري، تاريخ التربية بتونس، ص ١٠٣ .

٤٠٦– عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص ١٨٣، و المالكي، رياض النفوس، ج١، ص ٢١٧، و الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص ١٣٩ .

٤٠٧ – انظر : التوزري، تاريخ التربية بتونس، ص ١٠٤، وانظر : الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص ٣٠ .

٤٠٨ – محمد بن سحنون، آداب المعلمين والمتعلمين، ص ٦١ .

جبـــل طـــــارق:
نقطــة الانطـلاق لفتــح الأنـدلــس
قراءة تاريخيَّة طبوغرافيَّة

أ. د. صالح محمد السنيدي
أستاذ التاريخ الأنـدلســـــــي
جامعة الإمام بالرياض" سابقا "

مستخلص البحث:

يتمحور هذا البحث حول دور جبل طارق في عمليَّة فتح الأندلس، حسب **العناصر التاليـــة**:

- الموقع والأهمية لهذا الجبل.
- الفتح الإسلامي للأندلس من حيث: الإعداد والتَّنسيق
- كيف تمَّ الإنزال العسكري خلف هذا الجبل؟ ودور عنصر المفاجأة في إنجاح خطة الفتح والاقتحام.
- ثم مناقشة موقف الحامية الإسبانيَّة وردَّة فعلها على هذه العملية.
- وبعد ذلك، عرض لمرئيَّاتنا حول عوامل النَّجاح التي كانت ثمرتها النِّهائيَّة هذا الفتح الإسلامي الكبير لإسبانيا في مدَّة وجيزة.

أولاً ـ الموقع والأهميَّة:

عُرِف هذا المكان منذ القدم باسم (Mons Calpe) وهي تسميةٌ فينيقيَّة تعني "الجبل المجوَّف"، إشارةً إلى تلك المغارة الواقعة في هذا الجبل، والتي أطلق عليها الحميري . أحد الجغرافيِّين الأندلسيِّين. اسم "مغارة الأقدام" لوجود آثار أقدامٍ فيها[١]،

---

[١] **الروض المعطار**: تحقيق: إحسان عباس، بيروت ١٩٨٤م ص٣٨٢

كما حملت اسم القدِّيس ميجيل San Miguel عندما أصبح هذا الجبل تحت سيطرة الأسبان، لكنها تحوَّلت إلى اسم القديس جورج Sain George في عهد الإنجليز[٢].

وهذا الجبل يشكل لساناً صخريّاً وعراً، يمتدُّ من طرف إسبانيا الجنوبي في البحر لمسافة تقدَّر بحوالي ثلاثة أميال طولاً، وبعرض ربع إلى ثلاثة أرباع الميل، ويصل ارتفاع أعلى قممه الصَّخرية الى نحو ألف قدم عن مستوى سطح البحر.

ويتمركز بين جبال الأطلس الواقعة في شمال القارة الإفريقية والهضبة العليا الواقعة في إسبانيا، ويقابل جبل طارق جبل موسى في الجهة الجنوبيَّة من العدوة المغربية، وهو المكان الذي عبر منه موسى بن نصير بقواته في الحملة المساندة على أرجح الأقوال[٣].

ويمثل الجبل صخرةً هائلةً رابضةً في البحر، جاثمةً على شكل أسد عظيم رأسه نحو الأرض الإسبانيَّة وذيله نحو البحر، وتُرَى هذه الصَّخرة من شاطئ ميناء سبتة المغربي الخاضع للنفوذ الإسباني حاليّاً، وهي بموقعها الصَّلد ومرفئها المنيع، تعتبر قاعدةً بريَّة وبحريَّة لا مثيل لها، ويمكن لمن يسيطر عليها أن يتحكم في المضيق الذي يفصل بين البحر الأبيض والمحيط الأطلسي، وكان هذا المكان قبل الكشوف الجغرافيَّة التي عرفتها البشرية، يعدُّ نهاية الأرض من ناحية الغرب، فما وراء مضيق جبل طارق ليس سوى بحر الظلمات الغامض، والذي تخيَّل البعض أنه بحرٌ بلا نهاية[٤].

---

[٢] هذه التسمية الفينيقية الأصل تعني: الجبل المجوف، ويقصد بها تلك المغارة الكبيرة التي تقع في الانحدار الخلفي لهذا الجبل، انظر: العبادي: **دراسات**، ص٢٠؛ محمد عبده حتاملة: **موسوعة الديار الأندلسية**، عمَّان ١٩٩٩م، ج١ ص ٣٥٩-٣٦٣.

[٣] الحميري: **الروض**، ص٣٠٣.

[٤] "جبل طارق بصمة إسلامية فوق أرض إسبانية" **صحيفة الاتحاد** الإماراتية، عدد 6 ديسمبر ٢٠٠٨.

وتوجد في أسفله من جهة البحر كهوف تتشكل فيها المياه القاطرة، ويتَّصل بالجزيرة الخضراء في أرخبيلٍ من اليابسة يقدَّر بستَّة أميال، فيما يعرف بـ "لا لينيا" la Linea في إسبانيا اليوم، كما أنَّ هذا الجبل منقطعٌ عن الجبال، ويأخذ شكلاً شبه مستدير، وبه مرسى كان يُعرف بمرسى الشَّجر[٥].

وتكمن أهميَّة هذا المكان الذي يُعرَف باللغة الإسبانيَّة والإنجليزيَّة بـ Gibraltar مع اختلافٍ بالنُّطق بينهما، بكونه يتحكم في المضيق المائي والممرِّ البحري الاستراتيجي الذي يربط البحر المتوسط والدَّول والشُّعوب المحيطة به بالعالم الخارجي من خلال المحيط الأطلسي، كما أنَّه يسيطر على حركة الملاحة العالميَّة ويتحكم بها، هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى، فهو يشكل همزة وصلٍ بين أفريقيا وأوروبا من خلال نقطةٍ يبلغ عرضها في أضيق زواياها حوالي ١٤ كم[٦].

---

[٥] الإدريسي: محمد بن عبد الله: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، القاهرة؟ ج٢ ص٥٤٠. وللمزيد عن تاريخ هذا الجبل يمكن استشارة . إضافة لما ذكر أعلاه . لسان الدين ابن الخطيب: **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، ص٨٢-٣؛ أحمد العبادي: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، ص١٩-٢٢؛ حتاملة: **موسوعة الديار** ...، ١/٣٥٩-٣٦٣؛ نهلة شهاب: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، بيروت ٢٠٠٩م، ص ١٩-٢٤؛ إبراهيم السلمي: **العدوة الأندلسية**، مركز الملك فيصل بالرياض ٢٠١٣، ص ١٧-١٩؛ جوزيف زيتون: **مضيق جبل طارق**، مدونته الشخصية على الشبكة العنكبوتية؛ "جبل طارق بصمة إسلامية فوق أرض إسبانية" **صحيفة الاتحاد** الإماراتية، عدد 6 ديسمبر ٢٠٠٨.

José Carlos de Luna, **Historia de Gibraltar**. Madrid, Uguina, 1944.

[٦] السلمي: **العدوة** ..، ص١٩.

على أنَّ هذا المكان قد أصبح بعد الفتح يحمل اسم جبل طارقٍ Gibraltar في اللغات الحيَّة نسبة إلى طارق بن زياد قائد الفتح الإسلامي، مع ما أطلق عليه من تسمياتٍ أخرى في الفترة الاسلاميَّة اللاحقة، مثل "جبل الفتح" في عهد الموحِّدين(٧).

وقد أدرك أولئك الذين تعاقبوا على حكم هذا المضيق أهميَّة موقعه، ولذا حرصوا على بسط نفوذهم عليه وعلى ما يحيط به من مشارف العدوتين نعني بها سبتة وجنوب إسبانيا، وأقاموا أبراجاً للمراقبة والتحكم، سواء كان ذلك من قبل الفينيقيِّين أو الإغريق والرُّومان أو القوط، وأبدوا حرصاً شديداً على بسط سيطرتهم على هذا المجاز، وجعلوا من جبل طارق قاعدةً حربيَّةً لتحقيق هذه الغاية(٨).

وقد ظلَّ تحت سيطرة المسلمين أكثر من ستَّة قرون (٩٢هـ / ٧١١م – ٧٠٩هـ /١٣٠٩م) ثم آل إلى حكم الإسبان، حتى انتزعه منهم الإنجليز سنة ١١١٦هـ/١٧٠٤م فيما عُرِف بحرب التركَة أو الشراكة Sucesion، وجعلوا منه قاعدةً استراتيجيَّة لأسطولهم البحري وسلاحهم الجوِّي وما زال تحت سيطرتهم(٩).

وقد تغنَّى بهذا الجبل بعض الشُّعراء الأندلسيِّين، فهذا أحدهم يصفه **قائلاً:**

وأقوَدَ قد ألقى على البحر متنه فأصبح عن قُود الجبال بمعزل
يعرِّض نحو الأفق وجهاً كأنَّما تراقب عيناه كواكـــب مَنزِل(١٠)

---

(٧) ابن عذاري: **البيان المغرب**، ٦/٢؛ المقري: **نفح الطيب**، ٢٣٣/١؛ محمد عبده حتاملة: **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٣٥٩.

(٨) العبادي: **دراسات** ... ، ص٢٠.

(٩) حتاملة: **موسوعة الديار**..، ٣٦٣/١.

(١٠) المقري: **نفح**، ١٦٠/١

كما يصفه آخرون بالسَّرج، ففي مسامرةٍ لابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى) مع والده عندما تراءى لهما هذا الجبل من بعيد، **فقال الأب:** أنظر إلى جبل الفتح راكباً متن لُجٍّ **فقال الابن:** وقد تفتَّح مثل الأفنان في شكل سرج[١١].

ثانياً: **خطة الفتح الإسلامي لإسبانيا**:

حينما اختمرت فكرة اقتحام إسبانيا في أذهان قادة الفتح: موسى بن نصير وطارق بن زياد بعد دراسةٍ شاملةٍ ومعرفةٍ دقيقةٍ بأحوال الخصم وظروفه، وبعد عمليَّات استكشافيَّة لتحقيق هذا الغرض، دخلت القضيَّة حيِّز التَّنفيذ من خلال خطَّة عسكريَّة دقيقة، عكف موسى ومساعدوه على إعدادها، وحرصوا على أن تكون سهلة التَّطبيق، وأن يكون أحد مهندسيها على رأس الفريق المنفذ لها.

وعلى الرّغم من أنَّ الظاهر من روايات مصادرنا المتعدِّدة توحي لنا بأنَّ فتح الأندلس مجرَّد حدثٍ أفرزته الظروف المحيطة وساعدت على تحقيقه، ويجعلون من يوليان حاكم سبتة مهيِّئاً لهذه الظروف من خلال قصَّة ابنته فلورندا، وأنَّ المسلمين تعاطفوا معه ومع عرضها المنتهك، وهذا ما دفع بالبعض لكي يضرب بكلِّ هذه الرِّوايات عرض الحائط، ويشتطّ لينفي عمليَّة الفتح برمَّتها، ويحاول جاهداً أن يثبت أنَّ الإسلام دخل إلى إسبانيا عن طريق التلاقح الفكري والتَّأثيرات الحضاريَّة المتبادلة[١٢]،

---

[١١] نفسه ١/١٦٠.

[١٢] ونقصد به الباحث الإسباني إجناثيو أولاجوي في كتابه الذي خصصه لتأييد هذه الفكرة، وأسماه: La revolucion islamica en Occidente, Córdoba, 2004. "ثورة الإسلام في الغرب"، انظر مثلاً الصفحات: ٢٦-٧. وانظر بحثنا حول أطروحته هذه ونقدها: نظرية إجناثيو أولاجوي في فتح الأندلس (العرب لم يغزو الأندلس)، **مجلة مسالك** للدراسات الشرعية والعربية والإنسانية التي تصدر بالسعودية العدد ١، ٢٠١٧م.

إلاَّ إنَّ إعادة النَّظر في مثل هذه الرِّوايات واكتشاف وثائق جديدة، كفيل بأن يعيد لهذا الفتح مصداقيَّة وقائعه وأهميَّته في لائحة الفتوحات والملاحم البطوليَّة؛ وهذا ما حاولنا أن نبرزه في بحث لنا عن فتح الأندلس[١٣] جعل محور اهتمامه حول الخطَّة والاستراتيجيَّة العسكريَّة في فتح الأندلس، سواءً من حيث الإعداد أو المراحل التي مرَّ بها هذا الفتح، وكذلك من حيث الأساليب التي استخدمت فيه.

لقد اقتضت خطة الفتح التي وضعها المسلمون، أن تتمَّ بمنتهى السِّريَّة والدِّقة، واستخدموا أسلوب التَّمويه في عمليَّة العبور إلى الضِّفة الأخرى (جنوب إسبانيا)، ولكيلا يكون حديثنا إنشائيّاً وبعيداً على الحقائق التَّاريخيَّة، دعونا نستعرض بعضاً من هذه الحقائق الثابتة:

١. سبتة منطلقاً لعبور المسلمين:

كان طارق يعسكر في مدينة طنجة التي كان والياً عليها، ومن المفترض أن تنطلق القوَّات الإسلاميَّة منها إلى إسبانيا، مثلما هو الحال مع سريَّة طريف بن مالك التي كانت محاولةً لاستكشاف الخصم، ودراسة أحواله من كافَّة الجوانب، وجمع أكبر كميَّة من المعلومات المتعلقة به، والتي حققت الهدف المطلوب وعادت إلى طنجة. لكن طارق وبعد التفاهم مع يوليان حاكم سبتة الذي تحالف مع المسلمين وأمكن استقطابه[١٤]، قرَّر أن تعبر أفواج الفاتحين المسلمين من سبتة وليس من طنجة، لتحقيق المفاجأة العسكريَّة للخصم، الذي ركز أنظاره على

---

[١٣] هذا البحث تمَّ تطويره ليصبح كتاباً بعنوان: فتح الأندلس: قراءة جديدة في مروياته وأحداثه، "تحت النشر".

[١٤] في بحث لنا نشرناه سابقاً طرحنا نظرية إسلام يوليان الجدّ وأن ابنه هذا أو حفيده كان يسير في نفس خطاه، راجع بحثنا: "يوليان وفتح الأندلس" **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، عدد (١٧) ١٤٠٧هـ/١٩٩٦م ص٤٣٧-٨.

طنجة ووجه رصده إليها، كما أنَّ الموقع المستهدف ليكون مكاناً للتمحور فيه هو جبل طارق المتاخم والقريب لسبتة، لذا صدرت الأوامر باعتمادها منطلقاً لكتائب الفتح واقتحام المضيق الحاجز بينهما.

وسنرى أنَّ طارقاً لم يكتفِ بهذه الخطوة الذكيَّة بل أردفها بإجراءٍ لا يقلُّ أهميَّةً عنها، ويتمثل ذلك في الاستعانة بالمراكب التجاريَّة المملوك أغلبها ليوليان نفسه.

٢. العُبُور ووسَـائط النَّقل:

تشكل حركة الجيش وسرعة انتقاله أهميَّة قصوى أيَّام الطَّوارىء والحالات الاستثنائيَّة، فخفَّة الحركة وانسيابيَّتها دون إحداث ضجَّة أو لفْتٍ لانتباه الخصم، يعتبره العسكريُّون من متطلبات الحسْم العسكري وإحراز النَّصر في المعارك الكبيرة. وسنرى أنَّ خطَّة فتح الأندلس حاولت أن تطبِّق ذلك بدقَّة، عند قيامها بعمليَّة العبور خلال ذلك الممرّ المائي الفاصل بين إسبانيا والمغرب، لاسيَّما وأنَّ مسألة من هذا القبيل تحتاج إلى تضافر الجهود، وتتطلَّب مهارة عالية وسرعة فائقة، ليس في عمليَّة نقل الجنود المشاركين في هذه المعركة فحسب، بل بأخذ زمام المبادرة واستخدام عنصر المفاجأة للعدو، وإتمام عمليَّة الإنزال البحري في أرض الخصم، مع ضمان أرواح وسلامة المشاركين في هذه الحملة.

ومن المؤكَّد أنَّ حملة طارق لفتح الأندلس لن تحتاج إلى الأسطول البحري في عمليتها هذه إلاَّ بقدر اجتيازها لهذا الممرّ المائي الضيِّق، إذ بعدها ستتحوَّل العمليَّات الحربيَّة إلى معارك بريَّة ألِفها المسلمون وتمرَّسوا على خوضها، ونجحوا في إدارتها بأكثر من ميدان، ومع ذلك فإنَّ العبور بقوَّاتٍ بهذا الحجم، وما يتطلبه ذلك من السُّرعة والسِّريَّة، جعلت من وسيلة النَّقل هذه قضيَّة تولَّد عنها عدد من القضايا الشَّائكة، التي حيَّرت الباحثين وألهبت خيال الأدباء، وأوَّل ما يواجهنا منها هي قضيَّة استعانة المسلمين بسفن يوليان، التي تؤكِّد

عليها أغلب وثائق الفتح ومرويَّاته[١٥]، إذ تشير إلى أنَّ المسلمين استعانوا بمراكب حليفهم يوليان لنقل جنودهم إلى الضِّفة الأخرى المستهدفة؛ ويدور تساؤل عريض من قطاع كبير من الباحثين[١٦]: هل عُدِمَ المسلمون هذه الوسيلة التي تفي بهذا الغرض؟ إذاً أين مراكز ودُور صناعة السُّفن المتمركزة في عددٍ من الثُّغور الإسلاميَّة ومنها تونس القريبة؟ ولماذا لجؤوا إلى يوليان يستجدونه مثل هذه المراكب العادية، وغير المؤهَّلة للقيام بهذه المهمَّة الحسَّاسة؟ ومن هذه التساؤلات راحُوا يبحثون عن التبريرات وينقِّبون عن مخرج لهذه الهفوة التي سببها المصادر وروايتها المغلوطة والمحرَّفة كما يعتقدون!! ومع أنَّنا نقدِّر لهؤلاء المتحمِّسين حماسهم ونشاطرهم الإحساس نفسه، فليس المسلمون بذلك المستجدي الذي يبحث عمَّا لدى الآخرين لستْر عيوبه وقضاء حوائجه، خاصَّة وأنَّ هذا الأمر ليس بالآنيّ الذي يتطلب التَّدخل السَّريع، فيمكن تأجيله حتى تستكمل استعداداته وأدواته؛ لكن المسألة هنا، لا يُنظر لها من هذه الناحية فقط، فلهذه القضيَّة عدَّة زوايا يجب أن ترصد منها، فمن ناحية أصبح يوليان واحداً منّا، بعد أن توافرت الأدلَّة على إسلامه كما أشرنا في بحثنا المذكور آنفاً، أو على الأقل أصبح حليفاً يؤمن جانبه، ثم أنَّ الأمر يتعلق بقضيَّة عسكريَّة بحتة، وإلاَّ فنحن واثقون من أنَّ المسلمين يملكون ما يكفي حاجاتهم ويعزِّز مراكزهم ومواقعهم البحريَّة، وأقرب برهان، هو أنَّ حملة التَّعزيز التي أرسلت إلى طارق بعد العبور وقبيل المعركة الكبرى بقيادة طريف بن مالك، كانت تقلها مراكب بحريَّة ذات صناعة إسلاميَّة[١٧]، ومثلها تلك الحملة المساندة التي انطلقت بعد ذلك بحوالي السنة لتعزيز جهود الفاتحين، والتي كان على رأسها موسى بن نصير وقوامها

---

[١٥] ابن عبد الحكم: **فتوح أفريقية والأندلس**، ص ٧٣؛ مؤنس: "رواية جديدة .." ص ١٠٢-٣.

[١٦] انظر مثلاً: العبادي: **دراسات**، ص١٦-١٩ ؛ سالم: **تاريخ المسلمين** ، ص٧٢، الحجي: **التاريخ** ، ص٤٧-٤٩ ؛ عيسى: **الفتح الإسلامي**، ص١٠٨-٩.

[١٧] مجهول: **أخبار مجموعة**، ص١٧؛ المقري: **نفح** ، ٢٣٢/١.

ثمانية عشر ألف مقاتل[١٨]؛ كما تفيد بعض المصادر باستعدادات طارق المبكِّرة واهتمامه بهذا الجانب، بل تشير صراحة إلى قيامه ببناء السُّفن الخاصَّة به في طنجة نفسها[١٩].

ولحلِّ هذا الإشكال وفهم أبعاده وفكِّ طلاسمه، نضع أمام القاريء الكريم عدداً من الحقائق المهمَّة المتعلقة بالجانب العسكري والتَّكتيكي لخطة الفتح، فلو استخدم قادة الفتح مراكب من صنعهم للعبور، لتطلب الأمر توفير حوالي ستّ وخمسين مركباً بحريّاً على أقلِّ تقدير، قياساً بما احتاجته سريَّة طريف الاستكشافيَّة ذات الخمسمئة محارب، والتي أتمَّت عمليَّتها بأربعة مراكب، ويلزمها أن تتحرَّك بوقت واحد لتصل إلى الضِّفة الأخرى للمضيق؛ هذا على أساس أنَّ يوليان سيسمح لهذا الأسطول الضَّخم باستخدام مراسيه، وأنَّ طاقة هذا المرسى تستوعب هذا العدد من المراكب؛ لكن يتبادر إلى الذهن التساؤل التالي:

هل سيتوفَّر عنصر السِّريّة المطلوبة لهذا العدد الكبير المشارك بهذه العمليَّة، أم أنَّ أمره سيكون معلوماً للجميع بما فيهم الخصم الإسباني الذي هو هدف هذه الحملة؟ بمعنى آخر: هذه العمليَّة برمّتها ستكون مكشوفة للإسبان ممَّا يمكنهم من الاستعداد والتَّأهب، وإعلان حالة الاستنفار القصوى، ووضع شتَّى العراقيل لإفشال هذا المشروع من أساسه.

إذاً أراد قادة الفتح خديعة الإسبان؛ لأنَّ هذه مراكب يوليان التجاريَّة معروفة لدى سكان المناطق الإسبانيَّة المتاخمة للعدوة المغربيَّة، وتتردَّد كثيراً لنقل البضائع والرُّكاب بين الضِّفتين، فلا تثير أيَّة شكوكٍ لدى الحاميات الإسبانيَّة من شأنها أن تجعلها تعلن حالة الطوارئ وتتدخَّل لشلِّ حركة العبور الإسلامي.

---

[١٨] سنأتي على ذكرها.

[١٩] مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**، ص ٩٨.

وقبل أن ندخل بعرض تفاصيل مسألة العبور والبتّ بشأنها، دعونا نستعرض نَصّاً قيِّما لابن الرَّقيق حول هذه القضيَّة، يقول النَّص: *فعزم طارق على غزو الأندلس، واستنفر البربر، فجعل أليان يحمل البربر في مراكب التُّجار التي تختلف إلى الأندلس، ولا يشعر بهم أهل الأندلس، ولا يظنُّون إلاَّ إنَّها تختلف بمثل ما كانت تختلف به من معايشهم ومتاجرهم، فجعل ينقلهم فوجاً فوجاً إلى الأندلس، وقد تقدم أليان إلى أصحاب المراكب ألاَّ يُعلموا بهم*[٢٠]" انتهى النَّص، ودلالته واضحة، تؤيِّد سَيْر الأحداث وتسلسلها، فالمنطق والعقل والاستراتيجيَّة العسكريَّة، هي التي أملت على المسلمين أن يطلبوا من يوليان إعارتهم أو تأجيرهم لمراكبه البحريَّة من تلك التي تقوم بنقل البضائع والرُّكاب بين الضِّفتين، فهي مألوفة ومعروفة لدى سكَّان المناطق الجنوبيَّة الإسبانيَّة، ولن تثير أيَّة ضجَّة أو تقوم بحركة غير معتادة لدى هؤلاء، لذا كان هذا القرار الذي اتَّخذته قيادة الفتح، ودرسته بعناية، وهو نقل الجنود المشاركين بهذه العمليَّة بمراكب تجاريَّة عادية حتى لا تثير الانتباه.

وتشير أغلب الرِّوايات إلى أنَّ تعداد تلك المراكب هو أربعة فقط[٢١]، وإن تجاوز ابن قتيبة هذا العدد إلى سبعة مراكب[٢٢]، وهذا يعني أنَّ عمليَّة العبور قد تمَّت بالنَّقل التَّدريجي على مراحل، وهو ما يتماشى مع نسق الخطة المقررة للفتح، وبالمقارنة مع حملة طريف تكون هذه المراكب قد قامت بأربع عشرة نقلة، على أساس أنَّ حمولة هذه المراكب مجتمعة هي خمسمائة راكب.

---

(٢٠) ابن عبد الحكم: **فتوح أفريقية والأندلس**، ص ٧٣؛ مؤنس: "رواية جديدة .." ص ١٠٢-٣.

(٢١) مجهول: **أخبار مجموعة**، ص١٧؛ المقري: **نفح**، ١/٢٥٤.

(٢٢) **الإمامة والسياسة**، ٢/٦٠.

أمَّا الزَّمن الذي استغرقته فلن يقلَّ عن يومين من العمل المتواصل. وممَّا يعضِّد هذا الاستنتاج ما رواه ابن حبيب من أنَّ الدِّفعة الأولى من هذا الجيش الفاتح كان تعدادها ألف وسبعمائة رجل وعلى رأسهم القائد طارق، ثم توافد الباقون بعد ذلك[٢٣].

ويطرح أولاجوي فكرة الاستعانة بسفن أهل قادس، الذين امتهنوا التِّجارة وخاضوا غمار البحار[٢٤]، لكن هذه الفكرة جاءت في غمار نفي فكرة الفتح من أساسها، ومحاولة التأكيد على أنَّ عمليَّة العبور هذه جاءت في إطار قضيَّة داخليَّة، وهي مرفوضة من جانبنا؛ لأنَّ قضيَّة عسكريَّة كهذه تستدعي السِّريَّة التامة، وهذا لن يتوفَّر مع أسطول القادسيِّين.

٣. الإنزال البحري:

في المعارك الكبيرة والمصيريَّة يُعهَد في إدارتها إلى مجموعة من الأشخاص ذوي التَّجارب الميدانيَّة والمواهب العسكريَّة، هذه المجموعة تساعد القائد وتوجِّهه لإدارة المعركة بما يضمن النَّصر ويقلل الخسائر، وفي فتح الأندلس تشير بعض المصادر، إلى أنَّ موسى بن نصير انتدب مع طارق عددًا من ذوي الخبرة الميدانيَّة والمكانة، من أمثال: عبد الملك بن أبي عامر المعافري[٢٥] ومغيث الرُّومي مولى الوليد بن عبد الملك وعلقمة اللخمي ومونوسة البربري أحد كبار المحاربين[٢٦]، وهذا بمثابة "**مجلس حرب مصغَّر**" أو إدارة ميدانيَّة للمعركة؛ فالقائد الفرد لن يستطيع الإحاطة والبتَّ في قضايا مصيريَّة دون مساعدة في الرَّأي والمشورة، وتوجيه في بعض القرارات المهمَّة.

---

[٢٣] **التاريخ**، ١٣٧.

[24] La revolucion.., p.308 n.305.

[٢٥] يجدر بالذكر أن عبد الملك هذا هو جدُّ المنصور بن أبي عامر، انظر: المقري: **نفح** ٣٩٦/١.

[٢٦] مؤنس: **فجر** ٦٨.

لو تتبَّعنا ما لدينا من أخبار عن عمليَّة الإنزال العسكري لهذه الحملة في شواطئ إسبانيا الجنوبيَّة، لوجدنا أنَّ المصادر تتفق على أنَّه كان في موقع Mont Calpe الذي عُرِف فيما بعد بجبل طارق، لكنَّها لا تحدِّد بدقَّة نقطة النُّزول وفي أيِّ جهةٍ من الجبل كانت؟، وإن أفادت بأنَّ الطَّلائع الأولى من هذا الجيش لم تلقَ مقاومةً تُذكر، لكن بالنَّظر إلى أهميَّة هذا الموقع كقاعدة عسكريَّة تحرس المدخل الجنوبي لإسبانيا وترقب حركة السُّفن في هذا المضيق، من المستبعد جدّاً أن يغفله حكَّام إسبانيا مهما بلغ ضعفهم بدون حراسة أو مراقبة، مما يجعلنا على يقين ـ مع العبَّادي ـ من أنَّ نزول المسلمين لم يكن بمثل هذه السُّهولة التي تُصوِّرها كتب التَّاريخ[٢٧].

وبمزيد من البحث والتنقيب في الرِّوايات، أمكن التَّعرف على نصٍّ ساقه ابن الكردبوس، يفيد بأنَّ المهاجمين المسلمين عندما همُّوا بالنُّزول وجدوا مقاومة أجبرتهم على التَّراجع، لكن طارق قام بعمليَّة التفافيَّة مستغلاً حلول الظَّلام، واختار نقطة خلفيَّة وعرة في الجبل لتكون موضعاً للنزول، وباغتَ المهاجمين من الخلف ـ على ما يبدو ـ ليوقع بهم ويستولي على ما بأيديهم من سلاح ومتاع[٢٨].

والرِّواية نفسها تمنحنا قدراً من الخيال، تجعلنا نعيش الموقف ونتخيَّله، وكأنَّ طارق أشغل الحامية بفرقة من جنوده، ولنقُلْ حمولة إحدى المراكب برجالها المتميِّزين ببسالتهم وفدائيَّهم، بينما التفَّ بالباقين ليختار موقعاً آخر لتفريغ حمولة المراكب من المقاتلين، وليفاجأهم بعد ذلك من الخلف، وهذا ما يفسِّر تلك العبارة التي وردت في خطاب قائدهم للذريق، بأنَّ قوماً حلُّوا بديارهم، لا يدري أمِنَ الأرض خرجوا أم من السَّماء نزلوا[٢٩].

---

[٢٧] **دراسات**، ٥٩.

[٢٨] **الاكتفاء**، ص ٤٦.

[٢٩] ابن حبيب: **التاريخ**، ص ١٣٧؛ ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة** ٢/٦٠.

إذن، عمليَّة التفافيَّة موفقة، ومباغتة للخصم من زاوية لم يكن يتوقعها، أسفرت عن السَّيطرة الكاملة على هذا الموقع الحصين، ليكون نقطة تجمُّع وانطلاقة نحو الأراضي الإسبانيَّة المتاخمة؛ ومع أنَّ ابن عذاري أشار إلى أنَّ المسلمين تسلَّقوا الجبل وتحصَّنوا في قمَّته، ومنها شَنُّوا هجومهم المباغت[٣٠]، إلاَّ إنَّ طبيعة المنطقة الجغرافيَّة تجعل من تسلُّق الجبل أمراً يصعب تحقيقه دون انكشاف أمرهم وإعيائهم، لكن نعتقد أنَّ النزول كان خلف الجبل عند حدِّه المنحدر الذي ترتطم فيه الأمواج وتكثر فيه الكهوف (انظر الصور المرفقة)، وهو ما توحي به عبارة ابن الكردبوس، بأنَّهم نزلوا في موقع وعر استخدموا فيه المجادف وبراذع الدَّواب للرسّوِّ فيه، ثم بعد ذلك كانت عمليَّة الالتفاف، حيث خرجت سرايا الفاتحين على شكل مجموعات من يمين الجبل ويساره وأعلاه، بعد استكمال الاستعدادات ووصول كامل القوات المشاركة بالفتح، ممَّا كان مفاجأةً للحامية الإسبانيَّة التي أصيبت بالصَّدمة[٣١].

وقد اكتمل عبور هذه القوَّات المقدَّرة بسبعة آلاف من صناديد الرِّجال الذين نزلوا في هذا الجبل، كان ذلك في يوم الاثنين للخامس من رجب سنة ٩٢هـ الموافق ٢٨ أبريل ٧١١م على أرجح الرِّوايات[٣٢].

٤. استخدام عنصر المفاجأة:

يتميَّز القائد المحنَّك بالبحث عن أساليب من شأنها إرباك الخصم، وطارق بن زياد فاجأ الحامية الإسبانيَّة وأربكها باستخدامه المراكب التجاريَّة التي اعتادوا على مرورها أمامهم، ثم

---

(٣٠) **البيان**. ٢/٩.

(٣١) وقد زرتُ الموقع الذي أتوقَّع أنَّ رُسُوَّ المراكب المقلة لطارق وأصحابه كان فيه، وهو في الجهة الخلفية للجبل التي لا تسمح بالتمدد المدني أو التجاري لضيق رصيفه، إلا إنه استغلَّ سياحيّاً لإنشاء بعض الفنادق والأماكن الترفيهية على ضفافه.

(٣٢) هذه المسألة تناولها حسين مؤنس .رحمه الله. بتفصيل يشكر عليه انظر: **فجر** ...، ص٦٩ ح (١).

ظهورهم فجأةً بعد أن قاموا بعمليَّة الإنزال خلف الجبل؛ فعندما ثبَّت الفاتحون أقدامهم في هذا المكان الحصين، أخذوا بالتعرف على ما حولهم، واستخدموا أسلوب المناورة والتكتيك مع السُّكان المحليِّين وقوَّات الدِّفاع الإسبانيَّة المتواجدة في المناطق المتاخمة لهم، فبعد أن اطمأنوا إلى صلابة القاعدة التي اتخذوها، بدأ طارق في تشكيل سرايا ذات عددٍ قليلٍ لكنها سريعة الحركة، شديدة الوطأة على الأعداء، وزجَّ بها في مواجهتهم.

إذن أصبحت المعركة المفتوحة بين المسلمين والمقاومة الإسبانية دون حواجز، وكان همُّ القيادة المسلمة ينحصر في تقوية مركزها وحماية جنودها، فأنشأوا قاعدة عسكريَّة محصَّنة في سفوح هذا الجبل، أسماها ابن عذاري بـ "سُوُر العَرب[٣٣]" منها انطلقت غاراتهم على الأراضي المجاورة. وقبل أن ندخل في تفاصيل التمدُّد والانتشار، نشير إلى استخدام المسلمين لعنصر آخر من عناصر المناورة والتكتيك العسكري، حينما التفوا بكتيبة يقودها عبد الملك بن أبي عامر على حصن قريب[٣٤]، ثم انحدرت إلى الجنوب لتستولي على بلدة الجزيرة الخضراء[٣٥] المتاخمة لجبل طارق، وبهذا ضمن هذا القائد الفذّ لعسكره ملاذاً آمناً محصَّناً، كما أصبح خطَّ التموين والإمداد والرجعة في حال الهزيمة مفتوحاً مع القاعدة الأساسيَّة في الضفة الأخرى.

---

(٣٣) **البيان**: ٩/٢.

(٣٤) أطلق ابن عذاري على هذا الحصن اسم قرطاية Cartaya أو قرطاجنة Cartagena، انظر: **البيان** ٩/٢؛ مؤنس: **فجر** ٦٩. لكن سابدرا وضح لنا بأنَّ هذا المكان، هو المعروف الآن باسم: برج قرطاجنة Torre Cartagena أو برج الروكاديو Rocadillo، انظر: Estudio, p. 65. وهو الصحيح، لأنَّ قرطاية وقرطاجنَّة بعيدتين عن المكان، فالأولى بمقاطعة ولبة Huelva في غرب الأندلس، بينما تقع قرطاجنة في مقاطعة مرسية بالشرق.

(٣٥) عن الجزيرة الخضراء Algeciras أنظر ذلك التعريف الجامع الشامل الذي أعده حتاملة في: **موسوعة الديار الأندلسية**، ٣٩١/١- ٣٩٧.

وكانت أوَّل ردَّة فعلٍ إسبانيَّة رصدتها المصادر، هي مع فرقة عسكريَّة إسبانية يقودها أحد المقرَّبين من لذريق اختلفت الوثائق بتهجئة اسمه[٣٦]، لكنَّها تذكر أنه قاد هجوماً تمَّ التَّصدِّي له وتفريق شمل أنصاره بسهولة[٣٧]. ومع أنَّ هذه المواجهة التي تعدُّ الأولى من نوعها، أكسبت المسلمين معرفة أدقّ بالخصم وأساليب قتاله إلا انَّ الأهم من ذلك، هو حصولهم على بعض الخيول من عدوِّهم المهزوم، ساعدت في سرعة تحركات الفرسان المسلمين وتعاملهم في الميدان العسكري فيما بعد[٣٨].

لم تكن هذه المواجهة العسكريَّة للمسلمين في هذه الفترة المبكرة هي الوحيدة[٣٩] وإن كانت الأهمّ، حيث تشير المصادر إلى اشتباك آخر مع مفرزة إسبانيَّة أكثر استعداداً وتنظيمًا، على رأسها أحد قادة لذريق المميَّزين، الذي انتدبه لإيقاف زحف طارق وأصحابه ووضع حدٍّ لتمدُّدهم في جنوب إسبانيا، أو على الأقل، لإشغالهم لحين وصول الملك الإسباني لملاقاتهم بنفسه مع قوَّاته الرَّئيسة، هذا القائد تسمِّيه هذه المصادر تدمير[٤٠]، وتوحي لنا رواية ابن حبيب بأنَّه كان واليًا على الأندلس في هذه الفترة أو على جنوب شبه الجزيرة الإيبيريَّة[٤١]؛ وقد دارت معركة بينه وبين المقاتلين المسلمين، تبدو شراستها من طول الوقت الذي استغرقته، والذي يحدِّده ابن

---

(٣٦) أورد الدكتور حسين مؤنس تفاصيل مهمَّة عن هذا القائد، انظر: **فجر**، ٧٠ هـ(٢).

(٣٧) ابن عذاري: **البيان** ٨/٢.

(٣٨) ابن عذاري: **البيان**، ٨/٢.

(٣٩) كانت هذه المناوشات أو المعارك الصغيرة الأولية متعددة بحسب الروايات التي ذكرها ابن عذاري عن الرازي "بعث إليهم الجيوش جيشاً بعد جيش"، **البيان**، ٨/٢، ٩.

(٤٠) وتسميه الرواية الإسبانية: Teodomiro Ergobado

(٤١) **التاريخ**، ١٣٧.

هذيل بثلاثة أيَّام، ولعلَّ تدمير آثر الانسحاب بعد أن أدرك استحالة كسب المعركة، وكتب إلى زعيمه يخبره بخطورة الموقف، ويحثُّه على القدوم والاستعداد لخصمه[٤٢].

ويبدو أنَّ الطريق أصبحت سالكة للمهاجمين المسلمين . بعد ذلك . ليصُولوا ويجُولوا في المناطق المتاخمة دون معارضة تذكر، وهذه منحتهم فرصة التَّعرف على المكان والسُّكان والاستعداد الجيِّد للمعركة الكبرى القادمة مع الجيش الإسباني الذي كان منشغلاً في إخماد ثورات الشَّمال الباسكي[٤٣].

وقد بدأت تلوح في الأفق علائم مواجهة عنيفة، تحدِّد مصيرها استعدادات الطَّرفين المتحاربين وتكتيكات كلٍّ منهم، وكيفيَّة إدارة المعركة؛ فماذا فعل طارق لتعزيز وجوده وتثبيت أقدامه وتهيئة قواته لهذه المواجهة الحاسمة؟

أ. كانت أوَّل الخطوات التي اتَّخذها: هي نقل مركز عمليَّاته إلى الجزيرة الخضراء التي تسمِّيها المصادر الإسلاميَّة بـ "جزيرة أمِّ حكيم[٤٤]"، لاتِّصالها بالأراضي الإسبانيَّة، ومناعتها بالمرتفعات المحيطة بها، ثم ارتباطها المباشر بالمضيق المائي المؤدِّي إلى الضفة الأخرى من المضيق، ممَّا يعني تأمين ظهره وضمان استمرار خطِّ التموين مفتوحاً.

---

(٤٢) **تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس**، تحقيق: عبد الإله أحمد نبهان ومحمد فاتح زعل، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي ٢٠٠٤م ص٢٩٠؛ JOSE ANTONIO CONDE, **Dominacion de los Arabes en Espana**, t.1 p.29-30.

(٤٣) SAAVEDRA, **Estudios**, p.64-5. وانظر كذلك: عبد الواحد ذنون طه: **الفتح والاستقرار**، ص١٦٦.

(٤٤) انظر للاستزادة، ما جمعه حتاملة حول هذه المدينة، ولماذ سميت بهذا الاسم؟ في: **موسوعة الديار الأندلسية**، ١/٣٩١ .٢.

وكانت فرصةً للقوات الإسلامية لتستغلَّ هذا التقهقر وتوسِّع قاعدة نفوذها وسيطرتها، وتزحف نحو الجنوب الإسباني، وعندما أفاق الإسبان من هول الصَّدمة، تداركوا الأمر واستعادوا قواهم فكانت معركة شذونة أو وادي لكة الكبرى التي تمَّت في أواخر رمضان وأوائل شوَّال من سنة ٩٢هـ (٧١١م) وكان النَّصر فيها حليف المسلمين.

ب . أمَّا الخطوة الأهمّ، فهي طلبه من القائد الأعلى للمعركة تعزيز قدراته العسكريَّة من حيث العدَّة والعتاد، فالمعركة أوشكت والقائد الإسباني جمع فأوْعى وحَشَر ونادى جنوده من كلِّ حدَب وصوْب، وطارق بما يتوافر معه من عَدَدٍ وعُدَّة، لا تلبِّي احتياجات المعركة الكبيرة القادمة؛ وكانت الاستجابة سريعة إدراكاً لحساسيَّة الموقف، فجاءه المدَد بخمسة آلاف محارب يترأسهم واحد من ذوي الخبرة والمراس ليس بالمعارك وحدها بل عرف هذه البلاد وخبر أهلها، سبق وأن جال فيها وصال، وهو طريف بن مالك، وكانت المراكب التي تقلُّهم هذه المرَّة من تلك التي عملها المسلمون[٤٥]، وما أن حَلَّ بالأراضي الإسبانيَّة، حتى أخذ موقعاً يقع إلى الغرب من المركز الرئيس الذي اتخذه طارق وهو المكان الذي سبق وأن وطأه[٤٦]، وربَّما أوجد بعض الموالين له فيه من قبل، وهو تلك الجزيرة التي حملت اسمه طريف Tarifa التي أصبحت الطريق لها سالكة.

٥. قضيَّة حرق السُّفن:

هذه المسألة استوقفت الباحثين وأشغلت أذهانهم، فما مصير السُّفن التي أقلَّت المسلمين إلى إسبانيا؟

---

[٤٥] المقري، **نفح** ٢٥٧/١؛ عبد الرحمن بن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، ط. بيروت ١٩٨١م ج٧ ص٢٥٤؛ الحجي: **التاريخ**، ص٥٢.

[٤٦] المقري: **نفح**، ٢٣٣/١.

هذا الموضوع على كثرة دارسيه إلا إن اهتمامهم انصبَّ حول النَّفي أو الإثبات لهذه المسألة، فهناك إشارات وإن كانت قليلة ومتأخرة، تفيد بأنَّ طارق قد أمر بإحراق أو تغريق السُّفن التي قامت بعمليَّة نقل الجنود عبر المضيق[٤٧]، وكأنَّه أراد بهذا الإجراء قطع الطَّريق أمام جنوده لأيَّة محاولة بالعودة أو الفرار، ولكي يضعهم أمام مصيرهم المحتوم إمَّا الموت وإمَّا النَّصر، وقد كانت هذه القضيَّة من أبرز القضايا في قصَّة الفتح، ووجدت مجالاً رحباً للنِّقاش والأخذ والرَّد بين من تناولوا هذا الموضوع من الكتَّاب المتأخِّرين، والذين انقسموا بين مؤيِّد ومعارض لهذا الإجراء الذي قام به طارق، حتى وصل الحال بالبعض إلى التَّساؤل مستنكراً ذلك، إذا كان طارق قد أحرق السُّفن فكيف وبماذا عبر إلى الأندلس من جاء بعده من مسانديه[٤٨]؟

ومع احترامنا للجميع وإيماننا بحيويَّة هذا الموضوع وطرافته، إلاَّ إنَّ مبدأ الحرْق والتَّغريق تتنافى مع التَّخريج الذي وصلنا إليه، بأنَّ هذه السُّفن مستأجرة أو مستعارة، بمعنى أنَّ عملها مؤقت وبعد أن أتمَّت مهمَّتها بنجاح عادت أدراجها، مخليةً الموقع من أيَّة آثار أو بقايا لها، فعلى هذا الأساس لا يملك طارق أن يحرقها؛ لأنَّه لا يملكها، وأنَّ ما يفكر في عمله . إذا كان ينوي ذلك . قد تحقَّق دون اللجوء إليه، مع أنَّه يعرف جيِّداً مقاتليه الذين انتقاهم بنفسه، والذين جاؤوا للجهاد بعقيدة صافية واستعداد تامٍّ للجهاد، فليسوا بحاجة إلى مثل هذا الإجراء الذي ألهب خيال الأدباء.

---

(٤٧) المقري: **نفح**، ٢٥٨/١ ؛ ابن الكردبوس: **الاكتفاء**، ٤٦-٧ ؛ العبادي: **دراسات ..**، ٢٣-٢٧ ؛ الحجي: **التاريخ**، ص٦٢. عبد الحليم عويس: **أسطورة إحراق طارق بن زياد للسفن**، المنصورة ٢٠١٠م.

(٤٨) محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، القاهرة ١٩٦٩م ج١ ص٤٨-٩.

ولعلَّ منشأ هذه القصَّة، هو الخلاف حول أصل السُّفن، وعدم وجودها في المرسى الذي أفرغت فيه حمولتها، فربَّما ظنَّ مَنْ لا يعرف بأنَّها مُؤجَّرة، وأنَّ مهمَّتها قد انتهت، أنَّ طارق عمل على إخفائها، وهنا تناقل الناس ذلك وشاعت بينهم، ومنها نشأت أسطورة الحَرْق. كما أنَّ قائد الفتح ولكي يجعل طريق الالتفاف حول الجبل سالكاً للعبور، أحرق ما فيه من حشائش وشجيرات تنامت بمثل هذا الموسم الذي هو فصل الربيع، فقد يكون ذلك أيضاً أوحى لأولئك بهذه الفكرة ورسَّخها، ومن ثم تناقلوها بينهم ووصلت لمن بعدهم.

ثالثاً: النتائـــج:

النتائج التي تفرزها الخطط المحكمة والعزائم القويَّة لا شكَّ أنها ستكون كبيرة، فخطَّة الفتح استخدمت كلَّ الوسائل والعناصر التي من شأنها تحقيق الأهداف المرجوة، مع المحافظة على العنصر البشري الذي هو قوام هذه الخطَّة، ولذا جاءت عمليَّة التمويه في العبور من سبتة وليس من طنجة التي يحكمها المسلمون، وتمَّت الاستعانة بسفن يوليان التجاريَّة التي تتردَّد على السَّواحل الإسبانيَّة لضمان سريَّة العمليَّة، والنزول بيسرٍ وسهولةٍ في النقطة البعيدة عن أعين الحامية الإسبانيَّة خلف هذا الجبل الأصمّ حتى اكتمال تعدادها ومعدَّاتها، لتفاجأ الخصم بالهجوم المباغت الذي أفقده صوابه.

إذاً، أمَّن هذا الجبل لخطَّة الفتح التي وضعها قادتها قدراً كبيراً من النَّجاح والسُّرعة، في إيجاد موطئ قدم لهم في شبه الجزيرة الإيبيريَّة، لتبدأ ملحمة الفتح العظيمة، وليبدأ معها محاولة كسب ولاء السُّكان في مناطق النُّفوذ الإسلامي، لضمان وقوفهم مع المسلمين في معركتهم القادمة أو على الأقلِّ تحييدهم في هذا الصِّراع، وهذا يعتبر أكبر إنجازٍ حققه قادة الفتح، فقد كسب طارق ولاء عددٍ ليس بالقليل من

الأسبان، يأتي على رأسهم أنصار الملك المخلوع غيطشة، ولا نَنْسَ دور يوليان وأصحابه الذي أصبح جزءاً لا يتجزَّأ من عناصر الفتح الفاعلة، فقد كان له أثره في دعم الفاتحين ومساعدتهم بحكم معرفته بالمكان وعلاقاته المتجذِّرة بذوي النفوذ في جنوب إسبانيا.

هؤلاء النَّاس الذين أصبحوا تحت سيطرة المسلمين في الجنوب الإسباني وجدوا حسن المعاملة، وقنعوا بمصيرهم واستسلموا لقدرهم، لاشكَّ أنَّهم أثَّروا في سير الأحداث اللاحقة خاصة المعركة الفاصلة بين الجيش الإسباني الرَّسمي بقيادة الملك لذريق نفسه وبين المسلمين، وسنرى أثر ذلك عندما ندرس المعركة وتفاصيلها بعد ذلك، ولعلَّ هؤلاء الناس الذين أعجبوا بمعاملة الفاتحين وتسامعوا بعدلهم مع رعيَّتهم قبل وصولهم، آثروا الحياد إن لم يشاركوا مع المسلمين، فقويٌّ يستظلون بظلِّه خير من ضعيف يحترقون بلهيب فِتَنه وعدم استقرار حكمه، لاسيَّما وأن الفئة المسيطرة والحاكمة هم من الأقليَّة القوطيَّة التي لا تنتمي لأهل البلاد الأصليِّين، ولذريق ليس إلا أحد القادة العسكريِّين الذين اغتصبوا الحكم من أصحابه الشرعيِّين.

الصور والخرائط:

منظر المضيق من الجو وموقع جبل طارق فيه

جبل طارق أقصى الخريطة يسار ويبدو الجزء المقابل له من المغرب وبينهما المضيق

File:Gibraltar SRTM lrg.jpg .. Created: 22 August 2012

هذه الخريطة توضح موقع حبل طارق "المستعمرة البريطانية" في شبه الجزيرة الإيبيرية

المصدر: الشبكة العنكبوتية

جبل طارق كما يبدو للقادم للمضيق من المحيط الأطلسي

CC BY-SA 3.0

File:Gibraltar Rock 10.jpg .. Uploaded: 27 June 2014

جبل طارق كما يبدو عن قرب من المضيق – لمزيد من الصور يراجع:
File:Rock of Gibraltar northwest.jpg Wikimedia Commons

جبل طارق: ويبدو الجزء الذي يُتوقَّع نزول المسلمين فيه في يسار الصورة يمين الجبل
nasa –
http://eoimages.gsfc.nasa.gov/images/imagerecords/3000/3926/Gibraltar_SRTM_lrg.jpg

الجزء الخلفي من جبل طارق حيث نزل طارق بقواته كما يراه الباحث

 Rock of GIbraltar from the GibraltarView of the eastern coastline of File:Gibraltar Catalan Bay 02.jpg Created: 25 April 2008.

صورة للجبل من الخلف من زاوية أخرى

 OGLview terms

 File:HMS Defender undertaking a sovereignty patrol in Gibraltar. MOD 45159240.jpg Created: 22 October 2015

خلف الجبل ويبدو فيه الفندق الحديث الذي نزل فيه الباحث

جبل طارق كما تخيله أحد الفنانين قديمًا وتبدو المراكب التي تشبه تلك التي استخدمها المسلمون في عبورهم

1797 View of the rock by G.B.Fisher – An illustration concernng gathered by Neville Chipulina for his brilliant blog.Gibratar

بعض المغارات في هذا الجبل التي يتوقع أنَّ الفاتحين استخدموها

المصادر والمراجع

أولاً . المصادر والمراجع العربيَّة والمعرَّبة:

. عبد الملك بن **حبيب**: كتاب **التاريخ**، تحقيق: خورخي أجوادي، نشره المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد ١٩٩١م.

. محمد عبده **حتاملة: موسوعة الدِّيار الأندلسية**، عمَّان ١٩٩٩م، جزآن.

. عبد الرحمن علي **الحجي: التاريخ الأندلسي**، الطبعة الأولى بيروت ١٩٧٦م.

. محمد بن عبد المنعم **الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ١٩٧٥.

. محمود شيت **خطاب: قادة فتح المغرب العربي**، بيروت ١٩٦٦م ج١.

. لسان الدين محمد بن عبد الله بن **الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط. القاهرة ١٩٧٣ج١.

: **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق: محمد شبانة، الرباط١٩٧٦م

. عبد الرحمن بن **خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر**، ط. بيروت ١٩٨١م ج٧.

. السيد عبد العزيز **سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، ط. بيروت ١٩٨٨م.

. جوزيف زيتون: **مضيق جبل طارق**، مدونته الشخصية على الشبكة العنكبوتية.

. إبراهيم **السلمي: العدوة الأندلسية**، مركز الملك فيصل بالرياض ٢٠١٣.

. صالح بن محمد **السنيدي**: "يوليان وفتح الأندلس" **مجلة جامعة الإمام** محمد بن سعود الإسلامية، عدد ١٧، ١٤٠٧هـ/١٩٩٦م.

: نظرية إجناثيو أولاجوي في فتح الأندلس (العرب لم يغزو الأندلس)، **مجلة مسالك** للدراسات الشرعية والعربية والإنسانية التي تصدر بالسعودية العدد ١، ٢٠١٧م.

: فتح الأندلس: قراءة جديدة في مروياته وأحداثه، "تحت النشر".

. محمد بن علي بن **الشباط** التوزري: **صلة السمط وسمة المرط**، قطعة من الكتاب حققها: أحمد مختار العبادي ونشرها تحت عنوان: **تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط**، مدريد ١٩٧١م.

. نهلة **شهاب: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، بيروت ٢٠٠٩م.

. عبد الواحد ذنون **طـه: الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس**، بغداد ١٩٨٢م.

. أحمد مختار **العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، الاسكندرية ١٩٨٢م.

. أبو العباس أحمد بن محمد **ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق: ج س كولان وليقي بروفنسال، ج٢.

. عبد الرحمن بن عبد الله بن **عبد الحكم: فتوح أفريقية والأندلس**، بيروت ١٩٨٧م.

. أحمد بن عمر**العذري: ترصيع الأخبار وتنويع الآثار**، الذي حققه: عبد العزيز الأهواني ونشره بعنوان: "نصوص عن الأندلس" مدريد ١٩٦٥م.

. محمد عبد الله **عنان: دولة الإسلام في الأندلس**، القاهرة ١٩٦٩م ج١.

. عبد الحليم **عويس: أسطورة إحراق طارق بن زياد للسفن**، المنصورة ٢٠١٠م.

. عبد الحميد **عيسى**: الفتح الإسلامي للأندلس، القاهرة ١٩٨٥م.

. أبو محمد محمد بن عبد الله بن مسلم بن **قتيبة: الإمامة والسياسة**، تعليق: طه الزيني بيروت؟ج٢.

. أبو بكر محمد بن عمر بن **القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، بيروت١٩٥٧م

. أبو مروان عبد الملك بن **الكردبوس: الاكتفاء في أخبار الخلفاء**، حققه أحمد مختار العبادي تحت عنوان: **تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط**، ونشره: معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٧١م.

. حسين **مؤنس: فجر الأندلس**، جدة ١٩٨٥م.

. **مجهول: أخبار مجموعة**، ط. بيروت١٩٨١م.

. **مجهول: ذكر بلاد الأندلس**، تحقيق: لويس مولينا، مدريد ١٩٨٣م ج١.

. مجهول: "جبل طارق بصمة إسلامية فوق أرض إسبانية" **صحيفة الاتحاد** الإماراتية، عدد 6 ديسمبر ٢٠٠٨.

. أحمد بن محمد **المقري: نفح لطيب من غصن الأندلس الرطيب**، نشر: إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨م ج١,٢.

. عبد الرحمن بن **هذيل: تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس**، تحقيق: عبد الإله أحمد نبهان ومحمد فاتح زعل، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي ٢٠٠٤م ص٢٩٠.

ثانياً . المصادر والمراجع الأجنبية:

– EDUARDO SAAVEDRA, Estudio sobre la invasion de los Arabes en Espana, Madrid 1892.

– IGNACIO OLAGUE, La revolucion islamica en Occidente, Cordoba 2004.

– JOSE ANTONIO CONDE, Dominacion de los Arabes en Espana, t.1.

– José Carlos de Luna, Historia de Gibraltar. Madrid, Uguina, 1944.

مدينة طحا الأعمدة وصداها في كتابات الجغرافيين والمؤرخين المسلمين في العصور الوسطي

(ق١١-ق١٥ م/٤-٩هـ)

د. يوسف سمير كامل
مدرس التاريخ الإنساني
قسم العلوم الإنسانية
جامعة دراية المنيا– مصر

ملخص:

تعتبر كتابات الجغرافيين والرحالة في جلها أكثر ثقة؛ إذ إن الرحالة تأتي كتاباتهم صادقة معبرة أكثر من غيرهم من المؤرخين أنفسهم؛ لأن المؤرخين قد يخشون من الحكام وتأتي كتاباتهم في بعض الأحيان متحيزة خوفًا من بطش ذوي الجاه والسلطان. وتبدو أهمية الورقة البحثية التي يتم تناولها في أنها تلقي الضوء على مدينة مهمة في العصور الوسطي كان لها أهمية حضارية وتاريخية ألا وهي: مدينة طحا الأعمدة.

ومن الملاحظ أنه قد ورد ذكر مدينة طحا في كتابات كثير من الجغرافيين والمؤرخين المسلمين في العصور الوسطي أمثال الادريسي والمقدسي وابن دقماق وابن مماتي وغيرهم. وجاءت كتاباتهم معبرة عما رأوه أو لاحظوه من موقع لهذه المدينة المهمة، وما قامت به من دور حضاري تاريخي.

وتدور مشكلة البحث في محاولة الإجابة على التساؤل التالي: هل كان لمدينة طحا صدي في كتابات الجغرافيين والمؤرخين المسلمين في العصور الوسطي؟ وهل كان لها أيضا أهمية تاريخية وحضارية في العصور الوسطي؟

على أية حال؛ فإن الموضوع الذي نحن بصدده راعينا فيه اتباع المنهج التحليلي السردي النقدي لما رواه هؤلاء الجغرافيون والمؤرخون المسلمين عن مدينة مهمة من أقاليم مصر في العصور الوسطي تلك المدينة هي: طحا الأعمدة .

وقد قسم الباحث بحثه للمحاور الآتية :

- **مقدمة:**
- مدينة طحا في كتابات الجغرافيين والمؤرخين المسلمين في العصور الوسطي (موقع المدينة واصل تسميتها ومعناه) .
- أهميتها الدينية والاقتصادية – ديموغرافية المدينة (سكان طحا الأعمدة)
- **خاتمة البحث.**
- **ملاحق البحث.**
- **قائمة المصادر والمراجع .**

الكلمات الدالة:

طحا الأعمدة – كتابات – الأهمية الحضارية – الجغرافيين – المؤرخين – العصور الوسطي

Abstract:

The writings of travelers in most of them are more confident as the travelers come to their writings more honest than historians themselves because historians may fear rulers. The importance of this paper is that it sheds light on an important city in the Middle Ages that had historical, religious and economic significance.

Taha al-A'amida is located northwest of Minya, about 15 kilometers away. Since the time of the pharaohs, the ancient Egyptian name Tyh and in the Coptic era the development of the name Toho became written in the Coptic language Toho and derived the Arabic name "Taha" The French scientist Amelienau in its geography that its name Theodosicoplis Theodosopolis because the whole Egyptian country had a Greek name to Next to the Coptic name and part of the name Polis means "city" and the first part is derived from the name of Theodosius.

The city of Taha is mentioned in the writings of many medieval Muslim geographers and historians such as Edrissi and others. The problem of research seems to be that the researcher tries to answer the following question: Did Taha have a historical, cultural, religious and economic role and importance in the Middle Ages?

key words:

Taha columns –its religious and civilized importance - Geographers - Travelers - Middle Ages.

مقدمة:

حاول الإنسان منذ أن خلقه الله وابتدأ يدب علي وجه الأرض أن يكتشف أسرار الأرض وما حوله من خفايا بحثًا عن حياة أفضل، فأخذ يتجول ويرتحل من مكان لآخر بحثًا عما هو كامن عنه، فهو بهذا يسعي لكشف النقاب عن أشياء لا يعلمها وأماكن لم تطالها قدماه من قبل، ولم تشاهدها أم عينيه.

وتعد كتابات الجغرافيين في كافة العصور انعكاسًا حقيقيًا للأوضاع الحقيقية السائدة في المجتمع الذي يكتبون عنه بوجه عام لما تحويه من ملاحظات عن طبيعة وجغرافية المكان موضع دراستهم، كما تعتبر مرأة صادقة في غالب الأحيان للمظاهر الحضارية الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والدينية غير المعتادة أثناء تجوالهم ورصدهم لحقيقة هذا البلد وموقعه وأهم ما يميزه بصورة أصدق مما يراه ويرصده من دونهم بوجه خاص؛ لأن كتابات هؤلاء الجغرافيين تختلف في مدي دقتها ودرجة ونوع اهتمامها، كما تختلف – لاسيما كتابات الرحالة – في مدي صدقها وأمانتها وجنوحها في بعض الأحيان إلي المبالغة؛ لأنه ربما ينقل عن غيره دون بحث او استقصاء أو يحكي حكاية رويت له، ولذا ينبغي أن تؤخذ كتاباتهم ومشاهداتهم وملاحظاتهم بميزان النقد والتمحيص، ويجب إخضاعها للمقارنة مع مثيلاتها والمعاصرة لها.

ورغم ذلك؛ فإن هذه المشاهدات والكتابات التي يدونها الرحالة والجغرافيون تضيف إلى رصيد معرفتنا التاريخية ما تغفل عنه المصادر التاريخية في كثير من الأحيان خاصة النواحي والنظم الحضارية والعادات والتقاليد الموجودة في عصرهم، فهذه الكتابات سجل حقيقي لكافة مظاهر الحياة، فالرحالة والجغرافي أكثر التصاقًا بالناس لكونه المعاين لكل ما تشاهده عيناه وتسمعه أذناه، وبذلك كان لهذه الكتابات قيمتان عظيمتان: قيمة علمية وأخرى أدبية، فعيون الرحالة والجغرافيين كآلة تصوير تصور واقع ما يراه يجذب أنظاره، وواقع غريب يسعي لالتقاطها تسجيلًا؛ كما يسجل أيضًا كل جميل وكل قبيح لتحظي بصورة حية التقطت؛ والتي– في أغلب الأحيان – لا تكذب ولا تتجمل .

وكانت مصر ومدنها وبكل ما فيها جاذبة منذ القدم للرحالة والحجاج والجغرافيين والسياح؛ بسبب آثارها التي تسجل تسلسل تاريخها على مر العصور. وقد اعتاد معظم رحالة العصر الوسيط – بمجرد عودتهم إلي بلادهم – علي تسجيل الطرق التي سلكوها والمعالم التي رأوها حين انتقلوا من مدينة إلي أخرى، وكيف واجهوا الصعاب والمشقات وما رأوه في مصر من آثار أبهرتم بضخامتها، ومدن وكور وقرى أفتتنهم بكثرة اتساعها وامتدادها، ومباني ومنشآت مختلفة أعجبتهم. ولا شك أن كتاباتهم خير مرشد لكل من يسعى لزيارة مصر وما بها من معالم ومدن وقري، أو يكتب عنها. كما أن هذه المصنفات والمشاهدات التي دونها الجغرافيون والرحالة تعد خير دعاية بطريقة غير مباشرة لمصر بكل ما تحويه في تلك الآونة لمعرفة بعض أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية والفكرية.

أما عن مدينة طحا التي نحن بصددها؛ فنلاحظ أنه كان لها صدي في كتابات كثير من الجغرافيين والمؤرخين المسلمين في العصور الوسطي لاسيما، وأنها لم تكن قرية صغيرة مجهولة، أو مهملة ليس بها أي نشاط أو حياة؛ وإنما كانت معروفة ويلاحظها كثير ممن يمر بصعيد مصر يجول فيه ليصفه بما فيه من معالم يراها أو حكايات يسمعها أو ملاحظات ومصنفات يدونها ويسجلها بغية الاستفادة بها.

وعن أصل كلمة طحا ومعناها [١] وموقع المدينة ؛ يلاحظ أنها من المدن القديمة، وجاء ذكرها في قاموس جوتييه أن اسمها المصري Tyhr والقبطي Touho ومنه اسمها العرب طحا، أما أميلينو في جغرافيته أشار إلى أن اسمها الرومي ثيودوسيوبوليس Theodosiopolis [٢].

وسبب تسميتها وشهرتها بطحا الأعمدة أو طحا العمودين، فذلك يرجع إلي المعبد ذي الأعمدة الذى كان قائما بها، وقد عرفت بهذا الاسم ابتداء من سنة ١٥٢٧م/٩٣٣هـ

([1]) جاء في المعجم الوسيط أن معني طحا لغويًّا دلكه بعقبه راجع: إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٤، القاهرة ٢٠٠٤،ص ٥٥١ ؛ وجاء في تاج العروس للزبيدي : أن الطَّح : هو البسط طحه يطحه طحا إذا بسطه فانطح انظر : الزبيدي (السيد محمد مرتضي الحسيني الزبيدي) : تاج العروس من جواهر القاموس تحقيق: حسين نصار وراجعه آخرون الكويت ١٩٦٩ م، ج ٦ ص ٥٧٣ .

([2]) Amelineau,E. La Geographie de l'Egypte a la e' epoue Copte paris 1892,p.472

وتخربت المدينة القديمة وقامت على أنقاضها القرية الصغيرة. وفى كتاب وصف مصر – الذي أعده مجموعة من علماء الحملة الفرنسية– جاء فيه أن طحا العمودين بها مجموعة من الأعمدة بأقطار مختلفة وهي من الجرانيت والحجر الجيري بعضها سيء التنفيذ وهي تدل على آثار كنيسة مسيحية [٣].

أما عن موقع المدينة ؛ فتقع " طحا الاعمدة " شمال غرب مدينة المنيا على بعد حوالي خمسة عشر كيلومترا منها. وكانت مدينة كبيرة منذ عهد الفراعنة اسمها المصري القديم Tyh وفى العصر القبطي تطور الاسم، فأصبح Toho ويكتب باللغة القبطية Toho ومنها اشتق الاسم العربي "طحا". ولفظ طحا عربي مشتق من الاسم القبطي توهو ومعناه مستودع،وتغير إلي طوحو ثم إلي طحا والاسم اليوناني لطحا ثيوذوسيوس بوليس[٤]. كما ذكرها العالم الفرنسي اميلينو Amelienow في جغرافيته أن اسمها الرومى Theodosicoplis ثيؤدوسيوبوليس، ذلك لأن كل البلاد المصرية كان لها اسما يونانى إلى جوار الاسم القبطي والجزء من الاسم Polis معناه "مدينة" والجزء الأول مشتق من اسم ثيؤدسيوس، وذكر اميلينو كذلك أن هناك ثلاث مدن أخري تحمل نفس اسم طحا وهي: طحا المعاريج في اقليم[٥] الدقهلية وطحا بوش في بني سويف وطحا بهبشيح في نفس الإقليم[٦] .

---

(3) http://shahid-elmaseh.ahlamontada.com/t183-topic.

(4) عماد عادل إبراهيم: مناطق التجمعات الرهبانية بمحافظة المنيا، رسالة ماجستير غير منشورة، ج١، كلية الآداب جامعة طنطا ٢٠١٢، ص ١٤٠.

(5) الرسم العربي لكلمة كليما Klima اليونانية التي معناها الميل . وقد قسم أراثوسينس المتوفي عام ١٩٥ق.م المعروف من المعمور إذ ذاك إلي سبع مناطق تتجه في الاتجاه الطولي، وقد عينت علي وجه التقريب وقسم هيبارخوس المتوفي عام ١٥٠ق.م هذه الكرة الأرضية إلي مقدار من المناطق العرضية متساوية الاتساع والبعد بعضها بعض . وقد اخذ العرب بالتقسيم إلي سبعة أقاليم متساوية العرض إلا أنهم اعتبروا البلدان الواقعة جنوبي خط الاستواء قد قدرت بأنها الثمن من مسطح الأرض والواقعة في أقصي الشمال التسع من هذا المسطح ورتب الإدريسي كتابه تقويم البلدان وفقا لترتيب الأقاليم للتفاصيل انظر : مجموعة من العلماء : دائرة المعارف الإسلامية ترجمها للعربية عبد الحميد يونس وآخرون مجلد ٢ ، عدد ٦، أفغانستان ١٩٣٦ ص ٤٨٢ وما بعدها .

(6)Amelienow, Op.cit., p.472 .

أما الشريف الإدريسي[٧] في القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري؛ فيشير إليها بأنها تقع أسفل مدينة الأشموني أي جنوب مدينة الأشمونين[٨].

وقد أشار إليها ياقوت الحموي في القرن الثالث عشر الميلادي /السابع الهجري في معجمه، فقال: " طحا بالفتح والقصر، والطحو والدحو بمعني البسيط وفيه لغتان طحا يطحو ويطحي ومنه قوله تعالي : والأرض وما طحاها؛ وطحا: كورة بمصر شمالي الصعيد في غربي النيل، وإليها ينسب أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم الأزدي الحجري المصري الطحاوي الفقيه الحنفي"[٩] .

---

(7) كان الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي الهاشمي القرشي. عالما عربيًّا مسلمًا وأحد كبار الجغرافيين في التاريخ ومؤسسي علم الجغرافيا، كما أنه كتب في الأدب والشعر والنبات ودرس الفلسفة والطب والنجوم في قرطبة. استخدمت مصوراته وخرائطه في سائر كشوف عصر النهضة الأوربية. حيث لجأ إلى تحديد اتجاهات الأنهار والبحيرات والمرتفعات، وضمنها أيضًا معلومات عن المدن الرئيسة بالإضافة إلى حدود الدول. واسمه الكامل (كما جاء في الوافي بالوفيات) هو: محمد بن محمد بن عبد الله (لا عبد الرحمن) بن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود (صاحب غرناطة في وقته) بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي.ولقب بالصقلي؛ لأنه اتخذ جزيرة صقلية مكاناً له بعد سقوط الدولة الاسلامية .ولقب بسطرابون العرب نسبة للجغرافي الإغريقي الكبير سطرابون .وقد كان من أبرز الدارسين في علماء= =الرياضيات .ولد في مدينة سبتة في المغرب الأقصى عام ٤٩٣هـ/١١٠٠م ومات عام ٥٥٩هـ/١١٦٦م للتفاصيل انظر : https://ar.wikipedia.org/wiki

(8)الادريسي (ت ٥٦٥هـ/ ١١٦٦م) أبي عبد الله، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٢، ص ١٢٥.

(9) ياقوت الحموي(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي : معجم البلدان دار صادر، بيروت، ط٢، ، مجلد ٤، دار صادر بيروت ١٩٩٥ م، ص٢.

ومعني كلام ياقوت الحموي أن لها معنين: لفظي لغوي وهو البسيط، والمعني الآخر هو: موقعها الجغرافي، وأنها تقع شمالي الصعيد لكنه لم يحدد مكانها ولا أي إقليم تتبعه، وإنما اكتفي بالإشارة إلي أنها كورة[١٠] أي: صقع والبقعة التي يجتمع فيها قرى ومحال بحسب تعريف المعجم الوجيز، وهذا يوضح أنها لم تكن قرية واحدة، وإنما مدينة تضم عدة قري، ومحال فيها تتبعها[١١] .

ويستمر الجغرافيون و المؤرخون في الإشارة إلي أن مدينة طحا وموقعها تفصيليا، ومن بين هؤلاء ابن حوقل في كتابه صورة الأرض في القرن العاشر الميلادي/الرابع الهجري، فذكر – في إيضاح ما يوجد في القسم الأول من صورة الأرض من الأسماء والنصوص أن طحا تقع بالصعيد علي الجانب الغربي للنيل المقابل للشرقي، كما أشار إلى أن طول أرض مصر من

---

10 الكورة هي حسب تعريف معجم المعاني البُقعةُ التي يجتمع فيها قُرى وَمَحَالٌّ وجمعها كور وتطلق علي الْمَدِينَةُ وَكُلُّ بُقْعَةٍ تَجْتَمِعُ فِيهَا الْمَسَاكِنُ وَالقُرَى ، كَمَا تُطْلَقُ عَلَى الْمُقَاطَعَةِ الرِّيفِيَّةِ انظر : https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

(11) كانت الوحدة الإدارية السياسية قائمة في عصر البطالمة فالرومان علي النوم Nome وهي كلمة يونانية أطلقت للدلالة على الكلمة المصرية هسبو Hespo ومعناها القسم وليس لهذه الوحدة من مشابه في عصرنا الحاضر؛ لأنها تدل على وحدة إدارية أصغر من مساحة المديرية وأكبر من مساحة المركز وينقسم النوم إلى عدة قري يطلقون علي الوحدة منها كلمة كوما Coma وكان يشرف على إدارة النوم حاكم يعرف بالنومارك يجمع الضرائب ويشرف على الإدارة العامة ويعاونه في ذلك قضاة وموظفون وكتبة. ولما جاء العرب أطلقوا كلمة كورة على النوم، وكانت الكورة تكبر وتصغر بحسب ظروف الزمان والمكان وتفاوت الحضارة والعمران ورغبة الحكومة القائمة بالأمر أو حكام الأقاليم في إنشاء أو إلغاء كل أو بعض الأقسام الإدارية والسياسية لأغراض خاصة أو عامة وكانت مصر مقسمة إلى ثمانين كورة قبل حكم الدولة الفاطمية وفي صدرها ولاعتبارات رآها الخليفة الفاطمي المستنصر قسم القطر إلي ٢٣ كورة كبيرة تشمل الثمانين كورة الصغيرة، وهي التي أسمتها حكومة المماليك عملا فيما بعد ويرادف كلمة كورة في عصرنا الحالي كلمة مركز وهي كلمة قديمة مستعملة من القرن التاسع الهجري بمعني دار الشرطة أو نقطة البوليس كما هو الحال الآن . وكان لكل عمل مدينة تعتبر قاعدة له، وكانت كل كورة تشمل عددًا من القري، وكل قرية معتبرة وحدة مالية وإدارية معا، للتفاصيل عن ذلك انظر: المقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) تقي الدين أبو العباس أحمد: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، ج٢، مكتبة مدبولي القاهرة ١٩٩٨ ص١٦١ ؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلي سنة ١٩٤٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤، القسم الثاني ص ٢٨ وما بعدها.

أسوان إلى بحر الروم (البحر المتوسط) نحو عشرين مرحلة، ومن هذه المراحل ذكر، ومن الأشمونين إلى طحا بريدان في الحاجر، ومن طحا إلى مصر عشرة أبرد [١٢]"، ومعني هذا أن ابن حوقل يتحدث عن مكانها التفصيلي بالمسافات والحسابات البريدية آنذاك [١٣].

ونجد البغدادي[١٤] في القرن الرابع عشر الميلادي /الثامن الهجري يتحدث عن طحا في كتابه مراصد الاطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع، فيقول: " طحا بالفتح، والقصر : كورة بمصر، شمالي الصعيد غربي النيل[١٥] "، و يتحدث ابن خرداذبة في كتابه المسالك والممالك،

([12]) ابن حوقل (ت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/القرن العاشر الميلادي) أبو القاسم بن محمد بن حوقل النصيبي : كتاب صورة الأرض، -قسمان في مجلد واحد- مكتبة دار الحياة، بيروت ١٩٩٢ ، ص ١٣٦ .

([13]) كانت عمارة مصر يومئذ عمارتها متصلة أربعين فرسخا في مثلها، والفرسخ ثلاثة أميال والبريد أربعة فراسخ فتكون عشرة برداً في مثلها عن ذلك انظر المقريزي الخطط ج١ص ٢١٧. والبريد كلمة فارسية وجمعها برد ويقول ياقوت الحموي في معجم البلدان وأما البريد ففيه خلاف، وذهب قوم غلي أنه بالبادية اثنا عشر ميلا، وبالشام وخراسان ستة أميال. وقال أبو منصور: البريد الرسول، وإيراده إرساله، وقال بعض العرب : الحمي بريد الموت أي أنها رسول الموت تنذر به، والسفر، الذي يجوز فيه قصر الصلاة أربعة برد، ثمانية وأربعون ميلا بالأميال الهاشمية التي في طريق مكة، وقيل لدابة البريد بريد، لسيرها في البريد ويذكر ابن جبير في رحلته حين زار مدن صعيد مصر، فذكر أن بين قوص وقنا نحو البريد وبين أسوان و قوص ثمانية برد للتفاصيل انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١ ص ٣٥؛ ابن جبير: (ت٦١٤هـ/١٢١٥م) أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني، الأندلسي، الشاطبي البلنسي: رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروف برحلة ابن جبير، إشراف لجنة تحقيق التراث، دار مكتبة الهلال بيروت د.ت. ص٤٠. ؛ وانظر كذلك : http://islamport.com/w/hnb/Web/1741/1254.htm

(14) عالم بغداد صفي الدين عبد المؤمن بن الخطيب عبد الحق بن عبد الله بن علي بن مسعود البغدادي الحنبلي الإمام المتقن ولد في ٧ جمادي الآخرة ٦٥٨هـ ببغداد، اختصر معجم البلدان لياقوت وتوفي سنة ٧٣٩هـ، انظر: البغدادي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق: مراصد الاطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع (المقدمة) تحقيق : علي محمد البجاوي، ج ٢، القاهرة ١٩٥٤، ص دوهـ .

(15) البغدادي: مراصد الاطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع ، ج ٢، ص ٨٨٠ .

فأشار بقوله " كورة طحا [١٦]" في معرض حديثة عن كور مصر، وهذا يدل علي أنها لم تكن قرية بل تتبعها مجموعة من القرى وهي بهذا تعتبر مدينة كبيرة [١٧] .

أما أبو الفداء [١٨] في القرن الرابع عشر الميلادي / السابع الهجري في مصنفه تقويم البلدان الذي يختلف عن غالبية المؤرخين والجغرافيين السابقين له في قوله أن طحا قرية بصعيد مصر علي عكس غالبية سابقيه الذين أشاروا غلي أنها كورة يتبعها قري ومدينة كبيرة، فيذكر أبو الفداء عن طحا أنها من صعيد طحا بقرب أسيوط، وهي قرية خرج منها الطحاوي الفقيه الحنفي المشهور [١٩].

---

(16)ابن خرداذبه (ت في حدود ٣٠٠هـ/٩٠٠م) أبو القاسم عبيد الله ابن عبد الله بن خرداذبه: المسالك والممالك، ليدن١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩. ص ٨٢ .

(17) القرية والبلدة والناحية كلمات مترادفة مستعملة في مصر من الفتح العربي الأول وكلمة كفر استعملت دلالة على القرية الصغيرة من عهد الفاطميين والأيوبيين، وكلمة نجع ونزلة من توابع القرية معرفة منذ زمن العثمانيين وكلمة أبعاديه وعزبة وقصر ومنشأة عرفت منذ زمن محمد علي إلى اليوم للتفاصيل انظر: محمد رمزي: القاموس الجغرافي، القسم الأول، ص٥ .

(18) أبو الفداء (٦٧٢ – ٧٣٢ هـ / ١٢٧٣ – ١٣٣١ م) هو: إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ويطلق عليه ملك أو صاحب حماة في سوريا، عماد الدين، الملك العالم، الملك المؤيد، مؤرخ جغرافي، قرأ التاريخ والأدب وأصول الدين، واطلع على كتب كثيرة في الفلسفة والطب، وعلم الهيأة ونظم الشعر وليس بشاعر – وأجاد الموشحات وعن مؤلفاته لقد كان أبو الفداء رجلاً متكاملاً كان جامعاً لأشتات العلوم وقد صنف في كل علم تصنيفاً أو تصانيف ومن هذا خَلَفَ للمكتبة العربية بخاصة والإنسانية بعامة ١٢ كتاب طبع منها ٣ نالت شهرة عالمية كبيرة وهي كتاب المختصر في أخبار البشر في التاريخ والمعروف بكتاب تاريخ أبي الفداء كتاب تقويم البلدان في الجغرافيا طبع عدة طبعات في أوروبا وسمي جغرافيا أبا الفداء. للتفاصيل **انظر**: https://ar.wikipedia.org/wiki

(19) أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ /١٣٣٢م) عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء صاحب حماه: تقويم البلدان، دار صادر بيروت ١٨٥٠ م، ص ١٠٥ .

أما ابن دقماق[٢٠] في كتابة الانتصار لواسطة عقد الأمصار؛ أشار إلي طحا عندما تحدث عن كور الوجه القبلي أو الصعيد، فذكر أن: "طحا إحدى كور الصعيد التي تبلغ اثنا وعشرين كورة أولها كورة أوسيم وآخرها كورة أسوان، وقال أن: "كورة طحا تقع جنوبي كورة الأشمونين وأنصنا[٢١]"، كما يشير في موضع آخر إلي أن "طحا المدينة عبرتها[٢٢] ثلاثة عشر ألف دينار مساحتها أربعة آلاف وسبعمائة وثلاثة وتسعون فدانا [٢٣]، وذلك يشير إلى أن للمدينة قيمة اقتصادية كبيرة ومساحتها شاسعة .

---

(20) ابن دُقْماق (٧٥٠ – ٨٠٩ هـ = ١٣٤٩ – ١٤٠٧ م هو صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي القاهري الملقب بابن دقماق مؤرخ الديار المصرية في وقته .كتب نحو مئتي سفر في التاريخ، من تأليفه ومنقوله. وكان معروفًا بالإنصاف في تواريخه، موصوفًا بحسن العشرة والميل إلى الفكاهة والبعد عن الوقيعة في الناس، كاتبًا مجيدًا، عارفا بالأدب والفقه، غزير الاطلاع، غير أنه كان قليل الإحاطة بالعربية فربما= =وقع له شيء من اللحن في كتابته .من تصانيفه: نظم الجمان وفي طبقات الحنفية، ثلاثة مجلدات. ونزهة الأنام في تاريخ الإسلام والانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر (طبع منه جزآن: الرابع والخامس و الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والسلاطين انتهى فيه إلى حوادث سنة ٧٩٧ هـ وترجمان الزمان في تراجم الأعيان – الجزء الثالث عشر منه، بخطه .وولي في آخر عمره إمرة دمياط، فأقام فيها قليلا فلم تطب له فعاد إلى القاهرة فتوفي فيها انظر: الزركلي (خير الدين) الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج١ دار العلم للملايين، ط١٥، بيروت ٢٠٠٢م: الأعلام ج١، ص ٦٤؛ http://shamela.ws/index.php/author/2761 .

(21) ابن دقماق (ت٨٠٩هـ/١٤٠٧م) صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر بن دقماق القاهري: الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، القسم الأول، مطبعة المكتب التجاري بيروت ١٨٩٣، ص١٢٨.

(22) العبرة: المتاع والدراهم نظركم وزنها وما هي انظر: إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط ص ٥٨٠.

(23) ابن دقماق : المصدر السابق، القسم الثاني، ص ٢٠ .

ونستشف من حديث ابن دقماق أن مدينة طحا مدينة كبيرة تضم عديد من القري وأن مساحتها كبيرة ومتاعها ودراهمها كثيرة في الخراج المقدر عليها بثلاثة عشر ألف دينار، وهذا يبين لنا مدى أهميتها ودورها الاقتصادي والمالي في ذلك الوقت [٢٤].

وعن طحا تحدث الوزير الأسعد ابن مماتي[٢٥] – المتوفي سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م، فأشار في كتابه قوانين الدواوين أن: " مدينة طحا وكفورها تتبع الأشمونين" [٢٦] .

---

(24) كانت أرض مصر منذ الفتح العربي الأول إلي ان حكم مصر محمد علي أرضًا خراجي أي ملكًا صريحًا لبيت المال او للسلطان أو للحكومة القائمة، وكان الملتزمون أو المقطعون يدفعون ما عليها من المال خراجًا سنويًّا ما عدا الوقف والكروم والبساتين، فقد كانت معفاة من الخراج نوعًا ما، وكانت الأرض تعطي للمقطعين أو الملتزمين يأخذونها هبة أو بالمزاد العلني ويدفعون ما عليها من الضريبة والخراج وليس لهم حق الملك بحال من الأحوال، فلما تولي محمد علي أبطل الإقطاع والالتزام سنة ١٢٢٨هـ /١٨١٣م ووزع أرض كل ناحية علي أهلها وقيد أطيان كل ناحية بأسماء واضع اليد عليها لدفع الضريبة العقارية دون التملك أو التصرف فيها، وسميت هذه الأرض بالأراضي الخراجية ولقد استمرت الأرض الخراجية ملكا صريحا للدولة حتي أواخر عهد إسماعيل للتفاصيل انظر: محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥، القسم الأول، ص ١٧.

(25) الأسعد بن مماتي (٥٤٤ – ٦٠٦هـ/١١٤٩–١٢٠٩م (أسعد (أبو المكارم) بن مهذب (الملقب بالخطير أبي سعيد) بن مينا بن زكريا، ابن مماتي: وزير أديب. كان ناظر الدواوين في الديار المصرية. مولده بمصر ووفاته بحلب. وكان نصرانيًّا، فأسلم هو وجماعته في ابتداء الدولة الصلاحية. قال القفطي: من أقباط مصر في عصرنا، وكان جده جوهريًّا، يصبغ البلور صبغة الياقوت فلا يعرفه إلا الخبير بالجواهر. له (قوانين الدواوين – ط) و (نظم سيرة السلطان صلاح الدين) و (نظم كليلة ودمنة) و (ديوان شعر) و (الفاشوش في أحكام قراقوش –ط) وهو ينسب إلى السيوطي، خطأ، و (لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة – خ) [ثم طُبع] استخلصه من ذخيرة ابن بسام، في خزانة ولي الدين بإسطنبول، الرقم ٢٦٣٦ انظر : الزركلي : الأعلام ج١، ص ٣٠٢.

(26) ابن مماتي (ت٦١٠هـ/ ١٢١١م) أبو المكارم الأسعد بن المُهذَّب أو ابن الخَطيرين مينا بن زكريا بن مَمّاتي: قوانين الدواوين، تحقيق : عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة ١٩٩١، ص ١٦٣ .

وقد أوضح المقريزي[٢٧] في خططه أن: "كورة طحا تضم سبع وثلاثين قرية[٢٨]" كما ذكر: أن طحا مدينة عظيمة بالوجه القبلي بصعيد مصر، وأنها إحدى كور الصعيد الثماني والعشرين[٢٩]. وهذا ينم عن اتساع نطاق طحا من ناحية وكثرة عدد القري التابعة لها من ناحية أخرى.

ويذكر المقدسي[٣٠]؛ أن طحا مدينة تتبع أسوان قصبة الصعيد[٣١]، وبالتالي يختلف المقدسي عن الإدريسي وعن ابن حوقل وعن المقريزي في أنه أشار إلى تبعيتها لأسوان قصبة

---

(27)المَقْرِيزي (٧٦٦ – ٨٤٥هـ/ ١٣٦٥ – ١٤٤١م (أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي .مؤرخ الديار المصرية. أصله من بعلبكّ، ونسبته إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبكّ في أيامه • ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات • واتصل بالملك الظاهر برقوق، فدخل دمشق مع ولده الناصر سنة ٨١٠ هـ وعرض عليه قضاؤها فأبى. وعاد إلى مصر .من تآليفه :كتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار – ط) ويعرف بخطط المقريزي السلوك= =في معرفة دول الملوك – خ) طبع منه الأول وبعض الثاني) تاريخ الأقباط – ط، وغيرها الكثير . للتفاصيل انظر: الزركلي : الأعلام، ج١، ص ١٧٧–١٧٨.

(28) المقريزي : الخطط ، ج١ ص ٢١٢ .

(29) نفسه : ج١، ص ٢١٤ .

(30) المقدسي (٣٣٦ – نحو ٣٨٠ هـ = ٩٤٧ – نحو ٩٩٠ م هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء ، المقدسي ويقال له البشاري، شمس الدين، أبو عبد الله: رحالة جغرافي، ولد في القدس .وتعاطى التجارة، فتجشم أسفارًا هيأت له المعرفة بغوامض أحوال البلاد، ثم انقطع إلى تتبع ذلك، فطاف أكثر بلاد الإسلام، وصنف كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم – ط» قال المستشرق غلد ميستر Gildmeister] [امتاز المقدسي عن سائر علماء البلدان بكثرة ملاحظاته وسعة نظره .وقال سبر نغر [Sprenger] لم يتجول سائح في البلاد كما تجول المقدسي، ولم ينتبه أحد أو يحسن ترتيب ما علم به مثله للتفاصيل **انظر** :
https://shamela.ws/index.php/author/760

(31) المقدسي: (ت ٣٣٨هـ/٩٩٨م) شمس الدين أبو عبد الله المعروف بالبشاري: "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" ج١،ليدن ١٣٣٤هـ/١٩٠٦م .، ص ٥٢.

الصعيد [٣٢]، والتي يقول عنها – أي عن أسوان – الاصطخري[٣٣] في كتابه المسالك والممالك "أنها أكبر مدن الصعيد[٣٤]". وأشار أبو الفداء صاحب حَماه في كتابه تقويم البلدان إلي طحا بقوله: "طحا من صعيد مصر بقرب أسيوط، وخرج منها الطحاوي الفقيه الحنفي المشهور" [٣٥].

ولم ينس القلقشندي[٣٦] في صبح الأعشى أن يشير إلى أن:

---

(32) القصبة بحسب تعريف معجم المعاني من البلاد: مَدِينتُها انظر:

https://www.almaany.com/ar/dict/ar

(33) يعد أبو القاسم إبراهيم محمد الكرخي الذي ولد سنة ٨٥٠هـ وتوفي سنة ٧٥٩هـ من رواد علماء البلدان والجغرافيا وهو عالم مسلم نشأ في اصطخر ونسب إليها وألف كتاب صورة الأقاليم، وذكر اسمه في كشف الظنون بأبي زيد محمد بن سهل البلخي وله كتاب مسالك الممالك، ويعتبر أول من كتب في هذا العلم وفيه يذكر الأصطخرى أقاليم الأرض وممالكها إجمالا، ثم يعرج قدما على ذكر بلاد الإسلام مفصلة ويقسم المعمور من الأرض عشرين إقليما ثم يذكر كل إقليم منها بما اشتمل عليه من المدن والبقاع والبحار والأنهار نقل عنه= =ياقوت في مؤلفه معجم البلدان. عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي). خرج سنة ٩٥١ م يطوف البلاد مبتدئا من بلاد العرب إلى الهند ثم إلى سواحل المحيط الأطلنطي في رحلاته لقي نفراً من العلماء في الحقول المختلفة. لم تكن مصادر علم البلاد الذي عرف فيما بعد بعلم الجغرافيا موفورة في عصره، فكان بذلك أول جغرافي عربي صنّف في هذا الباب، إمّا عن مشاهدة فعلية وإمّا نقلاً عن كتاب بطليموس وقد نقلت مؤلفاته إلى عدة لغات وتمّ طبعها عدة مرات للتفاصيل انظر:
الزركلي (خير الدين) الاعلام ، ج١، ص ٦١؛

https://ar.wikipedia.org/wiki.

(34) الاصطخري (ت في القرن الرابع الهجري/القرن العاشر الميلادي) أبو القاسم إبراهيم محمد الكرخي: "المسالك والممالك أو مسالك الممالك" –تحقيق : محمد جابر عبد العال –القاهرة ١٩٦١ . ص ٢٦ .

(35) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ١٠٥.

(36) القلقشندي (٧٥٦ – ٨٢١ هـ/ ١٣٥٥ – ١٤١٨م (أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري: المؤرخ الأديب البحاثة .ولد في قلقشندة (من قرى القليوبية، بقرب القاهرة، سماها ياقوت قرقشندة) ونشأ وناب في الحكم وتوفي في القاهرة وهو من دار علم، وفي أبنائه وأجداده علماء أجلاء .أفضل تصانيفه (صبح الأعشى في قوانين الإنشا – ط) أربعة عشر مجلدا، في فنون كثيرة من التاريخ والأدب ووصف البلدان والممالك، وله (حلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم – خ) و (قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان – ط) و (ضوء الصبح المسفر – ظ) مختصر صبح الأعشى، و (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب .للتفاصيل انظر: الزركلي: الأعلام ج١، ص ١٧٧.

"طحا في صعيد مصر [٣٧]. وأنه يشمل عشرين كورة منها كورة طحا وحيز شنودة. أما طحا فبفتح الطاء والحاء المهملتين وألف في الآخر، كانت في القديم مدينة ذات عمل، ولذلك تعرف بطحا المدينة، وهي الآن من عمل الأشمونين الآتي ذكرها في الكلام علي الأعمال المستقرة، وإليها ينسب أبو جعفر الطحاوي إمام الحنفية ومحدثهم وأما حيز شنودة، فمن الأسماء التي درست ولم تعلم حقيقتها [٣٨].

ونستنتج من خلال حديث القلقشندي أن طحا مدينة ذات قري عديدة تتبعها وأنها تتبع الأشمونين والدليل علي ذلك ما ذكره من أن طحا المدينة والأشمونيين هي العمل الخامس من أعمال الصعيد التسعة، فيقول: "العمل الخامس – عمل الأشمونين والطحاوية. وهو عمل واسع كثير الزرع، واسع الفضاء متقارب القري ومقر الولاية به (مدينة الأشمونين) بضم الألف وسكون الشين المعجمة وضم الميم وسكون الواو وفي الآخر نون[٣٩]. وكان هذا العمل الاشمونين وطحا عملين أحدهما عمل الأشمونين هذا والثاني عمل طحا المدينة (بفتح الطاء والحاء المهملتين وألف في الأخر وقد تقدم ذكرها في الأعمال القديمة، ثم أضيفا وجعلا عملا واحدا[٤٠] .

وهكذا تتفق وتتطابق غالبية آراء الجغرافيين والمؤرخين الذين تناولوا طحا في موقع طحا من أنها في صعيد مصر وعبارة عن كورة ومدينة كبيرة يتبعها عدة قري ومساحتها كبيرة، كما اتفقوا على عظم أهميتها وقيمتها الاقتصادية والجغرافية، واتفق بعضهم في تبعيتها للأشمونين بينما اختلف عنهم أبو الفداء في ذكره أنها قرية كما سبقت الإشارة.

---

(37) يقول القلقشندي: "أعلي الأرض وهو الصعيد والمراد ما هو جنوبي الفسطاط إلي نهايته في الجنوب، وسمي صعيدا؛ لأن أرضه كلما ولجت في الجنوب، أخذت في الصعود والارتفاع" انظر: القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء " – ج ٣ – القاهرة ١٩١٣–١٩٢٠م/١٣٣١–١٣٣٨م)، ص ٣٨٠.

(38) القلقشندي: صبح الأعشي في صناعة الإنشا ج ٣، ص ٣٨١ .

(39) القلقشندي:نفس المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٩٩ .

(40) نفسه ج٣، ص ٣٩٩ .

أهميتها الدينية:

وعن أهمية طحا الدينية ؛ فكانت عاصمة لإقليم واسع ومقرًا لكرسي أسقفي شهير استمر للقرن الخامس عشر الميلادي وذكر المقريزي بأن طحا كان يتبعها ٣٧ قرية [٤١]. ويقول أبو المكارم [٤٢] في كتابه عن الكنائس والأديرة في القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري بالجزء الثاني " في القرن الثاني عشر الميلادي /السادس الهجري أن " طحا المدينة كان بها في القدم خمسة عشر ألف نصراني ولم يكن بها حنفيًّا ولا يهوديًّا وكان بها ثلثمائة وستون بيعة ولما كان زمن خلافة مروان الجعدي (مروان بن محمد) وهو آخر خلفاء بني أمية أرسل إليها مود

---

(41) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٢١٢؛ أبو المكارم (ت١٢٠٩م/٦٠٩هـ) سعد الله بن جرجس بن مسعود: تاريخ الكنائس والاديرة في بالوجه القبلي في القرن الثاني عشر الميلادي تاريخ الكنائس والأديرة في مصر، ما كتبه الأجانب المؤرخون عن الكنائس والأديرة ج ٤، إعداد وتعليق صموئيل السرياني، القاهرة ١٩٩٩، ص ٩٢.

(42) أبو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود كان كاهناً في الكنيسة القبطية برتبه قمص ، عاش ما بين القرن الثاني عشر[والثالث عشر الميلاديين وتوفي ١٢٠٩م. من أشهر مؤلفاته كتاب "تاريخ الكنائس والأديرة" (حوالي ٨٩٣-٩٢٠ ش/١١١٧-١٢٠٤م) نشره لأول مرة "بي. تي. أ. ايفتس (B. T. A. Evetts) " عام ١٨٩٥م مع تعليقات إضافية من ألفريد جوشو بتلر، ونسب خطأ إلى أبى صالح الأرمني لوجود اسمه مكتوبا على غلاف المخطوطة كمالك وليس مؤلفها لها، هذه المخطوطة موجودة الآن في المكتبة الوطنية بباريس وهي نفس المخطوطة التي اشتراها فانسليب بثلاثة قروش خلال رحلته في مصر عام ١٦٧٤م واكتشاف مخطوطات أخرى باسم المؤلف الحقيقي ساهم في تصحيح هذا الخطأ. يوجد حاليا نسختان فقط من مخطوطات الكتاب، الأولى الموجودة في باريس (Paris arabe 307) ومخطوطة ميونخ. (Munich ar. 2570). في عام ١٩٨٤ قام الراهب صموئيل السرياني من دير السريان بوادي النطرون بتحقيق ونشر الكتاب معتمداً على مخطوطة أعطاها له الأنبا يؤانس أسقف الغربية، هذا العمل طبع في= =أربعة أجزاء. ويعتبر كتاب "تاريخ الكنائس والأديرة من أهم المؤلفات عن الكنائس والأديرة القبطية في القرن الثالث عشر قيمة الكتاب تمتد لتشمل تاريخ هذه المؤسسات الدينية وكذا جغرافية مصر في العصور الوسطى، فبجانب ذكره لمصر وكنائسها المختلفة، يخصص المؤلف فصول عدة عن النوبة، الحبشة، أفريقيا، الهند، اليمن، وكذا خصص فصولا لسيناء، القدس، فلسطين، بلاد الرافدين ، أنطاكية ، القسطنطينية، أفسس، روما، وكورنثة معظم هذه الأجزاء الأخيرة غير موجودة في نسخة باريس لكنها موجودة في طبعة وادي النطرون. انظر : https://st-takla.org/Saints/Coptic-Orthodox-Saints-Biography/Coptic-Saints- ;https://ar.wikipedia.org/wikiStory_58.html

فأخرجوه منها ومنعوه أن يقيم بينهم، فعاد إلى مروان وأعلمه بما كان منهم فأنفذ لهم من جنده من قتل منهم جماعة كبيرة وشردهم وهدم الكنائس جميعها ولم يبق سوي كنيسة واحدة على اسم أبى مينا الشهيد – وهي كنيسة مار مينا الحالية(٤٣) – والتي استطاع أهل المدينة أن يدفعوا ثلثي المبلغ المفروض عليهم – وقرر على إبقاء هذه البيعة الواحدة ثلاثة ألاف دينار فجمع ألفى دينار من أحلفاء المدينة وبقي ألف جعل منها مسجدًا علي القيسارية (٤٤)"، (الآن سور من الطوب اللبن به مقام صغير سمى أبو النور).

ونستشف من هذا الحديث لأبي المكارم كثرة الكنائس بها غير أنه تم هدم الكثير من هذه الكنائس – عدا كنيسة مارمينا(٤٥) الحالية– من جهة وعدم قدرة الأهالي ورؤساءهم علي دفع المبلغ كله المفروض عليهم من قبل مروان بن محمد من جهة أخرى.

---

(43) الكنيسة الحالية بما فيها من مباني وأثاث تعود للقرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، وتتكون من ثلاثة هياكل متساوية وصحن يتوسطه أربعة أعمدة من المباني وعمودان من الرخام بتيجان أثرية في الغرب،والقباب تغطي الهيكل الأوسط والجزء البحري الشرقي من الصحن . في الركن الغربي البحري من الصحن يوجد مغطس كبير ٢.٦٠x٢.٦٠ متر ذو فصوص دائرية، ويوجد بالكنيسة كثير من الأيقونات والمخطوطات الأثرية انظر: السرياني (الانبا صموئيل) وآخرون : الدليل إلي الكنائس والأديرة القديمة، دير الانبا بشاي سوهاج . د.ت ص ٣٣ .

(44) أبو المكارم (سعد الله بن جرجس بن مسعود): تاريخ الكنائس والأديرة في بالوجه القبلي في القرن الثاني عشر الميلادي، ج٢ ،إعداد وتعليق صموئيل السرياني القاهرة ١٩٩٩، ص ١٠١.

(45) مار: كلمة سريانية معناها " سيد " والمؤنث لها " مرت " (بضم الميم وسكون الراء أي: سيدة . أما " ماري " فتعني " سيدي " وانتقلت هذه الكلمات إلي الأقباط وانتشرت بينهم كلقب للشهداء والقديسين، كقولنا: مرت مريم، وماري مرقس، وماري جرجس وماري مينا . وفي التقليد السرياني، تطلق الكلمة أيضا علي البطاركة والأساقفة انظر: أثناسيوس المقاري : معجم المصطلحات الكنسية ج٣، ط٣، القاهرة ٢٠١٥، ص٩٨٩؛ يوسف سمير كامل: الوظائف والرتب والألقاب في الكنائس الشرقية " دراسة حالة عن كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية في العصور الوسطي أنموذجا ق٤-١٣م"، بحث منشور في حصاد ٢٤ ضمن مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب ديسمبر ٢٠١٦، ص ٢٥ حاشية ٣ .

ويذكر أبو المكارم كذلك "أن طحا المدينة من الأشمونين (بيعة) أي: كنيسة للسيدة العذري الطاهرة مرتمريم (مريم) وبيعة للملاك غبريال وبيعتين للشهيدين الجليلين المجاهدين مارجرجس ومرقوريوس وبيعة علي اسم القديس مرقس الإنجيلي وبيعة علي اسم الشهيد الجليل اصطفانوس رئيس الشمامسة[٤٦] "أنه من ضمن الكنائس التي تم هدمها كنيستان باسم مريم العذراء وكنيسة للملاك غبريال وكنيستان باسم مارجرجس والشهيد مرقوريوس أبى سيفين وكنيسة باسم مار مرقص وكنيسة باسم الشهيد اسطفانوس بالإضافة إلى كنيسة ما رمينا الحالية، كما أكد حقيقة هدم ٣٦٠ كنيسة والتي من المحتمل أن تكون عدد كنائس إيبارشية طحا؛ لأنه من المستبعد أن يكون هذا العدد في مدينة واحدة. ومعني كلام أبى المكارم أنها كانت بها كنائس عديدة وأنها إيبارشية تضم كنائس عديدة [٤٧].

كما جاء في دليل المتحف القبطي أن طحا الأعمدة (المدينة) مركز سمالوط المنيا أنها كانت مقرًا لإيبارشية قديمة وأن بها ثلاثمائة وستون كنيسة [٤٨] وهذا يدل على أنها كانت تتبعها كنائس كثيرة [٤٩].

---

(46) أبو المكارم (سعد الله بن جرجس بن مسعود) : تاريخ الكنائس والاديرة في بالوجه القبلي في القرن الثاني عشر الميلادي، ج٢ ، ص ٩٦ .

(47) إيبارشية: النطق اليوناني للكلمة هو إيبارشيا Parish ، ومعناها حكومة مقاطعة أو إقليم أو مدينة (عدا العاصمة) وهي مقر الأسقف الرئيس الديني لتلك المقاطعة أو الإقليم أو المدينة، ولكنه ليس أسقف المدينة العاصمة وهي كلمة تطلق على المنطقة التي يرعى شعبها أسقف ويساعده الكهنة و الشمامسة) مكان خدمة الأسقف للتفاصيل انظر: أثناسيوس المقاري : معجم المصطلحات الكنسية، ج ١، ط٣، القاهرة ٢٠١١ ص ١٦٨-١٦٩ ؛ مصطفي عبد الكريم الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦، ص ١٥ . ؛
https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual-Taks-Al-Kanisa/Dictionary-of-Coptic-Ritual-Terms/1-Coptic-Terminology_Alef/Ebarsheya__Parish.html.

(48) مرقس سميكة باشا: دليل المتحف القبطي وأهم الكنائس والأديرة الأثرية ج٢، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٣٢، ص ٢٦٧ .

(49) من قديسين مدينة طحا العمودين الانبا يؤانس الطحاوي البابا يؤانس الرابع عشر الذي عاش أواخر العصر العثماني أيام مراد بك وإبراهيم بك زمن المعلم إبراهيم الجوهري وجرجس الجوهري أخوه . انظر: ايريس حبيب المصري: تاريخ الكنيسة القبطية (١٥١٧-١٨٧٠م)، الكتاب الرابع القاهرة ١٩٩٢، ص ١٨ .

ويذكر علي باشا مبارك في الخطط التوفيقية في الجزء الثالث عشر أن طحا العمودين ويقال لها طحا الأعمدة، وهي بلدة كانت قديما من مدن الأقاليم القبلية متوسطة بين البحر الأعظم واليوسفي، وتُذكر كثيرًا في كتب القبط وفي بعضها سميت كليوت وزيوبوليس، وفي بعضها كانت تسمي طوحو، وجعلت في أحد دفاتر التعداد من بلاد البهنسا، وفي آخر من بلاد الأشمونين وهي غير مدينة طوه من أقاليم الأشمونين أيضًا، وقال أبو صلاح ويقصد (أبو صالح): كان سكان طحا في صدر الإسلام خمسة عشر ألف نفس كلهم نصاري ليس فيهم مسلم ولا يهودي وكانت تحتوي علي ثلثمائة وستين كنيسة وهدمت في خلافة مروان ابن محمد أحد خلفاء بني أمية، فإنه أرسل من طرفه عاملا لجمع الخراج فطرده الأهالي، ولم يدعوه يقيم عندهم فرجع إلى الخليفة وقص عليه ما صار من أهالي طحا فغضب، وأرسل أحد أمرائه إليها فقتل ونفي كثيرا من أهلها وهدم جميع الكنائس إلا كنيسة ماري منية (مار مينا) كان أهلها عاقدوه أن يدفعوا له نظير بقائها ثلاثة آلاف دينار، ثم دفعوا له منها ألفين وعجزوا عن الباقي، فجعل ثلثها مسجدًا مشرفًا علي السوق، وفي تاريخ البطاركة أنه كان بجوار طحا دير في محل يسمي برجواس، فنهب العرب ما فيه وخربوه، وذكر المقريزي أن بناحية طحا كنيسة علي اسم الحواريين الذين يقال لهم الرسل وكنيسة باسم مريم العذراء، وقال ابن حوقل كان فيها عدة أنوال لنسج الأقمشة وأسقفية وهي الآن قرية واقعة على فلول البلد القديمة بها جامعان بمنارتين وزاوية وفي جهتها الشرقية كنيسة للأقباط ومنها نصاري نحو الربع وحولها نخيل قليل وسوقها كل يوم اثنين وأطيانها نحو أربعة آلاف فدان وهي من أعمال المنية، وإليها ينسب كما في ابن خلكان الإمام أبو جعفر بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي[٥٠] الفقيه الحنفي انتهت اليه رياسة أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه بمصر، وكان شافعي المذهب[٥١] .

---

(50) الطحاوي، أبو جعفر (٢٣٨ – ٣٢١هـ، ٨٥٢ – ٩٣٣ م) هو: أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي. من طحا، قرية بصعيد مصر. محدِّث، فقيه مشهور بمؤلفه العقيدة الطحاوية. درس فقه الشافعية على خاله المزني، صاحب الإمام الشافعي. ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة فتفقه على الفقيه الحنفي أحمد بن أبي عمران. رحل إلى الشام، فسمع الحديث ببيت المقدس وغزة وعسقلان ودمشق، =

أهميتها الاقتصادية:

اشتهرت مصر منذ العصر الفرعوني بمنسوجاتها وما وجد في المقابر الملكية من نسيج موشي، وما صور على جدران المقابر من أنوال وأعمال نسيج يدل على مدى الاهتمام، وكانت الخامة الرئيسة هي الكتان يليها في الأهمية الصوف(٥٢)، وذكر هيرودوت أن المصريين يلبسون ثيابًا من الكتان من حول الساقين يسمونها كلاسيرس،ويلبسون فوقها معاطف من الصوف

= وفيها تفقه على أبي حازم عبد الحميد بن عبد العزيز. ثم عاد إلى مصر. انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر. روى عن يونس بن عبد الأعلى، وهارون ابن سعيد الأيلي، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، وإبراهيم بن أبي داود الضريس، وغيرهم. روى عنه ابنه علي، وسليمان بن أحمد الطبراني، وأبو الحسين محمد بن المظفر، ويوسف بن القاسم الميانجي، وأحمد بن عبد الوارث الزجاج، وعبد العزيز بن محمد الجوهري وغيرهم. مصنفاته كثيرة، منها: شرح معاني الآثار؛ مشكل الآثار؛ اختلاف الفقهاء؛ المختصر في الفقه؛ والعقيدة وهي مشهورة باسم العقيدة الطحاوية؛ أحكام القرآن؛ الوصايا؛ المحاضر والسجلات وغيرها. دفن بمصر.انظر : الزركلي : الأعلام، ج١، ص٢٠٦.

(51) علي مبارك باشا: من الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة (الخطط التوفيقية) ج١٣، ط١، القاهرة ١٨٨٨، ص ٢٩-٣١ .

(52) قال النويري (٦٧٧- ٧٣٣هـ/ ١٢٧٨- ١٣٣٣م- (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري: عالم بحاث غزير الاطلاع نسبته إلى نويرة (من قرى بني سويف بمصر) - : " وبها (بمصر) الثياب الصوف والأكسية المرعز العسلي وليس هي بالدنيا إلا بأرض مصر. وذكر بعض أهل مصر أن معاوية أمير المؤمنين لما كبر كان لا يدفأ، فأجمعوا علي أنه لا يدفئه إلا أكسية تعمل بمصر من صوفها المرعز العسلي غير المصبوغ، فعمل له منه أكسية فما احتاج منها إلا واحدة، واعلم أن الصوف المرعزي صنف وفراء الخرفان صنف واحد ولا يضم في التسمية فراء معمولة إلي فراء غير معمولة لبعد اختلافهما " ويفهم من حديث النويري مدي انتشا صناعة الثياب من الصوف من جهة وأهمية تلك الصناعة والأكسية ونوعية المادة الخام المستخدمة في صناعته من الفراء الخاص بالخراف من جهة أخرى انظر: النويري (ت بعد سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٢م) محمد بن قاسم بن محمد النويري الإسكندراني:" كتاب الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية "تحقيق: عزيز سوريال عطية من مخطوطة برلين وبانكي بور، ج ٣، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٧٠، ص ٣٤٧-٣٤٨ .

الأنيق، ولكنهم لا يلبسون الملابس الصوفية عند ذهابهم إلي المعابد، ولا يدفنون بها؛ لأن الدين يحرم ذلك وازداد الإقبال علي تصنيع الصوف في العصرين البيزنطي وكان يلي الكتان في الأهمية وكان الصوف يستخدم في الأردية والمعاطف وصنعت منه السجاجيد والستائر وصبغ الأرجواني والكحل والأبيض، أما الزخارف فبألوان متعددة [٥٣].

واستمرارًا لصناعة الصوف المزدهرة في مصر عبر العصور، فقد كان لموقع مدينة طحا أهمية كبيرة في جعلها مركزًا لصناعة الصوف، وكان بها نهضة حضارية واقتصادية كبيرة، فيقول عنها اليعقوبي[٥٤] "ومدينة طحا، وبها القمح الموصوف، والكيزان التي يسميها أهل مصر البواقيل[٥٥]. وهذا يوضح لنا أن المدينة لم تكن فقط مركزًا لصناعة الصوف أو المنسوجات فقط وإنما مركز زراعي متخصص للقمح والبواقيل.

---

(53) **زبيدة عطا:** الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية، القاهرة ١٩٩٤، ص ٩٤ ؛ وانظر كذلك : رأفت عبد الحميد وطارق منصور : مصر في العصر البيزنطي ٢٨٤– ٦٤١ القاهرة ٢٠٠١، ص ٢٩٠–٢٩١

(54) **اليعقوبي** (٠٠٠ – بعد ٢٩٢ هـ = ٠٠٠ – بعد ٩٠٥ م وهو: أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: مؤرخ جغرافي كثير الأسفار، من أهل بغداد .كان جده من موالي المنصور العباسي .رحل إلى المغرب وأقام مدة في أرمينية. ودخل الهند. وزار الأقطار العربية .وصنف كتبا جيدة منها (تاريخ اليعقوبي انتهى به إلى خلافة المعتمد على الله العباسي، وكتاب (البلدان و (أخبار الأمم السالفة) صغير، و (مشاكلة الناس لزمانهم – ط)) رسالة .واختلف المؤرخون في سنة وفاته، فقال ياقوت: سنة ٢٨٤ ونقل غيره ٢٨٢ وقيل ٢٧٨ أو بعدها، ورجحت أخيرا رواية ناشر الطبعة الثانية من التاريخ إذ وجد في كتاب البلدان (الصفحة ١٣١ طبعة النجف) أبياتا لليعقوبي نظمها ليلة عيد الفطر سنة ٢٩٢ هـ للتفاصيل انظر : الزركلي : الأعلام، ج١، ص ٩٥ .

(55) اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح : " كتاب البلدان " تحقيق محمد علي الضناوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان د.ت، ص ١٧٠.

– والبواقيل: كيزان يشرب منها أهل مصر علي حد قول القزويني انظر: القزويني (ت ٦٨٧هـ/١٢٨٣م) أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود القزويني : " آثار البلاد وأخبار العباد" –بيروت د.ت، ص ٢٦٦ .

ويقول الإدريسي عنها: "ومنها مدينة طحا وهي أسفل من مدينة الأشموني وهي مدينة مشهورة يعمل بها وفي طرزها [٥٦] ستور [٥٧] صوف وأكسية صوف منسوب إليها[٥٨]". كما ينوه المقدسي إلى أهميتها الاقتصادية ودورها الاقتصادي والحضاري بقوله: " طحا قرية بالصعيد يعمل بها ثياب الصوف الرفيعة. وهي مدينة مشهورة يعمل بها وفي طرزها ستور صوف و أكسية صوف منسوب إليها، وهذا يعني أنها مدينة ذائعة الصيت وذات أهمية اقتصادية، وموقعها جنوب مدينة الأشمونين، واشتهرت بصناعة طرز واكسية من الصوف انتشر في تلك الأنحاء [٥٩]، ويؤيد هذا الكلام ما جاء في موسوعة وصف مصر وهي عبارة عن لوحة رقم ١٧ وتمثل هذه اللوحة منظرًا داخليًّا لمشغل تطريز نري فيه كثير من الصبية عاكفين علي تطريز الورد الذي رسمه من قبل شيخهم .

---

(56) الطرز: الشكل أو النمط والجيد من كل شيء، وطرزه أي وشاه وزينه وزخرفه انظر: إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ص ٥٥٤؛ https://www.almaany.com/ar/dict/ar -ar

(57) الستور veils: جمع ستر والستر من ساتر وحجاب، وما يستتر به ويتغطى، وستر سترا أي أخفاه واستتر أي تغطي، والستر في الكنيسة القبطية يعني الستر المدلى علي باب الهيكل والستر الحريري الذي يغطي القرابين في نهاية طقس تقديم الحمل والستر الذي كان يعلق علي أعمدة القبة التي تعلو المذبح، انظر: إبراهيم أنيس وآخرون : المعجم الوسيط، ص ٤١٦ ؛ أثناسيوس المقاري : معجم المصطلحات الكنسية، ج٢، ط٢، القاهرة ٢٠٠٥، ص ١٨٤ ؛

https://www.almaany.com/ar/dict/ar-

(58) الأدريسي : نزهة المشتاق ج١، ص ١٢٥ .

(59) كانت من أعظم مدن الصعيد، يقال إنها من بناء أشمون بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، وهي من المدن المصرية القديمة ذكرها جوتييه في قاموسه عدة أسماء قال: إن اسمها الديني Hat Khmounou أو Khmounom وكانت هي المركز العام لديانة الإله توت، المسمي خمنو، ومن اسم هذا الإله، سميت المدينة بالقبطي Chmoun ومنه اسمها العربي شمون وكانت قاعدة لقسم أونو في زمن الفراعنة وكانت قاعدة القسم الخامس عشر بالوجه القبلي، في زمن الرومان ثم قاعدة لكورة الأشمونين في عهد العرب ثم قاعدة لأعمال الأشمونين من أيام الدولة الأيوبية إلي آخر أيام دولة الجراكسة. "، ثم قاعدة لولاية الأشمونين في العهد العثماني وكانت تتبع مديرية أسيوط فيما سبق ثم حاليا تتبع محافظة المنيا. للتفاصيل، انظر : المقريزي : الخطط المقريزية ج١ ص ٦٦٤ ؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، القسم الثاني، ص ٥٩ وما بعدها .

وفن التطريز بالغ الإصالة عند المصريين، فهو يضرب بجذوره في أعماق بلادهم، وهم يكادون يطرزون كافة الأقمشة والمنسوجات، فيطرزون علي الجوخ والأقمشة الحريرية والمخدات والبسط والأرائك وعلي الموسيلين [٦٠] لصنع الأحزمة والمناديل التي اعتاد بعضهم علي تقديمها كهدايا عند الزيارات، ويسترعي النظر هذا النوع من التطريز، الذي تضاف إليه – في بعض، الأحيان – أجزاء مذهبة ومفضضة (من حيث الشكل)؛ وذلك لأنه لا يترك أثرًا مطلقًا في ظهر المشغولات؛ ولأن الرسم من كلا الوجهين يتماثل بشكل تام. ويطرز المصريون كذلك على الجلود باقتدار تام، ولا يتم هذا النوع من التطريز قط عن طريق خيط من الحرير تحتذيه شذرات الفضة، كما هو الحال في أوروبا، وإنما يتم بواسطة خيوط دائرية من فضة مذهبة بالغة النعومة والرقة، مما يجعل هذا الضرب من التطريز أكثر دواما وأشد بريقًا. ولكي يعطي المصريون تطريزهم هذا شيئا من بروز، فإنهم يخططون رسومهم عن طريق جلد أصفر مقطوع (بارز) يلصق فوق القماش .

ويطلق اسم توبورجية علي الذين يطرزون فوق الجلود العادية، وكذلك فوق القطيفة، سواء تم ذلك بالذهب أو بالفضة وينظر إلي هؤلاء باعتبارهم أكثر مهارة بين كل رفاقهم في مدينة القاهرة [٦١] .

ونستنتج من هذا مدي قدم صناعة التطريز أو مهنة التطريز ودقة ومهارة المصريين وبراعتهم فيها وتنوع طرق وضروب التطريز علي كافة المواد من جلود وأقمشة وغيرها وبالطبع هذه المهنة التي حذقها المصريون قد راعت انتباه الإدريسي وغيره حينما تحدثوا عن قري وكور ومدن مصر عندما مروا بها .

---

(60) الموسيلين شاش أو نسيج رقيق وكذلك نسيج قطني انظر معجم المعاني في :
https://www.almaany.com/ar/dic t/ar-en/muslin/

(61) علماء الحملة الفرنسية " موسوعة وصف مصر" ترجمة زهير الشايب اللوحات، دار الشايب للنشر، القاهرة ١٩٩٤، ص ٢٢١ .

كما يضيف المقدسي عنها أنها " بالصعيد يعمل بها ثياب الصوف الرفيعة، ومنها كان الإمام الفقيه أبو جعفر الأزدي [٦٢] "

وذكر المقريزي أن كورة طحا تتبع قسم الصعيد أحد قسمي مصر [٦٣]، وكانت طحا تتبع عمل الأشمونين و ومن أعمالها هي إحدى تسع أعمال تكون الوجه القبلي في الخراج في عهد دولة الناصر محمد بن قلاوون [٦٤] .

واحتلت مدينة طحا الأعمدة مكانة كبيرة مهمة في العصر المملوكي الجركسي حتي أصبح إقليم المنيا كله يسمي بها الأشمونين والطحاوية وهذا لم يكن معروفًا من قبل إذ لم تزد عن كونها كورة أو قرية تابعة لأعمال الأشمونين وأحيانًا تابعة لأعمال البهنسا. ويمكن أن يرجع السبب في هذه المكانة ما بلغته طحا الأعمدة من نهضة حضارية أو اقتصادية أو اجتماعية[٦٥] أو جميعها جعلها تحتل هذه المكانة في تلك الآونة. والسبب الآخر هو توسط طحا لإقليم مصر الوسطي أو الصعيد السفلي مما استلزم السيطرة عليها والعناية بها وتخصيص موظفين كبار للإقامة بها لأغراض الإدارة والدفاع وقهر المتمردين وقمع حركات العصيان [٦٦] .

ومما سبق يمكن القول أن طحا الأعمدة كانت مدينة ذات أهمية اقتصادية وحضارية لموقعها المنميز والمتوسط في صعيد مصر في عصري المماليك البحرية والمماليك الجراكسة وهذا ينم عن أن هذه المدينة لم تكن مدينة خامدة خاملة بل نشيطة بأهلها وسكانها لعبت دورًا حيويًّا في الحياة الاقتصادية في إقليم مصر الوسط آنذاك .

---

(62) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج١، ص ٥٤ .
(63) المقريزي: الخطط ج١ ص ٢١٤ .
(64) نفسه: ج١ ص ٢١٤ وما بعدها.
(65) قاسم عبد قاسم: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣، ص ٢٣٤.
(66) عماد عادل إبراهيم: التجمعات الرهبانية ص ٣٨ .

ديموجرافية طحا (سكانها) :

يشير ابن فضل الله العمري[٦٧] إلي أنه سكن طحا عرب[٦٨] بنو(أي : أبناء) طلحة وهم بني طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهم ثلاث فرق هم وأقرباؤهم، وأطلق على الكل اسم بني طلحة .

---

(67) ابن فضل الله العمري (٧٠٠ – ٧٤٩ هـ = ١٣٠١ – ١٣٤٩ م (أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين: مؤرخ، حجة في معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان، إمام في الترسل والإنشاء، عارف بأخبار رجال عصره وتراجمهم، غزير المعرفة بالتاريخ ولا سيما تاريخ ملوك المغول من عهد جنكيزخان إلى عصره. مولده ومنشأه ووفاته في دمشق .أجل آثاره (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار – خ) كبير، طبع المجلد الأول منه [ثم طُبعت أجزاء أخرى]، قال فيه ابن شاكر: كتاب حافل ما أعلم أن لأحد مثله .وله (مختصر قلائد العقيان – خ) و (الشتويات – خ) مجموع رسائل، و (النبذة الكافية في معرفة الكتابة والقافية – خ) و (ممالك عباد الصليب – ط) و (الدائرة بين مكة والبلاد) و (التعريف بالمصطلح الشريف – ط) في مراسم الملك وما يتعلق به، و (فواضل السمر في فضائل آل عمر) أربعة مجلدات، و (يقظة الساهر) في الأدب، و (نفحة الروض) أدب، و (دمعة الباكي) أدب، و (صبابة المشتاق) في المدائح النبوية، أربعة مجلدات .وله شعر في منتهى الرقة للتفاصيل انظر: الزركلي: الأعلام، ج١، ص ٢٦٨.

(68) يقول جومار وهو أحد علماء الحملة الفرنسية والذين كتبوا ملاحظاتهم عن العرب في مصر الوسطي في موسوعة وصف مصر "وحيث يمارس العرب المزارعون في مصر نفوذًا كبيرًا، وحيث إن طباعهم وعاداتهم ليست معروفة لنا جيدا، فسأبدأ بما يوضح أحوالهم، ثم اعرض بعد ذلك ملاحظاتي عن العرب البدو الرحل وهم في وقت معا محاربون ورعاة . وينبغي أن تنقسم الطبقة الاولي إلي طبقتين أخريين: الأولي وهي التي استقرت في مصر منذ مدة طويلة وهي من أصل أسيوي، ويزرع هؤلاء الأرض بأنفسهم، ويسكنون المدن التي تقع في غالب الأحيان علي شواطئ النيل، أما الأخرى فلم تعمل بالزراعة إلا منذ فترة قريبة وتتكون بصفة أساسية من عرب قدموا من شمال أفريقيا وهؤلاء الأخيرون يشغلون جزءًا من أرض الشاطئ الأيسر "الغربي" وهم في غالبيتهم يقيمون تحت الخيام ويستزرعون أرضهم بواسطة الفلاحين أي أبناء مصر، ولهؤلاء وأولئك مقر ثابت ويخضعون للضرائب " للتفاصيل انظر: علماء الحملة الفرنسية، موسوعة وصف مصر العرب في ريف مصر وصحراواتها، ترجمة : زهير الشايب، ج٢، مكتبة الأسرة القاهرة ٢٠٠٢، ص ١٩٦ وما بعدها.

فالأولى: بنو إسحاق، ويقال ليس بجد لهم ولكن موضع تحالفوا عنده سموه إسحاق كناية كما تحالفت الأزد عند أكمة سموها مذ حجا .

والثانية: فضا طلحة وهم بطون كثيرة وأكثرهم أشتات بالبلاد لا حد لهم .

والثالثة: يعرفون ببني محمد من ولد محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما. ومنازل بني طلحة بالبرجين، وسفط سكرة وطحا المدينة بالأشمونين [٦٩] .

وبمرور الوقت وتوالي الأزمنة نجد أن علماء الحملة الفرنسية وبصفة خاصة العالم جومار يتحدث عن "أن طحا سكنها مجموعة من الأعراب خلال القرن الثامن عشر الميلادي وسمي عرب تلك المنطقة بعرب المصراته أو الطحاوية أو الطحيوي أو بعرب طه ولهؤلاء قرى ضخمة وفخمة تقع على بعد أربعة فراسخ[٧٠] إلي الشمال من المنيا. وقد استقروا هناك منذ أجيال، ولقد قدم هؤلاء العرب إلى الزراعة على النقيض من العرب الآخرين خدمات جليلة، وبذلك حظيت طحا بميزة مزدوجة وهي أن تزرع جيد وأن يدافع عنها ضد اللصوص فرسان شجعان.

ودائما نجد عرب الطحاوية في حالة خلاف دائم مع العرب المجاورين، وكثيرًا ما يحدث بينهم معارك ضارية لكن السطوة والغلبة واليد العليا تكون في الغالب لعرب المصراته. ويذكر جومار

---

(69) ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ /١٣٤٩م) شهاب الدين أحمد بن يحيي بن فضل العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب، تحقيق: حمزة أحمد عباس، أبو ظبي ٢٠٠٢.، ص ٣٦٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى : ج١ ص ٤٠٨؛ القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب تحقيق: إبراهيم الإبياري: دار الكتاب اللبنانين، بيروت، ط٢، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م. ص ١٩٠.

(70) الفرسخ أربعة كيلومترات تقريبا، انظر: المنهل بيروت ١٩٨٠، ص ٦١٤.

أحد علماء الحملة الفرنسية "أنه لم يشاهد في مصر فلاحين أكثر سعادة من عرب طه، فهناك تسيطر الحرية، ويسود الرخاء تحت سيادة قوانين خيرة، وتحت سيادة أسرة محبوبة[٧١]".

وبسبب ذلك، ازدهرت الزراعة والصناعة ولم يوجد أثري من عرب طه في المواشي خاصة البقر، وكذلك تتمتع بتوزيع المياه علي نحو أفضل والاعتناء الكامل بالسدود والترع والمصارف، وهكذا فقد جعل الشيخ علي الطحيوي من قرية طحا أغني قرى إقليم المنيا وهو شيخ وزعيم قبيلة المصراتة[٧٢]. وبالإجمال يمكن القول إن طحا الأعمدة كانت غنية ولها دور حضاري.

([71])علماء الحملة الفرنسية، موسوعة وصف مصر العرب في ريف مصر وصحراواتها، ترجمة : زهير الشايب، ج٢، مكتبة الأسرة القاهرة ٢٠٠٢، ص ٢٢٣-٢٢٤.

([72]) أشار جومار أحد علماء الحملة الفرنسية حينما أشار إلي عرب المصراته أنهم كان لهم دور سياسي وعاونوا الفرنسيين وسدوا احتياجات الجيش الفرنسي كثيرا، كما ذكر ذلك جومار . وأنهم سدوا ما لا يحصي من احتياجات الفرنسيين وبشكل يسرا بكثير مما هو في مقدور عشرين قرية في جهة أخري انظر : علماء الحملة الفرنسية، موسوعة وصف مصر العرب في ريف مصر وصحراواتها، ترجمة : زهير الشايب، ج٢، ٢٢٤ .

خاتمة البحث :

بعد هذا العرض يمكن تلخيص خاتمة البحث في النتائج الآتية :

- كان لمدينة طحا الأعمدة صدي كبير في كتابات الكثير من الجغرافيين والمؤرخين المسلمين في العصور الوسطي.
- تطابق الموقع الحالي لها مع ما جاء في كتابات الجغرافيين والمؤرخين المسلمين في العصور الوسطي وبالتالي فهي مدينة مهمة في العصور الوسيطة .
- لم تكن طحا قرية صغير ليس لها دور أو نشاط اقتصادي واجتماعي، بل كانت كورة أو مدينة يتبعها العديد من القري والتي بلغ عددها ٣٧ قرية، وهذا ينم عن مدى أهميتها وعظم مكانتها وعلو قيمتها ويرجع لتوسطها في إقليم الصعيد من جهة ونهضتها الاقتصادية والاجتماعية من جهة أخرى.
- كانت لطحا أهمية دينية فهي كانت مقرًّا لكرسي أسقفي تتبعه ٣٧ كنيسة حوله؛ أي إنها كانت مقرًّا لكرسي الايبارشية. كما حظيت مدينة طحا الأعمدة بمكانة دينية كبيرة لما بها من كنيسة أثرية جاء ذكرها لدي بعض هؤلاء الجغرافيين والمؤرخين وهي كنيسة مار مينا الأثرية.
- تمتعت مدينة طحا بثقل تجاري وزراعي وصناعي. وتمثل ذلك في أنها كانت مركزًا للقمح وأيضا مركزا لصناعة الصوف والطرز والستور المختلفة نتيجة موقعها المميز من ناحية ونشاط أهلها وقاطنيها في الزراعة والصناعة من ناحية ثانية وتوافر المواد الخام اللازمة لتلك الصناعة من ناحية ثالثة .
- لعب سكانها من العرب لاسيما عرب طه والمصراته دورًا مهمًّا في الحياة الاقتصادية بها، وبالتالي لم يكونوا عالة على أحد أو متكاسلين يعيشون علي السلب والنهب بل كانوا يفلحون الأرض ويزرعونها لتنتج لهم محاصيلها وخضرواتها وفاكهتها.

وخلاصة القول: يمكن القول إن هذه المدينة كان لها دور حضارى وأهمية اقتصادية واجتماعيه انعكس عليها وعلى بقية القرى التابعة لها، وبالتالي كانت مؤثرة في محيطها الجغرافي والإقليمي في صعيد مصر وإقليم مصر الوسطي .

ملاحق البحث[٧٣]

(أ) خرائط متعددة لمحافظة المنيا ومراكزها ولمركز سمالوط وطحا الأعمدة

شكل (١) خريطة توضح المنيا ومراكزها ومن بينها سمالوط والتي تتبعها طحا الأعمدة نقلا عن:
www.google .com

([73]) ينبغي الإشارة إلي أننا رغم بحثنا في المصادر الجغرافية والتاريخية التي اعتمد عليها الباحث في إعداد هذه الورقة البحثية، فإننا لم نجد خرائط او صور لطحا وما بها، وبالتالي تم الاعتماد على صور وخرائط من الانترنت وإن كانت حديثة إلا إنها مهمة لتقريب الصورة وتوضيح الحقيقة والتعريف بالمدينة وآثارها ومعالمها.

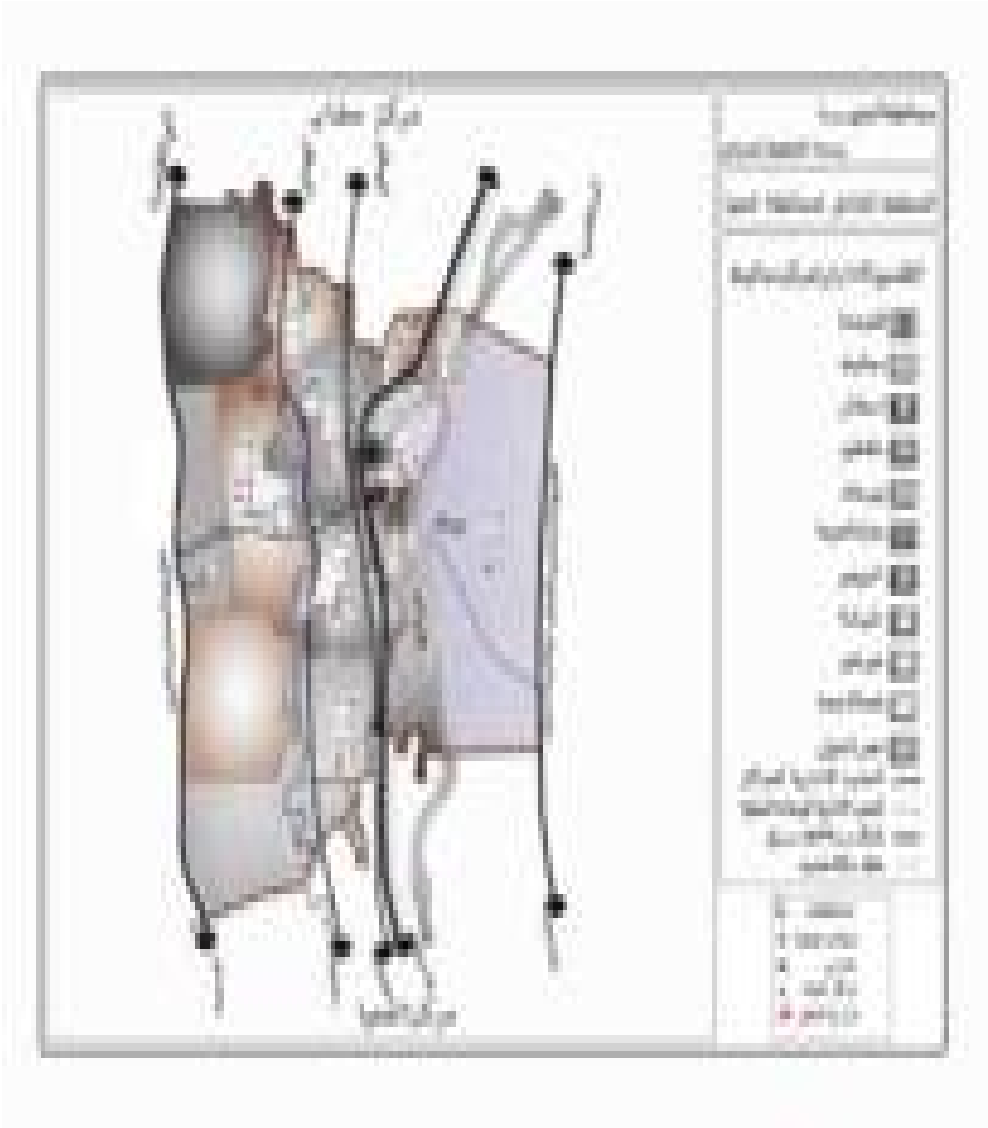

شكل (٢) خريطة للتقسيم الإداري لمركز سمالوط التابع لمحافظة المنيا وعليها طحا الأعمدة نقلا عن : http://www.minia.gov.eg/Lists/List9/AllItems.aspx

شكل (٣) خريطة توضح طحا الأعمدة وما يحيط بها نقلا عن :

http://gopp.gov.eg/eg-map-

(ب) صور متعددة لكنيسة مار مينا الأثرية بطحا الأعمدة بعد ترميمها وتديشنها وافتتاحها في ٢٠١٧/١٠/٢٥

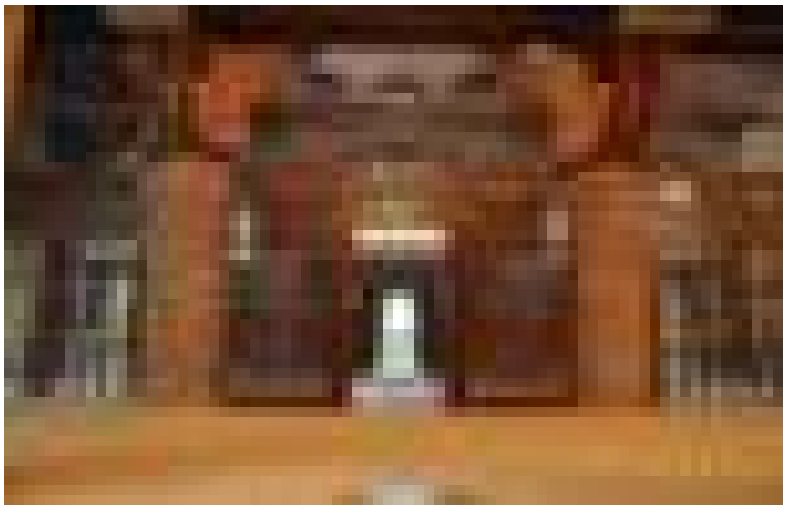

شكل (٤) صورة لكنيسة مار مينا الأثرية بطحا الأعمدة بعد ترميمها وتدشينها وافتتاحها في ٢٠١٧/١٠/٢٥

شكل (٥) صور لبئر وخلفه صورة للمسيح والسامرية بكنيسة مارمينا الاثرية بطحا بعد ترميمه وتدشينه في ٢٠١٧/١٠/٢٥

شكل (٦) صورة أخري لكنيسة مارمينا الأثرية من الداخل بعد ترميمها وتدشينها وافتتاحها في ٢٠١٧/١٠/٢٥

شكل (٧) صور لبئر كنيسة ما ر مينا الأثرية بطحا بعد ترميمها الأخير وتدشينها وافتتاحها في ٢٥/١٠/٢٠١٧ نقلا عن :

.https://www.christian-dogma.com/t1398046

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: **المصادر العربية**:

الإدريسي (ت ٥٦٥هـ/ ١١٦٦م) أبو عبد الله، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي :

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٢ .

الاصطخري(ت في القرن الرابع الهجري/القرن العاشر الميلادي) أبوالقاسم إبراهيم محمد الكرخي:

المسالك والممالك أو مسالك الممالك–تحقيق : محمد جابر عبد العال –القاهرة ١٩٦١ .

البغدادي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق:

–مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع تحقيق: علي محمد البجاوي، ج ٢، القاهرة ١٩٥٤ –المقدمة لكتاب مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع تحقيق علي محمد البجاوي ج١، ط١، دار المعرفة، بيروت لبنان ١٩٥٤.

ابن جبير(ت٦١٤هـ/١٢١٥م) أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني، الأندلسي، الشاطبي البلنسي:

رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروف برحلة ابن جبير، إشراف لحنة تحقيق التراث، دار مكتبة الهلال بيروت د.ت.

أبو المكارم (ت١٢٠٩م/٦٠٩هـ) سعد الله بن جرجس بن مسعود:

تاريخ الكنائس والأديرة في بالوجه القبلي في القرن الثاني عشر الميلادي، ج٢ ،إعداد وتعليق صموئيل السرياني القاهرة ١٩٩٩.

ابن حوقل (ت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/القرن العاشر الميلادي) أبو القاسم بن محمد بن حوقل النصيبي):

كتاب صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، بيروت لبنان ١٩٩٢.

ابن خرداذبه (ت في حدود ٣٠٠هـ/٩٠٠م) أبو القاسم عبيد الله ابن عبد الله بن خرداذبه:
المسالك والممالك، ليدن١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩.

ابن دقماق (ت٨٠٩هـ/١٤٠٧م) صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر بن دقماق القاهري :
الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، القسم الأول، مطبعة المكتب التجاري بيروت ١٨٩٣ .

علماء الحملة الفرنسية:

موسوعة وصف مصر، ترجمة زهير الشايب "اللوحات"، دار الشايب للنشر، القاهرة ١٩٩٤.

: موسوعة وصف مصر العرب في ريف مصر وصحراواتها، ترجمة : زهير الشايب، ج٢، مكتبة الأسرة القاهرة ٢٠٠٢.

أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ /١٣٣٢م) عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء صاحب حماه:
تقويم البلدان، دار صادر بيروت ١٨٥٠ م .

ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ /١٣٤٩م) شهاب الدين أحمد بن يحيي بن فضل العمري:
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب، تحقيق : حمزة أحمد عباس، أبو ظبي ٢٠٠٢ .

القزويني (ت ٦٨٧هـ/١٢٨٣م) أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود القزويني :
" آثار البلاد وأخبار العباد" –بيروت د.ت،

القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله :
: صبح الأعشى في صناعة الانشاء"– ١٤ جزء– القاهرة ١٩١٣–١٩٢٠م/١٣٣١–١٣٣٨م)
: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب تحقيق : إبراهيم الإبياري :دار الكتاب اللبنانين، بيروت، ط٢ ، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م .

المقدسي: (ت ٣٣٨هـ/٩٩٨م) شمس الدين أبو عبد الله المعروف بالبشاري:

"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" ج١، ليدن ١٣٣٤هـ/١٩٠٦م .

المقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) تقي الدين أبو العباس أحمد:

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، جزءان، مكتبة مدبولي القاهرة ١٩٩٨ .

ابن مماتي (ت٦١٠هـ/١٢١١م) أبو المكارم الأسعد بن المُهذَّب أو ابن الخَطير بن مينا بن زكريا بن مَمّاتي :

قوانين الدواوين، تحقيق : عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة ١٩٩١.

النويري (ت بعد سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٢م) محمد بن قاسم بن محمد النويري الإسكندراني :

" كتاب الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية " تحقيق : عزيز سوريال عطية من مخطوطة برلين وبانكي بور، ج ٣، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٧٠.

ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي :

معجم البلدان دار صادر، بيروت، ط٢،، مجلد ٤، دار صادر بيروت ١٩٩٥ م.

اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح :

كتاب البلدان تحقيق محمد علي الضناوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان د.ت.

ثانيا : المراجع العربية والمعربة :

-إيريس حبيب المصري:

قصة الكنيسة القبطية (١٥١٧-١٨٧٠) ، الكتاب الرابع، **القاهرة ١٩٩٢م،**

-رأفت عبد الحميد وطارق منصور :

مصر في العصر البيزنطي ٢٨٤- ٦٤١ القاهرة ٢٠٠١.

-زبيدة عطا :

الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية، القاهرة ١٩٩٤ .

-السرياني (الأنبا صموئيل) وآخرون:

الدليل إلي الكنائس والأديرة القديمة، دير الأنبا بشاي سوهاج . د.ت

-علي مبارك باشا :

من الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة (الخطط التوفيقية) ج١٣، ط١، القاهرة ١٨٨٨.

-عماد عادل إبراهيم :

مناطق التجمعات الرهبانية بمحافظة المنيا، رسالة ماجستير غير منشورة، ج١، كلية الآداب جامعة طنطا ٢٠١٢ .

-قاسم عبد قاسم :

دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣.

-مرقس سميكة باشا:

دليل المتحف القبطي وأهم الكنائس والأديرة الأثرية ج٢، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٣٢ .

-محمد رمزي :

القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلي سنة ١٩٤٥، قسمان (جزأن)، البلاد المندرسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٤.

-

- **يوسف سمير كامل :**

" الوظائف والرتب والألقاب في الكنائس الشرقية " دراسة حالة عن كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية في العصور الوسطي أنموذجا ق٤-١٣م"، بحث منشور في حصاد ٢٤ ضمن مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب ديسمبر ٢٠١٦ م.

ب-المراجع الأجنبية :

Amelineau,E.

La Geographie de l'Egypte a la e' epoue Copte paris 1892.

ثالثًا : دوائر معارف ومعاجم وقواميس :

-أثناسيوس المقاري :

معجم المصطلحات الكنسية، ج ١، ط٣، القاهرة ٢٠١١ .

معجم المصطلحات الكنسية، ج٢، ط٢، القاهرة ٢٠٠٥،

معجم المصطلحات الكنسية ج٣، ط٣، القاهرة ٢٠١٥ .

-إبراهيم أنيس وآخرون : المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة ٢٠٠٤ .

مجموعة من العلماء:

دائرة المعارف الإسلامية ترجمها للعربية عبد الحميد يونس وآخرون مجلد ٢، عدد ٦، أفغانستان ١٩٣٦.

-الزبيدي (السيد محمد مرتضي الحسيني الزبيدي):

تاج العروس من جواهر القاموس تحقيق: حسين نصار ج٦، وراجعه آخرون الكويت ١٩٦٩م.

الزركلي (خير الدين) :

الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ٨أجزاء دار العلم للملايين، ط١٥، بيروت ٢٠٠٢م

-سهيل أدريس :

المنهل بيروت ١٩٨٠.

-مصطفي عبد الكريم الخطيب:

معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦ .

رابعًا : مواقع إنترنت :

- https://www.almaany.com/ar/dict/ar-
- https://ar.wikipedia.org/wiki
- https://www.christian-dogma.com/t1398046
- http://gopp.gov.eg/eg-map-
- www.google .com
- http://islamport.com/w/hnb/Web/1741/1254.htm.
- http://www.minia.gov.eg/Lists/List9/AllItems.aspx
- http://shahid-elmaseh.ahlamontada.com/t183-topic
- https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual-Taks-Al-Kanisa/Dictionary-of-Coptic-Ritual-Terms/1-Coptic-Terminology_Alef/Ebarsheya__Parish.html.
- https://st-takla.org/Saints/Coptic-Orthodox-Saints-Biography/Coptic-Saints-Story_58.html.

الأطماع الاقتصادية للقوي الخارجية والداخلية في مدينة وادي آش الأندلسية (٤٠٣-٨٩٥هـ/ ١٠١٢-١٤٨٩م)

د. شيماء أحمد السيد علي صالح

كلية الاداب– جامعة المنصورة

ملخص البحث:

يرصد البحث الأطماع الاقتصادية الخارجية التي تمثلت في غارات النصاري علي مدينة وادي آش، والتي هدفت في المقام الأول أطماعاً اقتصادية فضلاً عن الأطماع السياسية والتوسعية والتي عرفت بحركة الاسترداد المسيحية، وكذلك رصد الأطماع الداخلية المتمثلة في استغلال أمراء غرناطة والأندلس لاقتصاد مدينة وادي آش وجبايتها الضخمة، وذلك بتناول عدة مباحث، بدءاً من التسمية والموقع الجغرافي، والأهمية الاستراتيجية، ثم النشاط الاقتصادي للمدينة، مروراً بعرض الأطماع الاقتصادية الخارجية، مع نظرة تحليلية، ليتناول المبحث الرابع الأطماع الاقتصادية الداخلية، ويُختتم البحث بعرض لأهم النتائج التي توصلتُ إليها من خلال البحث.

Summary in English:

The research deals with the economic ambitions of the external and internal forces in the city of Guadix Andalusia, Foreign ambitions were represented in the Christian raids on the city, which were first aimed at seizing the goods and goods of the city as well as their political and expansionist ambitions, The internal ambitions are to exploit the princes of Granada and the economy of the city of Andalusia Guadix has many taxes, The research dealt with several topics, starting with the naming and geographical location, and the strategic importance, then the economic activity of the city, through the presentation of external economic ambitions, with an analytical view, to address the fourth topic internal economic ambitions, and concludes with a presentation of the most important results I have reached through research .

مقدمة :

تعتبر مدينة وادي آش من أهم حصون إقليم غرناطة، التي تقع علي مسافة أربعون ميلاً من الشمال الشرقي منها، وتقع أيضاً علي السفح الشمالي لجبل الثلج أو سيرانيفادا *Sierra Nevada*، وقد شهدت هذه المدينة كياناً اقتصادياً متميزاً في الجنوب الأندلسي، نبع هذا الكيان بصورة أساسية عن وفرة الثروة الزراعية والمعادن بها، فضلاً علي أنه عُرف عنها الجباية الغزيرة، إذ امتلكت كافة المقومات التي ساهمت في نمو وتطور المجال الاقتصادي بشتي نواحيه الزراعية والصناعية والتجارية، مما ساهم بشكل فعال في إعطائها قوة اقتصادية متمثلة في تحقيق الاكتفاء الذاتي، وتحقيق رغد العيش والرفاهية .

وكان لهذه المقومات الاقتصادية في المدينة أثر في وجود أطماع لقوى خارجية وداخلية فيها، والتي أثرت سلباً في بعض الأحيان علي الاستقرار السياسي والاقتصادي في المدينة، وتمثلت الأطماع الخارجية في غارات النصارى المتكررة على المدينة بقصد الاستيلاء علي خيراتها الزراعية والصناعية .

أما الأطماع الداخلية فقد تمثلت في التنازع بين الأمراء في غرناطة والأندلس علي ولاية المدينة. كما تعرضت لبعض محاولات الاستقلال عن إقليم غرناطة من أجل الاستقلال بجبايتها الضخمة والوصول إلي جاه الثروة، وسوف تدور محاور البحث حول النقاط التالية:

- **مدينة وادي آش: الاسم والموقع الجغرافي والاستراتيجي .**
- **النشاط الاقتصادي بمدينة وادي آش.**
- **الأطماع الاقتصادية الخارجية .**
- **الأطماع الاقتصادية الداخلية.**
- **النتائج التي توصلتُ إليها من خلال البحث.**
- **قائمة بالمصادر والمراجع العربية والأجنبية .**

●الاسم والموقع الجغرافي :

عُرفت مدينة وادي آش بهذا الاسم في المصادر العربية التاريخية والجغرافية وهو الاسم الأشهر لها في المصادر القديمة والحديثة [١]، يقابلها بالأسبانية *Guadix*، ويطلق عليها العرب أحياناً وادي الآشات [٢]، أو مدينة الآشات[٣]، أو وادي إيشن[٤]، أو وادي العيش، أي وادي الحياة[٥]، وينطقها الشعراء وادي الآشي[٦]، وكتبها ياقوت الحموي في معجمه تحت أشٌ[٧]، كما ذكرت في صبح الأعشي وادياشي[٨]، وعرفها شيخ الربوة بوادِيَشْ[٩]، والآش محرف عن اللفظ اللاتيني آكسِ *Acci* [١٠]، وهو بدوره محرف عن أكوا *Aqua*، ويعني الماء (أي عين الماء) [١١].

كما عرفت مدينة وادي آش بمدينة بني سام، وارتبطت بمصطلح أرش اليمنيين[١٢]، فيقول ابن الخطيب في اللمحة ".. **وإقليم أرش اليمنيين فيه مدينة بني سام بن مهلهل، وهي مدينة وادي آش إحدى قواعد الإسلام ..**" [١٣].

أما الموقع الجغرافي، فكانت مدينة وادي آش *Guadix* في التقسيم الإداري الأندلس تابعة لكورة إلبيرة *Elvira*[١٤]، ثم لِولاية غرناطة *Granada* بعد ذلك[١٥]، وتقع علي مسافة أربعين ميلاً [١٦] من الشمال الشرقي لغرناطة[١٧]، أي "على بعد ستين(٦٠) "كيلو متراً" [١٨]، وعلى مسيرة يوم منها[١٩]، وتقع أيضًا على السفح الشمالي لجبل الثلج[٢٠]، أو سيرانيفادا، وعلي الشرق منها نهر يعرف باسمها "نهر وادي آش"، والذي ينحدر من جبل شُلير[٢١]، ويعرف كل سفح الجبل التي تقوم عليه المدينة بسند وادي آش [٢٢] *Marquesado Del Zenete* [٢٣].

وكانت الطبيعة الجغرافية لمدينة وادي آش تتميز بالوعورة والحصانة؛ نظرًا لامتلائها بالكهوف المتعلقة بطبيعة الأرض[٢٤] ، فضلاً عن امتلائها بالتضاريس الطبيعية كالجبال التي تحيط بالمدينة [٢٥]، أو تتوسطها كالسند المعروف باسمها[٢٦]، بالإضافة إلي جبل شلير شمال مدينتي وادي آش وغرناطة[٢٧]، وتزداد وعورتها بوجود الهضاب، والتلال، والوديان والسهول، والمنحدرات[٢٨].

•الأهمية الاستراتيجية والسياسية:

تعرضت مدينة وادي آش في تاريخها الإسلامي في الأندلس لتحولين مهمين، كان لهما بالغ الأثر في كيانها السياسي والتاريخي تمثَّل الأول بداية عصر ملوك الطوائف بتحول قاعدة الإقليم من البيرة إلي غرناطة، إذ سطع نجم مدينة وادي آش وبرز دورها علي مسرح الأحداث السياسية المهمة، لكونها مثّلت ثاني أهم حصون قاعدة مملكة بني زيري بغرناطة (٤٠٣-٤٨٣هـ/١٠١٢-١٠٩٠م) ، فتنازع عليها الأمراء . كما صارت مطمعاً للممالك الإسلامية المجاورة لسهولة اجتياز غرناطة من خلالها .

أما التحول الثاني، حينما أصبحت غرناطة عاصمة لدولة الإسلام في الأندلس عصر بني الأحمر عام ٦٣٥هـ/١٢٣٨م، فصارت إقليمًا مهمًّا من أقاليم المملكة، ولعبت دورًا سياسيًّا محوريًّا لقربها من العاصمة غرناطة، وسقوط معظم القواعد الأندلسية الكبري، وقد أظهرت خلال عهد بني الأحمر قدرتها في التأثير علي الأحداث السياسية والتحكم في نظام الحكم في المملكة، ثم صارت مدينة وادي آش عاصمة للسلطان محمد الزُغل[٢٩] (٨٩٠-٨٩٢هـ/١٤٨٥-١٤٨٧م) بعد انقسام المملكة عام ٨٩٢هـ/١٤٨٧م، ومثّلت الظهر الحامي لغرناطة والمسلمين في الأندلس، وهي القاعدة التي كان بقاؤها محتملاً، لولا أن امتدت أيدي الخيانة والأنانية التي أودت بتسليم المدينة للقشتاليين عام ٨٩٥هـ /١٤٨٩م، حتي أنه لم يمضِ عامان من تسليمها إلا وسقطت غرناطة والإسلام في الأندلس[٣٠].

ثانياً : النشاط الاقتصادي لمدينة وادي آش:

تمتعت مدينة وادي آش بكيان اقتصادي مهم وواضح في الجنوب الأندلسي، نبع هذا الكيان بصورة أساسية عن وفرة الثروة الزراعية والمعادن بها، فهي مدينة زراعية وصناعية معاً؛ إذ توفرت بها المساحات الشاسعة، وتعددت أشكال الملكيات. كما توفرت بمدينة وادي آش كافة المقومات التي ساهمت في تفوق المدينة الزراعي، فكان تدفق المياه بها[٣١]، وتعدد مصادر

السقي التي لا نظير لها في أي بلد آخر[٣٢]، فضلاً عن خصوبة التربة[٣٣]، دوراً في انتاج المحاصيل الزراعية ذات الأهمية الاقتصادية والجودة العالية وكثرتها بها، وهو ما عبر عنه صاحب نبذة العصر بقوله ".. **ما لا يطاق حمله ولا يأتي علي وصفه..**"[٣٤]، ومن أشهر تلك الحبوب القمح، والشعير، والذرة[٣٥]، القطن[٣٦]، والكتان[٣٧]، وقصب السكر[٣٨].

أما عن الأشجار والفاكهة، فتزخر مدينة وادي آش بالعديد من أصناف الفواكه والأزاهر ما يحار فيه الناظر[٣٩]، إذ انفردت مدينة وادي آش بوجود التفاح الجلياني الذي يضرب به المثل في الأندلس[٤٠]، حتي أنه عرف عنها جُليانة التفاح"... **لجلالة تفاحها، وطيبه، وريحه: إذا أُكل وجد فيه طعم السكر والمسك..**"[٤١]، ويصفه المقري بأنه ".. **يجمع بين عظم الحجم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وذكاء الرائحة والنقاء..**" [٤٢]. كما انتشرت بمدينة وادي آش أشجار الفاكهة المختلفة[٤٣]، وبها شجرة عظيمة جداً من شجر القَسْطَل[٤٤]، صُنفت كأحد عجائب الأندلس وهو أمر انفردت به مدينة وادي آش إلي جانب مدينة البُشرات[٤٥] Alpujarras[٤٦].

أما عن تربية الحيوانات، فقد توفرت بمدينة وادي آش البيئة المناسبة لتربيتهم بمختلف أنواعهم من الأبقار والأغنام والماعز وبكثرة، نتيجة توافر مساحات شاسعة من الغابات علي سفوح الجبال والأودية بها[٤٧]، بالإضافة إلي اتساع مساحتها الزراعية، وكثرة المزارع بها كما ذكرنا.

وفيما يخص الصناعة بمدينة وادي آش، فقد تقدمت مدينة وادي آش في مختلف الصناعات الغذائية لكون أن النشاط الرئيس بها هو الفلاحة، وتنوع الحاصلات الزراعية كما اتضح. كما كان وفرة معدن الحديد الخام، وكذلك الحرير الخام[٤٨]، دور في أن اشتهرت المدينة بوجود الصناعات المعدنية فضلاً عن تفوقها في الصناعات النسيجية، فانفردت مدينة وادي آش بأنها كانت معقلاً لصناعة أجود وأندر أنواع الملابس الحريرية التي تفضله أميرات غرناطة ونساء الطبقة الراقية، وذلك إلى جانب مدينة دلاية[٤٩]، فضلاً عن وجود المنسوجات القطنية[٥٠]، والكتانية[٥١]، والصوفية [٥٢] .

وفيما يخص التجارة، فقد ساهم نشاط المدينة الزراعي والصناعي، وما انفردت به من زراعات وصناعات بشكل واضح في نشاط الحركة التجارية الداخلية والخارجية بها، وهو ما يفسر شهرة مدينة وادي آش بتعدد مصادر الدخل وكثرة الجباية بها منذ عصر ملوك الطوائف(٥٣)، وحتي عصر دولة بني الأحمر، حيث عبر ابن الخطيب عن ذلك بقوله".. **ذات القصبة الشهيرة والجباية الغزيرة** .."(٥٤)، وهو ما جعلها مطمعاً ومصدراً للتنازع بين الملوك والأمراء في غرناطة والأندلس.

وفي وصف ابن الخطيب لمدينة وادي آش أبلغ معني عن تفوق المدينة الزراعي والصناعي، ومن ثم نشاط التجارة والحركة التجارية بها فيقول ".. **مدينة الوطن، ومناخ من عبر أو قطن، للناس ما ظهر ولله ما بطن، وضع سديد، وبأس شديد ، ومعدن حديد ، ومحل عدة وعديد، وبلد لا يعتلُّ فيه إلا النسيم، ومرأى يخجل منه الصباح الوسيم . كثيرة الجداول والمذانب، ومخضرة الجوانب. إلى الفواكه الكثيرة والكروم الأثيرة، والسقي الذي يسد الخلة، ويضاعف الغلة، وسندها معدن الحديد والحرير، ومعقلها أهل للتاج والسرير** ..."(٥٥).

ثالثاً : الأطماع الاقتصادية الخارجية لمدينة وادي آش:

واجهت مدينة وادي آش أخطارًا متعلقة بهجوم النصاري عليها منذ عصر ملوك الطوائف وحتي عصر بني الأحمر، وقد تعددت أحداث الاستيلاء والعبث بمدينة وادي آش من قِبل النصاري خاصة بعد سقوط معظم القواعد الأندلسية في عصر بني الأحمر، ومحاولات النصاري المتكررة للاستيلاء علي غرناطة، لكونها مثلت ثغراً مهمًّا من ثغور المملكة، وباقتحامها يسهل اقتحام العاصمة غرناطة، وتحقيق هدفهم الذي يرمون إليه وهو القضاء علي الدولة الإسلامية في الأندلس، فمع كل هجوم تشهده مدينة غرناطة أو المدن المجاورة كان لمدينة وادي آش نصيب منه(٥٦) .

وبالرغم من ذلك فقد شهدت مدينة وادي آش غارات النصاري التي هدفت في المقام الأول أطماعاً اقتصادية للاستيلاء علي ما بها من خيرات، لما تمتعت به من مقومات

اقتصادية ساهمت في ثرائها وتحقيق رغد العيش والرفاهية بها . كما اتخذوا منها مدداً لهم أثناء حصارهم للمدن الأندلسية الأخرى في الجنوب مستغلين فرصة انقسام المملكة، وكذلك محاولة السيطرة علي المدينة في حالة سنحت لهم الفرصة اقتحامها والسيطرة عليها، **وفيما يلي عرض لأهم هذه الغارات التي هدفت أطماعاً اقتصادية في مدينة وادي آش .**

تعرضت مدينة وادي آش في عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م اكتساحاً غير مسبوق لها من قِبل ألفونسو السادس *AlfonsoVI* (٥٧)، بالرغم من عدم تخطيط النصاري لهذا الأمر، حيث إنه عندما استطاع النصارى الاستيلاء على مدينة بلنسية *Valencia* (٥٨) بقيادة السيد الكمبيدور (٥٩) *El Cid Campeador* ، كان جيش ألفونسو السادس قد تجاوز بجيشه في نصف طريقه إليه ليعاونه في الاستيلاء علي المدينة، وعندما علم بنجاحه في الاستيلاء عليها قبل وصوله إليه، كره أن يفرق جمعه، ويخفق جيشه، فغير اتجاهه من الشرق إلي مدينة وادي آش في الجنوب، ونجح في العبث بالمدينة وتردد في جهاتها، واكتسح ما فيها واستولي علي خيراتها . كما حمل جملة من رعيتها المعاهدة(النصاري) لتعمير أرض طليطلة(٦٠) *Toledo* (٦١)، والتي وقعت فريسة النصاري منذ عام ٤٧٨هـ /١٠٨٦م(٦٢).

كما تعرضت مدينة وادي آش لمحاولات مستميتة لاقتحامها، والاستيلاء علي خيراتها الزراعية والصناعية من قِبل ابن رُدَمير(٦٣)عام ٥١٩هـ/١١٢٥م صاحب أكبر حادثة عدوان علي جنوب وشرق الأندلس، والتي هدفت في المقام الأول أطماعاً اقتصادية، فضلاً عن الأطماع التوسعية والاستعمارية، وهو النيل من خيرات غرناطة والأندلس بعد ترغيب النصاري المعاهدين الذين يعيشون في كنف الدولة الإسلامية له في خيراتها، حيث أثاروا طمعه وجشعه، وزينوا له غرناطة، وساعدوه علي دخول الأندلس، وبالفعل تحرك ابن ردمير لغزو الأندلس وعاث فيها فساداً طيلة عام كامل أكثروا خلالها من السبي والنهب والقتل والتخريب (٦٤).

وبالرغم من الحصار الشديد التي تعرضت له مدينة وادي آش من قِبل الحملة ومحاولة قتالها من عدة جهات، إلا إنها فشلت في دخول المدينة أو النيل منها أو من خيراتها شيئاً يُذكر، فبعد فشل ابن ردمير في احتلال مدينة بسطة *Baza* [٦٥]، توجه لاحتلال مدينة وادي آش، وذكر ابن عذاري وابن الخطيب أنه قاتلها عن طريق القصر[٦٦]، وهو "..**من باديتها علي بعد فرسخ منها..**"[٦٧]، واستمر قتالها أكثر من شهر لكنه لم يستطع النيل منها [٦٨]، ويذكر صاحب الحلل الموشية شرح أكثر تفصيلاً، بأنه قد تمت محاولة الاستيلاء علي مدينة وادي آش من جهة المقابر في يوم الجمعة أول ذي القعدة حتي يوم الإثنين، ثم اتجه ابن ردمير إلى سند وادي آش يوم الثلاثاء، وأعد جيوشه وكمائنه، ثم أقلع منها إلى قرية فنيانة يوم الأربعاء، وحاول قتالها من غرب فنيانة، واستمر حصارها مدة شهرين[٦٩]، ولكنه لم ينل منها مأرباً بالرغم من نجاحه في اقتحام بعض المدن الأندلسية الكبري التي سبق حصارها مدينة وادي آش منها بلنسية، ومُرسية *Murcia* [٧٠].

كما تعرضت مدينة وادي آش خلال عصر بني الأحمر لهجمات وغارات متعددة من قِبل نصاري قشتالة، وكان الهدف الرئيس من وراء هذه الهجمات هو النيل من العاصمة غرناطة، إلا إن بعض هذه الهجمات كان الهدف الرئيس منه اقتصاديًّا، للاستيلاء علي ما بها خيرات زراعية وأموال، خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، علي النحو التالي.

ففي صفر عام ٨٨٨هـ/ مارس ١٤٨٣م، عمل القشتاليين في عهد الملكين فرناند Fernand وإيزابيلا Isabel علي تحقيق أطماعهم الاقتصادية والسياسية في الجنوب، خاصة بعد الانتصارات التي حققها السلطان أبو الحسن علي بن سعد[٧١] (٨٦٨-٨٩٠هـ/١٤٦٤-١٤٨٥م) علي النصاري في طريف، وما حصده من غنائم كثيرة، فعمل القشتاليون علي الثأر لأنفسهم مستغلين انشغال المسلمين بالفتنة الأهلية، واجتمعوا في النقيرة تحت زعامة مَركيز قادس الدون بدرو هنريك pedro Henrik، وقائد اشبيلية الكونت

دوسيغونتاز Conde Dosegontez وغيرهم، وبلغ عدد فرسانهم نحو ثلاثة آلاف مع عدد كبير من الرجال ".. **وجعلوا وجهتهم الجبال لوجود قطعان الضان فيها بكثرة، وخيلت لهم أنفسهم الوصول إلي وادي اش والاستيلاء عليها بغتة لضعف حاميتها، فساروا مجتهدين في إخفاء أثرهم، ولكن بلغ خبرهم وادي آش ..**" (٧٢)، حيث كشفوهم وردوهم علي أعقابهم .

ويُذكر أن حسابات القشتاليين في هذا الأمر كانت خاطئة، فمدينة وادي آش وإن وإن كانت حاميتها قليلة، فكان عليها قائد هو جيش بنفسه وأمة برأسه، وهو الأمير أبو عبد الله الزُغل أخو السلطان أبي الحسن، وكان أخاه في البسالة والإقدام، لكنه أكثر معرفة وإدراكاً بكيد العدو، وأبصر بمواقع الكر والفر، وقيل أنه لما أشرف النصاري من الجبل المطل على مرج مالقة ابتهجوا برؤية تلك الأرض ابتهاج بني اسرائيل بأرض الميعاد، ولكن سرعان ما شعر بهم الأهالي في مدينة وادي آش، وردوهم علي أعقابهم (٧٣).

وبعد تقهقر القشتاليين، أمطر عليهم المسلمون سيولاً متدفقة من النبال والسهام حتي ضعفت قواهم، فتركوا الغنائم وساروا في الأماكن الوعرة من مضايق وخنادق وجبال، ودارت معارك دموية في الهضاب الواقعة ما بين مالقة *Malaga*(٧٤)، وبلش *Vélez* ، فهزم النصاري في كل مكان وردوا بخسائر فادحة (٧٥).

وفي عام٨٩٥هـ/١٤٨٩م أثناء حصار القشتاليين لمدينة بسطة خطر ببال فارسين من النصاري هما فرنسيسكو دو بازان Francisco de Bazán وأنطونيو دو كويفا Antonio de cueva أنهما يفتقدان إلي روح المغامرة والمبادرة في هذا الحصار أو في هذه الحرب لكونهم يخضعون إلي الترتيبات الأمنية الثقيلة في تحصين معسكرهم، وقد دفعهم التشويق إلي روح المبادرة الوثَّابة لاقتحام الصعوبات والأخطار إلي اختيار مدينة وادي آش **الصعبة المنال والزاخرة بالغنائم والكنوز** بتوجيه ومساعدة من أحد الأدلاء الكشافة الذين يعرفون كل ممرات البلاد وتضاريسها، حيث قال لهم " **ففي مدينة وادي آش الصعبة توجد دسكرة غنية**

بالغنائم، يمكنني أن أقودكما نحوها من طرق تجعلكما تنقضان عليها فجأة، فإذا كان جأشكما بقوة اندفاعكما ستستطيعان حمل الغنائم من تحت عيني الزغل نفسه"(٧٦).

وبحث الفارسان عن فرسان آخرين من سنهم لكي يشاركوهم هذه الغارة، فجمعا في وقت قصير نحو ثلثمائة فارس ومئتي رجل، ثم ساروا بعد غروب الشمس حفاظاً علي سرية الأمر، آخذين بشعاب الجبل ودليلهم يتقدمهم بأكثر طرقات الجبل سرية، ودون توقف ليل نهار حتي وصلا إلي قرى الوادي قبل الفجر، ونزلوا علي هذه الدسكرة فأسروا من صادفوه من أهلها وانتهبوا مالها، وحطموا زرعها، وساقوا نعمها، دون أن يعطوا لأنفسهم راحة، ثم عادوا بأقصي سرعة غانمين قبل أن يشعر بهم أحد أو إطلاق النار عليهم (٧٧) .

ثم أسرع بعض رعاة الأغنام الذين خلصوا من شرهم وأخبروا الزغل أبو عبد الله الزغل بما حدث، فغضب غضباً شديداً وأطلق فوراً نحو ستمئة فارس مختارة من فرسانه لتعقبهم وإحضارهم إلي مدينة وادي آش، فأدركوهم في طريق عودتهم، ووجد النصاري أنهم أقل قوة وعدداً وخيلهم منهكة ومتعبة نتيجة سيرهم المتواصل، فتصوروا ترك الغنيمة والعودة، ولكن القائدين دي بازان ودي كويفا لم يوافقا علي القرار بحجة أن المشاة الذين معهما لو فروا سيقضي عليهم المسلمون، وأن المقاومة هي أنجى لهم، واختلفت الآراء فيما بينهم، وساد الاضطراب بين الجنود خاصة أنهم متطوعين إلى جانب رفاقهم وليسوا مأجورين علي هذا العمل، وعندما أراد القائدان حسم النزاع أمروا حامل الراية أن يتقدم نحو المسلمين، إلا إنه تردد وتوقف، وكاد القوم يولون الأدبار، إلا إنه وسط هذا الاضطراب تقدم فارس من الحرس الملكي يدعي هرناندو بيرز دل بلغار Hernán Pérez del Pulgar قائد حصن سالار ونزع منديله من رأسه الذي كان متلفعاً به كالعمة علي حسب عادة أهل الأندلس وربطه علي رأس رمحه الطويل ورفعه كالعلم بدلاً من حامل الراية، ونهز حصانه بقوة نحو المسلمين، ونادي أصحابه فالتحق به الجميع، وقد أصاب المسلمون الذعر والمفاجأة لعدم توقعهم ما حدث، فتفرقوا، وتعقبهم النصارى حتي قتلوا نحو ثلاثمائة فارس، وانتزعوا منهم أسلحتهم وغنائمهم، وتركوهم

أشلاء علي الطريق. كما أسروا البعض وعادوا منتصرين غانمين رافعين العلم الذي قادهم إلي النصر أمامهم، وبينما كان الزغل ينتظر عودة جيشه بالغنيمة؛ إذ رآهم راجعين فرقاً مغلوبين[٧٨] حين علم فرناند ببطولة هرناندو، أنعم عليه بلقب فارس، وتخليداً لإنجازه أجاز له رفع المنديل على رمحه في موطن قتاله، وأعطاه قصراً لبطولته، مما شجعه على مزيد من البطولات في هذه الحرب مع العرب، والتي جعلت النصارى يلقبونه فيما بعد بلقب الحائز علي الغنائم El de Las Hazanas[٧٩].

- **نظرة حول الأطماع الاقتصادية للقوي الخارجية وما حققته من نتائج:**

يتضح من خلال تناول الأطماع الخارجية لمدينة وادي آش هو أنه كان الغرض الأول لبعض الهجمات الاقتصادية الاستيلاء علي المحاصيل، وقطعان الضان من الأغنام والماعز، والتي تربي بكثرة في مدينة وادي آش على الخصوص، وسفوح الجبال علي العموم، فضلاً عن الاستيلاء على أموالها لما حوتها من جباية ضخمة كما ذُكر، واتضح من خلال الأمثلة السابقة أن مدينة وادي آش، من أوائل المدن التي كانت تخطر علي بال النصاري إذا تواجدوا في الجنوب أو في الشرق، لتعمير أراضيهم بالأندلس التي استولوا عليها، وبالرغم من عدم قدرة بعض الهجمات أو الغارات علي تحقيق هدفها المنشود كما حملة ابن ردمير أقوى حادثة عدوان علي الأندلس، بسبب حصانة المدينة الطبيعية والعسكرية، **إلا إنه في أحيان أخري نجحت بعض هذه الهجمات في تحقيق هدفها الاقتصادي من خلال نهب الأموال والاستيلاء علي ما بها من محاصيل وضان، لكن لماذا ؟؟.**

وبوقفة عند الغارتين أو الهجمتين اللتين حققت هدفًا اقتصاديًّا من المدينة وهما غارة الفونسو السادس عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، وكذلك غارة نصاري قشتالة عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩م، يتضح أن نجاح هذه الهجمات ليس تقصيراً من قِبل القادة أو الحكام أو حتي شعب المدينة الذين عُرف عنهم البسالة وتصديهم لهجمات القشتاليين، ولكن يرجع أسباب نجاح هذه الحملات غالباً إلي استخدام عنصر المفاجأة، وكذلك الخيانة أحياناً، بحيث لم يشعر، أو لم يعلم الوادآشيون بقدوم النصاري، وحتي أن

القشتاليين أنفسهم لم يكن يخططون لهذا الأمر من قبل، وكذلك انشغال المسلمين في الدفاع عن المدن الأندلسية الأخرى التي تقع تحت حصار القشتاليين، أو المدن التي وقعت تحت طائلتهم، وذلك يتضح على النحو التالي: حيث كان اكتساح الفونسو السادس لمدينة وادي آش، هو نفس توقيت حصار الكمبيدور لمدينة بلنسية واستيلائه عليها عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، وكانت حملته كما أوضحنا متجهة لتدعيمهم في الاستيلاء علي بلنسية، إلا إنه غيّر وجهته إلي مدينة وادي آش، أي أن الحملة لم تكن قاصدة مدينة وادي آش منذ البداية. أما المثال الثاني، وهو هجوم القشتاليين على مدينة وادي آش عام ٨٩٥هـ /١٤٨٩م كان أيضاً أثناء حصارهم لمدينة بسطة، وبالتالي كان المسلمون منشغلين بالدفاع عن المدينة وما تتعرض لها من ضيق وجوع وحصار، فضلاً على أن دخولهم المدينة كان سريًّا عن طريق أحد الأدلاء والكشافة الذي أرشدهم إلى طرق الجبال السرية حتى وصلوا المدينة في خفاء، وكان للتقدم المفاجئ أيضًا لهرناندو قائد الحرس الملكي أثر كبير في ضعف وتفريق صفوف المسلمين، فلم يستطيعوا المواجهة أو استرداد الغنائم المسلوبة، وعادوا مهزومين .

ويوقفة أيضًا حول حادثتي الفونسو السادس وابن ردمير في عصر المرابطين، وهو أنه كيف لم تستطيع حملة كحملة ابن ردمير أن تقتحم مدينة وادي آش من عدة جهات مدة حصار قرابة شهرين، في حين نجح الفونسو في اقتحامها قبل اثنين وثلاثين عاماً؟ والسؤال الأهم هو لماذا وقفت الحملة كل هذا الوقت عند المدينة ؟.

فيما يتعلق بالإجابة علي السؤال الأول، فهو لا يخرج عن ما تمتعت به مدينة وادي آش من الحصانة الجغرافية والعسكرية، وبسالة أهلها في الدفاع عن المدينة، فضلاً على أنه وردت إشارات حول قيام المرابطين ببناء التحصينات الدفاعية في مدينة وادي آش وتدعيمها بإنشاء الأسوار والأبراج[٨٠]، ويبدو أنهم اهتموا لهذا الأمر بعد اكتساح الفونسو السادس لها، والذي اكتسح ما فيها دون أي مقاومة ذكرت، ودون أي صعوبة واجهته، لذا اهتم المرابطون لزيادة منعتها وحصانتها. كما عكف المرابطون على إنشاء الأسوار حول المدن الأندلسية أيضًا عقب حملة ابن ردمير مباشرة بعد فتوى ابن رشد الجد (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م)[٨١].

وللإجابة علي السؤال الثاني، فبالنظر إلى خط سير الحملة قبل وصولها مدينة وادي آش، نجد أنه لم يقف عند مدينة بعينها ما يفوق العشرة الأيام، وأنه قد نال من أغلب المدن التي حاصرها قبل مدينة وادي آش، وبالرغم من عدم نيله من مدينة بسطة رغم قلة تحصيناتها وأنها غير مسورة في هذا الوقت، اتجه مباشرة إلى مدينة وادي آش ووقف عندها مدة لم يقفها عند أيه مدينة أخرى امتنعت عليه، ورغم ذلك لم ينل منها (٨٢)؛ ربما لأنها أقرب لغرناطة أحد أهم الأهداف الرئيسة للحملة ولكن هناك أبعاد ومعطيات أخرى تجعلنا نقف عند هذا الخبر.

فمن الأسباب الرئيسة لقيام الحملة هو ما ذكرته المصادر العربية حول استثارة النصاري في كورة غرناطة وما حولها من الأقطار لابن ردمير في غرناطة واستفزوه بأوصافها مما حظت به من خيرات ومحاصيل مختلفة، ومدينة وادي آش لا تخرج عن كل هذه الصفات .

وبالإشارة حول قيام الفونسو السادس بحمل جملة من المعاهدة بمدينة وادي آش عام ٤٨٧هـ/١٠٨٥م دليلاً حول تواجد النصاري المعاهدة في مدينة وادي آش خلال هذه الفترة، وما ذكرته المصادر من أن النصاري المعاهدة قد كشفوا ما بداخلهم وافتضح أمرهم باستدعاء ابن ردمير والانضمام إليه كان عقب حصار ابن ردمير لمدينة وادي آش عن طريق القصر واتجاهه إلي غرناطة(٨٣)، يشير إلى أن النصاري المعاهدة في مدينة وادي آش كان لهم دور إلى جانب نصاري غرناطة والأقطار المجاورة في استدعاء الحملة، وأن مدينة وادي آش كانت هدفًا مقصودًا يرمي إليه ابن ردمير لما تمتعت به من رخاء اقتصادي، الأمر الذي جعله يستميت في حصارها ويقف عندها مدة لم يقفها عند أي مدينة أخرى.

ويدعم هذا القول ما انفرد به ابن عذاري برواية أن نصاري جبال البشارات إلى جانب نصاري غرناطة كان لهم دور مباشر في استدعاء الحملة (٨٤)، أي أن نصاري المناطق الجبلية في الجنوب التي تتسم طبيعتها الجغرافية بالوعورة كانوا في مقدمة صفوف هذه المعاهدة لقيامهم بإدلاء الحملة وإرشادهم علي الطرق الوعرة التي تخفي عليهم .

كما يدعم ذلك أيضًا ما قاله بعض المستشرقين من أن ابن ردمير أثناء عودته من الحملة اصطحب معه حوالي عشرة (١٠) آلاف من النصاري بناءً على طلبهم خوفاً من انتقام المسلمين بسبب خيانتهم لهم، ومن المحتمل أن يكون جزءًا منهم من مدينة وادي آش(٨٥)، خاصة وأن أحد المستشرقين ذكر أنه لم يُسمع شيئاً عن أخبار النصارى في مدينة وادي آش منذ هذا التاريخ أي ٥٢٠هـ/١١٢٦م (٨٦)، فضلاً عن قيام المرابطين بإجلاء النصارى المعاهدين عن الأندلس بعد خروج الحملة في رمضان عام ٥٢٠هـ/١١٢٦م بناءًا علي فتوي الفقيه ابن رشد الجد(٨٧).

رابعاً: الأطماع الاقتصادية الداخلية لمدينة وادي آش :

شهدت مدينة وادي آش منذ حلول القرن الخامس الهجري/ الحادي الميلادي نزاعاً ومنافسة علي ولايتها بين أمراء غرناطة والأندلس منذ عصر ملوك الطوائف، وكانت طوال عصورها محط نزاع ومنافسة بين ولاة غرناطة والأندلس. كما كانت محط استقلال من قبل بعض ولاتها من السلاطين وأصهارهم؛ إذ كان من يتولى أمر هذه المدينة أو من يتولى شأن من شئونها يتطلع بطموحه دائماً إلى الاستقلال بها والاستبداد بحكمها، وسوف يقتصر البحث على رصد هذه الحوادث التي هدفت استغلال موارد الدولة وجبايتها علي النحو التالي:

شهدت مدينة وادي آش في بداية عصر ملوك الطوائف منافسة بين علي بن الفروي

أول ولاة مدينة وادي آش في عهد بني زيري، وبين يوسف بن نغرالة اليهودي الذي كان لديه تطلعات حول ضم مدينة وادي آش من يد أبناء الفروي(٨٨)، والاستئثار بجبايتها لنفسه (٨٩)، باعتبارها أحد أهم الحصون بغرناطة التي تدر دخلاً هائلاً، ولم يكن علي بن الفروي يدفع مقابل خراجها سوي خمسة عشر ألف دينار دراهم(٩٠)، وهي تساوي أكثر من مائة ألف دينار(٩١) ثلثية، لذلك حرض اليهودي الأمير بلقين وقال له ".. **اقبض وادي آش من عنده، ولك مني فيها أزيد من مائة ألف !**" " .. **ومن الغبن أن يكون وزراء والدك أغني منك !، وهذه وادي آش بنت غرناطة، لا تجمل إلا لك..**" (٩٢) .

وبالفعل نزعها من يد أبناء الفروي وضمها اليهودي خادمًا للأمير بلقين، وأصبح واليًا علي مدينة وادي آش، وصارت المودة بينه وبين الأمير بلقين فترة طويلة إلى أن وجد وزراء الدولة علي وأخيه عبد الله الفروي تمكُن اليهودي عند السلطان باديس وابنه الأمير بلقين، واستئثاره بالسلطة شيئاً فشيئاً هو وأهل جنسه من اليهود، فقرروا الإيقاع بينه وبين الأمير بلقين، وحرضوه علي قتله، إلا إن يوسف سبقه وقتله ودس له السم الذي مات به بعد يومان عام ٤٥٦هـ/١٠٦٤م[٩٣].

كانت هذه الحادث مقدمة لحادث أخطر في مدينة وادي آش بدأ بخيانة المدينة وانتهي بالاستيلاء عليها من إحدى الممالك الإسلامية المجاورة، حيث إن باديس ترك المجال لوزيره يوسف واستأثر بالسلطة، واستبد بأموال المدينة "**.. واحتبس له بكثير من جباية وادي آش ..**"[٩٤]، فاستسلم له سائر الوزراء والشيوخ، ولم يكن يحاول مقاومته سوي الناية [٩٥]، الذي حظي بعناية باديس، وعهد إليه ببعض المهام الخطيرة، وكان يحرض باديس علي قتل يوسف[٩٦]وعندما شعر ابن نغرالة بتغير الأمر عليه، وضعف مكانته خاف على نفسه أن يتخلص منه السلطان، لذلك قرر أن ينجو بنفسه، ولكنه عزم أولاً على إحداث فتنة في البلاد، **فكانت خيانته لمدينة وادي آش**، وخاطب ابن صمادح صاحب ألمرية، واستدعاه للاستيلاء عليها؛ لأنها بوابة الدخول لغرناطة وباستيلائه، عليها يمكنه بسهوله الاستيلاء علي غرناطة[٩٧]، وبالفعل استطاع ابن صمادح دخول وادي آش شمال شرق غرناطة، ولم يبق له إلا حصن قبريرة *Cabrera* علي مقربى من غرناطة في طريق وادي آش، وبذلك سنحت له الفرصة لاحتلال غرناطة، إلا إن أهل غرناطة قاموا بثورة ضد يوسف فقتلوه وصلبوه علي باب غرناطة، وعاد صمادح إلي بلاده وما زالت وادي آش بيده[٩٨]، وكان حادث استيلاء بنو صماح على مدينة وادي آش له أثر كبير علي باديس؛ إذ فاق من غفلته، ونهض لاستردادها مع أكابر دولته، وساعد في حصارها المأمون ابن ذي النون[٩٩] (٤٣٥-٤٦٧هـ/١٠٤٣-١٠٧٤م) حاكم طليطلة، فاضطروا للتسليم وأخلوا القصبة وسُلمت إلي باديس، وبعث ابن صمادح إليه يستسمحه عن تصرفه، وقبل اعتذاره وعاد الوئام بينهما[١٠٠].

كانت لتلك الأطماع الاقتصادية في المدينة والتي نتج عنها أحداث النزاع والتآمر والقتل دور في أن اتجه عبد الله بن بلقين (٤٦٥-٤٨٣هـ/١٠٧٣-١٠٩٠م)، بعد عقده معاهدة مع الفونسو السادس لإنقاذ غرناطة إلي الالتفات إلي الشئون الداخلية لمدينة وادي آش والعمل علي تنظيم الإدارة، وعزل الحكام الظالمين بها، حيث عزل عاملها ابن أبي جوش صنيعة وزيره سماجة الذي كان يطمع بالحكم، واغتبط الرعايا لذلك. كما عزل ابن بلقين حكاماً آخرين وعين غيرهم ممن عرف عنهم النزاهة والعدل [١٠١] .

وفي عصر المرابطين كانت أول حادث استقلال بمدينة وادي آش عن إقليم غرناطة، ما قام بها الفقيه أحمد بن محمد بن ملحان الطائي الوادياشي[١٠٢]، ضمن حركات الاستقلال والثورات التي قام بها الفقهاء خلال هذا العصر، حيث ثار ابن ملحان بمدينة وادي آش عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م، واستولي علي قصبتها وحصَّنها، ودعا لنفسه، وتلقب بالمتأيد بالله[١٠٣] .

وبعد استقلاله بالمدينة عمل ابن ملحان علي تعزيز مركزه في مدينة وادي آش بكل الوسائل وجمع المال والذخائر، وذلك باستغلاله للنشاط الزراعي الذي يعتبر أهم مورد اقتصادي ومصدر دخل للمدينة، حيث استعان بنفسه علي فلاحة الأرض وحرثها حتي صار من أغني أهل زمانه، واتخذ لنفسه بلاطاً جمع فيه كل مظاهر الأبهة والفخامة، ثم أحاط نفسه بعدة من مشاهير رجال العلم والأدب في هذه العصر. كما استطاع أحمد بن ملحان التغلب على بعض القواعد القريبة مثل بسطة وضمها إلى إمارته[١٠٤] .

واستمر حكم ابن ملحان لمدينة وادي آش خلال عهد الموحدين، حتى استولى عليها محمد بن مردنيش[١٠٥] (٥٤٢-٥٦٧هـ/١١٤٧-١١٧١م) عام ٥٤٦هـ/١١٥١م ومدينة بسطة بعد أن تطلع طموحه للتوسع في الجنوب [١٠٦]، وكانت سياسته في مدينة وادي آش بصفة خاصة وفي إمارته بصفة عامة قائمة على جمع الأموال بصورة غير شرعية من الشعب لتحقيق مكاسبه، حيث " ..**أكثر من القيالات، ورسم بدائع المكوس** .. "[١٠٧]، واستمرت مدينة وادي آش تحت طاعة ابن مردنيش وأميرها ابن نزار منذ عام ٥٤٦هـ/١١٥١م حتى أواخر عام ٥٥٧ هـ/ ١١٦٢م، وهو العام الذي انتقلت فيه غرناطة إلي طاعة الموحدين مرة أخرى، وانسحب ابن مردنيش من غرناطة، وعلى إثر هذا النصر الذي أحرزته قوات الموحدين بادرت سائر نواحي غرناطة إلى إعلان الطاعة للموحدين[١٠٨] .

نتائج البحث

توصل البحث إلى عدة نتائج على النحو التالي:

- نجحت مدينة وادي آش في تكوين قوة اقتصادية وكيان اقتصادي متميز في الجنوب الأندلسي متمثلاً في تحقيق الاكتفاء الذاتي وتحقيق رغد العيش والرفاهية، وذلك لما تميزت وانفردت به من مقومات طبيعية وبشرية.
- بالرغم من عدم نجاح بعض الهجمات الخارجية للقشتاليين في تحقيق أطماعها الاقتصادية في المدينة نتيجة لحصانة المدينة الجغرافية والعسكرية، إلا إن غارت أخرى قد نجحت في تحقيق النهب والاستيلاء، وقد أرجع البحث أسباب هذا النجاح إلي عنصر المفاجأة والخيانة أحياناً، فضلاً عن انشغال المسلمين بالدفاع عن المدن الأندلسية الأخري التي تعاني مرارة الحصار ، أو وقعت في أيدي الممالك النصرانية .
- كان النصاري المعاهدة في مدينة وادي آش ضمن صفوف المعاهدة في استجلاب حملة ابن رُدمير إلي جانب نصاري جبال البُشرات وغرناطة . كما كانت مدينة وادي آش محط نظر لابن ردمير وهدفاً يرمي الوصول إليه، الأمر الذي جعله يستميت في حصارها من عدة جهات، ووقوفه عندها مدة لم يتوقفها عند أية مدينة أخرى .
- تعرضت مدينة وادي آش لكافة أنواع السبل لاستنزاف خيراتها من قِبل بعض حكامها وأمرائها،إما عن طريق الاستبداد بجبايتها، أو بفرض الضرائب غير الشرعية، فضلاً عن استغلال مواردها استغلال شخصي .
- كان لهذه الأطماع آثار سلبية متعلقة بعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي للمدينة في بعض الأحيان عن طريق نشر الفوضى والاضطراب أحياناً، وكذلك نقص المحاصيل والموارد، وهو ما يؤدي بدوره إلي التضخم وارتفاع الأسعار .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المطبوعة:

- ابن الأثير: محمد بن عبد الكريم الشيباني (٦٣٠هـ/١٢٣٣م).
- الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- الإدريسي: أبي عبد الله بن محمد بن إدريس الحمودي (ت٥٦٠هـ/١٠٦٦م).
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- أحمد البلوي : أبو جعفر أحمد بن علي البلوي (ت٩٣٨هـ/١٥٣٢م).
- ثبت أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، تحقيق عبدالله العمراني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
- ابن بسام: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريسي(ت٥٤٢هـ/١١٤٨م)
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م.
- ابن بلقين: عبدالله بن باديس بن حبوس (ت٤٨٣هـ/١٠٩٠م)
- مذكرات الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة(٤٦٩-٤٨٣ هـ / ١٠٧٧/١٠٩٠م) المسمي بالتبيان، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف القاهرة ، د.ت.
- الحميري : أبي عبد الله بن محمد بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م)
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤.
- ـ: صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.
- ابن الخطيب: محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)
- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، المجلد الأول، الطبعة الثانية ،١٩٧٣ .
- المجلد الثاني، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.
- ـ : اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية، تحقيق محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي بيروت، ٢٠٠٩م.
- ـ: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، مجموعة من رسائله، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ١٩٨٣م.

- ـ : معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق، محمد كمال شبانة، مكتبة الثافة الدينية، القاهرة، طبعة ٢٠٠٢م.
- ـ : خطرة الطيف، رحلات في المغرب والأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ـ : أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت .
- الرشاطي: أبي محمد عبدالله اللخمي الأندلسي (ت٥٤٢هـ/١١٤٨م)

– اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٩٩م .

- ابن أبي زرع الفاس :علي بن عبد الله الفاسي (ت٧٤٠هـ/١٣٣٩م)

– الأنيس المطرب، روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة،المغرب،١٩٧٢م.

- ابن سعيد المغربي : علي بن موسي بن سعيد (ت٦٨٥هـ /٢٨٦ م)

– المُغرب في حُلي المَغرب، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، بتاريخ ٢٠٠٩م.

- شيخ الربوة : شمس الدين أبي عبدالله الأنصاري الصوفي الدمشقي (ت٧٢٧هـ/١٣٢٧م) .

– نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، ١٨٦٥م.

- ابن صاحب الصلاة: عبد الملك ابن صاحب الصلاة (٥٩٤هـ/١١٩٨م).

– المن بالإمامة (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين)، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م.

- عبد الواحد المراكشي : محي الدين التميمي(ت٦٧٤–١٢٥٠م).

– المعجب في تلخيص أخبار المغرب (من فتح الأندلس الي أواخر عصر الموحدين)،تحقيق محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة،١٩٦٣م.

- ابن عذاري المراكشي :أبو العباس أحمد بن أحمد (٧١٢هـ/١٣١٢م)

– البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

- القزويني : زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)

– آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.

- القلقشندي: شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد(ت٨٢١هـ–١٤١٨م)

– صبح الأعشي في تاريخ صناعة الإنشا، دار الكتب الخديوية، القاهرة، ١٩١٥م.

- مجهول: (مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري)
- الحلل الموشية في ذكر أخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، عبدالقادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.
- مجهول: نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر (تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلي المغرب، تعليق، الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولي، ٢٠٠٢م .
- المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، اللجنة العربية وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤م.
- المقري: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى القرشي (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م).
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تحقيق إحسان عباس، دار صادر،بيروت،١٩٦٨م.
- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م).
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة :

- أحمد محمد الطوخي : مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ١٩٩٧م.
- باسيليو بابون مالدونادو: العمارة في الأندلس عمارة المدن والحصون ، ترجمة علي إبراهيم منوفي، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولي، ٢٠٠٥م.
- حسين مؤنس: رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود، الدار السعودية، جدة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
- ـ: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد القاهرة، الطبعة الخامسة ،٢٠٠٠م.
- رينهرت دوزي: المسلمون في الأندلس،ترجمة حسن حبشي، الهيئة العامة المصرية للكتاب،١٩٩٥م.
- سالم بن عبدالله الخلف : نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولي،٢٠٠٣م.
- شكيب أرسلان : الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار كلمات، القاهرة، د.ت.
- ـ: خلاصة تاريخ الأندلس إلي سقوط غرناطة، آخر بني سراج مطبعة المنار، القاهرة، ١٩٢٤م .

- عبد الواحد طه : حركة المقاومة العربية والإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة ، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولي، ٢٠٠٤م .
- علي حسين الشطشاط : نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠١.
- علي محمد الصلابي : دولة الموحدين، دار البيارق، عمان، ١٩٩٨م.
- محمد أحمد أبو الفضل : شرق الأندلس في العصر الإسلامي (٥١٥-٦٨٦هـ / ١١٢١-١٢٨٧م) دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٦م.
- محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الاندلس، العصر الثاني، دول الطوائف منذ قيامها حتي الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م .
- ـ: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، مكتبة الخانجي،الطبعة الثانية،القاهرة، العصر الثالث،١٩٩٠م.
- ـ : العصر الرابع نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ـ : الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية أثرية) مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.
- مريم قاسم الطويل :مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (٤٠٣-٤٨٣هـ/١٠١٢-١٠٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٩٤م.
- واشنطن ايفرنغ : أخبار سقوط غرناطة، ترجمة هاني يحي نصري، مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة الأولي، ٢٠٠٠م .
- يوسف أشباخ :تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمه محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٥٨م.
- يوسف شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، دراسة حضارية، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م .

ثالثاً: الرسائل العلمية :

- خالد بن عبد الله بن حسن آل زيد : مدينة مالقة منذ عصر الطوائف حتى سقوطها (٤٢٢-٨٩٢هـ) دراسة سياسية اقتصادية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القري،٢٠٠٥م .
- شيماء أحمد السيد صالح : المجتمع الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن رشد(٤٥٠-٥٢٠هـ/١٠٥٨-١١٢٦م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١٥.

- ــ : التاريخ السياسي والحضاري لمدينة وادي آش منذ بداية عصر المرابطين حتي سقوطها في أيدي القشتاليين (٤٨٤-٨٩٥هـ/١٠٩١-١٤٨٩م)، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة،٢٠١٨م.

خامساً : المراجع الأجنبية:

- ***D. Francisco Javier Simonet : Discripcion del Reino de Granada, Madrid, 1960.***
- ***Jerónimo Münzer : Viaje por España y Portugal en los Años l494 Y 1495, La Real Academia de la Historia , Pp 32-119.***
- ***Janice Fariborz : the Role and Causes of Political Instability in The Fall of Muslim Granada 1461-1492, Degree of master, Western Michigan University, 1968.***
- ***Luis José García Pulido : El Santuario Rupetre De Santorcuato (Guadix,Granada), Mozárabes. Identidad y Continuidad De Su historia Antig. Crist. (Murcia) XXVIII, 2011, ISSN: 0214-7165, Pp. 441-463.***
- ***Roberto Marín Guzmán : Al-khassa wa al-'amma (la élite y el pueblo común] en la historia social de al-Andalus. Unaaproximación al estudio de lasclasessociales y la movilidad social en la Españamusulmana (711-1090), Estudios de Asia y Africa, Vol. 34, No. 3 (110), 1999, Pp. 483-520.***

---

(١) الرشاطي: اقتباس الأنوار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص٥٨، ترجمة ٣٦؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ج٢، ص٥٦٧؛ ياقوت الحموي: دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج١، ص١٩٨؛ ابن الخطيب: خطرة الطيف، رحلات في المغرب والأندلس، تحقيق

أحمد مختار العبادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م ، ص٨٥؛ القلقشندي: في تاريخ صناعة الإنشا، دار الكتب الخديوية،القاهرة،١٩١٥م، ج٥، ص٢٢١؛ الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤، ص٦٠٤ .

(٢) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج١، ص١٤٩.

(٣) الرشاطي: اقتباس، ص٥٨، ترجمة ٣٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٩٨؛ حسين مؤنس: رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود، الدار السعودية، جدة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، ص٥٠.

(٤) أحمد مختار العبادي في تحقيق مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٨ .

(٥) عبدالله العمراني في تحقيق ثبت أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، تحقيق عبدالله العمراني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ص٢٩ .

(٦) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب (من فتح الأندلس الي أواخر عصر الموحدين)، تحقيق محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة،١٩٦٣م، ص٤٥٥.

(٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٩٨ ؛ حسين مؤنس: رحلة الأندلس، ص٥٠.

(٨) القلقشندي: صبح الأعشي، ج٥، ص٢٢١.

(٩) شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، ١٨٦٥م، ص٢٤٣.

(١٠) وهو الاسم التي كانت تعرف به قديماً .انظر: حسين مؤنس : رحلة الأندلس، ص٥٠ ؛

Simonet : Discripcion del Reino de Granada, Madrid, 1960, P62.

(١١) حسين مؤنس : رحلة الأندلس، ص٥٠.

(١٢) عرف أرش اليمن بهذا الاسم؛ لأن بني أمية عندما دخلوا الأندلس، أنزلوا بنو سراج القضاعيين في هذا الإقليم، وكلفوهم بالمرابطة على الساحل وحمايته ضد أي اعتداء خارجي، فكان ما ضمنوا منه من مرسي كذا إلى مرسي كذا يسمي أرش اليمن أي أعطيتهم ونحلتهم، فهم يستثمرون المنطقة ويتمتعون بخراجها مقابل حمايتهم للساحل. انظر: الحميري: الروض المعطار، ص٧٩؛ سالم بن الخلف: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ج١، ص٥٦٧.

(١٣) ابن الخطيب: اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية، تحقيق محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٩م، ص٥٢.

(١٤) البيرة : مدينة رومانية قديمة كانت تسمي أيام الرومان *lLiboris*، وكانت في ذلك الوقت عاصمة كورة البيرة، وكانت أيام الفتح الإسلامي للأندلس مدينة كبيرة عامرة . انظر: مريم قاسم الطويل : مملكة غرناطة في

عهد بني زيري البربر (٤٠٣-٤٨٣هـ/١٠١٢-١٠٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص٥٤.

(١٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج١، ص١٩٨؛ الحميري: الروض، ص٤٥

(١٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٩٨؛ الحميري: الروض، ص٤٥.والمَيْل، مقياس للطول، قدر قديماً بأربعة آلاف ذراع، وهو الميل الهاشمي، وهو بري وبحري، والبري يقدر الآن بما يساوي ١٦٠٩ متراً، والبحري يساوي ١٨٥٢متراً . انظر: المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، اللجنة العربية وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤م، ص٨٩٤.

(١٧) محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية أثرية) مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، ص٢١٥ ؛ أحمد مختار العبادي: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، ص ٨ .

Simonet: Discripcion del Reino de Granada, P. 59.

(١٨) محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية، ص٢١٥.

(١٩) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٤٥٥.

(٢٠) جبل شلير: يقع هذ الجبل شمال مدينتي وادي آش وغرناطة، وهو جبل الثلج المشهور بالأندلس، طوله يومان، وفي غاية الارتفاع، ويتميز هذا الجبل بموقع متميز باتصاله بالبحر المتوسط، والوجه الجنوبي منه يُري من البحر، ويُري من أكثر بلاد الأندلس، وكذلك يري من المغرب. انظر : الحميري : الروض المعطار، ص٣٤٣.

(٢١) الحميري :الروض، ص٦٠٤ ؛ محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية، ص٢١٥.

(٢٢) المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٥٠ .

(٢٣)***Simonet: Discripcion del Reino de Granada, P. 59 .***

(٢٤)***Luis –Pulido : El Santuario Rupetre De Santorcuato (Guadix,Granada), Mozárabes. Identidad y Continuidad De Su historia Antig. Crist. (Murcia) XXVIII, 2011, P.441.***

(٢٥) ***Münzer : Viaje por España y Portugal en los Años l494 Y 1495, La Real Academia de la Historia , P. 83.***

(٢٦) المقري : نفح الطيب، ج١، ص١٥٠ ؛ حسين مؤنس : رحلة الأندلس، ص٥٠.

(٢٧) الحميري : الروض المعطار، ص٣٤٣

(٢٨) محمد عنان : الآثار الأندلسية ، ص٢١٥.

(٢٩) الزُغل : محمد بن سعد الزغل، تولى غرناطة بعد أن تنازل له السلطان أبي الحسن عن الحكم، وفي عهده حدثت فتنة أهلية بين أهل غرناطة وأهل ربض البيازين، بعد إطلاق النصاري سراح أبا عبد الله، وحدث

بينهما نزاع على الملك انتهى بتقسم المملكة بينهما. انظر: يوسف فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، دراسة حضارية، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م ، ص٥١.

(٣٠) راجع التاريخ السياسي لمدينة وادي آش: شيماء أحمد السيد علي صالح: التاريخ السياسي والحضاري لمدينة وادي آش منذ بداية عصر المرابطين حتي سقوطها في أيدي القشتاليين (٤٨٤-٨٩٥هـ/١٠٩١-١٤٨٩م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١٨م، صص٤٦-٨٦.

(٣١) الإدريسي : نزهة المشتاق، مج٢، ص٥٦٧ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى، ج٥،ص٢٢١.

(٣٢) ابن الخطيب : اللمحة، ص ٥٢؛ معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق، محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، طبعة ٢٠٠٢م، ص١١٢ ؛ خطرة الطيف، ص٨٥.

(٣٣) ***Luis Pulido :El Santuario Rupetre De Santorcuato, P.442.***

(٣٤) مجهول : نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر (تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلي المغرب)، تعليق الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولي، ٢٠٠٢م، ص٣٦.

(٣٥) مجهول : نبذة العصر، ص٣٦.

(٣٦) الحميري : الروض المعطار ،ص ٦٠٤.

(٣٧) الرشاطي : اقتباس الأنوار، ص٥٩، ترجمة ٣٦.

(٣٨) المقري : نفح الطيب، ج٣، ص٤٩٦ .

(٣٩) المقري : نفح الطيب، ج٣، ص٤٩٦.

(٤٠) المقري : نفح الطيب،ج١، ص١٤٩ ؛ ابن سعيد: المُغرب في حُلي المَغرب، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، بتاريخ ٢٠٠٩م، ج٢، ص١٤٨؛ شكيب أرسلان: في ذكر أخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، عبدالقادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، ج١، ص١١٤.

(٤١) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٢، ص١٥٧.

(٤٢) المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٤٩؛ شكيب أرسلان : الحلل، ج١،ص١١٤.

(٤٣) راجع المحاصيل الزارعية شيماء صالح: التاريخ السياسي والحضاري لمدينة وادي آش ، ص١٤٠-١٤٤.

(٤٤) القَسْطَل : شجر من الفصيلة البلوطية، له ثمر كثير النشاء، يؤكل مشوياً، ويعرف في مصر بأبي فروة. انظر : المعجم الوسيط، ص٧٣٢.

(٤٥) البُشرات : احدي مدن الجنوب الأندلسي، وتعرف بالبُشارات، أو بَشرة غرناطة في الجنوب الأندلسي، مقابلها بالأسبانية Alpujarras، وهي محرفة من كلمة Sierras والتي تعني الجبال، والبشرات هي الأرض المرتفعة أو المنطقة الجبلية الواقعة جنوب سفوح جبل شلير، علي مقربة من البحر المتوسط، ويبلغ طولها نحو تسعة عشر ميلاً، وعرضها نحو أحد عشر ميلاً، تتخللها التلال الصلدة والأخاديد العميقة وقد أصبحت هذه المناطق لوعورتها وصعوبة الوصول إليها ملاذاً للفارين الأندلسيين، الذين رفضوا قبول

التنصر، وقرروا مقاومة السلطات الأسبانية بعد السقوط. انظر: على حسين الشطشاط: نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠١، ص٩٨؛ عبد الواحد طه: حركة المقاومة العربية والإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص٢٩، ص٢٧ . وانفردت إلي جانب مدينة وادي آش بوجود شجرة عظيمة من شجر القسطل صنفت هاتان الشجرتان كأحد عجائب الأندلس، وذكر المقري أن الطريق بين غرناطة والبشرات متصلة بالمرافق والطعام من ناحية جبل شلير .انظر : المقري :نفح الطيب، ج ٤، ص٥٢١-٥٢٢ . وذكر الحميري أن بجبال الشارات من الغنم والبقر الشئ الذي يتجهز به الجلابون إلي سائر البلاد. انظر : الحميري : الروض، ص٣٩٤. وبالرغم من أن هذه المدينة اشتهرت كمدينة لعبت دوراً محورياً في الأحداث الأخيرة لمملكة غرناطة أو تحديداً في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ السادس عشر الميلادي، حيث شاركت إلي جانب بعض المدن التي لم تقع في قبضة القشتاليين في محاولات إنقاذ المدن التي تعرضت للحصار أو وقعت تحت طائلة النصاري، منها محاولات إغاثة مدينة بلش مالقة، وبسطة . كما نددت بسياسة النصاري وعبثهم في غرناطة بقيامها بثورة إلى جانب مدينة وادي اش عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩م. انظر : المقري : نفح الطيب، ج٤، ٥١٩,٥٢١، ٥٢٣ . إلا إنه بالرغم من ذلك فقد ورد ذكر البشارات خلال عصر المرابطين في رواية انفرد بها ابن عذاري، حيث ذكر أن نصاري جبال البشارات إلي جانب نصاري غرناطة كان لهم دور مباشر في استدعاء حملة ابن ردمير عام ٥١٩هـ/١١٢٥م كما أوردتُ بالبحث .انظر : ابن عذاري : البيان، ج٤، ص٦٩. وكانت مدينة البشرات هي العائل الوحيد والمدد الذي اعتمدت عليه غرناطة في حربها الأخيرة مع القشتاليين ومحاولة الصمود، ولكن أدرك ذلك القشتاليون فعملوا علي قطع الطريق بينهما فاشتد الغلاء وأدركهم الجوع، واضطروا للتسليم، وعندما علموا أن أهل غرناطة قد دخلوا تحت ذمة النصاري أرسلوا بيعتهم إلى ملك النصاري ودخلوا في ذمته، لتكن هي آخر موضع بالأندلس يقع تحت طاعة النصاري انظر: مجهول : نبذة العصر، ص٣٩، ص٤٢ .

(٤٦) المقري : نفح الطيب، ج١، ص١٥٠.

(٤٧) مجهول : نبذة العصر، ص٣٦ ؛ شكيب أرسلان : خلاصة تاريخ الأندلس إلي سقوط غرناطة، آخر بني سراج مطبعة المنار، القاهرة، ١٩٢٤م، صص٢٤٨.

(٤٨) ابن الخطيب : معيار الاختيار، ص١١٢.

(٤٩) الحميري : الروض المعطار، ص٤٤١ ؛ الطوخي : مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٣٠٦.

(٥٠) الحميري : الروض المعطار،ص٦٠٤.

(٥١) الرشاطي :اقتباس الأنوار، ص٥٩، ترجمة ٣٦ ؛ الحميري : الروض، ص٣٤٣.

(٥٢) شكيب أرسلان : خلاصة تاريخ الأندلس، صص٢٤٨.

(٥٣) ابن بلقين : مذكرات الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة(٤٦٩-٤٨٣ هـ / ١٠٧٧/١٠٩٠م) المسمي بالتبيان، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف القاهرة ، د.ت، ص٣٩.

(٥٤) ابن الخطيب : اللمحة، ص٥٢.

(٥٥) ابن الخطيب : معيار الاختيار، ص١١٢؛ خطرة الطيف، ص٨٥.

(٥٦) راجع شيماء صالح : التاريخ السياسي والحضاري لمدينة وادي آش، ص٧٠-٧٨.

(٥٧) ألفونسو السادس *AlfonsoVI* : هو أحد أبناء فرناند الأول الذي قسم أراضيه بين أبنائه الثلاثة قبل وفاته، فكانت ليون من نصيبه عام ٤٥٦هـ/١٠٦٤م، ثم آل إليه حكم قشتالة بعد وفاه أخيه الأكبر سانشو ٤٦٥هـ /١٠٧٢م، وبعد أعوام قليلة استطاع أن يضم إلي مملكته بعض أراضي مملكة نافارا الواقعة علي نهر إيبرو (إيرة). انظر : يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين،ترجمه محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي،القاهرة،الطبعة الثانية،١٩٥٨م، ص ص٢٠، ٢٢.

(٥٨) مدينة بلنسية *Valencia* : مدينة مشهورة بالأندلس تقع في الشرق من كورة تدمير، وفي الشرق من قرطبة، وهي مدينة برية بحرية تتميز بمكانة حضارية عظيمة في الأندلس، وقاعدة من قواعدها، وتتميز بكثرة الأسواق والبساتين، استولي عليها النصاري عام سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، إلي أن تم استردادها عام ٤٩٥هـ/١١٠٢م. انظر: الحميري : الروض، ص ص ٢٧٩-٢٨٠ ؛ القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٥١٣.

(٥٩) السيد الكمبيدور *El cid campeador*: هو فارس قشتالي اسمه الأصلي روديجو أوروي دياث بيباز، ووصفه بالكمبيادور معناها المحارب الباسل، وكان بداية ظهوره في ميدان الأحداث عقب وفاة فرناندو الأول *Fernando I* ملك قشتالة وليون في أواخر سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٥م ونشوب الخلاف بين أولاده، فكان قائد جيوش الملك سانشو أخي ألفونسو ويؤيده، وعندما أصبح ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون اختلف معه ونفاه إلي سرقسطة. انظر: أشباح : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص٢٣ ؛ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد القاهرة، الطبعة الخامسة ،٢٠٠٠م، ص٤٢٢.

(٦٠) مدينة طليطلة *Toledo*: مدينة عظيمة القطر، تقع علي ضفة النهر الكبير المسمي تاجة، وتتميز بوجود الأسوار المنيعة، والقصبة، وتعرف بالثغر الأوسط باعتبارها حاجز الدولة الإسلامية وجناحها الشمالي الأوسط ضد عدوان النصاري. انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، مج٢، ص ٥٥١ ؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م، ص ص١٣٠-١٣٥.

(٦١) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة،بيروت،الطبعة الثالثة،١٩٨٣م، ج٤، ص٣٦.

(٦٢) ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت،١٩٩٧م، ق٢، مج١، ص٢٤٩ ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة،المغرب،١٩٧٢م، ص١٦٩.

(٦٣) ابن ردمير (سانشو راميريس): ملك أراجون الذي استطاع أن يقوي نفسه بالاستيلاء علي جزء من نافارا (بلاد البشكنس)، وشغل المسلمين، وأعمل الحيلة عليهم، وكان قد استولي علي بعض حصون سرقسطة. انظر: يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص ص ١٠٢-١٠٣.

(٦٤) حملة ابن ردمير: هي الحملة التي قام بها ابن ردمير جنوب وشرق الأندلس٥١٩هـ/١١٢٥م، وتعد هذه الحملة حادثة عدوان علي الأندلس لم يسبق لها مثيل من حيث طول المدة والآثار التي تركتها، حيث خرج ابن ردمير ضد المسلمين في الأندلس بمساعدة النصاري المعاهدين بغرناطة، وعاث فيها فساداً طيلة عام كامل أكثروا خلالها من السبي والنهب والقتل والتخريب، حتي انتهي القتال بهزيمة المسلمين عند حصن ارنيسول (الرنسيول) *Amazuel Arinizol* .انظر: ابن عذاري : البيان، ج٤، ص ص٧٠-٧١ ؛ مجهول : الحلل الموشية، ص ص ٩٢-٩٤ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ،تحقيق محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٨٧م، ج٩، ص٢٣٥.

(٦٥) بسطة : مدينة بالأندلس، تقع بالقرب من مدينة وادي آش، من كور جيان . متوسطة المساحة، وهي محصنة، بها شجر توت وحرير وزيتون. انظر: الحميري : الروض، ص١١٣. بينها وبين بياسة غار يسمي بالشيمة لا يوجد قعره، وبناحيتها جبل يسمي بجبل الكحل . انظر : القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٥١٢. .

(٦٦) ابن عذاري : البيان، ج٤، ص٧٠ ؛ ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة،تحقيق محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي،القاهرة، المجلد الأول، الطبعة الثانية ،١٩٧٣، ج١، ص١٠٩.

(٦٧) ابن عذاري : البيان، ج٤، ص٧٠ .

(٦٨) ابن الخطيب : الإحاطة، ج١، صص١٠٩-١١٠.

(٦٩) مجهول : الحلل الموشية، صص٩٢-٩٣.

(٧٠) مُرسية *Murcia* : مدينة بكورة اشبيلية، وتقع مرسية علي نهر كبير، وتشتهر بالحمامات والأسواق والبساتين. انظر : الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص١٨١ .

(٧١) أبو الحسن علي بن سعد : يعرف باسم مولاي حسن، تولي عام ٨٦٨هـ /١٤٦٤م في وقت كانت تعاني فيه البلاد من الاضطراب، استطاع أن يرد عدد من القواعد والحصون من أيدي النصاري، ثم حدث نزاع بينه وبين أخيه محمد الزغل، انتهي بتقديم الطاعة له، فانقسمت المملكة إلي شطرين، مالقة وأحوازها يحكمها الزغل، واستقر أبو الحسن في غرناطة، وانتهي أمره بدعوة ابنه أبا عبدالله لنفسه وتولية الحكم بدلاً منه، ثم عاد للعرش مرة أخري عام ٨٨٨هـ/١٤٨٣م بعد أسر ابنه، وبعد عامين تنازل عن الحكم للزغل بسبب

شيخوخته عام ٨٩٠هـ/١٤٤٨م . انظر :مجهول : نبذة العصر، ص٢، ١٢ ؛ المقري : نفح الطيب، ج٤، ص٥١١، ٥١٤. ***Janice Fariborz : the Role and Causes of Political Instability in The Fall of Muslim Granada 1461-1492, Degree of master, Western Michigan University, 1968,Pp.11-13.***

(٧٢) شكيب أرسلان : خلاصة تاريخ الأندلس، ص٢٤٨-٢٤٩.

(٧٣) شكيب أرسلان : خلاصة تاريخ الأندلس، ص٢٤٩.

(٧٤) مدينة مالقة *malaga*: تمتعت مدينة مالقة بموقع جغرافي مهم أعطاها أهمية تاريخية وحضارية عظيمة بين مدن الأندلس، فهي تقع علي أرض منبسطة في أقصي جنوب شرق الأندلس علي شاطئ البحر، وتنحصر بين الجزيرة الخضراء وألمرية، وبين مملكتي غرناطة وإشبيلية، وكانت تتميز باتساع أقطارها وكثرة ديارها. انظر : الحميري : الروض، ص ٥١٧-٥١٨ ؛ خالد بن عبد الله : مدينة مالقة منذ عصر الطوائف حتي سقوطها (٤٢٢-٨٩٢هـ) دراسة سياسية اقتصادية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القري،٢٠٠٥م، ص ص١٣، ١٦.

(٧٥) المقري : نفح الطيب، ج٤ ، ص٥١٤ ؛ شكيب أرسلان : خلاصة، ص٢٤٩-٢٥١ ؛ محمد عنان : نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٠٣.

(٧٦) واشنطن ايفرنغ : أخبار سقوط غرناطة، ترجمة هاني يحي نصري، مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة الأولي، ٢٠٠٠م، ص٣٢٣ .

(٧٧) شكيب أرسلان : خلاصة تاريخ الأندلس، صص٢٨٩؛ واشنطن ايفرنغ : أخبار سقوط غرناطة، ص٣٢٣ – ٣٢٤.

(٧٨) شكيب أرسلان : خلاصة تاريخ الأندلس، ص٢٩٠ ؛ واشنطن ايفرنغ : أخبار سقوط غرناطة، ص٣٢٤.

(٧٩) واشنطن ايفرنغ : أخبار سقوط غرناطة، ص٣٢٥.

(٨٠) باسيليو مالدونادو: العمارة في الأندلس عمارة المدن والحصون ، ترجمة علي إبراهيم منوفي، المجلس الأعلي للثقافة، الطبعة الأولي، ٢٠٠٥م، ص٣٨٣.

(٨١) انظر : شيماء أحمد صالح : المجتمع الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن رشد(٤٥٠-٥٢٠هـ/١٠٥٨-١١٢٦م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١٥، ص٧٧,٧٨.

82 خط سير الحملة حتي وادي آش : خرج ابن ردمير من سرقسطة في شهر شعبان عام ٥١٩هـ /١١١٢٥م، واجتاز علي بلنسية وأقام بها مدة، ثم وصل إلي جزيرة شقر *Segura* وقاتلها ولكنه خسر فيها ثم إلي شاطبة *Jativa* ، ومنها إلي مرسية *Murcia* ثم اجتاز بالمنصورة *Almanzora* ثم صعد تلوم بواد تاجلة لمدة ثمانية أيام، ثم تحرك إلي مدينة بسطة *Baza* وحاول قتالها نظراً لقلة تحصيناتها ويسهل الاستيلاء عليها

ولكنه هزم فيها رغم أن أكثر حاراتها غير مسورة، ثم نزل بقصر القرية *Alqezar* القريبة منها إلي وادي آش. انظر : ابن عذاري : البيان،ج٤، ص ص٧٠-٧١ ؛ مجهول : الحلل، ص ص ٩٢-٩٤.

(٨٣) ابن عذاري البيان، ج٤، ص٧٠ ؛ مجهول : الحلل، ص٩٥.

(٨٤) ابن عذاري : البيان، ج٤، ص٦٩.

(٨٥) رينهرت دوزي : المسلمون في الأندلس،ترجمة حسن حبشي، الهيئة العامة المصرية للكتاب،١٩٩٥م، ج٣، ص١٦٣؛

Pulido : El Santuario Rupetre De Santorcuato P.447.

(٨٦) ***Pulido : El Santuario Rupetre De Santorcuato P.447.***

(٨٧) مجهول : الحلل الموشية ، ص٩٨.

(٨٨) كان ابنا الفروي علي وعبد الله وزيرين لإسماعيل بن نغرالة اليهودي وزير باديس بن حبوس (٤٢٨-٤٦٥هـ/١٠٣٧-١٠٧٢م)، وقائدا العسكر، وإليهما يرجع الرأي في أمور الفتن، وبعد وفاة إسماعيل تولي ابنه يوسف بن نغرالة اليهودي الجبايات بعد أن توسط له علي بن الفروي أمير وادي آش عند الأمير باديس مقابل المال وأن يكون تحت طاعته . انظر : ابن بلقين : التبيان،ص٣٦-٣٨.

(٨٩) ابن بلقين : التبيان، ص٣٨ ؛

Al-khassa wa al-'amma (la élite y el pueblo común] en la historia social de al-Andalus. Unaaproximación al estudio de lasclasessociales y la movilidad social en la Españamusulmana (711-1090), Estudios de Asia y Africa, Vol. 34, No. 3 (110), 1999, P.490.

(٩٠) الدرهم: جزء من اثني عشر جزءاً من الأوقية، وقطعة من الفضة مضروبة للمعاملة . انظر : المعجم الوسيط، ص٢٨٢.

(٩١) الدينار: نقد ذهب كانت قيمته في الدولة الإسلامية حول ما يعادل خمسين قرشاً. انظر: المعجم الوسيط، ص٢٩٨.

(٩٢) ابن بلقين : التبيان ، ص٣٨-٣٩.

(٩٣) ابن بلقين : التبيان، صص٣٩- ٤٠؛ ابن الخطيب : أعمال الاعلام، ج٢، ص٢١١.

(٩٤) ابن بلقين : التبيان، ص٤١.

(٩٥) الناية : هو شخصية غامضة، أصله من عبيد المعتضد بن عباد، وكان متهماً في المؤامرة التي دبرها ضده ولده اسماعيل، ففر إلي اشبيلية، والتجأ إلي باديس، وخدمه وحظي عنده، وعهد إليه ببعض المهام الخطيرة، ثم وقف التنافس بينه وبين يوسف : انظر : ابن بلقين : التبيان، ص٤٦.

(٩٦) ابن بلقين : التبيان، ص٤٦.

(٩٧) ابن بلقين : التبيان، ص٤٦–٤٧ ؛ ابن الخطيب : أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٢،ص٢١٢.

(٩٨)ابن بلقين : التبيان، صص٥٣–٥٥ ؛ محمد عنان دول الطوائف منذ قيامها حتي الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م، ص١٣٥.

(٩٩) المأمون بن ذي النون : ثاني ملوك الطوائف في مملكة طليطلة بعد اسماعيل تولي عام ٤٣٥هـ/١٠٤٣، وهو من أعظم ملوكها وأطولهم عهداً، وامتدت رقعة المملكة في عهده حتي وصلت شرقاً إلي بلنسية، وتوفي ٤٦٧هـ/١٠٧٤م انظر : محمد عنان : دول الطوائف، ص١٠٤.

(١٠٠) ابن بلقين : التبيان، صص٥٥ –٥٧.

(١٠١) ابن بلقين : التبيان، صص٨٦–٨٧.

(١٠٢) ابن ملحان :هو أحمد بن محمد بن ملحان الطائي من أهل وادي آش، فقيهاً معروف الكفاية، ثار بمدينة وادي آش واستقل بها أواخر عصر المرابطين، واستمر حكمه بها إلي أن استولي عليها محمد بن مردنيش عام ٥٤٦هـ/١١٥١م، وعبر ابن ملحان إلي المغرب في خدمة الموحدين، وتوفي بمراكش بعد أن نُزعت أمواله علي أيدي الموحدين .انظر: ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٣٧ ؛ محمد أبو الفضل :: شرق الأندلس في العصر الإسلامي (٥١٥–٦٨٦هـ / ١١٢١–١٢٨٧م) دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١١٠.

(١٠٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٣٧ ؛ محمد أبو الفضل: شرق الأندلس، ص١١٠.

(١٠٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٣٧ ؛ محمد أبو الفضل : شرق الأندلس، ص١١٠ ؛ محمد عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي،الطبعة الثانية،القاهرة، العصر الثالث،١٩٩٠م، ج١، ص٣٢٠.

(١٠٥) محمد بن مردنيش : ينسب إلي الأصول العربية، وكان أبيه سعد بن محمد والياً للمرابطين علي إفراغة، وضبطها، ونازلها ابن ردمير، فدافع عنها إلي أن هزم علي يد ابن غانية، ثم تولي من بعده ابنه محمد، وكان بينه وبين ابن عياض المتآمر بمرسية علاقة صهر، ولاه بلنسية، وبوفاة عياض تولي حكمها ابن سعد، ودخلت مرسية تحت طاعته . انظر: ابن الخطيب : الإحاطة، ج٢، ص١٢١ ؛ أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٣٤؛ علي محمد الصلابي : دولة الموحدين، دار البيارق، عمان، ١٩٩٨م، ص١٤٤.

(١٠٦) ابن الخطيب: أعمال الأعلام،ج٢، ص٢٣٧؛ محمد أبو الفضل: شرق الأندلس، ص١١٠.

(١٠٧) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص٢٣٥ ؛ الإحاطة، ج٢، ص١٢٤.

(١٠٨) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين)، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م، ص ١٢٤، ص١٣٤ ؛ محمد أبو الفضل : شرق الأندلس، ص١٢٠.

تشابه أسماء المدن وأثره على الكتابة التاريخية
صنعاء الشام أنموذجاً

أ.د. عبد الله بن سعيد الغامدي

جامعة أم القرى

الحمد لله وحده، والصّلاة والسلام على من نبيّ من بعده، وعلى آله وصحبه ومن على آثارهم اقتفى رشده، ثم أما بعد:

فإن استراتيجية اختطاط المدن وتشييدها يختلف من منطقة لأخرى وذلك وفقاً للطبيعة الجغرافية وتضاريس الأرض التي تُختار لإقامة المدن عليها؛ فالملاحظ أن معظم مدن العالم – قديمه وحديثه – تُختط وتُشيَّد على ضفاف الأنهار، ومن ذلك على سبيل المثال مدن دمشق وبغداد والقاهرة وباريس ولندن وغيرها، ومنها ما يُختار لها شواطئ البحار والمحيطات بالقرب من مصبات الأنهار كروما ودمياط[١] ورشيد[٢] وغيرها، ومنها ما يُشيّد على ضفاف البحيرات التي تشتهر بعذوبة مياهها، كتلك المطلة على بحيرة طبرية[٣] في بلاد الشام، أو بحيرات أخرى متوزعة في كافة أصقاع الأرض. وأما تلك التي شيدت في أراضٍ لا تجري بها الأنهار ويغلُب على تضاريسها التّصحّر[٤] فيُراعى في تشييدها أن تكون على مشارف الأودية ومجاري السيول وفي مناطق تهطل بها الأمطار الموسمية، وذلك طمعًا في الإفادة من المياه الجوفية والعيون التي يرتفع وينخفض منسوبها في باطن الأرض وفقًا لمواسم الأمطار وكميات هطولها وجريان السيول على أثرها.

والواقع أن الحديث عن اختطاط المدن وتشييدها يطول الكلام حوله، وليس هذا موضعه، ولكن من المدن ما رُوعي في تشييدها العوامل السياسية والاقتصادية والدينية أيضًا؛ ومن ذلك – على سبيل المثال – مدينة روما الجديدة التي عُرفت بعد ذلك

بالقسطنطينية، والتي غُيّر اسمها مرارًا بعد ذلك وصارت تُعرف حاليًا باستانبول، وكذلك حال مدن الكوفة[٥] والبصرة[٦] والقطائع[٧] والقيروان[٨] وغيرها.

ومما يمكن إدراجه ضمن تشييد المدن؛ ما قد يبنى بظاهرها أو قريبا منها، وهو ما يطلق عليه الجغرافيون أرباض[٩] المدن أو أظهرتها، والتي يقطنها في الغالب المهاجرون من خارجها، حيث تملي عليهم ظروف سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية العيش في ظاهر المدن الكبيرة، والتي تبدأ حياة الناس بها على شكل قُرى وهُجَر[١٠]، ثم تتطور هذه القرى والهجر لتصبح مدنًا إما ملحقة بالمدن الكبيرة أو قريبة منها. وهذه المدن قد تحمل مسمّى المدينة ذاتها، من ذلك الإقليم أو البلد الذي وفدت منه تلك العناصر المهاجرة إليها؛ فمثلاً مدينة الكرخ[١١] في بغداد كانت مكانًا يتجمّع فيه الشيعة الرافضة[١٢] الذين وفدوا على بغداد، ومثلها مدينة وُجدت بالقرب من دمشق كانت – على ما يبدو – مكانًا لتجمع العناصر اليمنية وبالذات أهل صنعاء[١٣] بها، حيث بدأت على شكل قرية صغيرة ثم ما لبثت بمرور الزمن وتزايد أعداد من وفد عليها من أهل اليمن أن اتسعت مساحتها وتكاثر سكانها حتى غدت مدينة مرموقة في بلاد الشام حمل معظم ساكنيها لقب "صنعاني" نسبةً إلى مدينتهم الجديدة التي أطلق عليها شيخ البُلدانيّين[١٤] "ياقوت الحموي" (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) اسم "صنعاء الشام"[١٥]، ولهذا كثيرًا ما التبس الأمر على كثير من الكتاب عند ورود النسبة إلى الصنعاني؛ فالكثير من المؤرخين وغيرهم من الكتاب لا يخطر بباله إلا صنعاء اليمن المدينة الشهيرة، بينما السياق في كثير من الأحيان يوحي بأن كثيرًا من الشخصيات عاشت في الشام وتنقلت بين عدد من مدنه ولم تتعداها. وما قيل عن صنعاء يمكن أن يقال عمن عُرف بالطبري من الأُسر والأفراد ، فكثير ما يلتبس الأمر على من ترد لهم تراجم تحمل هذه النِّسبة، هل هم من مدينة طبرستان[١٦] في أواسط آسيا أم أنها

من مدينة طبرية في الشام؟. ومثله التباس مدينة الجَنَد[١٧] في اليمن مع مدينة جُند[١٨] في أواسط آسيا. ومثلها من ينتسب إلى مكي، فإلى جانب مكة المكرمة هناك مدينة "تادْ مكة"[١٩] التي انتسب إليها كثير من الأعيان، فيُظن بعضهم أنها نسبة لمكة المكرمة وليس لتادْ مكة الإفريقية. ومثلها كذلك طرابلس الشام[٢٠] وطرابلس الغرب[٢١]. وإذا ما ذهبنا بعيدًا عن عالمنا الإسلامي نذكر من ذلك مدينة يورك ببريطانيا ونيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية في عصرنا الحاضر.

والواقع أن اهتمامي بهذا الموضوع لم يكن وليد الساعة بل بدأ يدور بخلدي ويستقطب اهتمامي منذ مدة ليست بالقصيرة ترجع لعقود من الزمان، وذلك عندما تواردت عليّ عدد من التراجم، سواء ما كان منها خلال إعدادي لرسالتي لدرجتي الماجستير والدكتوراه أو لبحوثي لاحقًا والتي تمحورت حول تاريخ بلاد الشام، ناهيك عمّا لمسته خلال إشرافي على رسائل الماجستير والدكتوراه، أو الاشتراك في مناقشتها أو تحكيم بحوث للنشر أو فحص مثيلاتها للترقيات العلمية، وخاصة تلك المتعلقة ببلاد الشام، فقد كانت تحمل النسبة إلى صنعاء بصيغة "صنعاني" بإضافة الألف والنون مخالفة القاعدة اللغوية المألوفة في مثل هذه الحالات وهي الاكتفاء بـ "ياء" النّسبة فقط فنقول "صنعائي" كمكي ومدني وغيرها. والأمر الثاني فالذي أعلمه أن اليمنيين منذ القدم وحتى عصرنا الحاضر لا يحرصون على الانتساب لمدنهم – رغم عراقتها – إلا ما ندر؛ فالمعروف أن اليمني منذ القدم وعبر عصور التاريخ اللاحقة يحرص بل يشرف بالانتساب لقبيلته وخاصة تلك التي تقطن صنعاء أو المحيطة بها كبكيل[٢٢] وحاشد[٢٣] وسنحان[٢٤] وغيرها، وهذه القبائل وغيرها تُعد المكون البشري الفعلي لسكان صنعاء عبر عصور التاريخ.

وعليه فكثير ما راودني شك في أن كثيرًا ممن انتسب إليها وخاصة ممن استخدم صيغة "صنعاني" لا يمكن أن يكون يمنيًا، ولعل مما يعضد هذا القول هو قول عبد السلام محمد هارون (ت١٤٠٨هـ/١٩٨٤م) في "كُناشة النوادر": "النسبة إلى البلاد: لم يكن العرب القدماء يعرفون نسبة الرجال إلى البلاد، إذ كانت حياة جمهورهم بين الانتجاع والارتياد لا يقرّ لهم في ذلك قرار، وإنما كانوا ينتمون إلى شيء ثابت هو القبيلة التي يحتمون بها ويخضعون لقوانينها، فالعربي قرشي وتميمي وهذلي وسعدي وجهني وبكري، وإذا عزّ عليه الانتماء إلى الفخذ انتمى إلى البطن ثم إلى العمارة ثم إلى الفصيلة ثم إلى القبيلة ثم إلى الشعب الكبير: العدناني أو القحطاني أو القضاعي، على ما في القضاعي من خلاف"[٢٥]. ويبدو لنا من هذا النص أن العربي يستنكف بطبعه أن ينتمي إلى البلد أو المكان الذي يقطنه، بل يحرص كل الحرص على الانتماء لفصيلته التي تؤويه.

والأمر الثالث الذي يلفت الانتباه هو أن ضبط النسبة بإضافة الألف والنون وعدم الاكتفاء بياء النسبة هو عُرف شامي درج عليه بعضهم في بعض الأحيان؛ ومن ذلك – على سبيل المثال لا الحصر – أن المختصين في علم الأنساب يفرّقون بين من انتسب إلى طبرستان ومن انتسب إلى مدينة طبرية ببلاد الشام بإضافة الألف والنون لمن انتسب لها، فيقال عمّن ينتسب إلى طبرية الشام "طبراني" بينما من انتسب إلى طبرستان يقال عنه "طبري"، ومنهم شيخ المؤرخين محمد بن جرير الطبري[٢٦]، وكذا أفراد "الأُسر الطبرية" التي سكنت مكة وتحدث عنها عدد من المؤرخين في بحوثهم[٢٧].

وبالرجوع إلى كتاب "المشترك وضعًا المفترق صقعًا" لياقوت الحموي نجد المؤلف يذكر أن صنعاء موضعان؛ الأول مدينة صنعاء المعروفة حاضرة اليمن على مرّ العصور، ثم تحدث عن موضع آخر يحمل ذات الاسم فقال ما نصه: "... أو صنعاء قرية كانت بدمشق، بين دمشق والمزة[٢٨]، ونسب إليها المحدثون قومًا من أهل الرواية وفرّقوا بينهم وبين من نُسب إلى

صنعاء اليمن"[٢٩]. ورغم أن ياقوت لم يزد في حديثه عنها أكثر من هذا، فإن الذي يمكن تأوكيده هو أن صنعاء الشام بدأت ظهيرًا من أظهرة دمشق وقرية من قراها. واللافت للنظر أن ياقوت أشار في "المشترك" وفي "المعجم" على وجود تشابه بين مدينة صنعاء اليمنية ومدينة دمشق، فوصف صنعاء بأنها أعظم مدينة باليمن وأجلها وتُشبّه دمشق "لكثرة فواكهها وتدفق مياهها"[٣٠] حسب زعمه، ولعل هذا الوصف جعل البعض يطلقون على هذا الجزء الواقع بين المزة ودمشق – الذي اشتهر بكثرة فواكهه وغزارة مياهه – اسم صنعاء الشام أو صنعاء دمشق.

والذي يجدر ذكره هنا أن ياقوت الحموي – وهو شامي الأصل – عندما تحدّث عن صنعاء اليمن جاء حديثه عنها بصيغة الاستمرار فقال: "وصنعاء أعظم مدينة باليمن"[٣١]، وعندما انتقل للحديث عن صنعاء الشام تحدّث عنها بصيغة الماضي حيث وصفها بأنها "قرية كانت بدمشق بينها وبين المزة"[٣٢]، وهذا التعبير يوحي بأن صنعاء الشام اندثرت في عصر ياقوت الذي عاش في المدة بين النصف الثاني من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي والنصف الأول من القرن السابع الهجري/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. والملاحظ أن ياقوت نفسه أكد على خراب صنعاء الشام عندما تحدث عنها في معجمه الكبير فقال عنها "وصنعاء أيضًا قرية على باب دمشق دون المزة، مقابل مسجد خاتون، خُربت، وهي اليوم مزرعة وبساتين"[٣٣]. ومما يسترعي النظر أيضًا أن وصف ياقوت لصنعاء الشام في "معجمه" يختلف بعض الشيء عنه في "المشترك"؛ ففي الأول يقول بأنها "دون المزة"، وفي الثاني يقول بأنها "بين دمشق والمزة"[٣٤]، وفي موضع آخر قال عنها "وأخرى قرية بالغوطة[٣٥] من دمشق"[٣٦]، ويبدو من هذا الاختلاف البسيط أن ياقوت لم يشاهد صنعاء الشام وأنها خربت قبل عصره.

ورغم سكوت معظم البلدانيين – ممن تيسر الاطلاع على كتبهم – عن ذكر صنعاء الشام؛ فقد أشار إليها ابن حبان (ت٣٥٤هـ/٩٦٤م) في صحيحه ونعتها بصنعاء الشام وذلك في معرض حديثه عن وصف النبيّ ﷺ لحوضه وأنه "كما بين أيْلة[٣٧] إلى صنعاء"[٣٨] حيث قال: "أراد به صنعاء اليمن دون صنعاء الشام"[٣٩]؟. وميّزها بذات الاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م) في قوله: "ما انتهى إلينا من مسند المطعم بن المقدام[٤٠] الصنعاني، صنعاء الشام"[٤١]، ومثله ما فعله كذلك السمعاني (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م) في ترجمته للمطعم حيث قال: "ومنهم المطعم بن المقدام الصنعاني، من صنعاء دمشق"[٤٢].

ومما يمكن إضافته في هذا المجال أنه من المرجح أن المقصود بـ "باب صنعاء" الذي ورد في حديث النبيّ ﷺ عن أفضلية الصلاة في المسجد النبوي هو صنعاء الشام لأمور عدة منها:

١- أنه كان لدمشق باب يفتح باتجاه الجنوب الغربي يعرف بباب صنعاء.

٢- أن المنطق يحتم علينا القول بأن توسعات المسجد النبوي على مرّ التاريخ كانت في الغالب بالاتجاه المقابل للقبلة ناحية الشمال مراعاة لمكان ومكانة الروضة الشريفة ومنبر النبيّ ﷺ، وحتى إذا سلّمنا جدلاً بعكس هذا الاتجاه فهل من المعقول أن يكون للمسجد النبوي قبلتان بعد أن يتجاوز اتساعه جنوبًا أبعد من مكة المكرمة؟.

ومثل ذلك حديث آخر رُوي عن النبيّ ﷺ ورد فيه: "والله ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون"[٤٣]؛ فالواقع التاريخي الذي يُعبّر عنه هذا الحديث الذي يتوافق مع مدلوله يجعلنا نُرجح أن المقصود بصنعاء هنا هي صنعاء الشام وليست صنعاء اليمن، والله أعلم.

والواقع أن عدم جزم ياقوت الحموي – وهو العمدة في وصف بلد الشام – بالوقت الذي خربت فيه صنعاء الشام أو حتى ذكر أسباب خرابها، فضلاً عن كونه أيضًا لم يشر من قريب أو بعيد إلى بداية نشوئها ولا حتى الإشارة إلى أنها قرية يرتبط ظهورها بتطور محدّد لأي توسع شهدته مدينة دمشق عبر عصور تاريخها، كل هذا كان دافعًا للبحث عن نشأتها واندثارها أو خرابها وتحولها إلى مزارع وبساتين، وهو ما يحتم أيضًا البحث عن الوقت الذي وجدت فيه صنعاء الشام وما آلت إليه من خراب سبق عصر ياقوت.

أما عن سبب تسميتها فيرى البعض أن ذلك يعود إلى جنس من نزلها من أهل صنعاء اليمن، وذلك اعتمادًا على قول ابن حجر (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م): "وسُميت باسم من نزلها من أهل صنعاء اليمن"[٤٤][٤٥]، ورغم أن ابن حجر لم يحدّد زمن هذا النزول، فإن الذي يمكن توكيده هنا أنها كانت عامرة بسكانها ممن ينتمون لصنعاء ومن جاورهم بها من غيرهم منذ ما قبل الإسلام، وذلك استنادًا على ما ذكره ابن حبان الذي ذكر بأن نصّ حديث النبيّ ﷺ عن صنعاء اليمن هو من باب تمييزها عن صنعاء الشام عند حديثه عن امتداد الحوض. ويمكن عزو ذلك إلى توافد اليمنيين – وبالذات أهل صنعاء – إلى المنطقة كتجار ضمن ما كان يُعرف برحلة الصّيف التي أشار إليها القرآن في سورة قريش، إذ يبدو أن اليمنيين كغيرهم من القبائل العربية تكون وجهتهم بلاد الشام، وذلك في إطار الهجرات العربية التي حدثت قبل الإسلام والتي كانت تمليها ضرورات سياسية واقتصادية ممثلة في فترات عدم الاستقرار السياسي، أو الأزمات الاقتصادية التي طالما شهدتها المنطقة بسبب الكوارث أو الأوبئة، فضلاً عما كانت تتعرض له الأرض من محْل وقحط جراء تأخر سقوط الأمطار، وهذا بدوره يؤدي إلى هجرات سكانية من اليمن إلى خارجها، ولا شك فإن بلاد الشام كانت وجهة أساسية لهذه الهجرات. كما لا يُستبعد أن يكون لانتشار النصرانية في اليمن وبناء

كنيسة القُلّيس[٤٦] بصنعاء دورًا في توافد جموع يمنية على بلاد الشام بحكم تبعيتهم للكنيسة الشرقية. ولعلّ مما يؤكد وجود صنعاء الشام منذ وقت مبكر أن المحدّث سراج الدين ابن الملقن (ت٨٠٤هـ/١٤٠١م) نعتها بـ "صنعاء الروم"[٤٧].

والذي لا شك فيه أن هجرات القبائل اليمنية ازدادت كغيرها صوب بلاد الشام غداة الفتح الإسلامي لهذه البلاد في عهد الخلفاء الراشدين، وإلى هذا أشار ابن كثير (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) في كتابه البداية والنهاية[٤٨]، خاصة بعد أن تمكن المسلمون من فتح دمشق غداة انتصارهم المؤزر في معركة اليرموك[٤٩] سنة ١٥هـ/٦٣٦م، إذ يبدو أن جموعًا من المهاجرين اليمنيين فضلوا النزول ضيوفًا على بني جلدتهم في صنعاء الشام واستوطنوا بها، وعلى إثر ذلك باتت موئلاً لمن يفد على بلاد الشام من اليمن، ونتج عن ذلك اتساع نطاقها العمراني والسكاني بشكل ملحوظ، وهو الأمر الذي اضطر معه الخليفة عثمان بن عفان ﷺ إلى تعيين واليًا مستقلاً عليها فاختار لها ثمامة بن عدي القرشي[٥٠][٥١].

وباستعراض المصادر والمراجع التي تحدثت عن "صنعاء الشام" نجد أنها تكاد تجمع عن أن هذه المدينة – والتي كانت تُعدّ إحدى ضواحي دمشق – استمرت عامرة بسكانها وكانت منارة علم نزل وعاش بها عدد كبير من العلماء، واستمرت كذلك حتى أواخر العصر الزنكي[٥٢] حيث أشار ياقوت الحموي عند حديثه عنها بأنها خربت وتحولت إلى مزارع وبساتين. وبالبحث والتقصي من خلال المصادر التي تحدثت عنها وتواريخ مَنْ نزلها من العلماء، يتضح أن صنعاء دمشق شهدت خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري/الحادي عشر الميلادي اتساعًا لمساحتها رافقه تطورًا عمرانيًا تمثّل في تشييد عدد من المساجد والمدارس والزوايا[٥٣] والرّبط[٥٤] وغيرها؛ ولعل مما يؤكد هذا هو قول النعيمي (ت٩٢٧هـ/١٥٢٠م) في معرض حديثه عن المدرسة الخاتونية[٥٥] بدمشق حيث وصفها – على ما يبدو نقلاً عن مصدر معاصر لها – بقوله: "المدرسة الخاتونية: مسجد خاتون على الشرف القبلي عند مكان يسمى صنعاء الشام،

المطل على وادي الشقراء"[٥٦] ، كما وصف ذلك أحد الباحثين المحدثين بقوله: "رأيتُ في كتاب نزهة الأنام في محاسن الشام[٥٧] لابن المزلق[٥٨] أن هذه المدرسة كانت من "أعاجيب الدهر ... لها شبابيك تطل على المرجة[٥٩]... وبها عدة خلاوي[٦٠] للطلبة ... ومنه يُعلم أن تلك الجهات كانت آهلة معمورة ... وكانت هذه المدرسة والمسجد بها على الشرف القبلي عند مكان يسمى صنعاء الشام ... فاختفى اليوم أثرها"[٦١].

وإذا ما انتقلنا للحديث عن مآل مدينة صنعاء – والتي تكاد المصادر اللاحقة تجمع على اندثارها، بعد أن ظلت مدة ليست قصيرة عامرة بأهلها وبنشاطها العلمي والاقتصادي على وجه الخصوص – فإنه بالبحث والتقصي يمكن الاستدلال على تاريخ اندثارها واختفاء أثرها بنصٍ أورده السمعاني (ت٥٦٢هـ/١١٦٧م) إبان حديثه عنها جاء فيه: "وصنعاء قرية على باب دمشق **خربت الساعة** وبقيت مزارعها، وهي على نهر الخلخال، خرجتُ إليها يومًا وسمعتُ ... من أبي القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله[٦٢] الحافظ بها جزءًا ... وكان جماعة من المحدثين سمعوا بها ..."[٦٣]. أما مؤرخ الشام ابن عساكر (ت٥٧١هـ/١١٧٦م) فلم يتحدث عنها مباشرة بل اكتفى بنقل كلام موجز ذكره عنها يحيى بن معين[٦٤] جاء فيه أن "صنعاء هذه قرية من قرى الشام"[٦٥]. ويتضح من نص السمعاني أن صنعاء الشام خربت أو اندثرت في حياته، وبما أن السمعاني ولد سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م فإنه يمكن القول أن دخوله إلى صنعاء الشام والسماع بها كان – في الغالب – خلال العقد الثالث من هذا القرن، وبما أن وفاته كانت في بداية العقد السابع من ذات القرن، ونظراً لكونه قد ذكر صراحة بأن خرابها قد حدث في حياته دون أن يحدد تاريخاً معيناً له! وبالبحث والتقصي واستقراء المصادر والمراجع عن الحوادث والوقائع متمثلة في الهجمات العسكرية الحاسمة التي كانت دمشق وما حولها من القرى والأرباض والهِجر وغيرها عرضة لها، والتي يمكن

أن ينتج عنها تدمير وخراب مدينة بأكملها، استقرت قناعتنا أن اندثار وخراب مدينة صنعاء الشام كان أحد نتائج الحملة الصليبية الثانية التي خرجت من الغرب بإشراف مباشر من المقرّ البابوي في روما غداة نجاح عماد الدين زنكي[٦٦] في إسقاط أولى الإمارات الصليبية نشوءًا وهي إمارة الرُّها[٦٧] في المشرق الإسلامي على حين غرة من أميرها الصليبي "جوسلين الثاني" مستغلاً غيابه عنها، حيث باغتها على رأس ثلة من جيشه وتمكن من اقتحامها وتطهيرها من نير الاحتلال الصليبي سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م. ورغم محاولات الصليبيين استعادتها عشية استشهاد عماد الدين سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م إلا أن ابنه نور الدين محمود[٦٨] أفشل محاولاتهم تلك وثبّت سيطرته عليها وقطع كل أمل لهم في العودة إليها[٦٩]. وأمام ذلك نجح المقر البابوي في روما في إقناع اثنين من كبار القادة في الغرب الأوروبي آنذاك وهما إمبراطور ألمانيا كونراد الثالث (٥٣٢هـ – ٥٤٦هـ/١١٣٨م – ١١٥٢م) وملك فرنسا لويس السابع (٥٣١هـ – ٥٧٥هـ/١١٣٧م – ١١٨٠م) لقيادة حملة صليبية ثانية تتجه للمشرق الاسلامي يكون هدفها استرداد الرّها من نور الدين وإعادتها إلى سابق عهدها إمارة صليبية. وبالرغم من الأضرار السياسية والعسكرية التي لحقت بالجيشين الألماني والفرنسي جراء عدم وجود تنسيق مسبق بينهما فضلاً عن خروجهما في وقتين مختلفين نتيجة للخلافات السياسية العالقة بينهما، وعلى رأسها مشكلة إقليمي الألزاس واللورين[٧٠]، ناهيك عن الموقف السلبي والمتعنّت الذي أبداه الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين (٥٣٨هـ – ٥٧٥هـ/١١٤٣م – ١١٨٠م) تجاه قائدي هذه الحملة بسبب الخلاف المذهبي والسياسي بينهم[٧١] ، فإن الامبراطور كونراد الثالث والملك لويس السابع وصلا بمن سلم من جيشهما إلى بيت المقدس وحلاّ ضيفين على ملك مملكة بيت المقدس الصليبية بلدوين الثالث (٥٣٨هـ – ٥٥٨هـ/١١٤٣م – ١١٦٢م)

بهدف الاستراحة والتقاط الأنفاس، وربما زيارة الأماكن المقدسة عند النصارى في بيت المقدس. وبعد ذلك عقد الزعماء الثلاثة مجلسًا للحرب لبحث وجهة الحملة الصليبية هل تكون نفس الوجهة التي خرجت من أجلها من الغرب الأوروبي وهي استعادة الرّها أو تتّجه إلى دمشق القريبة من الكيانات الصليبية في بيت المقدس وأنطاكية وطرابلس؟ وبعد مداولات ونقاشات وأخذ وعطاء رجحت كفة الفريق الذي نادى بأن تتجه الحملة لمهاجمة دمشق التي كانت تعيش في تلك الآونة حالة سياسية لا تُحسد عليها(٧٢). وبالفعل تحركت جموع الحملة الصليبية بقيادة الزعماء الثلاثة صوب دمشق، وكما هو معلوم فقد فرضت عليها حصارًا وكادت المدينة تسقط في أيدي الصليبيين لولا عناية الله ثم استبسال أهل دمشق ومن وفد للدفاع عنها أمام الخطر الداهم. وقد دارت رحى معارك عنيفة بين الطرفين خارج دمشق، وكانت صنعاء دمشق – بلا شك – أحد الميادين التي احتدمت فيها تلك المعارك، وغدت – كما يبدو – **كبش فداء لدمشق** حيث أفلح الصليبيون في تدميرها وخرابها قبل نكوصهم على أعقابهم يجرون أذيال الخيبة والفشل. وهذا الاستنتاج يتوافق إلى حدّ كبير مع ما ذكره السمعاني – دون غيره – بأن صنعاء الشام دمرت في عصره حيث أشار إلى ذلك صراحة بقوله: "**خربت الساعة**"؛ وعليه فإنه يمكننا القول أن تدمير وخراب هذه المدينة كان على يد جموع الحملة الصليبية الثانية سنة ٥٤٢هـ/١١٤٦م، وهذا يتوافق مع ما ذكره شيخ البلدانيين – والشاميين على وجه الخصوص – ياقوت الحموي الذي عاش خلال المدة من ٥٧٤هـ – ٦٢٦هـ/١١٧٨م – ١٢٢٩م والذي ذكر في "المعجم" و"المفترق" معًا بأنها قد خُرّبت.

والله أعلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين.

الهوامش:

(١) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس والقاهرة، من أهم مدن الوجه البحري في مصر قديما وحديثًا ، تقع على زاوية بين البحر المتوسط ونهر النيل، وتُعتبر ثغرًا من ثغور الإسلام حيث كان لها تاريخها المهم الحربي والاقتصادي في عصر الحروب الصليبية، كما انتهت عند أسوارها الحملتان الصليبيتان الخامسة والسابعة. ياقوت الحموي : معجم البلدان، (٤٧٢/٢). موقع الإسلام أون لاين: تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ص٤٩٧.

(٢) رشيد: بليدة على ساحل البحر وغربي نهر النيل قرب الإسكندرية، بينها وبين الإسكندرية ستون ميلاً، لها ميناء عامر يجري فيه ماء النيل إلى البحر. خرج منها جماعة من المحدثين. ياقوت الحموي : معجم البلدان، (٤٥/٣). الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (٩٦/١).

(٣) بحيرة طبرية: وتُعرف أيضًا ببحر الجليل أو بحيرة الجليل؛ وهي بحيرة صغيرة تقع في شمالي فلسطين المحتلة، يصب فيها نهر الأردن ويخرج منها مستمرًا في جريانه وسط غور الأردن. يبلغ طولها ٢٣كم، وأوسع عرض فيها ١٣كم، ولا يزيد عمقها على ٤٤م. انظر: الموسوعة العربية العالمية، (٩٨/١٥).

(٤) التّصحّر: هو تعرض الأرض للتدهور في المناطق القاحلة وشبه القاحلة حيث تتحوّل الأراضي الزراعية الخضراء إلى أراضٍ جرداء نتيجة تدهورها وانعدام قدرتها على إنبات مختلف أنواع الأشجار والنباتات. هوتسما وآخرون: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٩٧٨٣/٣١).

(٥) الكوفة: سُمّيت كذلك لاستدارتها أو لاجتماع الناس بها، وكانت تسمّى أحد العراقين. اختُطّت على يدي سعد بن أبي وقاص ﷺ سنة ١٨هـ/٦٣٨م بعد اختطاط البصرة، ونزلها الجند الفاتحون من اليمنيين والنزاريين في أكواخ من قصب، ثم اتسعت في العهد الأموي وبُنيت بالآجر. وهي مدينة العلم والعلماء. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٤٩٠/٤). عاتق البلادي: معجم المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، ص٢٦٧.

(٦) البصرة: اختطها عتبة بن غزوان ﷺ في عهد عمر بن الخطاب ﷺ على شط العرب كمعسكر للمسلمين الفاتحين، وأسكن بها معظم القبائل العربية المشاركة في الفتح على نظام الخِطط. وهي مدينة مستوية كثيرة الروافد المائية، كثيرة البساتين المتصلة، واسعة التجارة. لها عدّة

أرباض منها عبادان والأُبلة والمذار، وأشهر أسواقها المربد. تعرّضت للعديد من الفتن فتخرّبت في كثير من الأحيان. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٤٣٠/١). عاتق البلادي: معجم المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، ص٤٥.

(٧) القطائع: مدينة بضواحي مدينة الفسطاط المصرية كانت تُعرف بالعسكر، بنى معظمها أحمد بن طولون (ت٢٧٠هـ/٨٨٤م) وعمّرها عمارة عظيمة تخرج عن الحدّ في الكثرة. وقد خربت القطائع في عهد الدولة العُبيدية (الفاطمية) في أعوام بضع وخمسين وأربعمائة للهجرة عند حدوث المجاعة الكبرى. المقريزي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، (٣١١/١).

(٨) القيروان: مدينة كبيرة بالجنوب التونسي، بناها عقبة بن نافع سنة ٥٥هـ/٦٧٤م كقاعدة لفتح بلاد المغرب وحذرًا من غائلة البربر. كانت أعظم مدن المغرب قُطرًا وأكثرها بشرًا وأيسرها أموالاً وأوسعها أحوالاً حتى خربتها قبائل الأعراب من بني هلال فقلّ شأنها وضعُف أمرها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٤٧٦/٤). الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (٢٨٤/١).

(٩) الأرباض: جمع ربض؛ وهو الناحية من الشيء، وما حول المدينة من الفضاء. الربض إذا أُضيف إلى مدينة يراد به حواليها، وإذا أُضيف إلى الغنم يراد مأواها، وإذا أُضيف إلى رجل يراد به امرأته. الكفوي: كتاب الكليات، ص٧٥٩. الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، (٣٢٣/١).

(١٠) الهجَر: جمع هجْرة؛ وهي كلمة مأخوذة من الهِجْرة، أي الخروج من أرض إلى أخرى وانتقال الأفراد من مكان إلى آخر، وأصلها خروج البدوي من باديته إلى المدن. أحمد رضا: معجم متن اللغة، (٦٠٠/٥).

(١١) الكرخ: محلة مسورة تقع في الجانب الغربي من مدينة بغداد، ظهرت وازدهرت في عهد أبي جعفر المنصور عندما أمر بجمع الأسواق والنشاط التجاري بتلك المنطقة. وذكر ياقوت الحموي أن أهلها في عهده – قبل سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م على الأقلّ – هم سُنّة حنابلة لا يوجد غيرهم، ولكنها غدت مكانًا لتجمع الرافضة بها قبل سقوط بغداد. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٤٤٧/٤).

(١٢) الرافضة: أو الروافض؛ الشيعة الإمامية الاثنا عشرية الروافض ، وهم أشد فرق الشيعة ضلالاً وتطرفًا، فهم إلى جانب ما هم متورطون فيه من أنواع الشرك المختلفة، يسبُّون الصحابة

الكرام ويلعنونهم، وعلى رأسهم الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. الشهرستاني: الملل والنحل، (١٤٥/١). ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (١٣٧/٤).

(١٣) صنعاء: عاصمة اليمن وأهم مدنه وأكثرها إعمارًا، وهي مدينة تشبَّهُ بدمشق، جبلية جيّدة الهواء والماء، رخيصة الأسعار واسعة التجارات، تشتهر بكثرة مساجدها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٣٢/٣) . عاتق البلادي: معجم المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، ص١٧٩.

(١٤) البُلدانيّون: نسبةً إلى كتب البلدان؛ وهي كتب الجغرافيا التاريخية التي حدّدت الأماكن والبقاع والمسالك الجغرافية وأرفقتها ببعض المعلومات التاريخية والأشعار الأدبية، ومن أشهرها كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، وكتاب "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع" للبكري (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، وكتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، وغيرها.

(١٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٤٢٩/٣).

(١٦) طبرستان: المعروفة عند الفرس بمازندران، وهي إقليم واسع يغلب عليه الجبال، يضمّ مناطق كثيرة يشملها هذا الاسم منها دهستان وجرجان واستراباذ وغيرها، وعاصمة الإقليم مدينة آمل. وقد خرج من نواحي طبرستان عدد لا يحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (١٣/٤).

(١٧) الجَنَد اليمينة: بلدة من أرض السكاسك اليمينة، بينها وبين مدينة صنعاء ثمانية وخمسون فرسخًا. وقد نُسب إلى الجند – البطن والبلد – كثير من أهل العلم . ياقوت الحموي: معجم البلدان، (١٦٩/٢).

(١٨) الجُند الأسيوية: وهي جُنديسابور؛ إحدى مدائن كسرى السبع، وهي المسماة رومية المدائن، وقد بُنيت على مثال مدينة أنطاكية. وهي مدينة خصبة واسعة الخير، بها النخل والزروع والمياه. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (١٧٠/٢).

(١٩) تادْ مكة: بلدة تجارية كبيرة بمالي تقع بين جبال وشعاب، وصفها أبو عبيد البكري (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) بأنها "أشبه بلاد الدنيا بمكة"، وعُرفت كذلك لأن كلمة تاد معناها "هيئة"، أي أنها بلغة البربر على هيئة مكة. وكانت البلدة تُعرف قبل ذلك بـ"السوق" (وتُنطق بلهجتهم السوك) لأنها كانت تتوسط الطريق التجاري بين دول ليبيا والجزائر والمغرب الأقصى وموريتانيا ومالي، وكانت هذه الدول ترد على هذا المركز لنشاط التجارة فيه. وأول من أطلق

عليها اسم "تاد مكة" الشناقطة لأنها عندهم كانت أشبه بموسم التجارة في الحج بمكة المكرمة. وأهل تاد مكة من البربر الملثمين على طريقة عيش أسلافهم المرابطين. البكري: المسالك والممالك، (٣٧٠/٢). عبد الواحد الأنصاري: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري رحمه الله وسيرته وأقواله ورحلاته، (٧٨٤/٢). إبراهيم السلمي: مدينة "تاذْ مكة" في العصر الإسلامي؛ من القرن الثاني الهجري إلى القرن الثامن الهجري/القرن الثامن الميلادي إلى القرن الرابع عشر الميلادي، ص٢٨٧ – ٣٢٧.

(٢٠) طرابلس الشام: ويقال لها أطرابلس؛ ومعناها بالرومية والإغريقية ثلاث مدن، لأن طرا معناها ثلاث. ذُكر أن القيصر الرومي إشباروس أول من بناها. تقع على شاطئ البحر المتوسط. فتحها عنوة عمرو بن العاص ﷺ سنة ٢٣هـ/٦٤٣م. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٤/ ٢٥).

(٢١) طرابلس الغرب: مدينة على الساحل الليبي مبنية على الصخر، فتحها المسلمون سنة ٢٣هـ/٦٤٣م، وهي أول بلاد إفريقية، وكانت كثيرة الرّباطات والزوايا، يقصدها العلماء الصالحون، وأهلها تجار. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٢٨/٤).

(٢٢) بكيل: بطن من همدان، من القحطانية؛ وهم بنو جُشم بن خيران بن نوف بن همدان، ومن بكيل تفرقت همدان. يُنسب إليهم مخلاف بكيل باليمن. من أفخاذهم ثور وأرحب ومرهبة. الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ص٨٠. القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٤٩.

(٢٣) حاشد: بطن من همدان، من القحطانية؛ وهم بنو جُشم بن خيران بن نوف بن همدان، ومن حاشد تفرقت همدان. من أفخاذهم خارف وحجور ومالك. الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ص٨٠. القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٦٥.

(٢٤) سنحان: وهم بنو سنحان بن عمرو بن الحرث بن جشم، من القحطانية. ومن أفخاذهم الجحادر والحباب وبني عمرو. وديارهم في محيط صنعاء. عمر كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (١١٦/٢).

(٢٥) عبد السلام هارون: كناشة النوادر (القسم الأول)، ص٣٦ – ٣٧.

(٢٦) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الشافعي. كان أحد الأئمة الكبار، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظًا لكتاب الله بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، عارفًا بأحوال الصحابة والتابعين، بصيرًا بأيام الناس

وأخبارهم. وهو من العلماء الأفذاذ. له كتب كثيرة منها كتاب "تاريخ الرسل والملوك" المعروف بتاريخ الطبري، وكتاب "جامع البيان في تفسير القرآن" المعروف بتفسير الطبري. توفي ببغداد في شوال سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م، وكان له من العُمر ٨٦ سنة، ودُفن بداره لمنع العوام من دفنه بالمقبرة بسبب الفتنة التي كانت بينه وبين الحنابلة. انظر ترجمته في: ابن النديم: الفهرست، ص٣٢٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء، (٢٦٨/١٤).

(٢٧) انظر: على سبيل المثال: بدرية بنت أحمد الغامدي: الأسرة الطبرية بمكة خلال العصر المملوكي (٦٤٨هـ – ٩٢٣هـ/١٢٥٠م – ١٥١٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم التاريخ، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ٢٠٠٥م. خلود بنت عبد الباقي البدنة: الأُسر العلمية في مكة وأثرها على الحياة العلمية والعملية خلال العصر المملوكي (٦٤٨هـ – ٩٢٣هـ/١٢٥٠م – ١٥١٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠٠٤م. لمياء بنت أحمد شافعي: مكانة المرأة العلمية في الساحة المكية؛ النساء الطبريات مثالاً من القرن السابع إلى القرن الثاني عشر الهجري، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ. سليمان عبد الغني مالكي: الطبريون مؤرخو مكة المكرمة؛ نشاطاتهم العلمية ووظائفهم في الحرم خلال القرن الثامن الهجري، نادي الطائف الأدبي، الطائف، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

(٢٨) المزة: ويُقال لها مزة كلب نسبةً لقبيلة كلب القضاعية التي نزلتها وكانت إقطاعًا لهم. وهي قرية كبيرة غنّاء في وسط بساتين دمشق، على نصف فرسخ منها، يحيط بها من جميع جهاتها أشجار ومياه وخضر. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٨٩.

(٢٩) ياقوت الحموي: المشترك وضعًا المفترق صقعًا، ص٢٨٦.

(٣٠) ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٤٢٦/٣). وفي المشترك قال: "لكثرة أشجارها وتدفق مياهها". ص٢٨٦.

(٣١) المصدر والصفحة نفسها.

(٣٢) المصدر نفسه، (٤٢٩/٣).

(٣٣) المصدر والصفحة نفسها.

(٣٤) ياقوت الحموي: المشترك وضعًا المفترق صقعًا، ص٢٨٦.

(٣٥) الغوطة: تُطلق على المكان الذي تتجمع فيه النبات والماء، وأشهرها غوطة دمشق. الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، (٦٦٦/٢).

(٣٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٤٢٦/٣).

(٣٧) أيْلة: أو بُويب العقبة؛ مدينة على ساحل البحر (الأحمر)، بين مصر والأردن، وهي مدينة جليلة أقيل أنها أُنشئت في عهد داود عليه السلام. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٢٩٢/١). وفي عصرنا الحالي هي المدينة المعروفة بإيلات جنوب فلسطين المحتلة بالقرب من مدينة العقبة الأردنية.

(٣٨) وتمام نص الحديث: "إن لي حوضًا ما بين أيلة إلى صنعاء، عرضه كطوله، فيه ميزابان ينثعبان من الجنة من ورق والآخر من ذهب، أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأبيض من اللبن، من شرب منه لم يظمأ حتى يدخل الجنة، فيه أباريق عدد نجوم السماء". الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (٤٢٤/٤)، والحاكم في مستدركه، (١٤٨/١)، وقال الذهبي في التعليق على المستدرك: غريب صحيح على شرط مسلم. والحديث حسّنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند برقم ١٩٨١٧.

(٣٩) ابن حبان: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، (٣٧٢/١٤).

(٤٠) هو المطعم بن المقدام بن غنيم الصنعاني الشامي. روى عن : الحسن البصري ومجاهد بن جبر ومحمد بن سيرين وغيرهم، وروى عنه الأوزاعي وإسماعيل بن عياش وغيرهما. قال الأوزاعي: ما أُصيب أهل دمشق بأعظم من مصيبتهم بالمطعم بن المقدام، وقال ابن حبان: كان متقنًا، وقال الذهبي: ثقة نبيل. انظر عنه: ابن حبان: كتاب الثقات، (٥٠٩/٧). الذهبي: تاريخ الاسلام، (١٣١/٦).

(٤١) الطبراني: مسند الشاميين، (٥١/٢).

(٤٢) السمعاني: الأنساب، (٥٥٨/٣).

(٤٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٤١٦. وفي كتاب فضائل الصحابة، باب: ما لقي النبي صلى الله عليه و سلم وأصحابه من المشركين بمكة، حديث رقم ٣٦٣٩. وفي كتاب الإكراه، باب: من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، حديث رقم٦٥٤٤.

(٤٤) ابن حجر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، (٨٤٩/٣). وانظر: عبد العزيز دخان: صنعانيون ولكن من دمشق؛ علماء الحديث ورواته المنسوبون إلى صنعاء دمشق، ص١٠٠.

(٤٥) ويدل على ذلك كذلك سؤال الحافظ السّجيزي للحافظ الحاكم النيسابوري عن أحد رواة الحديث من أتباع التابعين وهو "المطعم بن المقدام" ابن قرية صنعاء الشام، حيث كان جواب الحاكم بقوله: "هو شيخ من أهل اليمن كتبت عنه بالشام، وبها مات، وهو عزيز الحديث"، أي أنه من أصل يمني بلا ريب. انظر: الحاكم النيسابوري: سؤالات مسعود بن علي السّجزي مع أسئلة البغداديين عن أحوال الرواة للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ص١١٨.

(٤٦) القُلّيس: كنيسة بناها أبرهة الأشرم الحبشي من الرخام الأبيض والأحمر والأصفر والأسود، وحلاها بالذهب والفضة ورصّعه بالجواهر، وجعل أبوابها من صفائح من ذهب، ودعا الناس للحجّ إليها، وسماها القُلّيس. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٢.

(٤٧) ابن الملقن: البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، (٤٠٦/٨). وانظر: عبد العزيز دخان: صنعانيون ولكن من دمشق، ص٩٩.

(٤٨) ابن كثير: البداية والنهاية، (١٩/٧).

(٤٩) معركة اليرموك: معركة فاصلة وقعت بين المسلمين والروم، وسميت بهذا الاسم نسبةً إلى الوادي الذي وقعت فيه، وهو وادي اليرموك الذي ينبع من جبال حوران. انظر عنها: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٣٣٦/٢). ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (١١٨/٤).

(٥٠) هو الصحابي ثمامة بن عدي القرشي الشامي. كان من المهاجرين وممن شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ، وكان أميرًا لعثمان ﷺ على صنعاء الشام. ولما بلغه مقتل عثمان ﷺ قام خطيبًا فبكى ثم قال: هذا حين انتزعت خلافة النبوة من أمة محمد ﷺ وصارت ملكًا وجبرية، من غلب على شيء أكله. انظر عنه: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (٢١٣/١). ابن حجر: الاصابة في تمييز الصحابة، (٤١٠/١).

(٥١) ابن حبان: كتاب الثقات، (٤٨/٣). وانظر: عبد العزيز دخان: صنعانيون ولكن من دمشق، ص٩٧.

(٥٢) العصر الزنكي يبدأ من ٥٢٠هـ/١١٢٧م إلى سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م، وعُرف كذلك نسبةً إلى عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود.

(٥٣) الزوايا: جمع زاوية؛ وهي أبنية في شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين، كما يعقد فيها مشايخ الطرق الصوفية حلقات الذكر، وقد تكون الزاوية في ناحية من نواحي المساجد الكبرى. عبد الحميد الفراني: الأوقاف الإسلامية في فلسطين في العصر الإسلامي ١٥هـ –٩٢٢هـ/٦٣٦م –١٥١٦م، ص٧.

(٥٤) الرّبط: أو الأربطة أو الرباطات، جمع رباط؛ وهي عبارة عن مأوى يلجأ إليه العلماء وطلاب العلم الذين ينتقلون في أرجاء العالم الإسلامي ويتلقون تعليمهم على أيدي بعض المشايخ والعلماء، وكان العلماء يتخذون من الأربطة أماكن للمطالعة من ناحية والكتابة من ناحية أخرى حيث يؤلفون الكتب خاصة في مجال التصوف. عبد الجليل عبد المهدي: الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي، ص٧٥.

(٥٥) المدرسة الخاتونية: أي البرانية؛ تقع بمحلة حجر الذهب بالقرب محلة البيمارستان النوري، في الجهة المؤدية إلى مدينة بانياس. أنشأتها خاتون بنت معين الدين أنر التي تزوجها نور الدين زنكي الشهيد. النعيمي: الدراس في تاريخ المدارس، (٣٨٤/١). بدران: منادمة الأطلال، ص١٦٧.

(٥٦) النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، (٣٨٤/١).

(٥٧) كتاب نزهة الأنام في محاسن الشام لأبي البقاء البدري (ت٨٩٤هـ/١٤٨٨م) مطبوع (المطبعة السلفية، القاهرة،١٣٤١هـ)، وهو كتاب يتحدّث عن غوطة دمشق ومحاسنها الطبيعية ووصف الشعراء والأدباء لتلك المحاسن، مع الإشارة إلى ضواحي الغوطة ونواحيها .

(٥٨) لعل الصحيح أن الكتاب لأبي البقاء البدري؛ وهو جمال الدين أبو البقاء عبد الله بن محمد بن أحمد الدمشقي نزيل القاهرة، المعروف بابن البدري. الأديب العارف بالتاريخ والشعر. ولد بدمشق وسكن القاهرة ثم تنقل بينها وبين مكة والمدينة والشام، وكان يتكسب بالتجارة والشهادة في المحاكم. له كتب منها كتاب "تبصرة أولي الأبصار في انقراض العمر بين الليل والنهار"، وكتاب "راحة الرواح في الحشيش والراح"، وكتاب "شروط الوفا في أبناء الخلفا"، وغيرها. وله ديوان شعر. توفي بغزة عائدًا من الحج سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٨م وكان له من العُمر ٤٧ سنة. انظر ترجمته في: السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (٢٧٩/٥). الزركلي: الأعلام، (٦٦/٢).

(٥٩) المرجة: أو المرج؛ وهو الموضع الذي ترعى فيه الدواب، يُقال: مرجتْ الدابة أمرُجَها مرجًا، إذا أرسلتها ترعى. الجوهري: الصحاح في اللغة، (١١٢/٢).

(٦٠) خلاوي: جمع خُلوة؛ هي الغرفة داخل الرباط تكون مكانًا للانفراد بالنفس أو بغيرها. الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، (٢٥٤/١).

(٦١) بدران: منادمة الأطلال، ص١٦٧.

(٦٢) هو أبو القاسم ثقة الدين عليّ بن الحسين بن هبة الله الشافعي، المعروف بابن عساكر الدمشقي. المؤرخ الحافظ الرحالة. قال رفيقه في طلب العلم السمعاني: "أبو القاسم حافظ ثقة متقن، ديّن خيّر حسن السمت، جمع بين معرفة المتن والإسناد، وكان كثير العلم غزير الفضل، صحيح القراءة متثبتًا، رحل وتعب وبالغ في الطلب وجمع ما لم يجمعه غيره، وأربى على الأقران، وكان يحاسب نفسه على كل لحظة تذهب، وكان يلقّب ببغداد بشعلة نار لذكائه وتوقده وحسن إدراكه. أعرض عن طلب المناصب وأخذ نفسه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. توفي بدمشق سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م وكان له من العُمر ٧٢ سنة. انظر ترجمته في: السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، (٢١٦/٧). الأسنوي: طبقات الشافعية، (٩٥/٢).

(٦٣) السمعاني: الأنساب، (٥٥٦/٣).

(٦٤) هو أبو زكريا يحيى بن معين بن عون الغطفاني المري مولاهم السرخسي الأصل الأنباري المولد البغدادي النشأة والوفاة، الشهير بابن معين. كان أبوه على خراج الري فخلف له ثروة كبيرة أنفقها في طلب الحديث. وصفه الذهبي بسيد الحفاظ، وعدّه الحافظ ابن حجر إمام الجرح والتعديل في عصره. كان كبار علماء عصره يتأدبون معه ويعترفون له، وكان له هيبة وجلالة. توفي بالمدينة المنورة حاجًّا سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م، وكان له من العُمر ٧٥ سنة. انظر ترجمته في: ابن سعد: الطبقات الكبرى، (٣٥٤/٧). الذهبي: سير أعلام النبلاء، (٧٣/١١).

(٦٥) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، (٣٠٧/١٥).

(٦٦) هو أبو الجود وأبو سعيد عماد الدين ابن قسيم الدولة ابن عبد الله السلجوقي، الملقب بزنكي الشامي، صاحب الموصل وحلب وحماة وحمص وبعلبك والرُّها. فوّض إليه السلطان محمود ابن ملكشاه شرطة بغداد سنة ٥١١هـ/١١١٧م ثم حوّله إلى مدينة الموصل سنة ٥٢٢هـ/١٢٢٧م فجعله أتابكًا لولده الملقب بالخفاجي ثم استولى على البلاد وعظُم أمره وافتتح الرها من الصليبيين وتملّك حلب وحماة وحمص وبعلبك وبانياس ثم حاصر دمشق وصالحهم على أن يخطبوا له بها بعد حروب طويلة. حارب الصليبيين بالشام ودوخهم وأشغلهم بأنفسهم. كان بطلاً شجاعًا، وكان أحسن الملوك سيرة وأجودهم معاملة وأرفقهم بالعامة. قتله جماعة من مماليكه وهو محاصر لقلعة جعبر سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م. انظر ترجمته في: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (١١٠/١١). سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، (١١٤/٨).

(٦٧) انظر عن هذه الإمارة: علية عبد السميع الجنزوري: إمارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

(٦٨) هو أبو القاسم نور الدين محمود ابن أبي سعيد عماد الدين ابن قسيم الدولة السلجوقي الأتابكي الملكشاهي الحلبي الحنفي. كان أعدل ملوك زمانه وأفضلهم، وأكثرهم جهادًا حيث كان مداومًا لجهاد الصليبيين ويباشر القتال بنفسه. وكان أسعدهم في دنياه وآخرته، فقد كان معتنيًا بمصالح رعيته، فبنى مدارس كثيرة، وأسقط ما كان يؤخذ من المكوس وأقطع عرب البادية إقطاعات لئلاّ يتعرّضوا للحجاج. تولّى إمارة حلب بعد وفاة أبيه سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م وكانت الإمارة ملحقة بدولة السلاجقة ، فاستقل وضمّ دمشق إلى ملكه في مدة عشرين سنة . وقد امتدت سلطته فشملت الموصل وديار بكر والجزيرة ومصر، وخُطب له بالحرمين. توفي بعلة الخوانيق بقلعة دمشق في شوال سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م وكان له من العُمر ٥٨ سنة، وكانت مدة ملكه ٢٨ سنة وأشهر. انظر ترجمته في: ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (٢٤٨/١٠). ابن خلكان: وفيات الأعيان، (١٨٤/٥). حسن حبشي: نور الدين محمود والصليبيون، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، ١٩٤٨م.

(٦٩) سعيد عاشور: الحركة الصليبية؛ صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، (٤٧٩/١).

(٧٠) الألزاس واللورين: إقليم زراعي كبير يقع في الشمال الشرقي من فرنسا، على الحدود الألمانية الفرنسية، ويغطي مساحة بحوالي ٣١,٨٢٨كم^{٢}. وقد ظل سكان هذا الإقليم لمئات السنين نصفهم فرنسي والنصف الآخر ألماني، وظلت المنطقة منذ القدم ولفترة طويلة منطقة نزاع بين فرنسا وألمانيا، وكان آخرها سيطرة الألمان على الإقليم خلال الحرب العالمية الثانية ثم استطاع الحلفاء طرد الألمان من المنطقة بين عامي ١٩٤٤م – ١٩٤٥م واستعادت فرنسا السيطرة عليها مرة أخرى. مجموعة من المؤلفين: الموسوعة العربية العالمية، (٥٣٠/٢).

(٧١) عن الخلاف المذهبي والسياسي انظر: سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى،ص٣٢٨.

(٧٢) محمود عمران: تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥م – ١٢٩١م، ص١٤٨. ستيفن رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية؛ مملكة القدس والشرق الفرنجي ١١٠٠م – ١١٨٧م، (٣١٠/٢).

المصادر والمراجع:

ابن الأثير: عليّ بن محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

ابن الجوزي: عبد الرحمن بن عليّ البغدادي (ت٥٧٩هـ/١١٨٣م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٥٨هـ.

ابن حبان: محمد بن حبان البُستي (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م):

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ترتيب: عليّ بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٠/١٩٩٠م.
- كتاب الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، ط١، ٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

ابن حجر: أحمد بن عليّ العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م):

- الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عليّ محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت، ط١، (د.ت).

ابن حزم: عليّ بن أحمد الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م): الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة ، (د.ط)، ١٩٦٨م.

ابن حنبل: أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ/٨٥٥م): المسند، تحقيق وتخريج: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة قرطبة، القاهرة، (د.ت).

ابن خلكان: أحمد بن محمد الأربيلي (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، ١٩٧٢م.

ابن سعد: محمد بن سعد البصري (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م): الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

ابن عبد البرّ: يوسف بن عبد الله القرطبي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ .

ابن عساكر: عليّ بن الحسن الدمشقي (ت٥٧١هـ/١١٧٥م): تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين العمري، دار الفكر العربي، بيروت، (د.ط)، ١٤١٥هـ/١٩٥٩م.

ابن كثير: إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، تحقيق: عبد الرحمن اللاذقي ومحمد غازي بيضون، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

ابن الملقن: عمر بن عليّ المصري (ت٨٠٤هـ/١٤٠١م): البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبدالله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

ابن النديم: محمد بن إسحاق البغدادي (ت٤٣٨هـ/١٠٤٦م): الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

الإدريسي: محمد بن محمد الشريف (ت٥٥٦هـ/١١٦٠م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

الأسنوي: جمال الدين عبد الرحيم الشافعي (ت٧٧٢هـ/١٣٧٠م): طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الله الجبوري، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٠هـ/١٩٨١م.

الأنصاري: عبد الواحد بن حماد: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري رحمه الله وسيرته وأقواله ورحلاته، (د.ن)، (د.ط)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

بدران: عبد القادر بن أحمد: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

البدري: أبو البقاء عبد الله بن محمد الدمشقي (ت٨٩٤هـ/١٤٨٨م): نزهة الأنام في محاسن الشام، المطبعة السلفية، القاهرة، (د.ط)، ١٣٤١هـ.

البدنة: خلود بنت عبد الباقي: الأُسر العلمية في مكة وأثرها على الحياة العلمية والعملية خلال العصر المملوكي (٦٤٨هـ – ٩٢٣هـ/١٢٥٠م – ١٥١٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠٠٤م.

البخاري: محمد بن إسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسُننه وأيامه (المعروف بصحيح البخاري)، تحقيق: محمد الناصر، دار طوق النجاة، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.

البكري: عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت٤٨٧هـ/١٠٩٣م): المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

البلادي: عاتق بن غيث: معجم المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، دار مكة، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

الجنزوري: علية عبد السميع: إمارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

الجوهري: إسماعيل بن حماد الفرابي (ت٣٥٠هـ/٩٦١م): الصّحاح في اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار القلم، دمشق، ط٥، ١٩٩٩م.

الحاكم: محمد بن عبد الله النسابوري (ت٤٠٥هـ/١٠٤٠م):

- سؤالات مسعود بن علي السّجزي مع أسئلة البغداديين عن أحوال الرواة للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيرو ، ط١، ١٤١١هـ.

حبشي: حسن: نور الدين محمود والصليبيون، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، ١٩٤٨م.

دخان: عبد العزيز الصغير: صنعانيون ولكن من دمشق؛ علماء الحديث ورواته المنسوبون إلى صنعاء دمشق، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٤٩، الجزء الأول، محرم ١٤٣١هـ/يناير ٢٠١٠م.

الذهبي: محمد بن أحمد الدمشقي (ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م):

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

رانسيمان: ستيفن: تاريخ الحملات الصليبية؛ مملكة القدس والشرق الفرنجي ١١٠٠م – ١١٨٧م، ترجمة: نور الدين خليل، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.

رضا: أحمد: معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، ١٣٧٧هـ/١٣٥٨م.

الزركلي: خير الدين بن محمود: الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

الزيات: مصطفى إبراهيم وحامد عبد القادر ومحمد النجار: المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، (د.ت)، (د.ط).

سبط ابن الجوزي: يوسف بن قزغلي البغدادي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م): مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق: مجموعة من محققين، الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

السّبكي: عبد الوهاب بن عليّ الشافعي (ت٧٧١هـ/١٣٧٠م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤١٣هـ.

السخاوي: محمد بن عبد الرحمن المصري (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

السلمي: إبراهيم عطية الله: مدينة "تادْ مكة" في العصر الإسلامي؛ من القرن الثاني الهجري إلى القرن الثامن الهجري/القرن الثامن الميلادي إلى القرن الرابع عشر الميلادي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٦٦، جمادى الأولى ١٤٣٧هـ/مارس ٢٠١٦م.

السمعاني: عبد الكريم بن محمد التميمي (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م): الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

شافعي: لمياء بنت أحمد: مكانة المرأة العلمية في الساحة المكية؛ النساء الطبريات مثالاً من القرن السابع إلى القرن الثاني عشر الهجري، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ.

الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

الطبراني: سليمان بن أحمد الشامي (ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م): مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الطبري: محمد بن جرير الشافعي (ت٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

عاشور: سعيد عبد الفتاح:

– أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٥، ١٩٧٢م.

– الحركة الصليبية؛ صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٧١م.

عبد المهدي: عبد الجليل حسن: الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي، مكتبة الأقصى، عمان، ط١، ١٩٨٠م.

عمران: محمود سعيد: تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥م – ١٢٩١م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، ٢٠٠٠م.

الغامدي: بدرية بنت أحمد: الأسرة الطبرية بمكة خلال العصر المملوكي (٦٤٨هـ – ٩٢٣هـ/١٢٥٠م – ١٥١٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم التاريخ، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ٢٠٠٥م.

الفراني: عبد الحميد جمال: الأوقاف الإسلامية في فلسطين في العصر الإسلامي ١٥هـ – ٩٢٢هـ/٦٣٦م –١٥١٦م ، بحث مقدم إلى مؤتمر فلسطين الدولي للأوقاف الإسلامية ودورها في مواجهة التحديات الصهيونية الذي نظمته هيئة علماء فلسطين بالخارج بالتعاون مع دار الفتوى بالجمهورية اللبنانية بتاريخ ٢١–١٣ يوليو ٢٠١١م.

القلقشندي: أحمد بن عليّ المصري (ت٨٣١هـ/١٤١٨م): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

كحالة: عمر رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٣٨٨هـ.

الكفوي: أيوب بن موسى الحنفي (ت١٠٩٤هـ/١٦٨٢م): كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

الكلبي: هشام بن محمد (ت٢٠٤هـ/٨١٩م): نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: د. ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

مالكي: سليمان عبد الغني: الطبريون مؤرخو مكة المكرمة؛ نشاطاتهم العلمية ووظائفهم في الحرم خلال القرن الثامن الهجري، نادي الطائف الأدبي، الطائف، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٨٩.

مجموعة من المؤلفين: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، شارك فيها مجموعة كبيرة من المفكرين وأهل العلم العرب والمسلمين وغيرهم، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

المقريزي: أحمد بن عليّ المصري (ت٨٤٥هـ/١٤٦١م): المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

موقع الإسلام أون لاين: تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت).

النعيمي: عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت٩٢٧هـ/١٥٢٠م): الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

هارون: عبد السلام محمد: كناشة النوادر (القسم الأول)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

هوتسما: م. ت. ، ت. و. أرنولد ، ر. باسيت ، ر. هارتمان: موجز دائرة المعارف الإسلامية، إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتناوي وعبد الحميد يونس، ترجمة: نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، المراجعة والإشراف العلمي: أ. د. حسن حبشي وأ. د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ وأ. د. محمد عناني، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

- المشترك وضعًا المفترق صقعًا، دار عالم الكتب، بيروت، ط٦، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

القضاء والحركة العلمية بقمولا في عصر المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)

إعداد د/ عبدالله أحمد همام
دكتوراه في التاريخ الإسلامي
كلية الآداب – جامعة أسوان

❖ التعريف والموقع الجغرافي:

قمولا[١] اسمها الأصلي قَمُوْلة، والقبطى Kamouli[٢] وذكرها ابن مماتي من ضمن الأعمال القوصية[٣]، ووردت في معجم البلدان "**قَمُولَة**" "بليدة بأعلى الصعيد في غربي النيل، كثيرة النخل والخضرة"[٤]، وكانت تتبعها عدة قرى[٥]، منها قرية الشاورية[٦]، وذكرها ابن دقماق محرفة بلفظ "**عرب قمولا**" وأن عبرتها ١٧٥٢٤دينار وقدّر مساحتها بـ ٦٥٦٣ فدان وكانت في زمنه جارية في الديوان الشريف السلطاني المفرد[٧]، ووصفها بأنها بلدة كبيرة على ضفة النيل الغربية، وبها سروب كثيرة وبها قاضٍ[٨].

وعدها المقريزي أحد أعمال الوجه القبلي وذكرها بلفظ "**غرب قمولا**" لوقوعها على الشاطئ الغربي للنيل[٩]، واسم هذه البلدة الكبرى موجود في القواميس القبطية–العربية، ولازالت هذه القرية موجودة، ويذكر كتاب التعداد العام لمصر، أنها في قوص بمحافظة قنا، باسم قمولا قبلي، وكان بها ١٠٢٠ نسمة وتضعها القواميس بين إسنا وأسوان، والواقع: إنها بين نقادة والأقصر[١٠]، وبشمال قمولا جبل يمر من الجنوب إلى الشمال إلى أن يقارب مدينة أسيوط، وهذا الجبل كان يطلق عليه اسم "**بران**"[١١].

❖ عناصر السكان بقمولا وبعض صفاتهم:

وكانت قمولا قرية كبيرة اعتمد نشاطها الرئيس على الزراعة، حيث أرضها الخصبة مما أدى ذلك إلى تنوع المحاصيل الزراعية التي تزرع بها، حيث اشتهرت بزراعة الفاكهة كالدلاع[١٢] والموز والسفرجل والرمان والاجاص[١٣] وأصناف مختلفة من التمور والعنب، ووزنت حبة عنب،

فجاءت اثني عشر درهمًا، ولكثرة العنب بها يعمل منه الزبيب، وعنبها بالغ الطيب وجودة الحلاوة[١٤]، كما اشتهرت قمولا بكثرة البساتين وأشجار النخيل حتى ذكر عن نخيلها أن نخلة حُصَّل منها اثنا عشر أردباً من التمر[١٥]، ووصف ابن ظهيرة تمرها ومدى جودته بأنه" كأسباط البسر[١٦] منظومًا كالقلادة الحمراء"[١٧].

وليس أدل على كثرة النخيل بقمولا ما رصده لنا المقريزي حين هبت رياح عاتية ببلاد الصعيد اقتلعت من ناحية غرب قمولا وحدها زيادة على أربع آلاف نخلة في ساعة واحدة في سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م[١٨]، كما وردت الأخبار مرة أخرى عندما هبت رياح شديدة بغرب قمولا ألقت نحو ألفين وخمسمائة نخلة مثمرة، وقدّم ذلك بمحضر ثابت على قاضيها سنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م[١٩].

أما عن عناصر السكان فمن المعروف أن مصر شهدت نزوحًا كثيرًا من القبائل العربية إليها على مر العصور الإسلامية، ففي القرن الأول الهجري هاجرت إليها بطون من قضاعة التي تنسب إلى حمير بن سبأ، ثم نزلت بطون من قضاعة، وكانت أكثر هذه القبائل التي نزحت إلى مصر هي قبيلة بلي، وقمولا كانت أحد البلاد المصرية التي استوطنتها القبائل العربية[٢٠] وذكر النسابون أن قبيلة بلىّ[٢١] وهم بطن من قضاعة من القحطانية أشهر القبائل العربية التي سكنت قمولا، وكانت بلي بالشام فنادى رجل منهم يا آل قضاعة، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ﷺ، فكتب إلى عامل الشام أن يسير ثلث قضاعة إلى مصر، فنظروا فإذا بلى ثلث قضاعة فسيروا إلى مصر، وكانت بلى متفرقة بأرض مصر[٢٢].

ثم اتفقت بعد ذلك مع جهينة[٢٣] أن يكون لبلىّ[٢٤] من جسر سوهاج غرباً إلى قمولا وصار لها من الشرق من عقبة فاو الخراب إلى عيذاب، وأن نسب الموجود منهم بهذه البلاد ومنها قمولا من أصول بلىّ، يرجع نسبهم إلى بني عمر وبني هاشم، وبني هرم، وبني سوادة، وبني حارثة، وبني أراش وبني ناب، وبني شاد ونسب لبني عجيل بن المريب أن الإمارة كانت فيهم[٢٥].

ومن القبائل العربية الأخرى التي سكنت قمولا بنو شاور[٢٦]، وهم بطن من همذان وإليهم تنسب إحدى قرى قمولا وهي قرية الشاورية[٢٧]، ويبدو أن بني مخزوم من قبيلة قريش كانوا ممن سكن بقمولاً، وذلك ما يتضح من نسب أحد علماء أسرة علمية بقمولا ويدعى " نجم الدين أحمد[٢٨] بن محمد بن أبي حرم القرشي المخزومي(ت:٧٢٧هـ/١٣٢٧م)[٢٩].

ومن المعروف أن غالبية سكان مصر كانوا يدينون بالمسيحية قبل مجئ الإسلام إليها، وكانت قمولا مثلها مثل البلاد المصرية التابعة لقوص شهدت تحولاً في عصر سلاطين المماليك من مدينة كانت تكتظ بالمسيحيين قبل ذلك العصر إلى مدينة أصبحت غالبيتها من المسلمين[٣٠].

وأما عن صفات أهل قمولا، فقد اشتهروا بكرم الضيافة، ووصفهم **الأدفوى** بأنهم "مرصدً للضيافات"، حتى إذا قصدهم أحد من الناس ليلاً أو نهاراً، وجد الطعام متهيئًا لضيافته، ومن أبرز من اشتهر من أهلها في إكرام الضيف رجل يدعى الحسام بن الجلال كان يشرف على المطعم والمشرب، ويستقبل من يأتي من الضيوف[٣١]، كما اتصف أهل قمولا بالمروءة وسعيهم في مصالح الناس كالشيخ نجم الدين أحمد المخزومي القمولي(ت:٧٢٧هـ/١٣٢٧م) الذي اتصف بحسن الأخلاق، كبير المروءة والفتوة، حفوظاً لودِّ أصحابه ومعارفه، محسناً إلى أهله وأقاربه وأهل بلاده[٣٢].

وكانت الأسرة بالصعيد بصفة عامة وبقمولا بصفة خاصة تتميز بترابط قوي، ومن دلائل ذلك إذا مات رجل وترك أولادًا له، كان يقوم أحد أقاربه بالوصاية عليهم وتربيتهم والتزام بالأمانة على أموال هؤلاء اليتامى حتى يبلغوا رشدهم، ومن صور ذلك على سبيل المثال ما فعله خال صدر الدين محمد بن مكي القمولي(ت:٦٦١هـ/١٢٦١م) وأخوه قطب الدين وصيًا عليهما بعد وفاة أبيهما، فتولى رعايتهما حتى بلغا أشدهما، ولمدى أمانته معهما أخذهما إلى منزله، وعرض عليهما ابنتيه للزواج وأبلغهما أنه أطعمهما من مالهما، إلا إنهما شهدا على أنفسهم أنه لم يقصر في تربيتهما ورعايتهما وأنه لم يتأخر لهما عنده شيء[٣٣].

❖ **الحركة العلمية والقضاء بقمولا:**

وكانت بيئة قوص تموج بالحيوية العلمية والأدبية لكثرت المدارس التي تدرس ألوان العلوم الإسلامية ومن بلدانها التي اشتهرت بالحركة العلمية قمولا، حيث كانت المدارس بصعيد مصر بمثابة كليات عالية تدرس بها العلوم الأساسية التي ارتبطت بأصول الدين كالفقه، والحديث، والتفسير، أو العلوم اللغوية، كالنحو والصرف والبيان، فضلاً عن الدراسات العقلية كالفلسفة والمنطق أو العلوم العملية كعلم الفلك، وعلم الهندسة(٣٤).

والجدير بالذكر أن كل مدرسة كانت تخضع لإدارة حازمة رشيدة، فكان يشرف عليها وإدارتها شخص يطلقون عليه" القيم" وهو يشبه الناظر في عصرنا هذا، وكان لابد أن يكون مشهورًا بعلمه وفقه وتقواه، يعاونه في ذلك المدرسون والمعيدون(٣٥) ووظيفة المعيد لم تظهر في تاريخ التعليم عند المسلمين إلا مع ظهور المدارس(٣٦)، وليس أدّل على انتشار العلم وازدهار التدريس بقمولا من إشارة المصادر التاريخية إلى وجود مدرسة بها(٣٧).

والجدير بالذكر أن معظم الفقهاء الذين خرجوا من الصعيد كانوا على المذهب الشافعي، لذلك كان في الواقع يخضع القضاء للمذهب الشافعى، وكان من سلطة قاضى القضاة الشافعية بالقاهرة تعيين نواب له في مصر كلها بما فيها الصعيد، حيث كان لكل مدينة من مدن الصعيد قاضٍ في عصر المماليك البحرية، وهذا القاضي كان يقوم بتعيينه أو عزله قاضى القضاة الشافعية بالقاهرة(٣٨).

وكان بغرب قمولا مقر **القضاء**، حيث بها قاض يعين ليحكم بها نيابة عن قاضى القضاة(٣٩)، وتمتد ولايتها القضائية إلى قرى أخرى من الضفة الغربية، إنما تبدو بوصفها موقعًا مختاراً؛ وينتهي قضاتها أحياناً بأن يصبحوا نواباً لقاضي قوص أو حتى قضاة لقوص، فالقضاء في هذا الإقليم الغني الذى يشكل جزءًا من الإقطاعات السلطانية لابد أن يعهد به إلى فقهاء صاعدين(٤٠).

هذا وقد كان معظم قضاة قمولا من أبنائها، وإن كان قد تولى أحياناً منصب القضاء بها بعض القضاة من المدن الأخرى، ونخص بالذكر منهم القاضي أحمد(٤١) بن علي بن وهب بن

مطيع القشيري القوصي الذي كان فقيهاً بالمذهبين مالك والشافعي وتولى الحكم بغرب قمولا وقوص عن قاضي القضاة الحنفي وتوفي سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م[٤٢].

وسافر كثير من علماء قمولا إلى بلاد ومدن أخرى للتدريس والمحاضرة، ومنهم من تقلد مناصب في تلك المدن والبلاد، ونبغ منهم الفقهاء والقضاة والعلماء في شتى المجالات الدينية واللغوية والعلمية وغيرها، ففي علم الحديث والفقه نبغ العالم سالم بن عثمان بن عمر القمولي(ت:٦٥٩هـ/١٢٦٠م) الذي سمع الحديث من الشيخ تقي الدين محمد[٤٣] القشيري ابن دقيق العيد (ت:٧٠٢هـ/١٣٠٢م) وتوفي بقوص[٤٤].

ويبدو أن التنظيم الإداري لتعيين القضاة بقمولا كان يخضع لسلطتين قضائيتين قاضي الولاية الأعلى، وقاضي القضاة الشافعية بالقاهرة، وكان يتم ذلك من خلال إصدار قاضي القضاة أمر التولية أو العزل في ضوء التقارير التي يرسلها القاضي الأعلى للولاية، ومن الملاحظ أيضاً أن قاضي القضاة كان يتيح حرية الاختيار للقاضي المعين في اختيار المدن التي يرغب العمل بها والذي غالباً ما يفضلون في اختيار بلادهم، وهو ما حدث عن تولي قاضي قمولا الفقيه صدر الدين محمد بن مكي بن ياسين القمولي (ت:٦٦١هـ/ ١٢٦١م) والد القاضي نجم الدين[٤٥][٤٦].

وكان الفقيه صدر الدين قد سمع الحديث من الشيخ تقي الدين القشيري بن دقيق العيد، واشتغل هو وأخوه "القطب" بمدينة قوص علي الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن وهب القشيري، وسافرا إلى القاهرة، وأقاما بالمدرسة الصالحية[٤٧] يتلقيان العلم عن الشيخ أبي عبدالله عز الدين بن عبدالسلام[٤٨]، فخيرهما بين النقل للعمل في البلاد أم الإقامة ببلادهما، فاختارا بلادهما، وتوليا قضاء الجزء الغربي من عمل قوص بقمولا بكتاب من قاضي القضاة عز الدين بن عبدالسلام وأعطاهما ذلك المرسوم، وطلب منهما أن يتوليا منصبهما من جهة قاضي قوص، وصار كل منهما ينوب عن أخيه في ولايته وتُوفي صدر الدين في سنة ٦٦١هـ/١٢٦١م[٤٩].

ومن قضاة قمولا الذين فضلوا العمل بقضائها بالإضافة إلى بعض النواحي الأخرى الفقيه

عبدالرحيم بن حرمي القمولي (ت:٦٨٩هـ/١٢٩٠م) وهو أبو الحزم مكي بن ياسين، وكان يلقب القطب القمولي، خطيب قمولا وكان من العلماء الذين سمعوا الحديث في مدينة قوص من الشيخ تقي الدين القشيري والنجيب أبي الفرج (ت:٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)[٥٠]، كما أخذ الفقه عن الشيخ مجد الدين[٥١] القشيري(ت:٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م)، ثم رحل إلى القاهرة ولزم درس الإمام أبي محمد[٥٢] بن عبدالسلام (ت:٦٦٠هـ /١٢٦٢م)، ثم عاد إلى بلاده متوليًا منصب القضاة بكتاب من قاضى القضاة، وتولى الحكم بالأقصرين وأرمنت[٥٣] وقمولا، وتوفي بقمولا سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م[٥٤].

والجدير بالذكر أن فقهاء قمولا لم يقتصر تفوقهم في علم الفقه والحديث فحسب، بل منهم من نبغ في علوم أخرى كالعربية والأصول والجبر والمقابلة كالفقيه محمد بن إدريس بن محمد القمولى (ت:٧٠٩هـ/١٣٠٩م) وكان يلقب بالنجم، وكان عالماً بالفقه والتفسير والحديث[٥٥]، ووصف الأدفوى نبوغه في الفقه بقوله "نبل في الفقه حتى كاد يستحضر "الروضة"[٥٦] وينقل من شرح مسلم للنووي، ويكاد يستحضر "الوجيز [٥٧]" للواحدي في التفسير، كما برع بالإضافة إلى ذلك في العربية والأصول والفرائض والجبر والمقابلة، وتوفي بقوص سنة٧٠٩هـ/١٣٠٩م[٥٨].

ومن الوظائف الدينية المعروفة والتي لها صلتها بالقضاء وظيفة "الشهود" الذين كانوا يتعرفون على أحوال الناس ويشهدون في القضايا، ولهم حوانيت معروفة، فإذا احتاج المتقاضون إلى شاهد أحضروه للقيام بالشهادة مقابل أجر معين[٥٩] ومن فقهاء قمولا الذين عملوا بهذه الوظيفة بالقاهرة، وظلوا يعملون بها حتى وفاتهم الفقيه نور الدين علي بن محمد بن علي القمولي(ت: بعد٧١١هـ/ بعد١٣١١م) وكان فقيهًا مالكيًّا، وكان مقيمًا بالقاهرة ومن الشهود[٦٠] بها، وتُوفي بالقاهرة[٦١].

وكان الاشتغال بالمذاهب الأربعة منتشراً في قمولا خلال عصر سلاطين المماليك، فكان من فقهائها من كان مالكيًا أو شافعيًّا وغير ذلك وهو ما يعنى الاتجاه في العمل بالكتاب والسنة سواء في التدريس أو الأحكام والقضاء، ومن فقهاء قمولا الفقيه خالد بن محمد بن جلال القمولي(ت:٧١٠هـ/١٣١٠م) الذى سمع الثقفيات[٦٢] من الحافظ أبي الفتح القشيري، واشتغل بالفقه، وتُوفي بقمولا سنة٧١٠هـ/١٣١٠م[٦٣]، ومن فقهاء قمولا الذين سافروا القاهرة وعملوا بها

حتى وفاتهم الفقيه نور الدين علي بن محمد بن علي القمولي(ت: بعد٧١١هـ/ بعد١٣١١م) وكان فقيهًا مالكيًا وكان مقيمًا بالقاهرة ومن الشهود[٦٤] بها، وتوفي بالقاهرة[٦٥].

ومن فقهاء قمولا الذين درسوا في الفقه والحديث الفقيه محفوظ بن محمد القمولي(ت:٧٢٠هـ/١٣٢١م) كان حافظاً للقرآن الكريم، وسمع الحديث من أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد القرطبي[٦٦]، واشتغل بالفقه وتُوفي بقمولا سنة٧٢٠هـ/١٣٢١م[٦٧].

وهناك وظائف دينية معروفة في قوص لها صلتها بالقضاء منها وظيفة "**عاقد الأنكحة**" وصاحبها يتولى إجراء عقود الزواج بالصيغة الشرعية بين الناس، ومن فقهاء قمولا من فضّل البقاء بقوص للدراسة، متولياً إقراء مذهبه بمدارسها بجانب القيام بأعمال أخرى كالجلوس بسوق الشهود والعمل عاقدًا للأنكحة كالفقيه عبد العزيز بن يحيي القمولي (ت:٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) كان فقيهًا مالكيًّا، ولقب بالعزَّ، وكان كثير الالتزام بالمدرسة النجيبية[٦٨] وتولى تدريس مذهب الإمام مالك بها واشتغل معيدًا بها مدة، كما كان جالسًا بسوق الشهود بقوص عاقدًا للأنكحة، وكان شديد الاحتراز في العقود، توفي بقمولا في سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م[٦٩].

ومن المعاونين للقضاة في أعمالهم "**أمين الحكم**" وكان يقوم بالتحفظ على أموال الأيتام الغائبين، فإذا أمر القاضي بصرف زكاة اليتيم، فيجب أن تصرف لمستحقيها بيسر وسهولة، وعليه ألا يجعل أم اليتيم تتردد على بابه لأخذ نفقة ابنها[٧٠]، ومن أشهر من عمل بهذه المهنة وفضّل الإقامة بقمولا الفقيه محمد بن محمد بن أحمد الكندي القوصي (ت:٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م) المنعوت بالجلال، وعرف بابن التاج الخطباء القوصي، الذي سمع الحديث من الشيخ تقي الدين القشيري، وكان أمين الحكم بقوص وعاقداً للأنكحة، كما برع في النثر والنظم والخطب، وكان حسن الخط، وذكر الأدفوي أنه فضّل الإقامة بغرب قمولا حتى وافته المنية بها سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م[٧١].

ومن إعلام قمولا البارزين بفن الكتابة علوم العربية وخاصة النحو والصرف القاضي الفقيه أحمد بن محمد القمولي(ت:٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م) وهو نجم الدين أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكي بن ياسين القمولي، وكان من الفقهاء الشافعية الأفاضل واشتغل قاضيًا قرابة الأربعين سنة، ومن العلوم التي نبغ

بها علم الحديث الذي درس فيه على يد قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة[٧٢] (ت: ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م) وغيره، كما نبغ في الفقه واشتغل به في قوص ثم القاهرة، وكذلك الأصول والنحو[٧٣].

ومن أهم مؤلفاته وأعماله شرح "**الوسيط**" في الفقه في مجلدات كثيرة وسماه "**البحر المحيط في شرح الوسيط**"، ثم جرَّد نقوله في مجلدات وسماه "**جواهر البحر**"، أما في النحو فشرح "**مقدمة**" ابن الحاجب في مجلدين، كما شرح "**أسماء الله الحسنى**" في مجلد، وكمّل تفسير ابن الخطيب[٧٤]، وشهد العلماء بفضله وعلمه الغزير في الفقه بشهادة الشيخ صدر الدين بن الوكيل(ت:٧١٦هـ/ ١٣١٧م)[٧٥] الذي قال عنه " **لَيْسَ بِمصْر أفقه من الْقَمُولِيّ**" كما شهد أيضاً له بذلك قاضى القضاة السروجى[٧٦] الحنفي (ت:٧١٠هـ/١٣١٠م)[٧٧].

ويعد القاضي نجم الدين أحمد القمولي من أبناء قمولا الذين تولوا منصب القضاء في العديد من المدن المصرية ومنها توليه القضاء بقمولا عن قاضي قوص والذي كان آنذاك شرف الدين إبراهيم بن عتيق، كما تولى الوجه القبلي من عمل قوص، في ولاية قاضي القضاة عبدالرحمن بن بنت الأعز(ت:٦٩٥هـ/١٢٩٦م)[٧٨]، ومن البلدان التي تولاها أيضاً، أخميم مرتين، وولى أسيوط، والمنية والشرقية والغربية، كما ناب بالقاهرة ومصر، وولى الحسبة عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م بعد وفاة بهاء الدين السنجاري، وظل متقلداً في النيابة بمصر والجيزة والحسينية إلى وفاته، كما درّس بالفائزية[٧٩] بمصر[٨٠] وبالمدرسة الفخرية[٨١] بالقاهرة وتوفي بمصر وصُلّى عليه بجامع عمرو بن العاص[٨٢] وكانت جنازته مشهودة، حضرها القضاة والحكام والأكابر وغيرهم من العوام سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م[٨٣].

ولم يكن قضاة قمولا بمنأى عن العزل بل والتنكيل بالضرب ومصادرة الأموال ولو كان السبب مجرد الاشتباه بالقيام ببعض المخالفات كما حدث مع القاضي شهاب الدين أحمد بن عبدالرحمن القمولي ابن أخي القاضي نجم الدين القمولي من أسرة القاضي نجم الدين القمولي المشهورة بقمولا والذين تولوا منصب القضاء وكان قاضيًا للجانب الغربي فقط من الإقليم وقد تم تعينه من قبل القاضي جلال الدين القزويني، إلا إنه تم عزل شهاب الدين سنة

٧٣٥هـ/١٣٣٤–١٣٣٥م، وذلك لاشتباه فيه ولمجرد الشك أنه قتل ابنة زوجة ابن عمه وتعرض للتنكيل بالضرب عدة مرات ومصادرة جميع ما يملك من الأموال، وهنا يلاحظ أيضاً أسرة القاضي نجم الدين القمولي من الأسر التي توارثت منصب القضاء في قمولا(٨٤).

ومن فقهاء قمولا من تقلد المناصب الرفيعة خارج الديار المصرية كالقاضي زين الدين عبدالله ابن إدريس القمولي (ت:٧٥٤هـ/١٣٥٣م) الذي تولى قضاء القدس، كما تولى قضاء أسيوط(٨٥)، ومن فقهائهم الذين أخذوا العلم من علماء القاهرة وأقاموا بها حتى وفاتهم عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الزين الأنصاري القمولي ثم القاهري الشافعي (ت:٨٦٤هـ/١٤٥٩م)، الذي أخذ الفقه عن المحلى والعلم البلقينى والمناوى ومن بعدهم كأبي السعادات البلقينى والأصول عن المحلي، وكذلك أخذ فنوناً عن التقي الحصني، وكان يعمل خطاطاً وكتب الكثير بخطه ليقضى بها حاجته ولم يؤثر ذلك على التزامه الاشتغال بالعلم وتحصيله ومات في طاعون سنة ٨٦٤هـ/١٤٥٩م(٨٦).

الخاتمـــــة:

هذا وقد تضمنت الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث وهي:

- تمتعت قمولا بحكم موقعها الجغرافي المتميز بغرب النيل بأرضها الخصبة مما أدى إلى تنوع المحاصيل الزراعية التي تزرع بها، حيث اشتهرت بزراعة الفاكهة كالعنب والنخيل وغيرها.
- كما أبرزت الدراسة تنوع سكان قمولا وأشهر القبائل العربية التي سكنت بها كقبيلة بلي وبني شاور، وما اتصف به سكانها من مكارم الأخلاق وكرم الضيافة والتماسك الأسرى.
- واتضح من الدراسة ما ذخرت به قمولا من حياة علمية من انتشار العلم وازدهار التدريس بقمولا ووجود مدرسة بها ارتادها العلماء وطلاب العلم لتحصيل العلوم المختلفة بها.
- كما كشفت الدراسة عن نشاط علماء قمولا وأثرهم على الحياة العلمية من خلال سفرهم إلى البلاد ومدن أخرى للتدريس والمحاضرة، ومنهم من تقلد مناصب في تلك المدن والبلاد، ونبغ منهم الفقهاء والقضاة والعلماء في شتى المجالات الدينية واللغوية والعلمية وغيرها.
- كما بينت الدراسة منزلة علماء قمولا في مصر خلال العصر المملوكى والذي يتضح من تقلد المناصب الرفيعة داخل وخارج الديار المصرية، حيث تولوا الولايات المختلفة بالديار المصرية خارج قمولا كولاية أخميم وأسيوط والشرقية والغربية، كما تولى بعضهم نيابة القاهرة ومصر والحسبة كعبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الزين الأنصاري القمولي، وكذلك المناصب خارج الديار المصرية كتولي قضاء القدس كالقاضي زين الدين عبدالله بن إدريس القمولي.

الملاحـــــق

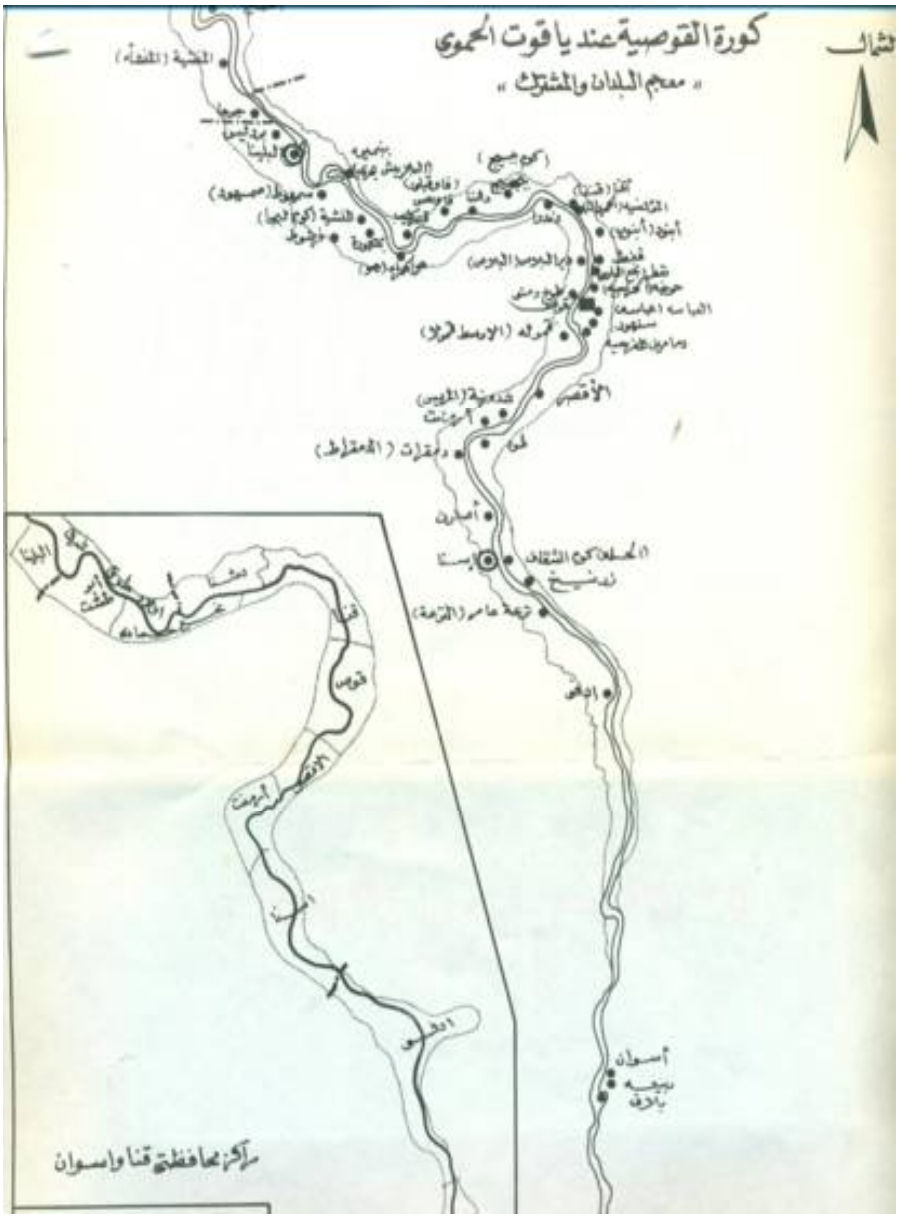

نقلاً عن:

عبدالعال عبدالمنعم الشامي: مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموى، د.ن، ط.١، ١٩٨١م.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية المطبوعة :-

- **الإدريسى: (ت:٥٦٠هـ/١١٦٥م) محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الإدريسي:**

١- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط.١، ١٩٨٨.

- **الأدفوى:(ت:٧٤٨هـ/١٣٤٧م) الشيخ الإمام أبي الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي الشافعي:**

٢- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق: سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م.

- **الإسنوي: (ت:٧٧٢هـ/١٣٧٠م) جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن:**

٣- طبقات الشافعية، تحقيق: كمال الدين يوسف، ط.١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

- **ابن الجيعان(ت: ٨٨٥هـ/١٤٨٠م) شرف الدين يحيي بن المعز بن شاكر، المعروف بالشريف الإدريسي:**

٤- التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، ١٩٧٤م.

- **حاجى خليفة:(ت:١٠٦٧هـ/١٦٦٥م) مصطفي بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني.**

٥- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.

٦- سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول، ٢٠١٠م.

- **ابن حجر (ت:٨٥٢هـ/١٤٤٨م) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني:**

٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد، ط.٢، ١٩٧٢م.

٨- رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخارجي، القاهرة، ط.١، ١٩٩٨م

- **الحميري:(ت:٩٠٠هـ/١٤٩٥م) أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم الحميري:**

٩- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت، ط.٢، ١٩٨٠م.

- **ابن خلكان:(ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م) شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان:**

١٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس دار صادر، بيروت، ج٣، ١٩٠٠م.

- **ابن دقماق:(ت:٨٠٩هـ/١٤٠٧م)إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي:**

١١- الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجرافتها، الجزء الأول، المطبعة الكبرى، بولاق، ١٨٩٣م، منشورات المكتب التجاري، بيروت.

- **الذهبي:(ت:٧٤٨هـ/١٣٤٧م) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي:**

١٢- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط.٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

- **الزبيدي:(ت:١٢٠٥هـ/١٧١٩م) محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني:**

١٣- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق : مجموعة من المحققين، دار الهداية، الإسكندرية، (د.ت).

- **الزركلي:(ت:١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي:**

١٤- الإعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط.١٥، ٢٠٠٢م.

- **السبكي:(ت:٧٧١هـ/١٣٧٠م) تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي:**

١٥- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د.محمود محمد الناحي& د.عبد الفتاح محمد الحلو، ط.٢، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣م.

١٦- معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط.١، ١٩٨٦.

- **السخاوى:(ت:٩٠٢هـ/١٤٩٧م) شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي:**

١٧- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

- **السمعاني:(ت:٥٦٢هـ/١١٦٧م) عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد:**

١٨- الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط.١، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٦٢م.

- **السيوطي:(ت:٩١١هـ/١٥٠٥م) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي:**

١٩- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٧م.

٢٠- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، د.ت.

- **ابن شهبة:(ت:٨٥١هـ/١٤٤٨م) تقي الدين أبى بكر بن أحمد بن قاضى شهبة الأسدي الدمشقي:**

٢١- طبقات الشافعية، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، ط.١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م.

- **الصفدى:(ت:٧٦٤هـ/١٣٦٣م) صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله صلاح الدين الصفدى:**

٢٢- أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: د.علي أبو زيد& د.نبيل أبو عشمة& د.محمد موعد& د.محمود سالم محمد، دار الفكر المعاصر، بيروت & دار الفكر، دمشق، ط.١، ١٩٩٨م.

٢٣- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفي، دار إحياء التراث، بيروت،٢٠٠٠م.

- **ابن ظهيرة:(ت:٨٩١هـ/١٤٨٦م) أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن محمد بن حسين بن علي:**

٢٤- الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفي السقا & كامل المهندس، ملتقى أهل الأثر، ١٩٦٩م.

- **العمرى:(ت:٧٤٩هـ/١٣٤٩م) أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين:**

٢٥- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م.

- **الفيروز آبادي:(ت:٨١٧هـ/١٤١٥م) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى:**

٢٦- القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ط.٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م.

- **القلقشندي:(ت:٨٢١هـ/١٤١٨م) أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي:**

٢٧- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب اللبنانين، بيروت، ط .٢، ١٩٨٠.

٢٨- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط.٢، ١٩٨٢م.

٢٩- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

- **أبو المحاسن:(ت:٨٧٤هـ/١٤٧٠م) أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي:**

٣٠- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٣م.

٣١- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ت).

- **المقريزي:(ت:٨٤٥هـ/١٤٤١م) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي:**

٣٢- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: فردناد واسطون فيلد، طبعة جوتنجن، ألمانيا، ١٨٤٧م.

٣٣- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.١، ١٩٩٧م.

٣٤- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.١، ١٩٩٧م.

- **ابن الملقن:(ت: ٨٠٤هـ/١٤٠١) ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري:**

٣٥- العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، تحقيق: أيمن نصر الأزهري، سيد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.١، ١٩٩٧م.

- **ابن مماتي:(ت:٦٠٦هـ/١٢٠٩م) أبو المكارم أسعد بن مهذب بن مينا بن زكريا:**

٣٦- قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م.

- **النعيمى:(ت: ٩٢٧هـ/١٥٢١م) عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي:**

٣٧- الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط.١، بيروت، ١٩٩٠م.

- **النويري:(ت:٧٣٣هـ/١٣٣٣م) أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري:**

٣٨- نهاية الأرب في فنون الأدب، ط.١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

- **ياقوت الحموي:(ت:٦٢٦هـ/١٢٢٩م) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي:**

٣٩- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط.٢، ١٩٩٥م.

ثانياً: المراجـــع العربية:-

- **إبراهيم مصطفي & أحمد الزيات& حامد عبدالقادر& محمد النجار:**

١- المعجم الوسيط، دار الدعوة، د.ت.

- **أحمد عبدالنبي فرغل الدعباسي:**

٢- إقليم نقادة بصعيد مصر، ط.١، دار الأمة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥م.

- **خالد عزب:**

٣- الفسطاط النشأة .. الإزدهار..الإنحسار ، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط.١، ١٩٩٨م.

- **عادل نويهض:**

٤- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط.٣، ١٩٨٨م.

- **عباس المدني:**

٥- مختصر فتح رب الأرباب بما أهمل في لب اللباب من واجب الأنساب، مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية، القاهرة، ١٩٢٦م.

- **عبد العال عبدالمنعم الشامي:**

٦- مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموي، د.ن، ط.١، ١٩٨١م.

- **عمر كحالة:**

٧- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط.٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م.

- **محمد رمزي:**

٨- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م، ج٤، ق٢.

- **محمد عبده الحماصى:**

٩- قوص في التاريخ الإسلامى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م.

- **مصطفي كامل الشملول الشريف:**

١٠- عروبة مصر من قبائلها، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٦٥م.

ثالثاً: المراجع العربية (المترجمة):

- **أميلينو:**

١- جغرافية مصر في العصر القبطى، ترجمة: د. ميخائيل مكسى إسكندر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م.

- **جان كلود جارسان:**

٢- ازدهار وانهيار حاضرة مصرية قوص، ترجمة: بشير السباعي، ط.١، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢م.

- **دوزى:**

٣- تكملة المعاجم العربية، تحقيق: محمد سليم النعيمى، ط.١، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ٢٠٠٠م.

رابعاً : الدوريات العربية:

- **ريهام على يحي الغامدى:**

١- المدارس في مصر في العصر المملوكى(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، مجلة الاستواء، مركز البحوث والدراسات الإندونيسية، جامعة قناة السويس، مصر، ٢٠١٧م.

خامساً: الرسائل الجامعية:

- **سعيد عثمان يونس:**

١- صعيد مصر في عصر المماليك البحرية(٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب بسوهاج، جامعة جنوب الوادى، ١٩٩٥م.

- **عبدالفتاح يوسف عرابى حسين:**

٢- قوص في عصر سلاطين المماليك(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ١٩٩٠م.

- **ليلى ابراهيم نافع:**

٣- الحياة الثقافية في مصر في العصر المملوكي(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة مصراته، ليبيا، ٢٠١٤م.

- **محمد أحمد محمد:**

٤- مظاهر الحضارة في الوجه القبلي منذ قيام الدولة الأيوبية حتى نهاية العصر المملوكي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة أسيوط، سوهاج، ١٩٨٣م.

سادساً: المراجع الأجنبية:

1-Garcin(J.C.):

une centre Musulman De la Haute-Egypte Medievale :Qus, le caire, 1976.

2-Makdisi George:

the rise of colleges institution of learning in islam and the west, Edinburgh , university press, 1981.

هوامش البحث

(1) "وفي سنة ١٢٥٩هـ قسمت إلى ثلاث نواح: وهي البحري قمولا– والأوسط قمولا– وهي الأصلية هذه– والقبلي قمولا، وأصبحت كل ناحية منها، قائمة بذاتها من ذاك التاريخ والأوسط قمولا، والبحري قمولا، تابعتان لمركز قوص وأما القبلي قمولا، فهي تابعة لمركز الأقصر، وفي سنة ١٩٢٥م، أنشئ فى زمام القبلى قمولا، التي بمركز الأقصر، ناحية رابعة إدارية، باسم الغربى قمولا، وهي ناحية جديدة، غير غرب قمولا الأصلية هذه." محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م، ج٤، ق٢، صـ ١٨٣.

(2) محمد رمزى: المرجع السابق، ج٤، ق٢، صـ ١٨٣.

(3) ابن مماتى: قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة،١٩٩١م، ص١٧١.

(4) ياقوت الحموى: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط.٢، ١٩٩٥م، ج٤، صـ ٣٩٨، ٣٩٩.

(5) الأدفوى: الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق: سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م، صـ ٧٣٤.

(6) عباس المدنى: مختصر فتح رب الأرباب بما أهمل في لب اللباب من واجب الأنساب، مطبعة المعاهد، القاهرة، ١٩٢٦م، صـ ٣٠.

(7) **الديوان المفرد:**" وهو ديوان أحدثه الظاهر برقوق في سلطنته، وأفرد له بلادًا، وأقام له مباشرين، وجعل الحديث فيه لأستاذ داره الكبير، ورتّب عليه نفقة مماليكه من جامكيات وعليف وكسوة وغير ذلك..." القلقشندى: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٣، صـ ٥٢٤.

(8) ابن دقماق: الانتصار لواسطة الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، المطبعة الكبرى، بولاق، ١٨٩٣م، ج٥، ق٢، صـ ٣٢؛ " وقدّرها ابن الجيعان مساحتها بـ٦٥٦٣فدان نقا٦٢٤٢فدان خرس٣٢١ فدان وعبرتها ١٧٠٠دينار، وكانت تحت اسم أمير حاج بن الملك الناصر، ثم صارت للديوان الشريف" ابن الجيعان: التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٤م، صـ ١٩٤.

(9) المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.١، ١٩٩٧م، ج١، صـ ٢٤٢.

(10) أميلينو: جغرافية مصر في العصر القبطي، ترجمة: د. ميخائيل مكسى إسكندر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م، صـ ٢٩٣.

(11) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط.١، ١٩٨٨م، ج١، صـ ١٢٩؛ الحميرى: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط.٢، ١٩٨٠م، صـ ٤٧٣؛ أحمد عبدالنبي فرغل الدعباسي: إقليم نقادة بصعيد مصر، ط.١، دار الأمة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥، صـ ٤٦.

(12) "وهو البطيخ الأحمر" دوزى: تكملة المعاجم العربية، تحقيق: محمد سليم النعيمى، ط.١، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ٢٠٠٠م، ج٤، صـ ٣٩٥.

(13) "المِشْمِشُ، والكُمَّثْرى ..." انظر الفيروزآبادى: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ط.٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م، صـ ٦١٢؛ الزبيدى: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق : مجموعة من المحققين، دار الهداية، الإسكندرية، (د.ت)، ج١٤، صـ ٦٨.

(14) الإدريسي: المصدر السابق، ج١، صـ ١٢٩؛ الحميرى: المصدر السابق، صـ ٤٧٣؛ سعيد عثمان يونس: صعيد مصر فى عصر المماليك البحرية(٦٤٨ – ٧٨٤هـ/١٢٥٠–١٣٨٢م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب بسوهاج، جامعة جنوب الوادى، ١٩٩٥م، صـ ٩٤– ٩٧.

(15) ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا & كامل المهندس، ملتقى أهل الأثر، ١٩٦٩م، صـ ١٣٥.

(16) "ثمر النخل قبل أن يرطب" إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، د.ت، ص٥٦.

(17) ابن ظهيرة: المصدر السابق، صـ ٦٥.

(18) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.١، ١٩٩٧م، ج٣، صـ ٧٥؛ سعيد عثمان يونس: المرجع السابق، صـ ١٠٠.

(19) المقريزى: السلوك، ج٣، صـ ٢٤٧؛ سعيد عثمان يونس: المرجع السابق، صـ ١٠٠.

(20) "عرب القمولات (البحري قمولا والأوسط قمولا والغربى قمولا والقبلي قمولا)" انظر مصطفى كامل الشملول الشريف: عروبة مصر من قبائلها، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٦٥م، صـ ٥٦.

(21) "بلى وهي قبيلة من قضاعة، وهو بلىّ بن عمرو بن الحاف ابن قضاعة منها جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من حلفاء الأنصار من أهل بدر وغيرهم، منهم كعب بن عجرة، وأبو الهيثم بن التيهان حليف بنى عبد الأشهل وغيرهم، كل هؤلاء من بنى بلى بن عمرو، قال ذلك أبو سعيد السكرى نزل أكثرهم مصر، وأسلموا حين قدم وفد من بلي على النبي(ﷺ) سنة ٩هـ، فأسلموا فقال لهم(ﷺ): " الحمد لله الذي هداكم للإسلام، فكل من مات على غير الإسلام، فهو في النار، ثم ودعوا رسول الله (ص) بعد أن أجازهم، ورجعوا إلى بلادهم" انظر السمعاني: الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط.١، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٦٢م، ج٢، صـ ٣٢٣-٣٢٤؛ عمر كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.٧، ١٩٩٤م، ج١، صـ ١٠٦.

(22) المقريزي: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: فردناد واسطون فيلد، طبعة جوتنجن، ألمانيا، ١٨٤٧م، صـ ١٨.

(23) "هي قبيلة من قضاعة واسمه زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة" انظر السمعاني: المصدر السابق، ج٣، صـ ٤٣٩– ٤٤٠.

(24) "وكانت بلى بالشام فنادى رجل من بلى بالشام يا آل قضاعة، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ﷺ فكتب إلى عامل الشام أن يسير ثلث قضاعة إلى مصر فنظروا فإذا بلى ثلث قضاعة فسيروا إلى مصر، وكانت بلى متفرقة بأرض مصر..." انظر المقريزي: البيان والإعراب، صـ ١٨.

(25) القلقشندى: نهاية الارب فى معرفة أنساب العرب، تحقيق: ابراهيم الإبيارى، دار الكتاب اللبنانين، بيروت، ط.٢، ١٩٨٠، صـ ١٨٠؛ نفسه: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط.٢، ١٩٨٢م، صـ ٤٥–٤٦؛ العمرى: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م، ج٤، صـ ٣٦٤؛ المقريزى: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، صـ ١٨؛ محمد أحمد محمد: مظاهر الحضارة فى الوجه القبلى منذ قيام الدولة الأيوبية حتى نهاية العصر المملوكى، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة أسيوط، سوهاج، ١٩٨٣م، صـ ١٦٥؛ عمر كحالة: المرجع السابق، ج١، صـ ١٠٥.

(26) "وبَنُو شَاوِرٍ: (بَطْنٌ من هَمْدَانَ)، وهُوَ شَاوِرُ بنُ قُدَمَ بنِ قادِمِ بنِ زَيْدِ بنِ عَرِيبِ بن جُشَمَ بنِ حاشِدِ بنِ هَمْدانَ..." الفيروزآبادى: المصدر السابق، صـ ٤٢١؛ الزبيدى: المصدر السابق، ج١٢، صـ ١٦٠.

(27) عباس المدنى: المرجع السابق، صـ ٣٠.

(28) القَمُولي(٦٤٥-٧٢٧هـ/١٢٤٧-١٣٢٧م):" هو نجم الدين القمولي أحمد بن محمد بن أبي الحرم القرشي المخزومي، فقيه شافعيّ من أهل (قمولة) بصعيد مصر، تعلم بقوص ثم بالقاهرة، وولي نيابة الأحكام والتدريس في مدن عدة، والحكم والحسبة بالقاهرة، وتوفي بها سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م..." انظر ترجمته فى ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط.٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد، ١٩٧٢م، ج١، صـ ٣٥٩؛ الزركلى: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط.١٥، ٢٠٠٢م، ج١، صـ ٢٢٢؛ عادل نويهض: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط.٣، ١٩٨٨م، ج١، صـ ٦٨.

(29) الأدفوى: المصدر السابق، صـ ١٢٧.

(30) عبدالفتاح يوسف عرابى حسين: قوص فى عصر سلاطين المماليك(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ١٩٩٠م، صـ ٢٦٨-٢٦٩.

(31) الأدفوى: المصدر السابق، صـ ٣٩؛ محمد أحمد محمد: المرجع السابق، صـ ١٤٨.

(32) الأدفوى: المصدر السابق، صـ ١٢٧؛ سعيد عثمان يونس: المرجع السابق، صـ ٢٢١-٢٢٢.

(33) الادفوى: المصدر السابق، صـ ٥٠٧؛ سعيد عثمان يونس: المرجع السابق، صـ٢٢٧-٢٢٨.

(34) محمد أحمد محمد: المرجع السابق، صـ ٢٥٩.

(35) محمد عبده الحماصى: قوص فى التاريخ الاسلامى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م، صـ ١٠٣-١٠٤.

(36) **المعيد:** " هو الذي يعيد المحاضرة بعد إلقاء المدّرس لها أسماع على الطلبة"
Makdisi : the rise of colleges institution of learning in islam and the west, Edinburgh , university press, 1981, p.193.

(37) الادفوى: المصدر السابق، صـ ٤٥؛ ابن ظهيرة: المصدر السابق، صـ ٦٨؛
Garcin : une centre Musulman De la Haute-Egypte Medievale :Qus, le caire, 1976, p.304.

(38) سعيد عثمان يونس: المرجع السابق، صـ ٣٤٢.

(39) الأدفوى: المصدر السابق، صـ ١٠٣-١٠٥.

(40) جان كلود جارسان: ازدهار وانهيار حاضرة مصرية قوص، ترجمة: بشير السباعي، ط.١، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢م، صـ ٢٨٣.

(41) هو أَحْمد بن عَليّ بن وهب بن مُطِيع بن أبي الطَّاعَة القوصي (ت:٧٢٣هـ/١٣٢٣م) تَاج الدّين ابْن دَقِيق الْعِيد ولد فِي أحد الربيعين سنة ٦٣٦هـ بقوص وَسمع من ابْن الجميزي وَابْن رواح وَالْمُنْذِرِي والرشيد الْعَطَّار وغيرهم، وتفقه على مَذْهَب مَالك وَالشَّافِعِيّ ودرس بالنجيبية بقوص ... كَانَت وَفَاته بِالْقَاهِرَةِ وَقيل بقوص سنة ٧٢٣هـ..." انظر ترجمته فى ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، صـ ٢٦٢- ٢٦٣.

(42) الأدفوى: المصدر السابق، صـ ١٠٣-١٠٥.

(43) ابن دَقِيق العِيد(٦٢٥-٧٠٢هـ/١٢٢٨-١٣٠٢م):" هو القاضى أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع، تقيّ الدين القشيري، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد من أكابر العلماء بالأصول..أصل أبيه من منفلوط (بمصر) انتقل إلى قوص، وولد له صاحب الترجمة في ينبع(على ساحل البحر الأحمر) فنشأ بقوص، وتعلم بدمشق والإسكندرية ثم بالقاهرة وولي قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥هـ فاستمر الى أن توفي (بالقاهرة)" انظر ترجمته في الصفدى: أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: د.علي أبو زيد& د.نبيل أبو

عشمة& د.محمد موعد& د.محمود سالم محمد، دار الفكر المعاصر، بيروت & دار الفكر، دمشق، ط.١، ١٩٩٨م، ج٤، صـ ٥٧٦؛ السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د.محمود محمد الناحي& د.عبد الفتاح محمد الحلو، ط.٢، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣م، ج٩، صـ ٢٠٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٥، صـ ٣٤٨-٣٥٢؛ الزركلى: المصدر السابق، ج٦، صـ ٢٨٣-٢٨٤؛ ليلى ابراهيم نافع: الحياة الثقافية فى مصر في العصر المملوكى(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة مصراته، ليبيا، ٢٠١٤م ، صـ ٢٢٤-٢٢٥.

(44) الأدفوى: المصدر السابق، صـ ٢٥٢.

(45) "هو القاضى أَحْمد بن مُحَمَّد بن مكي بن ياسين الشَّيْخ نجم الدّين الْقَمُولِيّ ..." انظر ترجمته فى السيوطى: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، د.ت، ج١، صـ ٣٨٣.

(46) الأدفوى: المصدر السابق، صـ ٥٠٧.

(47) المدرسة الصالحية:" بين القصرين هي أربع مدارس للمذاهب الأربعة، بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل، شرع في بنائها سنة تسع وثلاثين." انظر المقريزى: الخطط، ج٤، صـ ٢١٧-٢١٩؛ السيوطى: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٧م، ج٢، صـ ٢٦٣؛ ريهام على يحي الغامدى: المدارس فى مصر فى العصر المملوكى(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، مجلة الاستواء، مركز البحوث والدراسات الإندونيسية، جامعة قناة السويس، مصر، ٢٠١٧م، صـ ٤٥٤- ٤٥٥.

(48) "فالعز بن عبدالسلام كان يجمع بين القضاة والخطابة بجامع عمرو بن العاص والتدريس بالمدرسة الصالحية.." ليلى إبراهيم نافع: المرجع السابق، صـ ٢٠٢

(49) الأدفوى: المصدر السابق، صـ ٥٠٧.

(50) نجيب الدين أبو الفرج(٥٨٧-٦٧٢هـ/١١٩١-١٢٧٣م): " هو الإمام نجيب الدين أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور بن هبة، مسند الديار المصرية الحراني الحنبلي....ولد سنة سبع وثمانين وخمسمائة بحران ولي مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة إلى أن مات سنة اثنتين وسبعين وستمائة..." (انظر ترجمته فى الصفدى: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركى مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت،٢٠٠٠م،ج١٩، صـ ٧٨-٧٩؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ت)، ج٧، صـ ٣٥٦-٣٥٧).

(51) مجد الدّين بن دَقِيق الْعِيد الْمَالِكِي(ت:٦٦٧هـ/١٢٦٨م):" الإِمَام العلاّمة مجد الدّين أَبُو الْحسن عَليّ بن وهب بن مُطِيع بن أبي الطَّاعَة الإِمَام العلاّمة مجد الدّين أَبُو الْحسن وَالِد شيخ الْإِسْلَام قَاضِي الْقُضَاة تَقِيّ الدّين بن دَقِيق الْعِيد ولد سنة٥٨١هـ وتوفِّي سنة ٦٦٧هـ.." انظر ترجمته فى الإدفوى: المصدر السابق، صـ ٤٢٤-٤٣٥؛ الصفدى: الوافى بالوفيات، ج٢٢، صـ ١٨٤- ١٨٧.

(52) ابن عبد السَّلام(٥٧٧-٦٦٠هـ/١١٨١- ١٢٦٢م): " هو الإمام عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء فقيه شافعيّ، ولد ونشأ في دمشق، تولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي، ولما سلم الصالح إسماعيل بن العادل قلعة "صفد" للفرنج اختيارًا أنكر عليه ابن عبد السَّلام ولم يدع له في الخطبة، فغضب وحبسه، ثم أطلقه فخرج إلى مصر، فولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكّنه من الأمر والنهي... وولي قضاء مصر القديمة والوجه القبلي مع خطابة جامع مصر وتوفي بالقاهرة." انظر ترجمته فى (أبو المحاسن: المنهل الصافى، ج٧، صـ ٢٨٦-٢٩١؛ الزركلى: المصدر السابق، ج٤، صـ ٢١)

(53) أرمنت:" كورة بصعيد مصر بينها وبين قوص في سمت الجنوب مرحلتان، ومنها إلى مدينة أسوان مرحلتان..." ياقوت: المصدر السابق، ج١، صـ ١٥٩.

(54) الأدفوى: المصدر السابق، صـ ٣٠٣.

(55) ابن الملقن: العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، تحقيق: أيمن نصر الأزهري& سيد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.١، ١٩٩٧م، صـ ٤٠٨؛ المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، صـ ٤٥٢.

(56) **الروضة:**" هي روضة الطالبين في فروع للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ..." الذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط.٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣م، ج٥٠، صـ ٢٤٦؛ حاجى خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م، ج١، صـ ٩٢٩.

(57) **الوجيز:**" هو الوجيز فى التفسير للإمام أبي الحسن: علي بن أحمد الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨هـ..." انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م، ج٣، صـ ٣٠٣؛ الصفدي: الوفى بالوفيات، ج٢٠، صـ ١٠١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٣م، ج٥، صـ ١٠٤؛ حاجى خليفة : كشف الظنون، ج٢، صـ ٢٠٠٣.

(58) الأدفوى: المصدر السابق، صـ ٥٠٠-٥٠١؛ الصفدى: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٤، صـ ٣١٣؛ نفسه: الوافى بالوفيات، ج٢، صـ ١٢٩؛ الإسنوى: طبقات الشافعية، تحقيق: كمال الدين يوسف، ط.١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج٢، صـ ١٧٠؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٥، صـ ١١٢؛ محمد أحمد محمد: المرجع السابق، صـ٢٧٧.

(59) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط.١، ١٩٨٦م، صـ ٥٤؛ عبدالفتاح يوسف عرابي: المرجع السابق، صـ ٢٢٤.

(60) الشهود: " وهم قوم معدون يجلسون في حوانيت خاصة لاستعانة بهم لأداء الشهادة، وذلك من نظم القضاء في الإسلام ... وذكرهم السبكى بأنهم قِوَام غالب المعاش والمبادلات، وقد ذكَر الفقهاء ما لهم، وما عليهم، فاستوعبوا وذمَّهم قوم" انظر السبكى: معيد النعم، صـ ٥٤.

(61) الأدفوى: المصدر السابق، صـ ٤٠٥.

(62) **الثقفيات:**" طائفة من أجزاء الحديث، للحافظ أبي عبد الله القاسم بن الفضل الثقفي، الأصفهاني (ت:٤٨٩/ ١٣٤٨م).." حاجى خليفة: كشف الظنون، ج١، صـ ٥٢٢.

(63) الأدفوى: المصدر السابق، صـ ٢٣٩.

(64) الشهود: "وهم قوم معدون يجلسون في حوانيت خاصة لاستعانة بهم لأداء الشهادة، وذلك من نظم القضاء في الإسلام ... وذكرهم السبكى بأنهم قِوَام غالب المعاش والمبادلات. وقد ذكَر الفقهاء ما لهم، وما عليهم، فاستوعبوا، وذمَّهم قوم" انظر السبكى: معيد النعم، صـ ٥٤.

(65) الأدفوى: المصدر السابق، صـ ٤٠٥.

(66) أبو العباس أحمد القرطبى(ت:٧٠٩هـ/١٣٠٩م):" أَحْمد بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن عمر بن يُوسُف بن عبد الْمُنعم الْأَنْصَارِيّ النجاري القنائي محيي الدّين بن كَمَال الدّين بن ضِيَاء الدّين الْقُرْطُبِيّ .. لَهُ رئاسة بِبَلَدِهِ قِنَا سمع الحَدِيث من شرف الدّين مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي الْفضل المرسي وَغَيره وَحدث بقوص وَتُوفِّي بقنا فِي سنة تسع وَسبع مائَة...." انظر ترجمته في الادفوي: المصدر السابق، صـ ١١٠-١١٢؛ الصفدي: الوفي بالوفيات، ج٧، صـ ٢٢١؛ المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، صـ ٤٥١).

(67) الأدفوى: المصدر السابق، صـ ٤٧٦.

(68) **المدرسة النجيبية:**" نسبة إلى بانيها التاجر النجيب بن هبة الله (ت:٦٢٢هـ/١٢٢٥م) وكان من كبار المتموّلين، وكانت المدرسة بقُوص..." الذهبي: المصدر السابق، ج٤٥، صـ ١٣٧؛ ريهام على يحي الغامدي: المرجع السابق، صـ ٤٧٣؛ جان كلود جارسان: المرجع السابق، صـ ٢٤٥-٢٤٧.

(69) الأدفوي: المصدر السابق، صـ ٣٢٢-٣٢٣.

(70) السبكي: معيد النعم، صـ ٥٣.

(71) الأدفوي: المصدر السابق، صـ ٦٢٢-٦٢٣؛ الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٥، صـ ١٨٦؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٥، صـ ٤٣٣؛ عبدالفتاح يوسف عرابى: المرجع السابق، صـ ٢٢٣.

(72) ابن جماعة(٦٣٩-٧٣٣هـ/١٢٤١-١٣٣٣م):" هو بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعيّ، كان قاضياً، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين، ولد في حماة وولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي وتوفي بمصر سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م.." انظر ترجمته في الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٤، صـ ٢٠٨؛ ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخارجي، القاهرة، طـ١، ١٩٩٨م، ج١، صـ ٣٤٢؛ نفسه: الدرر الكامنة، ج٥، صـ ٤-٧؛ الزركلى: المصدر السابق، ج٥، صـ ٢٩٧.

(73) الأدفوى: المصدر السابق، صـ ١٢٥؛ الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج١، صـ ٣٦٣؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، صـ ٣٥٩؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي، ج٢، صـ ١٦٤-١٦٦؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج١، صـ ٣٨٣.

(74) الأدفوي: المصدر السابق، صـ ١٢٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٨، صـ ٦١؛ السيوطى: بغية الوعاة، ج١، صـ ٣٨٣؛ حاجى خليفة: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول، ٢٠١٠م، ج١، صـ ٢٣٦.

(75) ابن الوَكيل(٦٦٥-٧١٦هـ/١٢٦٧-١٣١٧م):" هو أبو عبد الله صدر الدين محمد بن عمر بن مكي، المعروف بابن الوكيل وكان شاعر ومن العلماء بالفقه ولد بدمياط، وانتقل مع أبيه إلى دمشق، فنشأ فيها، وأقام مدة في حلب وتوفي بالقاهرة سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٧م)" انظر ترجمته في ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٥، صـ ٣٧٣؛ الصفدى: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٥، صـ ٥؛ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، صـ ٥٢٠؛ الزركلي: المصدر السابق، ج٦، صـ ٣١٤.

(76) السَّرُوجِي(٦٣٩-٧١٠هـ/١٢٤١-١٣١٠م):" هو أبو العباس، شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي، فقيه، كان حنبليًّا وتحول حنفيا وأشخص من دمشق إلى مصر، فولي الحكم الشرعي فيها مدة ونعت بقاضي القضاة...." انظر ترجمته في المقريزي: السلوك، ج٢، صـ ٤٥٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، صـ ١٠٣؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي، ج١، صـ ٢٠١؛ الزركلي: المصدر السابق، ج١، صـ ٨٦.

(77) الأدفوى: المصدر السابق، صـ ١٢٧؛ السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٩، صـ ٣٠؛ الصفدى: الوافى بالوفيات، ج٨، صـ ٨١؛ السيوطى: بغية الوعاة، ج١، صـ ٣٨٣.

(78) ابن بِنْت الأَعَزّ(ت:٦٩٥هـ/١٢٩٦م):" هو عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خليفة العلامي المصري الشافعي، وكان وزير وفقيه، ولي الوزارة مع القضاء بمصر، ثم استعفى وتولى التدريس بالمدرسة المجاورة لضريح الشافعيّ وتوفي كهلا سنة ٦٩٥هـ /١٢٩٦م..." (انظر ترجمته في أبى المحاسن: المنهل الصافي، ج٧، صـ ١٨٨؛ الزركلي: المصدر السابق، ج٣، صـ ٣١٥).

(79) المدرسة الفائزية: "بمصر أنشأها الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد بن وهيب الفائزيّ قبل وزارته، في سنة ٦٣٦هـ..." انظر المقريزي: الخطط، ج٤، صـ ٢٠٣؛ ريهام على يحي الغامدى: المرجع السابق، صـ ٤٥٣-٤٥٤.

(80) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٩، صـ ٣٠؛ ابن الملقن: المصدر السابق، صـ ٤٠٧-٤٠٨؛ المقريزى: السلوك، ج٣، صـ ٣٣؛ ابن شهبة: طبقات الشافعية، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، ط.١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م، ج٢، صـ ٢٥٤-٢٥٥؛ سعيد عثمان يونس: المرجع السابق، صـ ١٧٥.

(81) **المدرسة الفخرية:** " تقع بالقاهرة فيما بين سويقة الصاحب ودرب العدّاس، بناها الأمير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل الباروميّ، أستادار الملك الكامل محمد بن العادل، وكان الفراغ منها في سنة ٦٢٢هـ.." انظر المقريزى: الخطط، ج٤، صـ ٢٠٧؛ النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.١، ١٩٩٠م، صـ ٣٢٦؛ ريهام على يحيى الغامدي: المرجع السابق، صـ ٤٥٣.

(82) جامع عمرو بن العاص:" بناه عمرو بن العاص سنة ٢١هـ .. وكان طوله خمسين ذراعًا في عرض ثلاثين ذراعًا، ويقال إنه وقف على إقامة قبلته ثمانون رجلا من الصحابة الكرام، منهم الزبير بن العوّام والمقداد بن الأسود وعبادة ابن الصامت وأبو الدرداء وأبو ذرّ الغفاري وغيرهم، قيل إنها كانت مشرقة قليلا حتّى أعاد بناءها..... قرّة بن شريك لما هدم المسجد في أيام الوليد بن عبد الملك وبناه، ثم ولي مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري صحابي من قبل معاوية سنة ٥٣هـ وبيّضه وزخرفه وزاد في أرجائه وأبّهته وكثّر مؤذّنيه، ثم لما ولي مصر قرة بن شريك العبسي في سنة ٩٢ هدمه بأمر الوليد بن عبد الملك فزاد فيه ونمقه وحسّنه على عادة الوليد بن عبد الملك في بناء الجوامع." انظر ياقوت الحموى: المصدر السابق، ج٤، صـ ٢٦٥؛ خالد عزب: الفسطاط النشأة .. الازدهار.. الانحسار، ط.١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٨م، صـ ١٤٨-١٥٣.

(83) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ط.١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ج٣٣، صـ ٢٤٦؛ الأدفوى: المصدر السابق، صـ١٢٧؛ الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج١، صـ ٣٦٣؛ المقريزى: السلوك، ج٣، صـ ١٠٣؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي، ج٢، صـ ١٦٦؛ جان كلود جارسان: المرجع السابق، صـ ٢٧٣.

(84) الأدفوى: المصدر السابق، صـ ٥٤٥-٥٤٦؛ جان كلود: المرجع السابق، صـ ٢٧٤.

(85) الإسنوى: المصدر السابق، ج٢، صـ ١٧٠.

(86) السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج٤، صـ ٥٧.

الملامـــح العلمية والدينية في إفريقية وإقليمي برقة وطرابلـــس

من خلال رحلة التجاني المتوفى بعد سنة " ٧١٧ هـ /١٣١٧م
" فيما بين القرن الثالث إلى منتصف القرن الخامس الهجري/
التاسع إلى منتصف الحادي عشر الميلادي "

د.عـادل يحيى عبدالمنعم
مدرس تاريخ إسلامي – منتدب
بكلية التربية عين شمس – سابقا

Abstract

This research deals with some of the scientific and religious features In Africa and the regions of Barka and Tripoli from the third to the middle of the fifth century " A.H"/ ninth to the middle of the eleventh century " A.D"; and that through the journey of Abu Mohamad Abdullah Al-Tijani, who is still dead 717 A.H/1317 A.D" .

I began by talking about the importance of travel books " books of Rehalt " in our islamic Heritage; showing that Al-tijani the owner of the journey " Al Rehla" and praising the thanks of the late Mr . Hassan Hosni Abdul-Wahab in the definition of the tijani family in general, and the owner of the journey in particular within the book inquiry documentation "TAHQIQ" the jouney itself. as well as he wrote in his book Marked by papers on Arab civilization in Africa .

It was explained in the introduction of the study that the selection of the titile in this way in relation to the period from the third to mid-fifth century ."A.H" , but comes dependant on the scarcity of scientific and religious aspects in " The journey of Al – Tigjani ". As well as that the features of peoples- whatever their nature – not settled and not, clear in the day and night ; but is the result of cultural accumulation; clear on the land of " Al –Maghreb " with the Islamic conquest steps, and ending with the period of research from each talk about the scientific centers in Africa and the regions of Barka and Tripoli which is reflected in the talk about , Mosques , Ligaments " Al - Arbita " and angles " Al – Zwaia ". As well as the statement of some intellectual currents and religious dotrines in Africa and the regions of Barka and Tripoli the case of the creation

of the Koran " Mihnet – KHALQ- ALKORAN" ; which connected with the dispute between the scholars of the Malikis in " Al .Maghreb" and seholars of the Mutazilah.

Tijani also explained - in his journey, and within rleigous features as well - some of the religious sects outside the sunnah and the community (Al sunnah- wa Algama) referring to many aspects of their extremism and their religious bias; which sheds light on radical extremist ideology which was followed by some religious groups as some coastal places between "Qabes" and " Traplos " and some areas of the mountains of " Bejaia" and " cosantina "; as well as the Areas of " Gerpa" " Zuwra" and others who adopted the teachings of the kharijites, whether " Wahhabia " or "Alnkara". Tijani also explained – in his features as well – the role of scholars and alienated from the faith in to face the injustice and abuses of some rulers of "Al-Aghlabh", and their position of the claim of shiism " Al – tashiua "; that have been linked with the coming of the fatimids to the Maghreb while we hate many of the flags of thought, father and jurisprudence in his journey in Africa and the regions of Barka and Tripoli.

All this was to be done only in light of nature of the historical period that was associated the Geographical environment in Africa and the regions of Barka and Tripoli in the journey of tijani , Starting from the Al – Aghlabh state " 184-299 A.H /800 – 909 A.D "; which included " Tripoli, Africa and part of maghreb middle west " and ending with the announcement of Al – Moez bin Badis " 406-454 A H/ 1015 – 1062 A.D" his independence from the fatimids, and the establishment of the Fatimid caliphate state that laste in " Al-Maghreb A pproximately over sixty year starting from the year " 297-262 A.H / 909 – 973 A.D " which extended its ownership from Tripoli to the middle of central "Al-Maghreb".

Then the conclusion of the research was saved by means of the pronunciation and the word of the conclusion made clear through which the most important the observations that were associated with the journey of Tijani ; pointing at the same time to talk about journey literature can open more than a cultural window for science students with regard to myth in the literature of journey or talk about the virtuous and honorable dignitaries in the literature of jouney between Mind and superstition; as well as the manifestations of extremism and oppression and jealousy in religion, to achieve us Benefit from our past and further communication between our Arab cities .

مقدمة: -

ترتبط كتب الرحلات – في تراثنا الإسلامي– بكتب الجغرافيا غالبًا؛ يبد أن " الكثير من كتب الجغرافية تبدو غير مفيدة في البحوث التاريخية، خاصة إذا تعرض بعضها لوصف الكون أو ما يسمى بالكوزمولوجية [١]، وتعرض البعض الآخر لغرائب وعجائب في الكون [٢]. ومن هنا تبدو أهمية كتب الرحلات، ومدى مايمكن أن تقدمه من خدمات للباحثين في مجال التاريخ[٣]، وهناك كتابات متخصصة أوضحت الدوافع التي دفعت بالرحالة إلى قيامهم بالرحلة [٤]، فضلًا على بيان مايمكن أن يكتسبه صاحب الرحلة من سجايا لم تكن موجودة عنده من قبل [٥].

ويتناول بحثى هذا بعضًا من الملامح العلمية والدينية لإفريقية وإقليمي برقة وطرابلس فيما بين القرن الثالث إلى منتصف القرن الخامس الهجرى / التاسع إلى منتصف القرن الحادي عشر الميلادى؛ وذلك من خلال رحلة التجاني لأبى محمد عبدالله بن محمد بن أحمد التجاني المتوفي بعد سنة " ٧١٧ هـ/١٣١٠م "، وتعد رحلة التجاني من أشهر كتب الرحلات في بلاد المغرب العربى [٦]، وقد تفضل بنشرها المرحوم الأستاذ. حسن حسنى عبدالوهاب، وهو الذي قام بالتعريف بآل التجاني عامة، وصاحب الرحلة خاصة، ضمن تحقيقه للرحلة نفسها، فضلًا عما كتبه عن التجاني ضمن ورقاته عن الحضارة العربية بإفريقية [٧].

وقد أوضح التجاني في مقدمة رحلته ما يشير إلى أهمية أدب الرحلات، حيث يقول بعد الحمد والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم... " فهذا تقييد يشتمل على وصف ما شاهدته في هذه السفرة المباركة من البلاد مضمن ذكر أحوالها وصفاتها، وبيان طرقها ومسافاتها، والإشارة إلى مفتتحيها وبناتها، وأحوال من اشتملت عليه من أصناف العوالم، وما يتميز به كل بلد من الآثار والمعالم...." [٨]. وفي قوله هذا ما يشير إلى أن أدب الرحلات يطلع القارئ على عوالم مختلفة من الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والدينية، وقد وقع اختياري على تسليط الضوء على الجوانب أو الملامح العلمية والدينية.

وقد جذب أدب الرحلات نفرًا من أهل الأدب، فراح يتحدث عن رحلة التجاني، ويذكر أنها كانت خيرًا وبركة على الأدب والتاريخ، مشيرًا إلى تسجيله لأخبار رحلاته ومشاهداته، وأنه يزودنا بمعلومات وافية عن سائر المناطق التي زارها (٩).

وقد يكون من المناسب هنا بيان الفترة المقصودة بالدراسة من حيث طبيعتها السياسية، وهى الفترة فيما بين القرن الثالث الى منتصف القرن الخامس الهجرى / التاسع إلى منتصف الحادى عشر الميلادى. وقد رأيت أن يكون العنوان على هذا النحو الذي يبدو من خلاله طول الفترة الزمنية؛ إلا إن ندرة المادة العلمية فيما يتعلق بالجوانب العلمية والدينية هو ما كان دافعًا لاختياري العنوان على هذا النحو، فضلًا على أن ملامح الشعوب – أيًا كانت طبيعتها – لا تستقر ولا تتضح بين يوم وليلة، فهي نتيجة تراكمات ثقافية، بدت واضحة على أرض إفريقية مع خطوات الفتح، كما أن هناك شخصيات بعينها لعبت دورًا مهمًّا في مواجهة التشيع، وشخصيات من أعلام الفقه والأدب، وصلحاء أهل المغرب، ينتمون إلى ثلاثينات ق "٥هـ/١١م"، وهو ما كان دافعًا لى أيضًا إلى اختيار العنوان على هذا النحو، وتبقى ندرة المادة العلمية عاملًا أساسيًّا كما أوضحت من قبل، على الرغم من أهمية رحلة التجاني.

ويجسد تاريخيًّا تلك الفترة من تاريخ إفريقية:- دولة الأغالبة وهي التي تمتد من سنة "١٨٤ – ٢٩٦هـ/ ٨٠٠–٩٠٩م" وتشمل طرابلس وإفريقية وجزء من المغرب الأوسط، وهناك الدولة الفاطمية، وهى الخلافة التي دامت في المغرب مايقرب من نيف وستين سنة هجرية بدءًا من سنة "٢٩٧ – ٣٦٢هـ/٩٠٩ – ٩٧٣م" وامتد ملكها من طرابلس إلى منتصف المغرب الأوسط، ثم يعقب ذلك مجئ بنى زيرى الصنهاجين، امتدادًا لحكم الفاطميين حتى أعلن المعز بن باديس "٤٠٦– ٤٥٤هـ/١٠١٥– ١٠٦٢م" استقلاله عن الفاطميين، وما يتبع ذلك من مجئ عرب بنى هلال، وبنى سليم، فاستقر نفر من بنى سليم في برقة، وانطلقت بقية بنى هلال إلى طرابلس وإفريقية، وقد جاء عنوان البحث على هذا النحو؛ إدراكاً منى بأهمية إقليم إفريقية، التي كانت تضم في العصور الوسطى إقليم طرابلس حتى الجزء الشرقى من الجمهورية الجزائرية حاليًّا. أما إقليم برقة فكانت إما تابعة لمصر أو غير واضحة التبعية السياسية (١٠).

هذه هى الصورة السياسية التي تقع على بيئتها الجغرافية هذه الملامح العلمية والدينية، وما عدا ذلك يمكن توضيحه في حواشى البحث.

وإذا كان بحثى هذا يتناول بعضًا من الملامح العلمية والدينية لجزء من أمتنا العربية، فإن الآمال تنعقد على أن تكون هذه الملامح جسورًا للتواصل بين الماضى والحاضر، بما يسهم في تقدم الحاضر، والوصول الى مستقبل أفضل تنعم فيه بلدنا وأمتنا بالأمن والأمان والاستقرار.

الملامح العلمية والدينية في إفريقية وإقليمي برقة وطرابلس:

لعل من أهم الملامح العلمية والدينية التي يمكن أن يتوقف عندها الباحث المدقق في رحلة التجاني هو حديثه عن مراكز العلم والتعليم من خلال المساجد والأربطة والزوايا، وهو مايمكن الحديث عنه على النحو التالي:-

أولا: **مراكز العلم والتعليم**:

المسجـد:

ثمة كتابات تاريخية لنفر من الباحثين المحدثين تشير إلى أن المسجد في إقليمي برقة وطرابلس قد اتخذ مركزًا لطلب العلم، وكانت تنشأ في جوار المسجد عادة دار قرآن يتعلم فيهًا الصبية القراءة والتلاوة والكتابة والحساب؛ وفي هذا ما يعني أن المسجد كان مركزًا علميًّا يتعلم فيه أمور الدين، وأنه لعب دورًا مهمًّا في الدراسات الإسلامية وفي الحياة العلمية في ليبيا [١١]، ومثل هذا الدور التعليمي للمسجد يمتد ليشمل إفريقية أيضًا، حيث يشير الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب عند حديثه عن المعالم الدينية للقيروان أنه كان بها زهاء ثلاثمائة بيت يعبد فيها الله سبحانه وتعالى[١٢]. ورغم أنى لا أميل إلى المبالغة في ذكر أعداد المساجد، إلا إن هذا لا يلغي أن بناء المسجد كان يتم مع خطوات الفتوحات الإسلامية الأولى في منطقة المغرب الأدنى عامة بما فيها أراضى إفريقية وإقليمي برقة وطرابلس على حد سواء [١٣].

ولعل من أهم المساجد التي أوردها التجاني، وتنسب صراحة إلى عهد الأغالبة حديثه عن مسجد الشعاب المنسوب إلى أبى محمد عبدالله الشعاب أحد الصلحاء والفضلاء من أهل طرابلس، توفي سنة"٢٤٣هـ/٨٥٧م" وكان يعمل نجارًا [١٤]، ويمضى التجاني في وصف قصة بناء المسجد مشيرًا إلى شيء من مناقب الرجل الصالح وكراماته، وهو مايمكن إرجاء الحديث عنه ضمن خاتمة الحديث عن الملامح العلمية والدينية، من خلال مدى إمكانية إعمال العقل تجاه هذه المناقب، خاصة إذا ما ارتبطت بخيالات لايمكن أن يصدقها عقل. [١٥].

وفي إطار الحديث عن المساجد أيضًا يذكر التجاني حديثًا عن المسجد المعروف بـ "الجدود" ويعرف أيضًا بالجدة المنسوب بناؤه الى إحدى جدات بنى الأغلب ولاة إفريقية، ويمضى التجاني في وصف المسجد، مشيرًا إلى اسمه في القديم كان يعرف بالجدة، ثم عرف بعد ذلك بمسجد البارزى عندما سكنه أبو الحسن البارزي... "وهو بخارج طرابلس من جهة جوفيها مشرف على المقابر" [١٦]

ومن المرجح أن بعضًا من الشخصيات العلمية التي اشتهرت بالصلاح والتقوى، قد نُسب إليها عددٌ من المساجد المذكورة، كماهو الحال في مسجد الجدة المذكور، والتي اشتهر بسكنى "أبي عثمان سعيد بن خلفون الحسانى المعروف بالمستجاب، وأصله من قرية حسان من قرى طرابلس، كان زاهدًا فاضلًا منقطعًا إلى الله سبحانه [١٧]"، وينطبق هذا القول أيضًا على ما ذكره التجاني عن مسجد خارج بلدة "زنزور" والذي انفرد فيه "الشيخ أبى محمد عبدالجليل الحكيمى" وكذا المسجد المنسوب إلى أبي الحسن السيقاطى [١٨].

ويمتد حديث التجاني عن المساجد إلى الكشف عن وجود بعض مصليات صغيرة، ورد ذكر أحدها عند حديثه عن الباب الأخضر – ولعله أحد أبواب طرابلس – الذى يذكر عنه أنه كان بجانبه مصلى، وأن هذا المصلى بناه " عبدالله بن أبى مسلم وخليل بن إسحاق سنة ثلاثمائة " [١٩]

ويتوقف التجاني عند الحديث عن جامع طرابلس الأعظم الذي بناه بنو عبيد، وكان بناؤه في العام المكمل للمائة الثالثة على يد خليل بن إسحاق الذي قتله أبو يزيد مخلد بن كيداد عند تملك القيروان سنة "٣٣٢هـ/٩٤٣م"[٢٠]؛ كما يمتد حديث التجاني عن المساجد ليشمل الأراضي الإفريقية، حيث يتحدث عن "سوسه وجامعها"، فيذكر عنها قوله.. "وبها جامع للخطبة حسن كان بناؤه في ولاية أبي العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب سنة ست وثلاثين ومائتين" [٢١]

كما يعاود التجاني الحديث عن المساجد في أراضي إفريقية عندما يتحدث عن صفاقس، حيث يشير إلى مسجد بناه الشيخ على بن سالم جد الشيخ أبى إسحاق الجبنيانى؛ والشيخ على بن سالم هو الذي ولاه "سحنون" قضاء صفاقس، وهو ولده من الرضاعة، أرضعته زوجه أم محمد بن سحنون مع ولده محمد [٢٢]. وفي هذا ما يشير إلى أن المسجد كان متزامنًا في بنائه مع دولة الأغالبة بإفريقية، وعندما يتحدث التجاني عن "توزر" أيضا يذكر عنها أن بداخل البلد جامعين للخطبة [٢٣].

بيد أن أهم ماتحدث به التجاني في حديثه عن المساجد هو مايمكن أن يستدل منه أنه لم يكن مسموحاً للغلمان أن يحدثوا شيئًا في المساجد مما يخالف تعاليم الإسلام، ومن هنا، فقد تحدث التجاني عن أن ابن أبي العنبر "الذي كان واليًا على جزيرة شريك" وأن غلمانًا له دخلوا أحد مساجد الجزيرة... "وأدخلوا طيورًا كانت معهم وكلابا"؛ فما كان من "إسماعيل بن رباح" إلا إنه قال له " ألا ترى ما فعل غلمانك في بيت من بيوت الله تعالى"... وتمضى المروية التاريخية مشيرة إلى أن الوالي قد زجرهم وأمر بتأديبهم، فنظر إليه إسماعيل قائلًا: "حقن الله دمك" [٢٤]. وموقف إسماعيل بن رباح هنا يتفق مع النظرة الإسلامية إلى ما كان يحدث في المساجد من أمور نهى عنها النبى ﷺ فيما أورده الإمام ابن ماجة في قوله ﷺ" جنبوا مساجدكم صبيانكم..."[٢٥]

ويغيب عن التجاني في حديثه عن المساجد في إفريقية وإقليمي برقة وطرابلس ذكره للكتب المحبسة، والمكتبات الملحقة بالمساجد، وهو ما أفاضت فيه دراسات متخصصة[٢٦]؛ بيد إننى لم أقصد الإحصاء في حديث التجاني عن المساجد في

الدارين، إلا إن المرجح لى أن بناء المسجد – كما سبق القول – كان يتم مع خطوات الفتوحات الإسلامية، وأن قلة ما أورده التجاني – في إطار الفترة الزمنية للبحث – لا تلغى هذه الحقيقة، وهو ما يشير إلى الدور التعليمي والتثقيفي للمسجد من خلال انتساب بعض المساجد للعباد والصالحين من أصحاب الثقافة الدينية على النحو المذكور سابقًا، وعلى نحو ما أشارت إليه كتابات أخرى متخصصة أسهبت في ذكر أعلام الثقافة الدينية والدراسات الإسلامية(٢٧)، وشبيه بدور المسجد هنا ما كانت تقوم به الأربطة والزوايا أيضًا، وهو ماسوف يتم توضيحه في الجزئية التالية.

الأربطة – الزاويا(*): -

على الرغم من أن التجاني لايذكر أربطة بعينها، أو رباطًا بعينه، عند الحديث عن إقليمى برقة وطرابلس، إلا إن هذا لا يلغى وجودها وامتدادها من ساحل الأطلسى حتى الأسكندرية، ولايبعد الرباط عن الآخر إلا بضعة أميال(٢٨)، والقول نفسه يمتد لينطبق على الزوايا، حيث يتحدث التيجانى عن زاوية أولاد سهيل، ورغم أنها تتجاوز الفترة الزمنية لموضوع بحثى هذا؛ إلا إنه يذكر وجود كتب محبسة على الزاوية المذكورة قائلاً..." ورأيت هناك كتبًا كثيرة محبسة"(٢٩)

ولعلى في هذا مايرجح وجود الكتب المحبسة في الزاويا حتى قبل الفترة التي عاصرها التجاني، استنادًا إلى وجود الزوايا وما ارتبط بها من أحباس لم يكن وليد العصر الذي عاصره التجاني، أو وليد رؤيته.

أما عن إفريقية، فلا يذكر التجاني شيئًا عن الزوايا، بقدر مايفيض ويسهب في ذكر الرباطات، فيتحدث عن "رادس" ويذكر أن بها..." رباطًا مشهور بالفضل". ويذكر التجاني هنا ما قيل عن زيد بن ثابت وأنس بن مالك أنهما قالا "من رابط برادس يومًا واحدًا فله الجنة"، ويذكر أيضًا ما قاله علماء المشرق وفقهاؤه إلى أهل أفريقية" من رابط عنا برادس يومًا واحدًا حججنا عنه حجة." (٣٠)

كما يتحدث التجاني عن سوسة، ويذكر عنها قوله... "وكفي فخرًا لسوسة أن "المنستير"، الذي وردت الأحاديث في فضله، محرس من محارسها ومنسوب إليها [٣١]، مشيرًا إلى بعض أحاديث النبى –صلى الله عليه وسلم – فيما أورده أبو العرب في كتاب الطبقات بسنده إلى سفيان بن عيينة عن عبدالله بن دينار عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم – " من رابط بالمنستير ثلاثة أيام وجبت له الجنة" [٣٢]؛ كما يأتى التجاني بطائفة من أقوال وأحاديث للرسول –صلى الله عليه وسلم –توضح فضل المنستير وثواب الإقامة والمرابطة فيه، منها ما رواه أبو العرب بسنده إلى خالد بن معدان عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بمدينة قمونية باب من أبواب الجنة يُقال له المنستير، ينقطع الجهاد في آخر الزمان من كل موضع، فكأنى أسمع صرير المحافل من مشارق الأرض ومغاربها إلى ساحل قمونية " [٣٣]

والحق أن الباحث ليقف حائرًا أمام طائفة الأقوال والأحاديث المذكورة، والتي يذكرها التجاني فيما رواه أبو العرب في كتابه، ويمكن قبولها في ضوء أنها ترغب في الجهاد، وتحث عليه، وتعبر عن قدر المشقة والثواب الذي يحصل عليه المرابط في المنستير وغيره، وهو تفسير يتفق مع ما قال به أستاذى أ. د الشعراوى؛ مشيرًا إلى أن هدف المسلمين الأوائل كان بيع أنفسهم لله تعالى في سبيله، وحبًّا في الجهاد، وطلبًا للاستشهاد، فلا تعنى المصاعب إذن مادام الوعد هو "الأجر العظيم" في الدنيا والآخرة، وأن الثواب على قدر المشقة"[٣٤]؛ بيد إن هذه الجزئية الدينية تبدو واضحة في ضوء الإحاطة بأحداث الفتح الإسلامى لصقلية، والذى يعد – على حد قول ا. د حسين مؤنس –من المعالم المهمة في التاريخ البحرى الإسلامي، وماترتب عليه من جعل مفتاح حوض البحر الأبيض الأوسط والغربى في أيدى المسلمين، فكان لمسلمى المغرب (أو على الأصح منطقة إفريقية وماحولها) دروهم في حوض البحر الأبيض، البعيد عن النشاط الرسمي لدولة الأغالبة والفاطميين، فانتعش أهل إفريقية، وتفتحت نفوسهم للجهاد، فعلى طول الشواطئ التونسية، قامت جماعات المرابطين، وهم جماعات من الأتقياء كانوا لا يرضون عن الأغالبة، فانصرفوا عنهم، واعتزلوهم على شواطئ البحر في مواضع مثل المنستير وسوسة وتونس، وهناك ابتنوا حصونًا كانوا يسمونها قصورًا، يقيمون فيها رهبانًا مجاهدين يحرسون المسلمين ويغزون النصارى، وكانت أعدادهم كثيرة، وجهدهم في الحرب عظيما [٣٥].

وانطلاقًا من هذا الجهاد الشعبى يواصل التجاني حديثه عن الأربطة؛ فيتحدث عن صفاقس، وأن السير قد انتهى به "إلى المحرس وهو قصر قديم البناء، سام للسماء، ينسب بناؤه إلى ابن الأغلب، وإلى هذا الحصن يلجأ جملة من أهل تلك العصور إذا وصل اليهم عدو واضطروا إلى قتال." (٣٦)

ولم يقتصر دور المجاهدين من الزهاد وأهل العلم والدين في الرباطات المذكورة على الجهاد ضد أعداء المسلمين، بل تجاوزوا هذا الدور إلى أن كان لهم مواقفهم ضد بعض من أمراء الأغالبة، وضد محاولة الفاطميين لنشر التشيع في إفريقية، وسوف يبدو هذا واضحًا في أعقاب الحديث عن ظهور تيارات فكرية ومذاهب دينية في البلدان الليبية والتونسية، كأحد أهم الملامح في أدب الرحلات، أو من خلال رحلة التجاني، وهو ماسوف يتم تناوله في الجزئية التالية.

ثانياً: ظهور بعض التيارات الفكرية والمذاهب الدينية :

استطاع التجاني في رحلته أن يكشف عما ظهر في إفريقية من تيارات فكرية في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادى، وقد بدا هذا واضحًا من خلال حديث عن جامع "سوسة" الذي كان بناؤه في ولاية أبي العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب سنة "٢٣٦هـ/٨٥٠م"؛ حيث يذكر أنه في صحن الجامع المذكور" بيت قد كتب فيه بخط قديم نقشًا في الحجر القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وكتب مثل ذلك أيضًا في عمد الجامع، وذلك كله تنبيه على مذهب أهل السنة، وتثبيت له؛ بسبب كثرة ماكان بها وبجميع بلاد أفريقية في القديم من مذاهب المنحرفة عن المذهب السني..." (٣٧)

وفي هذا ما يشير إلى قضية "خلق القرآن"؛ تلك القضية التي احتدم الجدال والحوار فيها بين علماء المالكية بالمغرب وبين علماء المعتزلة، وقد اعتمد علماء المعتزلة على أدلة وبراهين عقلية في قولهم بأن "القرآن مخلوق"؛ وكان ذلك نتيجة لاعتمادهم على العقل، ومحاولة تسخيره لخدمة المشكلات والقضايا الكلامية، ومستفيدين أيضًا من اطلاعهم على علوم الفلسفة اليونانية وغيرها، في

حين بنى علماء المالكية رأيهم على الالتزام بالسنة وبمنهج السلف، والبعد عن التخريجات الفلسفية والتأويلات الكلامية، ونظروا إلى مثل تلك الآراء التي قال بها المعتزلة بأنها بدعة وضلال (٣٨).

وإذا كان التجاني يطلع على تيارات فكرية كما هو الحال في الحديث عن المعتزلة، والإشارة إلى نشاطهم دون الدخول في تفاصيل كلامية عن مذهبهم طبقاً لما سبق قوله؛ فإنه يشير إلى بعض المذاهب الدينية التي تعتنق فكر الخوراج، ولاتتفق تعاليمها مع تعاليم أهل السنة والجماعة، وهو ما يبدو واضحًا في حديث عن "قرية" الزارات" من أعقاب قابس، ويقول في هذا الشأن: "ومن هذه القرية كان الابتداء بسلوك منازل البربر المستمسكين بمذهب الخوارج، المستحلين لدماء المسلمين وأموالهم، وهذا المذهب هو الغالب على جميع البقاع التي بين قابس وطرابلس، وخصوصًا أهل الساحل منهم، فهم بهذا المذهب المذموم يتقربون ببيع من يمر بهم من المسلمين للروم، فتجد الناس لأجل ذلك يتخامون في قراهم، ويتجنبون إيواءهم وقراهم..." (٣٩)

والمعن في النص السابق يشير إلى تطرف تلك الفئة، فهم يبيعون من يمر بأراضيهم من المسلمين إلى الروم، وقد ترتب على هذا أن المسلمين من أهل السنة والجماعة يتجنبون سكنى المناطق المتاخمة لهذه الجماعات؛ ويشير التجاني –في الشأن نفسه –إلى أن هذه الجماعات من بقايا الشرذمة الضالة التي قام بها "أبو يزيد مخلد بن كيداد في إفريقية" وأن اتباعه قد تفرقوا فسكنوا المواضع المذكورة، وسكنت طائفة أخرى جبال بجاية وقسنطينة وما والاها إلى بونة، وسكنت طائفة أخرى بلاد الجريد في منطقة نفطة ونفزاوة، ومشيراً أيضًا إلى وجود معتقدات فاسدة لأمثال تلك الطوائف في منطقة "جربة وزوارة" (٤٠).

ويمضى التجاني في ذكر نموذج من المعتقدات الفاسدة التي يشير إليها عندما يتحدث عن جربة؛ فيذكر عن أهلها أنهم " ينقسمون إلى فرقتين تعرف "بالوهبية" ورئاستهم في بنى سمومن، وأرض هذه الفرقة من الجزيرة الجهة الغربية فما والاها من جهة الشمال، وفرقة تعرف بالنكارة ورئاستهم في بني عزون وأرضهم الجهة الشرقية فما والاها من جهة الجنوب " (٤١).

والتجاني هنا يشير إلى انقسام الخوارج إلى فرقتين في جزيرة جربة، مشيرًا إلى تحديد أماكنهم، وأنهم يعيشون تحت سيادة قبائل محلية هي:- بنو سمومن، وبنو عزون؛ بيد إن الأسوء من هذا أنه يشير إلى أن كلا الطائفتين خوارج، غلاة في مذهبهم، يكفرون العصاة، مختلفين في ذلك مع المعتزلة الذين لا يكفرون العصاة، فلا تسميه كافرًا، ولا تسميه مؤمنًا، وتسميه فاسقًا، وهو ما يعنى أن مذهب المعتزلة توسط بين مذاهب الخوارج – ومذهب أهل السنة (٤٢).

ويتوقف التجاني عند كثير من **انحرافاتهم الدينية الدالة على تطرفهم وتشددهم**، ومن علامات التطرف لديهم:-

- أنهم لا يماسحون بثيابهم ثياب أحد ممن ليس على مذهبهم.

- لا يأكلون في آنية من يخالفهم، وإذا استسقى عابر سبيل من أبيارهم، استخرجوا ماء البئر كله ومحوه... هذا فضلًا على جوانب أخرى تدل على تطرفهم وفساد مذهبهم، كما هو الحال في رفع ثياب الجنب على عصا بعد غسله، ووجوب الغسل في صباح كل يوم على الرجال والنساء سواء أكانوا جنب أم غير جنب، والجمع بين الوضوء والتيمم، واشتراط غسل الأيدى في الوضوء إلى الأكتاف.... الى غير ذلك من "آرائهم الواهية" على حد قول التجاني. (٤٣)

وإذا كان التجاني في وصفه للجوانب المذكورة سابقًا يذكر أنها تعبر عن آراء واهية، فإن مثل هذه الآراء دفعت بالجماعات المذكورة إلى **كثير من مظاهر التطرف والتشدد التي تخرج عن إطار السنة والجماعة**؛ ويمضى التجاني في وصف هذا التطرف المشوب بالأهواء والبدع في كثير من أماكن أخرى مثل منطقة الجبل القريبة من منطقة "غمراسن" والتي يقول عن أصحابها أنهم ينتحلون مذهب النكارة من الخوارج البربر وأنهم لا يغسلون موتاهم، ولا يصلون عليهم، ولا يورثون البنت شيئًا من مال أبيها، ويعتمدون في حياتهم على الغارات على العرب. (٤٤)

ويذكر التجاني أيضًا عن منطقة غمراسن، ومنطقة الجبل القريبة منهم قوله:- "وليس لأهل غمراسن، ولا لأكثر ساكنى هذا الجبل في الحقيقة من الإسلام إلا الاسم فقط، ولا تجد منهم من يعرف للصلاة اسمًا، فضلا عن أن يقيموا لها رسمًا، وكذلك جميع الشرائع مشيرًا إلى أنه أقام معهم، فلم يسمع لهم آذانًا، ولم يجد سوى مسجد في أعلى قلعتهم يصلى فيه آحاد من الرجال من أهل زواره، ورغم هذا، فالتجاني يثني عليهم في بعض عاداتهم الاجتماعية، خاصة في تعاملهم مع الضيف ووصفهم بالأمانة(٤٥)، ومثل هذه الجوانب الاجتماعية تخرج عن قصد البحث.

كما يتحدث التجاني عن منطقة تليل، ويذكر أن أهلها برابرة نكارة... "موصوفون بخبث وشر" وفي هذا الإطار أيضًا يتحدث عن زوارة الصغرى قائلًا عن أهلها..." وأهلها قوم من الخوارج، غلاة في مذهبهم، موصفون بتصميم في دينهم، وأمانة فيما يودع عندهم، مكفرين بمواقعة الذنوب، ورأيت منهم أقوامًا قد نحلت من العبادة أبدانهم، واصفرت ألوانهم، بانين في ذلك على هذا الأصل الفاسد من تكفير العصاة على ماتقدم بيانه عند ذكر جربة. " (٤٦)

وفي هذا كله مايعنى أن التجاني استطاع أن يعبر عن تيارات فكرية تمثلت في المعتزلة ووجودها على أرض إفريقية، ومذاهب دينية تمثلت في مذاهب الخوارج من البربر، كما لم يغب عنه أنه يتحدث عن موقف نفر من العلماء والزهاد من دولتي الأغالبة، والفاطميين في نشرهم للتشيع وهو ماسوف أتحدت عنه في الجزئية التالية كأحد الملامح العلمية والدينية في آن واحد.

ثالثاً: دور العلماء والزهاد في مواجهة الملوك الأغالبة، وموقفهم من التشيع :

احتفظ التجاني في رحلته ببيان بعض مواقف العلماء والزهاد والصالحين- ممن كانوا يعيشون في الأربطة وعلى السواحل حبًا في العلم والزهد ورغبة في الجهاد- تجاه ما كان يحدث من ظلم من بعض أمراء الأغالبة تجاه الرعية، ومن هذه الجوانب التي جاءت في ثنايا رحلته ما ذكره عن جزيرة شريك التي قال عنها:-

" ولم تخل هذه الجزيرة من عابد مذكور، وذُكر أن عبدالله بن الأغلب أراد أن يحدث على الناس مظالم، ومن جملتها أن يرفع عنهم طلب العشر، ويضع على كل زوج ثمانية دنانير أصابوا أو لم يصيبوا فاشتد ذلك على الناس (٤٧) ".

وهذا المعنى السابق قد أوضحته دراسات حديثة مشيرة إلى محاولة الأمير أبي العباس عبدالله بن إبراهيم الأغلب (١٩٦ – ٢٠١هـ /٨١١ –٨١٦ م " إجراء بعض الإصلاحات المالية لزيادة دخل خزينة الدولة، وجعل الضريبة على الفدان ثمانية عشر دينارًا في السنة، سواء أصابت الأرض أو لم تصب، مستبدلا إياها بالعشر من الحب الذى كانت تنتجه الأرض. (٤٨)

وهنا يشير التجاني إلى دور الزهاد والصالحين، وفي مقدمتهم "حفص بن حميد الجزرى ومعه قوم صالحون من أهل الجزيرة، "وأنهم ذهبوا جميعًا إلى ابن الأغلب الذى يوصف بأنه كان من أجمل الناس، وأن حفصًا قد قال له" اتق الله أيها الأمير وارحم جمالك وشبابك، فإن النار أمامك". ويمضى التجاني في مرويته مشيرًا إلى يأس "حفص بن حميد الجزرى ومن معه" من ابن الأغلب، إلا إنهم لم ييأسوا من رحمة الخالق سبحانه وتعالى، فما كان منهم إلا إن توجهوا إلى الله سبحانه وتعالى، فاسبغوا الوضوء ودعوا الله أن يكفيهم شره وجوره.. وحدث بعد خمسة أيام من الدعاء أن "خرجت له قرحة تحت أذنه، فقتلته في اليوم السابع من دعائهم" مشيرًا إلى أن المتولى بغسله قد كشف عنه الثوب، فوجده قد عاد أسود " كأنه زنجى بعد ذلك الجمال العظيم " (٤٩)

وقد يقول قائل: إن موقف العلماء والزهاد هنا كان من خلال الدعاء في مقاومة الظلم بعد محاولة التدخل، إلا إن هذا الدعاء لا يستهان به إذا صلحت النوايا وصلحت الرعية.

كما يشير التجاني في رحلته إلى موقف نفر من العلماء والصالحين من دعوة التشيع التي سعى إليها الفاطميون عند مجيئهم إلى المغرب؛ وهو ما يبدو واضحًا عند حديثه عن الشيخ أبى محمد يونس بن محمد الوردانى المتوفي سنة

"٢٩٩هـ/٩١١م" والذي اتخذ موقفًا معينًا عقب "دخول عبيد الله الشيعى إفريقية" وغلبة التشيع على أهلها، فما كان منه إلا إنه جمع أهله، وقال لهم:-

"إن أمر هؤلاء القوم قد اشتهر، فإما أن تتركونى أفر بدينى إلى بلاد لا حكم لهم عليه، وإما أن أحمل نفسى على الاشتغال برعى البقر لعلى أسلم من فتنتهم.... "ويمضي التجاني في مرويته مشيرًا إلى عظم ذلك على أهله، ففضلوا رعي البقر له على أن يفارقهم، فما كان من الشيخ الورداني إلا أن... " يحمل مصحفه معه، ويبعد عن العمران، ويقبل على القراءة، فإذا جن الليل أقبل بالبقر إلى منزله، وربما أراد بعض الناس زيارته، فإذا رآهم من بعد صاح وهرول يريهم أن في عقله اختلالًا [٥٠]"؛ وفي هذا ما يعني أن الرجل آثر العزلة، ورعى الأبقار، والتظاهر بأن في عقله خلل، في محاولة منه لمقاومة التشيع، وهو وإن كان يتخذ موقفًا سلبيًا، إلا إن بعض كتب الطبقات تسجل مواقف أخرى أكثر إيجابية لمن قاوموا التشيع.

وعلى أية حال، فإن التجاني في رحلته أيضًا لم يضن على الباحثين بأمثلة أخرى من العلماء والصالحين ممن قاوموا التشيع مقاومة إيجابية، ومن هؤلاء الشيخ أبى الحسن على بن محمد بن المنمر الطرابلسى، كان مولده بطرابلس سنة "٣٤٨هـ/٩٥٩م" وتوفي سنة "٤٣٢هـ/١٠٤٠م" ويذكر عنه التجاني أنه "أول من أظهر السنة بطرابلس" مشيرًا في هذا الشأن الى موقعة المشارقة "في إفريقية سنة" ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م" وقتل كثير من الشيعة وأتباعهم، وأن الفقيه أبى الحسن كان ممن ساهموا في قتل من قتل منهم في طرابلس، وأنه كان أول " من قطع من الآذان حى على خير العمل، وأذن في ذلك اليوم أذان أهل السنة بنفسه ". وكان إسقاط هذه العبارة من الآذان يدفع ببنى عبيد إلى قتل كثير من البشر ممن أسقطوها من الآذان " تعمدًا أو نسيانًا " على حد قول التجاني [٥١].

وفي هذا ما يشير إلى مقاومة الفاطميين وقتلهم لكل من يهاجم التشيع، خاصة إذا ما ارتبط الأمر بطقوسهم الدينية

ويمضي التجاني في مرويته التاريخية مشيرًا إلى أن ابن المنمر الطرابلسي هو أول من " أقام للناس بطرابلس صلاة القيام " ومعتمدًا في هذا الشأن على ما قاله الشيخ أبو الحسن القابسي موضحًا أن بنى عبيد أرادوا أن يمنعوا الناس من هذه الصلاة عند دخولهم القيروان (٥٢)، وفي هذا مايشير إلى مدى التشابه بين طرابلس، وتونس، والقيروان في مقاومة التشيع، بما يشير إلى وحدة بلاد المغرب العربى في شطره الأدنى (٥٣)، وانضمامه تحت لواء السنة والجماعة على المذهب المالكى.

وإذا كان التجاني يشير إلى أن ابن المنمر هو من أحيا صلاة القيام، فإن " أبا مسلم مؤمن بن فرج " هو من قدمه ابن المنمر لآدائها بالجامع الأعظم... " ولم تكن قبل ذلك صليت به " في إشارة منه إلى بناء الجامع الأعظم بطرابلس كان على يد بني عبيد الفاطميين (٥٤).

كما يذكر التجاني – في إطار مقاومة التشيع – أن أبا مسلم مؤمن بن فرج المتوفي سنة "٤٤٢هـ/١٠٥٠م" كان أول من أطلق للناس صلاة الضحى جهارًا... " ولم يكن أحد في مدة بني عبيد يصليها إلا مستخفيًا بها، فإن ظهروا عليه قتلوه "، ويدعم التجاني مايقوله هنا بأمثلة، مشيرًا إلى قيام بني عبيد بإلقاء رجل في البحر، كان يصلى وقت الضحى، وأنه كان جنبًا، فنزل الى البحر، فاغتسل، وقضى صلاة الصبح، وأنه لم يقبل منه ذلك فكان ماحدث له. (٥٥)

ويبنغى أن يؤخذ في الاعتبار أن التجاني رحالة وليس مؤرخًا، أو من أصحاب كتب الطبقات، وهذا يفسر قلة النماذج المذكورة في هذه الجزئية، إذا قيس بما جاء في كتب الطبقات، وكتب التاريخ، إلا إنه يستدل من بعض هذه الجوانب المذكورة في هذه الجزئية ذكره لنفر من أعلام العلم والأدب، وهو ما سوف أتناوله في الملمح التالي.

رابعاً: ذكر بعض أعلام العلم والأدب: -

تبدو رحلة التجاني شحيحة في الإمداد بأسماء عديدة من أهل الفقه والعلم في إطار الفترة المقصودة بالدراسة، في ضوء القول بأن كتابات الباحثين المحدثين تشير إلى عديد من أسماء المتخصصين في إقليمى برقة وطرابلس في الفقه والأدب والدراسات اللغوية، أما عن التجاني فلا يذكر سوى نفرًا قليلًا من أهل الفقه والدين، ومن هؤلاء الفقيه الصالح أبى الحسن السيقاطى المتوفي سنة "٤٢٠هـ/١٠٢٩م"، وهو الذى قام ببناء مسجد سيقاطة، وبه كان يتعبد، ويذكر التجاني عنه قوله بعد حديث تقدم..." وخرج جميع أهل طرابلس ومن حف بها من النواحى والبلاد فصلوا عليه وكان له يوم مشهود " وفي هذا مايدل على فضله وعلمه" (٥٦)

ومن أهل الفقه الفقيه أبي الحسن على بن محمد بن المنمر الطرابلسى الفرضى المشتهر فضله وعلمه ورئاسته، وهو المولود بطرابلس سنة "٣٤٨هـ/٩٥٩م" والمتوفي بها سنة "٤٣٢هـ/١٠٤٠م"، ويذكر عنه التجاني أنه له " تآليف في الحساب والأزمنة وغير ذلك سوى كتابه المشهور المسمى بالكافي في الفرائض "مشيرًا إلى أنه لقي الشيخ" أبا محمد بن أبى زيد" وقرأ عليه، ثم ارتحل إلي مكة، ثم عاد إلى طرابلس، حتى كانت محنته على يد بنى خزرون، ثم وفاته. (٥٧)

كما ذكر التجاني من الفقهاء أيضًا الفقيه أبى مسلم مؤمن بن فرج الهوارى الطرابلسى، المتوفي عام "٤٤٢هـ/١٠٥٠م" وهو الذي ينسب إليه مسجد ابن فرج الذى يقوم بالإقراء فيه، وهناك الفقيه الصالح أبى الحسن على بن أحمد الخصيب، وهو ممن كان مسجد المجاز معروفًا بسكناه، وكان فقيهًا صالحًا، عالمًا زاهدًا، وله في الفقه والفرائض والشروط تواليف مفيدة، ولا يذكر التجاني تاريخًا لوفاته ولعله يكون من المرجح أن يدخل في إطار الفترة المقصودة بالدراسة.

بيد إن أهم ما يمكن ملاحظته في هذه الجزئية أن التجاني يشير إلى مجموعة من الصالحين في إقليمى برقة وطرابلس، ممن ينتسبون إلى سكنى المساجد، وهم ممن سبق ذكرهم مثل: –

الشيخ أبو الحسن البارزى الذي يعرف مسجد الجدة – أو الجدود – باسمه لسكنى الشيخ به (٥٩)، وهناك الشيخ خطاب البرقى الرجل الصالح المنسوب إلى مسجد خطاب، والشيخ أبو محمد عبدالله الشعاب المنسوب إلى مسجد الشعاب، وهناك الشيخ أبى عثمان سعيد بن خلفون الحسانى المعروف بالمستجاب، والذى عرف أيضًا بسكنى مسجد الجدة أو الجدود، وهناك المرأة العجوزة الصالحة التي كانت تسكن مسجد الشعاب وتسمى سمدونة (٦٠)، وقد يكون من المرجح أن نفرًا من هؤلاء – وليس جميعهم – كان لهم دورهم في إثراء حركة التعليم الديني في المساجد.

أما عن إفريقية، فيذكر مجموعة من أعلام الشيوخ والصالحين من أمثال الشيخ الصالح أبى يوسف الدهمانى المنتسب إلى قرية قصور الوردانيين، والتي أزمع أهلها على قتله، أيام سكناه بمسجد غانم، ثم أظهر الله – سبحانه وتعالى – كرامة له، فتاب على من نوى قتله، وعفا عنه الشيخ ودعا له. وهناك الشيخ أبى محمد يونس بن محمد الورداني المنتسب الى نفس البلد، والذى سبق ذكره عند بيان موقف أهل العلم من التشيع، وهو الذى " أخذ العلم عن سحنون بن سعيد، وصحح عليه جميع كتبه، ودعا الله تعالى أن يخمل ذكره، فكان لا يولد له. (٦١)

كما يذكر التجاني مجموعة من شعراء إفريقية، ممن ورد ذكرهم في الأنموذج لابن رشيق القيرواني، ومنهم مجموعة من شعراء سوسة، مثل: محمد بن الحسين بن أبى الفتح بن ميخائيل القرشي، وهو من أهل سوسة، وسكن القيروان (٦٢)، ومنهم على بن أحمد بن الصفار السوسى، وهو " شاعر متسع القافية، عالم باللغة " (٦٣) ومن الشعراء المذكورين أيضًا أبو الفتوح بن محمد، وهو من أهل سوسة، ونشأ بها..

"وشعره سهل وطئ لا يتكلف"[٦٤]، وأبو موسى عيسى بن إبراهيم السوسى المعروف بابن القطان [٦٥]، وعبدالوهاب بن خلف بن القاسم السوسي المعروف بابن الغطاس، وهو من.... أبناء سوسة ومستوطنيها، وهو شاعر متدرب، قد جمع إلي رقة المعنى متانة اللفظ وقرب المقصد [٦٦]، وهناك من الشعراء أيضًا محمد بن عبدون السوسى، أصله من القيروان، وهو من أكابرها، انتقل أبوه الى سوسـه..." وهو شاعر وطئ الكـلام، كلف بعذوبة اللفظ... " [٦٧].

تعليق وكلمة ختام

وبالحديث عن هذا الملمح الأخير، الذي يتعلق بذكر بعض أعلام العلم والأدب، أكون قد انتهيت من الحديث عن بعض الملامح العلمية والدينية في بلدان إفريقية وإقليمى برقة وطرابلس من واقع رحلة التجاني كأنموذج لأدب الرحلات، ولا أدعي أني قمت بإحصاء كافة الملامح في هذا الإطار العلمي والدينى، ولا أتقول على التجاني وأذكر أنه قام بذكر كافة الجوانب العلمية والدينية، وإنما هو يذكر أمثلة من الجوانب المذكورة.

وقد حاولت الإشارة في ثنايا الحواشي والتعليقات إلى المصادر التي يعتمد عليها في رحلته؛ وتبدو أمانة الرجل في ذكره للكتب التي اعتمد عليها، كماهو الحال في ذكره للبكري وكتابه، وما أورده أبو العرب في كتابه طبقات علماء إفريقية، وكلما اقترب من الفترة التي عاصرها اعتمد على الرؤية والمشاهدة، وهو ينص على ذلك في مواطن كثيرة من رحلته.

وتبقى لى ملاحظتان مهمتان على هامش رحلة التجاني؛ ترتبط الملاحظة الأولي بما جاء في ثنايا رحلة التجاني من جوانب مرتبطة بالأسطورة والخرافات والغرائب التي لا يصدقها عقل [٦٨]، ولولا أني قمت بالكتابة عن الأسطورة في فتح الأندلس، لكنت قد كتبت عن الأسطورة في أدب الرحلات.

أما الملاحظة الثانية، وهي أن التجاني يتعرض كثيرًا لما يسمى بالكرامات والمناقب عند ذكره لكثير من أهل العلم والفقه، والزهاد والصوفية والصالحين، ولست من أنصار إنكار ما أنعم الله به – سبحانه وتعالى – على بعض عباده الصالحين من كرامات ومعجزات؛ إلا إنني أتفق تماما مع ما قاله أ. د محمود إسماعيل في دعوته لإعمال العقل للتخلص من أكداس الأساطير والخوارق والمعجزات في تراثنا[٦٩]، خاصة وأن هناك مناقب لهؤلاء الأعلام لا يصدقها عقل. [٧٠]

ولعلى بذلك أكون قد فتحت أكثر من نافذة ثقافية لطلاب العلم، فيما يتعلق بالأسطورة في أدب الرحلات، أو مناقب وكرامات الصالحين في أدب الرحلات فيما بين العقل والخرافة، آملًا في ذلك – وأنا من طلاب العلم – تنقية كتب التراث من أدب الرحلات في المشرق والمغرب مما لحق بها، بما يجعلنا أكثر توافقاً وتواصلاً مع ماضينا بهدف خدمة الحاضر والمستقبل وعلى الله – سبحانه وتعالى – قصد السبيل.

د. عادل يحيى عبدالمنعم

الحواشى والتعليقات

١) انظر. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد ١٩٦٧. ص ٣٤٠-٣٤٢؛ ومن أمثلة الكتب التي تعبر عن الكوزمولجية كتاب تحفة الألباب ونخبة الأعجاب لأبى حامد الغرناطى، وقد وقفت على إحدى طبعاته الحديثة ضمن مكتبة المركز الثقافي الأسبانى. انظر. السيد عبدالعزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٧. ص ٢٣١؛ ومن أمثلة كتب الجغرافيا التي تعبر عن وصف الكون والبلدان ما كتبه أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المتوفي سنة "٦٨٥هـ/١٢٨٦م" في كتابه الموسوم بـ "كتاب الجغرافيا" حققه ووضع مقدمته وعلق عليه: إسماعيل العربى، ط ١، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٠؛ وهو نفسه كتاب: بسط الأرض في الطول والعرض، الذي نشر بتطوان، معهد مولاى الحسن ١٩٥٨، بتحقيق الأستاذ. خوان فرنيط خينيس، الأستاذ بجامعة برشلونة، وهو نفسه الكتاب الذي أعيد طبعة للمرة الثانية، بإصدار ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٨٢، بتحقيق أ. إسماعيل العربى، وعن كتب الجغرافية والرحلات عامة. انظر. سالم: المرجع السابق، ص ١٨٣ – ٢٣٤.

٢) هناك بعض كتب الجغرافيا التي تشير إلى غرائب لا يصدقها عقل، كماهو الحال في حديث البكرى عن المرأة ذات اللحية الكاملة، وحديث ابن الدلائى عن جرادة من ذهب ظهرت في لورقة بالأندلس، وكذا حديث ابن غالب عن المرأة ذات اللحية الكاملة في تطيلة بالأندلس، وهو نفس ماتحدث فيه البكرى من قبل. انظر. البكرى: أبو عبيد الله بن عبدالعزيز ت "٤٨٧هـ/١٠٩٧م"جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب "المسالك والممالك" تحقيق: عبدالرحمن الحجى، ط ١ دار الإرشاد ١٩٨٦. ص ٩٠؛ ابن الدلائى: أحمد بن عمر بن أنس العذرى ت "٤٧٨هـ/١٠٨٥م" نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلي جميع الممالك، تحقيق: عبدالعزيز الأهوانى، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد ١٩٦٥ ص ٢؛ ابن غالب: محمد بن أيوب ت "٥٧١هـ/١١٧٥م" قطعة من كتاب فرحة الأنفس،، نشر: لطفي عبدالبديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ١، ج٢، ١٩٥٥ ص ٢٨٧؛ وربما كان هذا من نقولاته عن البكرى.

٣) تشير الأستاذة البورقادية إلى أن أدب الرحلات بعد مادة خصبة للكشف عن صور البلدان والشعوب، وأنه المعين الذى تستقى منه أهل أية أمة معلوماتهم عن الأمم الأخرى. انظر. حبيبة البورقادية: ملامح الشعوب في أدب الرحلات ، المناهل عدد ٣، السنة ٢، جمادى الثانية ١٣٧٥ هـ/ يونيو ١٩٧٥. ص ٢١١.

٤) ترجع أسباب الرحلة عند الرحالة المغاربة خاصة، وإقبالهم عليها لأسباب متعددة منها:
– بعد المغاربة عن الديار المقدسة التي يحنون إليها في كل وقت وحين.
– ولوعهم بالسياحة وارتياد الآفاق.
– إرسال السفراء من قبل الملوك– التغرب من أجل طلب العلم، والتعرف على كبار العلماء.
– وأخيرا مرافقة الكتاب للملوك ولرجال الدولة في أسفار رسـمية. انظر. البورقادية: المرجع السابق، ص ٢١٤ – ٢١٥.

٥) لعل أفضل ما يعبر عن ذلك ما قاله ابن زاكور الفاسى في فضل الرحلة، من حيث إنها "منة من الله ونحله، تكسب الغليظ الطباع، غاية الرقة والانطباع، وتعقب من كابد لها نصبًا علمًا غزيرًا وأدبًا" انظر. ابن زاكور الفاسى: محمد ت "١١٢٠هـ/١٦٩٩م" نشر أزاهر البستان فيمن أجازى بالجزائر وتطوان، المطبعة الملكية الرباط ١٩٦٧. ص ٢؛ ولصاحب هذه الكلمات محاولة سابقة لبيان أهمية أدب الرحلات. ضمن بحث بعنوان: الأثنوجرافيا والسوسيوجرافيا في الإطار الجغرافي لبلاد المغرب العربى من خلال رحلة أبى عبدالله محمد... العبدرى، المتوفي بعد سنة " ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م" بين الموضوعية في النقد والتطرف في الرأى، مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط، عدد ٤٣، سبتمبر ٢٠١٧، ص ٣–٤ "وفيها بيان بأهمية كتب الرحلات"

٦) كان من أوائل الذين فطنوا إلى أهمية رحلة التجاني المستشرق الفرنسى الأستاذ. بلاشير، حيث نوه بها في حديثه عن الكتب وإصداراتها، وذلك في مجلة أرابيكا، التي أسسها الأستاذ ليفي بروفنسال.

Cf. R. BLACÉRE: ABDALLÀH ALTIGANI., RIHLAT– ALTIGANI., ARABICA., TOME. VII., LEIDEN. 1960. P. 202؛

وانظر عن الأستاذ. بلاشير، نجيب العقيقى: المستشرقون، ج١، ط٤ دار المعارف دون تاريخ. ص ٣٠٩.

٧) عرف الأستاذ حسن حسنى عبدالوهاب بالتجاني صاحب الرحلة في مقدمة التحقيق؛ وهو أبو محمد عبدالله، ولد بحضرة تونس فيما بين سنة " ٦٧٠ – ٦٧٥ هـ / ١٢٧١– ١٢٦٧م " وتربى في حجر أبيه العالم الأديب محمد بن أحمد التجاني، والذى يستدل من مقدمة التحقيق أنه كان يعمل بديوان الإنشاء في ظل السلطنة الحفصية، فيما كان يعرف بتولية العلامة السلطانية للواثق بالله أبى زكريا يحيى بن أبى إسحاق صاحب المملكة الحفصية الغربية سنة " ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م "، وكانت وفاة الأب في حدود سنة " ٧١٠هـ/١٣١٠م " بعد عودة ابنه من الرحلة بسنتين أو أقل.

وينتسب بنو التجاني إلى قبيلة تجان المغربية، ثم قدموا إلى تونس، وشاركوا في النهضة العلمية في عصر الموحدين، وعصر بنى حفص، وكان ظهور التجاني صاحب الرحلة في عهد السلطان محمد المعروف بأبي عصيدة، ثم استصفاه شيخ الموحدين الأمير أبو يحيى زكريا بن اللحيانى لنفسه، وصحبه في رحلته في سنة " ٧٠٦ هـ /١٣٠٦ م " عندما عزم أبو يحيى تفقد بلاده استعدادا لمحاربة الأسبان المغتصبين لجزيرة جربة.

وقد أشاد أ. عبدالوهاب برحلة التجاني مشيرًا إلى أنها مرآة صقيلة صافية تمثلت فيها جميع جوانب البلاد التونسية، وأنه من حسن حظ القطر التونسى أنه أنجب من بين أبنائه هذا النمط الممتاز من الرحالة، وأن الرحلة دامت مايقرب من عامين وثمانية أشهر وبضعة أيام، وأن صاحب الرحلة لم يعد له ذكر بعد سنة "٧١٧هـ/١٣١٧م" حيث يختفي نبؤه، ويرجح قتله في ظل الصراعات السياسية في تلك الفترة. انظر في التعريف بالتجاني صاحب الرحلة، وآل التجاني عامة، حسن حسنى عبدالوهاب: مقدمة تحقيق رحلة التجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ١٩٨١. ص يبـ إلى لو؛ ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، القسم الثالث، جمع وإشراف: محمد العروسى المطوى، مكتبة المنار، تونس ١٩٧٢ ص ١٤٧ – ١٩٣ ضمن المبحث الثانى بعنوان: آل التجاني أدباء وكتاب الدولة الحفصية؛ وانظر في التعريف بالتجاني أيضًا. سالم: التاريخ والمؤرخون، ص ٢٣٣ – ٢٣٤ وغير ذلك كثير.

٨) انظر. التجاني: أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد ت بعد سنة "٧١٧هـ/١٣١٧م" رحلة التجاني، تقديم وتحقيق: حسن حسنى عبدالوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس ١٩٨١. ص٣.

٩) انظر. فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربى، ط ٢ مكتبة الدار العربية، يوليو ٢٠١٠م ص ٤٨٣، ٤٨٤؛ ويعرف بالتجاني ص ٤٨٢ –٤٨٣.

١٠) اعتمدت في ذكر الأحداث المذكورة، وعلى بيان سبب اختيار عنوان البحث بوضعه الحالى على ما قاله أ. د حسين مؤنس – بإيجاز – في كتابه معالم تاريخ المغرب والأندلس، بدءًا من دولة الأغالبة حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، واستقلال المعز بن باديس عن الفاطميين، ودخول عرب بنى هلال وبنى سليم إلى افريقية. انظر. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط٢ دار الرشاد ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. ص ٩٥، ١٥٢، ١٦١، ١٦٨، ٢٦؛ وسوف يتم التعريف في ثنايا البحث بدولتى الأغالبة والفاطميين، وما ارتبط بهما من شخصيات، أما عن عصر بنى زيرى الصناجيين، فمن المفيد القول هنا بأنه العصر الذى تبدأ أحداثه بإسناد "المعز لدين الله الفاطمى" ولاية أفريقية والمغرب الى بلكين بن زيزى... وسماه يوسف بدلا من بلكين، وكناه أبا الفتوح، ولقبه سيف الدولة، واستمر التشيع قائما في

إفريقية من الناحية الرسمية في أعقاب بلكين وفي عهدى المنصور بن بلكين وباديس بن المنصور حتى مجئ المعز بن باديس" ٤٠٦ –٤٥٤ هـ/١٠١٦ –١٠٦٢ م " وهو الذى قال عنه ابن خلدون... "وكان المعز منحرفًا عن مذهب الرافضة ومنتحلا للسنة، فأعلن بمذهبه لأول ولايته، ولعن الرافضة، ثم صار إلى قتل من وجد منهم". ويسمى البعض عصر بنى زيرى بأنه عصر النيابة المغربية، وأهم ما يعنى البحث هنا أن التشيع ظل قائماً في إفريقية حتى مجئ المعز، وهذا يفسر تعرض نفر من العلماء للاضطهاد في الفترة التي أعقبت رحيل الفاطميين حتى مجئ المعز بن باديس. انظر. ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد ت "٨٠٨هـ/١٤٠٥م" كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، مج ٦، ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٢ ص١٨٣، ١٨٧؛ سعد زغلول عبدالحميد. تاريخ المغرب العربى، ج٣، منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٩٠. ص ٢٨٤؛ وعن غزو قبائل بنى هلال وبنى سليم يمكن الرجوع إلى ما كتبه المستشرق الفرنسى أ. جورج مارسية تحت عنوان.

L' INVASION HILÁLIENNE C.f. Georges Marcais: LA berbérie Musulmane Et l'orient au Moyen age paris 1946. p 193

١١) انظر. صالح مصطفي مفتاح: ليبيا منذ الفتح العربى حتى انتقال الخلافة الفاطمية الى مصر، ط ١ منشورات الشركة العالمية للنشر والتوزيع والإعلان يوليو ١٩٧٨ ص ٢٥٥؛ ومما يشير إلى دور المسجد هنا ما ذكره التجاني عند حديثه عن طرابلس في قوله " ومساجد البلد لا تحصى كثرة وهى تكاد تناهز الدور عدة ". التجاني: رحلة التجاني، ص ٢٥٤.

١٢) انظر. حسن حسنى عبدالوهاب: بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق. ط٢ تقديم: محمد العروسى المطوى، مكتبة المنار تونس ١٩٧٠. ص ١٧، ١٨؛ كما تحدث أ. د. زيتون عن المعالم الدينية في القيروان بما يشير إلى نفس عدد المساجد الذى ذكره أ. عبدالوهاب من قبل. انظر. محمد محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط ١ دار المنار، القاهرة ١٩٨٨. ص ٨٣.

١٣) يرجح هذا ما ذكره التجاني عند حديثه عن زنزور التي يقول عنها: " وبها جامع متسع للخطبة يُذكر أن عمرو بن العاص – رحمه الله – أسسه "، وعندما يتحدث عن باب هوارة من أبواب مدينة طرابلس يقول " وهناك مسجد ينسب بناؤه إلى عمرو بن العاص رحمه الله ". وفي هذا مايعنى أن بناء المسجد كان يتم مع خطوات الفتح في إقليم طرابلس، وعن الأراضي أو البلاد الإفريقية يكفي هنا القول عن بناء المسجد الجامع بالقيروان على يد "عقبة بن نافع في ولايته الأولى". انظر. التجاني: رحلة التجاني، ص ٢١٨، ٢٤٥؛ وعن المسجد الجامع بالقيروان. انظر. ابن عذارى

المراكشى: عاش أوائل ق "٨هـ/١٤م" البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، ج١، تحقيق ومراجعة: ج. س كولان و أ. ليفي بروفنسال، ط ٣ الدار العربية للكتاب، دار الثقافة ١٩٨٣. ص ٢٧؛ أحمد فكرى: مساجد الإسلام، ج١، مسجد القيروان، مطبعة المعارف القاهرة ١٩٣٦. ص ١١-١٤؛ السيد عبدالعزيز سالم: بيوت الله مساجد ومعاهد، ج٢، مطابع الشعب ١٩٦٠. ص ١٦٩- ١٧٨؛ وفي ص ١٦٤- ١٦٨ يتحدث عن جامع الزيتونة؛ وقد ورد ذكر اسم زنزور في معجم البلدان الليبية عند تعريفه بمنطقة تسمى سيدى عبدالجليل. انظر. الطاهر أحمد الزاوى: معجم البلدان الليبية، ط١، مكتبة النور، طرابلس ١٩٦٨ ص ٢٠١.

١٤) انظر. التجاني: رحلة، ص ٢٤٧؛ وانظر عن مسجد الشعاب أيضا. البكرى: أبو عبيد الله بن عبدالعزيز ت " ٤٨٧هـ/١٠٩٧" المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب باريس ١٩٦٥. ص ٧؛ ويعتمد التجاني في حديثه عن مسجد الشعاب على ما ذكره البكرى، ويعد الأخير أحد مصادر التجاني، ويضيف أ. الزاوى عن مسجد الشعاب أنه مازال قائما"، وكانت تقيم به سمدونة " المرأة الصالحة التقية عليها رحمة الله. انظر. الطاهر الزاوى: المرجع السابق، ص ٣١٤؛ وليس من الإنصاف القول بأن مهنة الرجل صاحب المسجد تحول بينه وبين مساهمته في التعليم الديني والثقافة الإسلامية، فقد أشرت في رسالتي للدكتوراه إلى بعض أعلام أهل المغرب ممن اختاروا العمل اليدوى مجالًا لهم بجانب علمهم، حتى لا يطمعوا في أموال الناس، ويتمكنوا من الوقوف في وجه الأمراء والحكام لدفع الظلم ونصرة المظلوم، وقول الحق في وجوههم. انظر. عادل يحيى: العلم والتعليم في الغرب العربى، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة عين شمس ٢٠٠٢ ص ٤٢، ٤٣.

١٥) من بين المناقب التي ارتبطت بذكر أبى محمد عبدالله الشعاب ما قاله التجاني أن الخضر – عليه السلام- كان يزور الشعاب هذا ويحادثه وأنهما رُئيا مجتمعين في المسجد المذكور، وهذه واحدة مما لا يصدقه عقل، أما الثانية المرتبطة بالشعاب صاحب المسجد أنه سمع يوما بكاء امرأة عند باب مسجده وسؤاله عن سبب بكائها، وإخباره أنها فقدت ولدها، ثم دعا لها الله سبحانه وتعالى، وأمنت المرأة على دعائه... " ثم انصرفت المرأة إلى بيتها فأصبح ولدها في السكك يسأل عن دار أمه.. " وتبدو الثانية مقبولة في ضوء الإيمان بالدعاء وأهميته، وإجابة المولى للمضطر إذا دعاه، وكشفه للسوء. انظر. التجاني: رحلة، ص ٢٤٨.

١٦)انظر. التجاني: رحلة، ص ٢٤٩؛ وبنو الأغلب هم ولاة إفريقية، كان بداية أو ابتداء أمرهم على يد "إبراهيم بن الأغلب" الذى ولاه الخليفة هارون الرشيد ولاية إفريقية سنة "١٨٤هـ/٨٠٠م" انظر. الرقيق القيروانى: أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم ت بعد سنة "٤٢٥هـ/١٠٣٣م" تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: عبدالعلى الزيدان، عز الدين عمر

موسى، ط ١ دار المغرب الإسلامي ١٩٩٠. ص ١٧٦ – ١٩٨ تحت عنوان ابتداء دولة بنى الأغلب" ولاية إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمى؛ وطرابلس مدينة قديمة جليلة على ساحل البحر، عامرة آهلة، وأهلها أخلاط من الناس، افتتحها سيدنا عمرو بن العاص سنة "٢٣هـ/٦٤٣م" في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت آخر ما افتتحه العرب في خلافة عمر. انظر. اليعقوبى: أحمد بن أبى يعقوب بن واضح ت "٢٨٤هـ/٨٩٧م" وصف أفريقيا الشمالية، مأخوذة من كتاب البلدان: نشر: هنرى بيريس، الجزائر ١٩٦٠ ص ٧.

١٧) انظر التجاني: رحلة، ص ٢٤٩؛ وهناك مساجد أخرى يذكرها التجاني فيما يسمى الآن بالأراضى الليبية ومنها مسجد المجاز، ومسجد العشـــرة، وفي جميع الأحوال لا أقصد الإحصـاء. انظر. التجاني:رحلة، ص ٢٥١، ٢٣٧.

١٨) الشخصيتان المذكورتان: توفي أحدهما– وهو الشيخ الحكيمى– سنة " ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦ م " ويخرج عن إطار البحث الزمنى، وذكرته هنا للدلالة على انتساب بعض الصالحين للمساجد، والثانى وهو أبو الحسن السيقاطى توفي سنة " ٤٢٠ هـ/١٠٢٩ م " وسيرد ذكره في موطن آخر عند الحديث عن بعض أعلام العلم. انظر. التجاني: المصدر السابق، ص ٢١٩.

١٩) انظر. التجاني: رحلة، ص ٢٤٦؛ وقد ورد ذكر الباب الأخضر ولعله أحد أبواب طرابلس، مثله مثل باب هوارة السابق ذكره، وهوارة يزعمون أنهم من البربر القدامى، أو من اليمن، ومنازلهم من آخر عمل سرت إلى طرابلس. انظر. اليعقوبى: وصف افريقيا، ص ٧؛ وعن طرابلس أيضا. انظر ياقوت: شهاب الدين أبى عبدالله ت " ٦٢٦هـ/١٢٢٨ م " معجم البلدان، مج ٤، ط٢ دار صادر بيروت ١٩٩٥ ص ٢٥–٢٦.

٢٠) انظر. التجاني: رحلة، ص ٢٥٣؛ والمراد ببنى عبيد هنا هى الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب التي بدأت منذ عام " ٢٩٦ هـ/٩٠٨م " وهو عام سقوط دولة الأغالبة، وفرار آخر حكامها زيادة الله الثالث إلى المشرق، وقد دام حكم الفاطميين في المغرب من خلال أربعة خلفاء: المهدى، القائم، المنصور، المعز لدين الله الفاطمى الذى توجه إلى مصر؛ وقد لاقت الدعوة الشيعية نجاحًا في الغرب لأسباب كثيرة منها: ضعف قوة الدولة العباسية، وانسلاخ الأندلس عن الخلافة العباسية، والعصبية بين العرب والبربر. انظر. ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص ١٤٦ – ١٤٩؛ مقدمة كتاب: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب للداعى إدريس عماد الدين، ط ١ دار الغرب الإسلامى ١٩٨٥ ص ٥؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب، ومصر، وسورية، وبلاد العرب، ط ٢ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨. ص ٤٣ – ٤٦؛ ومن المعروف أن الفاطميين يرجع مذهبهم الى الإمامية

الإسماعيلية، أحد الأقسام المنبثقة عن الشيعة الإمامية، وهم يعترفون بإمامة جعفر الصادق، إلا أنهم يسوقون الأمر من بعده إلى ابنه اسماعيل، ثم إلى أبنائه من بعده حتى عبيد الله المهدى مؤسس دولة الفاطميين. انظر. الشهرستانى: أبو الفتح محمد بن عبدالكريم ت "٥٦٤هـ/١١٥٣م" الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلانى، ج١، دار صعب بيروت ١٤٠٦/١٩٨٦م ص ١٩١ – ١٩٢؛ وأبو يزيد هو أبو يزيد بن مخلد بن كيداد اليفرنى، من أهل قسطيلية في جنوب إقليم إفريقية، نشأ بها، وانتقل إلى تاهرت، ودخل في جماعة الإباضية النكارية، واشتغل بالتعليم، وبدأت ثورته في حدود سنة "٣٣٠هـ/٩٤٢م" نتيجة للسخط الذى ملأ قلوب أهل إفريقية والمغرب الأوسط من محاولات نشر المذهب الإسماعيلى، وعلى سياستهم المالية، وكانت نهايته سنة "٣٣٦هـ/٩٤٧م"، تحدث عنه ابن خلدون، ونسبه إلى الصفرية، وهو الذى لقب بصاحب الحمار. انظر عنه. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، مج ٤، ص ٤٩–٥٤؛ مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، مج١/ج١، ط ١ العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٢ هـ/١٩٩٢. ص ٤٩٥ –٥٠٠؛ وأفضل من حديث ابن خلدون عن أبى يزيد ما ذكره ابن عذارى: البيان ١/ ص ٢١٦ –٢١٨؛ وعن القيروان كمدينة. انظر. اليعقوبى: وصف أفريقيا، ص ٨؛ وانظر ما قاله المستشرق الفرنسى الأستاذ جواتييه عن التمهيد لدعوة الفاطميين في المغرب على يد أبى عبدالله الشيعى واعتماده على قبيلة كتامة.

Cf. E. F. GAUTIER: Le PASSE Del' AFRIQUE Du NORD., PARIS 1942 p. 336

٢١) التجاني: رحلة، ص ٢٦؛ وابن الأغلب المذكور هو أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب، كانت وفاته سنة " ٢٤٣ هـ/٨٥٧م" وكانت ولايته سنة "٢٢٦هـ/٨٤٠م" في أعقاب وفاة أبى عقال الأغلب بن إبراهيم، واستمرت ولايته " خمس عشرة سنة وثمانية أشهر واثنى عشر يومًا ". انظر عنه. ابن عذارى: البيان، ج١، ص ١٠٧ – ١١٢؛ ابن وردان: مؤلف مجهول الشخصية من أعيان ق ٩هـ أو ١٠هـ/١٥، ١٦م" تاريخ مملكة الأغالبة، دراسة وتحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط ١ مكتبة مدبولى ١٩٨٨ ص ٥٧ – ٥٨ مع اختلاف عما أورده ابن عذارى، وهو الأقرب الى ماجاء به التجاني؛ وانظر عن سوسة. ياقوت: معجم البلدان، مج ٣، ص ٢٨١؛ الحميرى: أبو عبدالله محمد بن عبدالمنعم ت "٨٦٦هـ/١٤٦١م" كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢ مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ١٩٨٠. ص ٣٣١.

٢٢) انظر. التجاني: رحلة، ص ٦٩؛ وسحنون بن سعيد غنى عن التعريف في تاريخ المغرب وهو صاحب المدونة، وكانت وفاته سنة "٢٤٠هـ/٨٥٤م" أما ابنه محمد فهو صاحب آداب المعلمين، وكانت وفاته سنة "٢٥٦هـ/٨٦٩م" وهما من مشاهير أهل إفريقية الأغلبية؛ وعن مدينـــة صفاقس انظر. الشـــريف الإدريسى: أبو عبداللـــه

محمـــد ت "٥٤٨هـ/١١٥٤م" وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر: هنرى بيريس، الجزائر ١٩٥٧. ص ٧٧، الحميرى: المصدر السابق، ص ٣٦٥ – ٣٦٦.

٢٣) انظر. التجاني: رحلة، ١٥٨؛ وانظر عن مدينة توزر. ياقوت: معجم البلدان، مج٢، ص ٥٧؛ الحميرى: الروض، ص١٤٤؛ وهى من مدائن قسطيلية. انظر. اليعقوبى: وصف أفريقيا، ص ١٠.

٢٤)انظر. التجاني: رحلة، ص ١٢، ١٣؛ وجزيرة شريك المذكورة هنا تنسب إلى شريك العبسى فاتحها، وأوردها البكرى في كتابه أنها تنسب إلى شريك العبسى، وأوردها اليعقوبى باسم جزيرة أبى شريك، وجاء ذكرها في النزهة باشو، وأضاف أ. د مؤنس أنها تسمى بذلك نسبة إلى شريك بن سُمى المرادى فهو الذى فتحها، وتسمى الآن باشو. انظر. اليعقوبى: وصف، ص ٨؛ البكرى: المغرب، ص ٤٥؛ الإدريسى: وصف، ص ٨٧؛ مؤنس: تاريخ المغرب، مج١، ج١ ص ٩٠ وحاشية رقم ١، وإسماعيل بن رباح هنا هو إسماعيل بن رباح الجزرى، الذى ترجم له أبو العرب في طبقاته، وقال أنه من المخبتين، وجاء عنه أنه خرج حاجًا، وأن المركب غرقت بهم، فتقلد إسماعيل مصحفه ثم غرق، كانت وفاته سنة "٢١٢هـ/٨٢٧م" انظر. في ترجمته أبو العرب: محمد بن أحمد بن تميم القيروانى ت "٣٣٣هـ/٩٤٤م" طبقات علماء إفريقية وتونس، تقديم وتحقيق: على الشابى، نعيم حسن اليافي، ط٢ الدار التونسية للنشر – المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس – الجزائر ١٩٨٥ ص ١٤٥ – ١٥٠ ترجمة رقم ١٥؛ المالكى: أبو بكر عبدالله بن محمد ت بعد سنة "٤٦٠هـ/١٠٦٧م" كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، مراجعة: محمد العمروسى المطوى، ج١، ط٢ دار الغرب الإسلامي ١٩٩٤ ص ٣٣٣ – ٣٤٤ ترجمة رقم ١٢٥؛ والحادثة المذكورة هنا عند التجاني أوردها أبو العرب في طبقاته والمالكي في الرياض ٣٣٥/١؛ وجاء ذكر اسم والى الجزيرة في البيان هكذا "فضل بن أبى العنبر" تحت أحداث سنة ٢١٨ هـ. انظر. ابن عذارى: البيان، ج١، ص ١٠٥.

٢٥) الحديث الشريف أورده الإمام ابن ماجه عن واثلة بن الأسقع . انظر نص الحديث كاملًا. ابن ماجة القزوينى: الإمام أبو عبدالله محمد بن يزيد ت "٢٧٥هـ/٨٨٨م" سنن بن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقى، ج١، دار الحديث القاهرة. دون تاريخ ص ٢٧٤ باب رقم (٥) حديث رقم ٧٥٠.

٢٦)انظر على سبيل المثال. عبدالوهاب : بساط العقيق، ص ٥٥-٦٤؛ وانظر أيضًا ما كتبه أ. د محمود إسماعيل عن الأحوال الثقافية في إفريقية، وأن المساجد أصبحت مدارس لتعليم الفقه المالكى، ضمن كتابه. الأغالبة "١٨٤-٢٩٦هـ" سياستهم الخارجية، ط ٢١ مكتبة وراقة الجامعة فاس ١٩٧٨. ص ١٦٦؛ كما أشار أ. د حسن محمود إلى مساجد القيروان وحلقات التدريس بها وإنشاء دور الحكمة. انظر. حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ط ٣ دار الفكر العربى ١٩٨٦ ص ١٥٢.

٢٧) انظر إحسان عباس: تاريخ ليبيا، ط١، دار ليبيا للنشر ١٩٦٧ ص ١٠٧ -١١٤ . مفتاح: ليبيا منذ الفتح العربى، ص ٢٤٣ – ٢٧٠ في ذكرهما للفقهاء والعلماء والأدباء المحليين.

(*) الرباط هو ثكنة عسكرية ومدرسية تحتوى على صحن وعلى غرف للطلبة، كما تحتوى على مسجد كبير وصومعة للآذان لمراقبة السفن والقوافل وللإضاءة بالليل لتبادل الإشارات ، وهو ما يعنى أن الرباط كان ذا دور جهادى وتعليمى في آن واحد، أما الزاوية فهى أكثر خصوصية من الرباط من حيث أنها تركز على التعليم وأداء شعائر الدين. وقد سبق لصاحب هذا البحث. التعريف بهما ضمن الحديث عن مؤسسات التعليم في المغرب. انظر. عادل يحيى: العلم والتعليم في المغرب العربى ص ١٥٩، ١٦٤.

٢٨) انظر. مفتاح: ليبيا منذ الفتح العربى، ص ٢٥٦؛ وفي الحديث عن الأربطة يذكر أ. د. إحسان عباس – من قبل – في تاريخه عن ليبيا مايشير إلى أن المساجد كانت تتخذ رباطات للعبادة، وبخاصة على السواحل، ولهذا نشأ في ليبيا تيار زهدى يلحق بالتصوف، والإيمان بكرامات الزهاد في دور مبكر من تاريخها. انظر. عباس: تاريخ ليبيا ص ١٠٥.

٢٩) انظر. التجاني: رحلة، ص ٢١٣؛ وجاء ذكر زاوية أولاد سهيل عند ذكر قرية " صرمان " وسهيل صاحب هذه الزاوية رجل كان يعرف بأبى عيسى، مشهور بالصلاح، واستضافة من كان يرد عليه من الوافدين، توفي عام " ٦٧٣ هـ /١٢٧٤ م " وخلفه أبناؤه في رعاية الزاوية وهم ناس صلحاء، وفي هذا ما يضيف إلى الزاوية دورها الاجتماعى في مناسبات شتى، وهو ما رأيته بنفسى أثناء إقامتى بالجنوب الغربى من ليبيا فيما يسمى بالزاوية العيساوية في مدينة غات الليبية في جنوب غربى ليبيا، ويحدد أ. الزاوى مكان الزاوية الأن بأنها تقع غربى مدينة الزاوية بنحو ٧ ك. م، ومازالت مقصودة لحفظ القرآن الكريم، وبها حجر كثير لسكنى الطلبة، ولها أوقاف كثيرة، وينفق ريعها على ماتحتاج اليه من إصلاح، ومساعدة الطلبة الغرباء. انظر. الطاهر الزاوى: معجم البلدان الليبية، ص ١٥٦، ١٥٧.

٣٠) التجاني: رحلة، ص ٦؛ ونفس هذه المرويات أوردها البكرى في كتابه، وكان أحد مصادر التجاني. انظر. البكرى: المغرب، ص ٣٧، ٣٨؛ كما أورد الرقيق القيروانى –وهو أحد مصادر التجاني أيضا – ما ذكره علماء المشرق لأهل افريقية " من رابط عنا يوما برادس، حججنا عنه حجة " انظر. الرقيق القيروانى: تاريخ أفريقية، ص ٣٥، ٣٦؛ ورادس مرسى بحر تونس، ويطلق الاسم على المرسى، أو القرية المطلة على البحر. انظر عن رادس. كاتب مراكشى من كتاب ق " ٦ هـ/١٢ م " " كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق، سعد زغلول عبدالحميد، مشروع النشر المشترك (بغداد – المغرب) ١٩٨٥ ص ١٢٠؛ الحميرى: الروض، ٢٦٥، ٢٦٦.

٣١) يذكر صاحب الاستبصار أن بالقرب من محرس المنستير هذا نحو "خمسة محارس متقنة البناء معمورة بالصالحين"، مشيرًا إلى أن هؤلاء النفر حبسوا أنفسهم للجهاد، وكانت تخرج إليهم الصدقات من أهل البلاد المحيطة بهم، وذلك أثناء تعريفة بمدينة سوسة. انظر. كاتب مراكشى: كتاب الاستبصار، ص ١١٩، ١٢٠.

٣٢) التجاني: رحلة، ص ٣٠، ٣١؛ أبو العرب: طبقات علماء إفريقية، ص ٤٧، ٤٨، وفي حواشى رقم ١، ٢، ٣ من ص ٤٨ تعريف بالشخصيات المذكورة.

٣٣) التجاني: رحلة، ص ٣١؛ أبو العرب: طبقات، ص ٤٥، ٤٦ مع اختلاف عما أورده التجاني؛ وجاء الحديث الشريف في رياض النفوس متفقًا مع ماجاء به أبو العرب عن "ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بساحل قمونية باب من أبواب الجنة يقال له: المنستبر من دخله فبرحمة الله، ومن خرج منه فبعفو الله" انظر المالكى: رياض، ج١، ص ٧ وحاشية رقم ١٨ من نفس الصفحة للتعريف بـ "قمونية" والمراد بها الساحل التونسى؛ والمنستير من محارس سوسة، ذكره البكرى، وقال إن الذى بنى القصر الكبير بالمنستير هرثمة بن أعين سنة " ١٨٠هـ/٧٩٦م"، وبالمنستير البيوت والحجر والطواحين الفارسية، ومواجل الماء، وهو حصن عالى البناء، متقن العمل، وفي الطبقة الثانية منه المسجد... ولا يخلو من الصالحين والمرابطين. انظر. البكرى: المغرب، ص ٣٦، ٣٧، كاتب مراكشى: الاستبصار، ص ١٢٠؛ الحميرى: الروض، ص ٥٥١؛ الإدريسى: وصف، ٧٨، ٧٩؛ والمنستير مدفن الصالحين والعلماء والزهاد والمرابطين والنساك، وهو الذى دفن فيه الإمام أبى عبدالله محمد بن على بن عمر التميمى المشهور بالمازرى، المتوفي عام "٥٣٦هـ/١١٤١م"، وتم نقل جثمانه من المهدية إلى المنستير. انظر. حسن حسنى عبدالوهاب: الإمام المازرى، دار الكتب الشرقية تونس ١٣٤٨ هـ. ص ٩٥ وانظر في ص ٩٦ صورة لرباط المنستير من الداخل وانظر عن رباط المنستير أيضًا

M. VONDERHEYDEN: LA BERBERIE ORIENTALE SOUS LA DYNASTIE DES BENOU' L–ARLAB., PARIS 1927 P. 118.

٣٤) هناك طائفة أخرى من أحاديث الرسول –صلى الله عليه وسلم –في بيان أهمية الجهاد في إفريقية والحث عليه، منها ما قاله –صلى الله عليه وسلم –عن إفريقية أنها... "أشد بردًا وأعظم أجرًا" ومنها أيضا ما قاله الرسول –صلى الله عليه وسلم " ينقطع الجهاد من البلدان كلها فلا يبقى إلا بموضع هو في المغرب يقال له إفريقية... " وقد جاءت مثل هذه الأحاديث الشريفة في كتابات تاريخية كثيرة عند الحديث عن فضل إفريقية، وقد كانت رؤيتي لهذه الأحاديث التي أوردها التجاني بعضًا منها امتدادًا لرؤية وتحليل أستاذي أ. د الشعراوى. انظر. أبو العرب: طبقات، ص ٤٨ –٥١؛ أحمد إبراهيم الشعراوى: دور العرب في بلاد المغرب والأندلس، ط ١ القاهرة ٢٠١٥. ص ٢٠–٢١ حاشية رقم ٤.

٣٥) انظر. حسين مؤنس: تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ط ٢، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٣ ص ٧٣ –٧٥؛ وكانت المحاولات الأولى لفتح صقلية في عهد أبى محمد زيادة الله بن الأغلب، وهو أول من سمى زيادة الله بن بنى الأغلب "٢٠١ –٢٢٣هـ/٨١٦ –٨٣٨م" وبدأت الحملة على صقلية منذ عام"٢١٢هـ/٨٢٧م" وقد ذكر ابن عذارى أحداث الفتح تحت ذكر أحداث سنة "٢١٢هـ/٨٢٧م" قائلا... "وفي سنة ٢١٢ غزا زيادة الله صقلية، واجتمع له سبعون مركبًا، حمل فيها سبعمائة فرس " مشيرًا إلى أنه أقر " أسد بن الفرات " على القضاء مع القيادة، وخرج معه أشراف افريقية من العرب والجند والبربر والأندلسيين، ثم وفاته سنة "٢١٣هـ/٨٢٨م" أثناء حصارة لسرقوسة. وكانت صقلية تحت حكم الدولة البيزنطية، عاصمتها "بلرم" ويحكمها من يعرف بالبطريق ويسمى ببلاتوس، ويعرفه العرب بلاطة... وقد تتبع أ. د حسين مؤنس مراحل الفتح حتى تم الاستيلاء على بلرم سنة "٢١٦هـ/٧٣١م" مشيرا إلى أن الإسلام ظل ماثلًا في صقلية مايقرب من ٢٧٤ سنة، حيث لم تسقط في يد النورمان إلا في سنة "٤٨٥هـ/١٠٩١م" انظر. ابن عذارى: البيان، ج١، ص ١٠٢، ١٠٤؛ مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، مج١، ج١، ص ٢٧١ – ٢٨٧؛ معالم، ص ١٠٠–١٠٧؛ وانظر ما قاله أ. جورج مارسية عن "أسد بن الفرات" نقلًا عن أبى العرب والمالكى

Cf. GEORGES MARCAIS: LA BERBÉRIE. M., p. 90؛

VONDERHEYDEN: LA BERBERIE ORIENTALE..., p.p. 133–135

٣٦) التجاني رحلة، ص ٨٥؛ ولم تكشف مروية التجاني، ولا المحقق عن شخصية ابن الأغلب المذكور هنا، ولعله ابن الأغلب المذكور في الحاشية السابقة.

٣٧) التجاني: رحلة، ص ٢٦؛ وأبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب هو من تحدث عنه ابن عذارى في ولايته لإفريقية التي امتدت من سنة "٢٢٦–٢٤٢هـ/٨٤٠–٨٥٦م" فكانت ولايته تقترب من ستة عشر عامًا، وهو الذى يتزامن عهده مع تولية سحنون بن سعيد القضاء بإفريقية سنة "٢٣٣هـ/٨٤٧م" انظر. ابن

عذارى: البيان، ج١، ص ١٠٧ –١١٢؛ ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، ص ٥٧–٥٨ ويسميه أبو العباس عبدالله بن إبراهيم بن الأغلب، والصواب ماجاء به ابن عذارى.

٣٨) انظر. حسن على حسن: الحياة الدينية في المغرب " القرن الثالث الهجرى". القاهرة ١٩٨٥. ص ٣٩٥ – ٣٩٦؛ واستند المعتزلة في هذا الشأن إلى أن الله – سبحانه وتعالى – خالق كل شيئ، فيكون خالقاً للقرآن، وقد استمرت هذه المحنة في عهود المأمون، والمعتصم والواثق، ولم تنقشع المحنة إلا في عهد المتوكل عندما منع الخوض فيها سنة "٢٣٤هـ/٨٤٧م" بعد أن تركت آثارها الفكرية على ولايات الدولة العباسية ومنها بلاد المغرب التي ظهر نشاط المعتزلة فيها منذ ق"٢هـ/٨م" بفضل أحد دعاة المعتزلة له وهو عبدالله بن الحارث. انظر حسن على حسن: المرجع السابق، ص ٣٨٨، ٣٩٥ – ٤٠١؛ والمعتزلة هم أصحاب العدل والتوحيد، يلقبون بالقدرية والعدلية، واتفقوا فيما بينهم على أن الله تعالى قديم وأن كلامه محدث مخلوق، ويسمون بالواصلية نسبة إلي أبي حذيفة واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصري، وقد قام أ. د محمود إسماعيل بعمل تأصيل تاريخى لتواجدهم في بلاد المغرب. انظر الشهرستانى: الملل والنحل، ج١، ص ٤٣ – ٤٩؛ محمود إسماعيل: مغربيات " دراسات جديدة " فاس ١٩٧٧. ص ١٢٣ – ١٣٩.

٣٩) انظر. التجاني: رحلة، ص ١١٩؛ ولعل من المرجح هنا أن مروية التجاني التاريخية تشير إلى طائفة من نكارى الإباضية، والتي ينتسب إليها "أبو يزيد مخلد بن كبداد" صاحب الثورة على الفاطميين، والذى عرف بـ "صاحب الحمار". وربما كان من أسباب فشله قيام طائفته بمثل هذه الأعمال المنكرة، رغم أن ثورته كانت ضد التشيع، وقد سبق التعريف بيزيد بن مخلد في حاشية رقم (٢٠). أما عن نكار الإباضية فهو ما أفاض فيه ابن الصغير تحت أحداث فتنة النكار، وهم الذين أتوا الموضع المسمى بكدية النكار، وخرجوا على الإمام عبدالوهاب ثانى الأئمة الرستميين، ويتميز النكار بعدم تغسيل الموتى، وعدم الصلاة عليهم وعدم توريث البنت وتقبل المخالفين إذا أذنبوا بتكفير أهل الملة، وبسب الإمام على – رضى الله عنه – وتبقى فيهم صفة الغلو وجذور الصفرية... انظر. ابن الصغير: مؤرخ الدولة الرسمية عاصر ق "٣هـ/٩م" أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق: محمد ناصر، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامى ١٩٨٦. ص ٥٠–٥١؛ وحاشية رقم (١) من ص ٤٤ في انتسابهم إلى يزيد بن فندين؛ وانظر أيضا. حسن على حسن: الحياة الدينية. ص ٣٨٣؛ ومن المعروف لدى الدارسين والمتخصصين أن الإباضية والصفرية هما من مذاهب الخوراج التي انتشرت في بلاد المغرب، وأنهما أكثر فرق الخوارج ميلًا للمسالمة والتسامح مع المخالفين، إلا أن هذا لا يلغى – حسبما قال أ. د محمود إسماعيل – أن الصفرية أكثر

فرق الخوارج تطرفًا وأنهم اتخذوا موقفا وسطا بين الأزارقة المتطرفين في المشرق وبين الإباضية المعتدلين في المغرب. وينبغي أن يؤخذ في الاعتبار أيضا ما ذكره ابن حزم عن المذهب الإباضى بأنهم أقرب فرق الخوراج إلى أهل السنة، وقد قام صاحب هذا البحث بتتبع نشأة المذهبين على أرض المغرب وأماكن انتشارهما في إطار الحديث عن الظروف الفكرية في إطار دراسته عن التعليم، وما يمكن حسمه في النهاية أن مروية التجاني تشير إلى طائفة نكار الإباضية. انظر. ابن حزم: أبو محمد على بن أحمد ت "٤٥٦هـ/١٠٦٣م" الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢، مكتبة صبيح القاهرة ١٩٦٤ ص ١٠٦؛ محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب وحتى منتصف القرن الرابع الهجرى " ط ٢ مكتبة الحرية الحديثة جامعة عين شمس ١٩٨٦ ص ٤٤، ٤٢ –٥٧؛ وهناك كتابات أخرى تحدثت عن نشأة الخوارج في المشرق، وانقسامها إلى نحل متعددة، ثم انتقالها إلى إفريقية الشمالية. انظر. حسن حسني عبدالوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ط ٤ الدار التونسية للنشر ١٩٦٨ ص ٦٥–٦٦؛ وانظر أيضًا لصاحب البحث: العلم والتعلم في بلاد المغرب العربى، ص ٢٢–٢٤.

٤٠) انظر. التجاني: رحلة، ص ١١٩، ١٢٠؛ وقد ذكر الحميري عن جربة – بعد تعريفها جغرافيا– أنه يسكنها قوم من الخوارج، وأن الشر والنفاق موجود في جبلتهم، وأنهم أهل فتنة وخروج عن الطاعة ولا يتكلمون العربية، أما عن بجاية، فهى قاعد الغرب الأوسط، وبونة بلاد أفريقية على ساحل البحر، وقسنطينة من مشاهير بلاد أفريقية، ونفطة ونفراوة من البلاد التي عرف بها الحميرى، فذكر عن نفطة أنها في قصطيلية من بلاد الجريد، وأن نقزاوة بينها وبين القيروان مسير ستة أيام، أما زوارة فيعرف بها التجاني في رحلته ويذكر أنها قرية ذات نخل كثير، وهى الآن معروفة بموقعها في أقصى الشمال الغربى من ليبيا. انظر في التعريف بالبلدان المذكورة. الحميرى: الروض المعطار، ص ٨٠–٨١، ٤٨٠ – ٤٨١، ١١٥، ٥٧٨، ١٥٨ وهى بالترتيب. بجاية قسنطينة، بونة، نفطة، نفراوة، ثم جربة؛ وانظر التجاني في التعريف بزاورة ويسميها زوارة الصغرى، ص ٢٠٧.

٤١) التجاني: رحلة، ص ١٢٣؛ وهناك اختلاف حول طائفة أو فرقة الوهبية المذكورة، فهناك من يذكر أنها تنسب إلى عبدالله بن وهب الراسبى الأزدى من زعماء الخوارج المعروف بعلمه وفصاحته وسداد رأيه، وكان في جيش الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه، حتى وقعت قضية التحكيم، فانشق ابن وهب وكان مقتله في موقعة النهروان، وهناك من يذكر أن الوهبية هى الإباضية الأم الحاكمة في الدولة الرستمية، وأنها تنسب إلى الإمام عبدالوهاب بن عبدالرحمن "١٧١–٢٠٨هـ/٧٨٧ –٨٩٣م" ثانى

الأئمة الرستميين، في إشارة الى من تمسكوا بإمامته، في مقابل من أنكروها ممن يسمون "بالنكار" وهو ماسبق توضيحه في حاشية رقم ٣٩.وهناك مصادر متخصصة في المذاهب تذكر أن الوهبية لو كانت منسوبة إلى الإمام عبدالوهاب لكانت باسم الوهابية، والمرجح لى حسمًا أن الوهبية منسوب إلى عبدالله بن وهب الراسبى.
انظر. البرادى: أبو القاسم بن إبراهيم عاش في النصف الثانى من ق "٨هـ/١٤م" كتاب الجواهر، طبعة الشيخ محمد يوسف البارون والشيخ سليمان بن مسعود المجدلى، مصر – قسنطينة دون تاريخ. ص ١٧٤؛ وانظر أيضًا. ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص ٤٣ وحواشى المحققين رقم ١، ٢، ٣، وما فيها من مصادر قمت بالإطلاع عليها عند الحديث عن التعليم عند الإباضية، ولم أرد ذكرها هنا خشية الإطالة، وانظر أيضا. حسن على حسن: الحياة الدينية، ص ٣٨٣، ٣٨٤.

٤٢)انظر. التجاني: رحلة، ص ١٢٣؛ وقد سبق التعريف بالمعتزلة بإيجاز في حاشية رقم ٣٨، ولعله من المفيد هنا الإشارة إلى ما ذكره البغدادى عن الخلاف الذى حدث في أيام الحسن البصرى بينه وبين واصل بن عطاء في القدر، وفي المنزلة بين المنزلتين، وانضم إلى واصل عمرو بن عبيد البصرى الزاهد، وطرد الحسن لهما من مجلسه، فقيل لهما ولإتباعهما "معتزلة"، ويشير صاحب الفرق أيضا إلى افتراق المعتزلة إلى عشرين فرقة: منها الواصلية والعمروية، والهذلية... وغيرهم. انظر. البغدادى: عبدالقاهر بن طاهر بن محمد التميمى ت "٤٢٩هـ/١٠٣٧م" الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ص ٢٠، ٢١، ٢٤، ١١٧.

٤٣)انظر. التجاني: رحلة، ص ١٢٣، ١٢٤؛ ويعتمد التجاني في مروياته هنا على ما رآه بنفسه ووقع عليه، ويقول في هذا الشأن:– "والأفعال التي حكينا عنهم منهم ما شاهدناه وهو ما قصصنا، ومنهم ما حكاه عنهم الشريف" ويقصد هنا الشريف الإدريسى صاحب نزهة المشتاق، وقد تحدث الإدريسى عن نفس هذه الانحرافات الدينية عند حديثه عن جزيرة زيزو بالقرب من جربة. انظر. الإدريسى: وصف أفريقيا، ص ٩٥.

٤٤) انظر. التجاني: رحلة، ص ١٨٧.

٤٥) انظر التجاني: رحلة، ص ١٨٧، ١٨٨

٤٦) انظر. التجاني: رحلة، ص ٢١١، ٢٠٧؛ والأماكن المذكورة يعرف بها التجاني جغرافيا استنادًا إلى أن ما كتبه يعد من كتب الرحلات.

٤٧) انظر. التجاني: رحلة، ص ١١.

٤٨) انظر. حسن على حسن: الحياة الدينية، ص ٢٦١، ٢٦٢ وللتعريف بولاية "عبدالله بن إبراهيم بن الأغلب إفريقية" يمكن الرجوع إلى: ابن عذارى: البيان، ج١، ص ٩٥ – ٩٦؛ وقد أشار ابن عذارى إلى سوء أفعاله، وأن دولته كانت " خمسة أعوام وأشهرًا"

٤٩) التجاني: رحلة، ص ١٢؛ وحفص الجزرى المذكور هنا هو من جاءت ترجمته في الرياض بأنه (حفص بن عمر الجزرى) ولعل المرجح ماجاء به التجاني وأنه كان رجلا صالحًا فاضلًا زاهدًا، ظهرت له إجابات وإكرامات، مشيرًا إلى قصته مع عبدالله بن إبراهيم بن الأغلب. انظر. المالكى: رياض، ج١، ص ٣٣١ –٣٣٢ ترجمة رقم ١٢٣، كما ترجم أبو العرب أيضًا لمن اسمه "حفص بن عمارة الجزرى" والمرجح أنه شخصية واحدة هى المذكورة في مروية التجاني.

٥٠) انظر: التجاني: رحلة، ص ٥٦، ٥٧. أثناء حديثة عن قرية قصور الوردانيين؛ وقد ترجم المالكي للشيخ أبي محمد يونس بن محمد الوردانى، مشيرًا إلى أن الله سبحانه وتعالى سلمه "من فتنة بنى عبيد الله". انظر. المالكى: رياض النفوس، ج٢، ص ٤٥–٤٦ ترجمة رقم ١٧٢؛ وللأستاذ الدكتور. محمود إسماعيل بحث قيم عن المالكية والشيعة بإفريقية، تعرض فيه إلى نشأة التشيع في إفريقية في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، في أعقاب فشل الأدارسة في نشر التشيع في إفريقية، وكانوا من الشيعة الزيدية، ومشيرًا –في نفس الوقت –إلى تضافر عوامل عديدة ساهمت في نجاح الدعوى الشيعية، وأن الفقهاء المالكية لعبوا دورًا مهمًا في معارضة الدعوى إلى التشيع، وأن هذه المعارضة قد اتخذت أشكالا متعددة، وقد ذكر التجاني بعضًا من هذه الأشكال في مروياته التاريخية. انظر. محمود إسماعيل. المالكية والشيعة بإفريقية إبان قيام الدولة الفاطمية، المجلة التاريخية المصرية، مج ٢٣، ١٩٧٦. ص ٧٣ –٩٣ وفي ثنايا حديثه عن معارضة التشيع يذكر كثيرًا من النماذج الإيجابية اعتمادًا على ما جاء في كتب الطبقات والتراجم.

٥١) انظر. التجاني : رحلة ص ٢٦٥، ٢٦٦؛ وقد أشار ابن عذارى في بيانه إلى وقعة المشارقة تحت أحداث عام " ٤٠٧ هـ/١٠١٦ م " وفي ظل ولاية المعز بن باديس لإفريقية، مشيرا إلى وجود قوم بمدينة القيروان بحومة تعرف بدرب المعلى، كانوا من شرار الأمة، وكانوا يتسترون بمذهب الشيعة، وأن أيدى العامة انبسطت عليهم، فانتهبت دورهم وأموالهم، وقتل منهم خلق كثير، وقتل من لم يعرف مذهبه بالشبهة، ولجأ من بقى منهم بالمهدية إلى المسجد الجامع،... "فقتلوا به عن آخرهم رجالا ونساء". انظر ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص ٢٦٨؛ وقد سبق الإشارة إلى أن المعز بن باديس هو الذى قطع الدعوة الشيعية، وأعاد المذهب السنى إلى أفريقية، في حاشية رقم ١٠.

٥٢) انظر. التجاني: رحلة، ص ٢٦٦؛ والشيخ ابو الحسن القابسى هنا لعله أبو الحسن على بن محمد بن خلف القيروانى المتوفي عام "٤٠٣هـ/١٠١٢م" وهو صاحب الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين، التي تفضل بنشرها أ. د. أحمد فؤاد الأهوانى؛ وقد ورد ذكر ابن المنمر في تاريخ ابن خلدون عند حديثه عن طرابلس بوصفه رئيس الشورى بها يومئذ من الفقهاء، المشهور بعلم الفرائض، وأنه الذى مكن لـ"خزرون بن خليفة" في طرابلس التي لم تزل بأيدى بنى خزرون الزناتيين حتى مجئ العرب الهلالية. انظر. ابن خلدون: تاريخ، مج ٧، ص ٥٢ ويأتي اسمه ابن المنمر، وابن المثمر، والصواب ابن المنمر؛ وأفاض في التعريف به صاحب المنهل العذب، مشيرا إلى أنه من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، متقنًا لعلم الحديث، عارفا بالنحو واللغة، ومن المشهورين في علوم الفرائض والهيئة والميقات، وله تآليف كثيرة في الأزمنة، وله الكافي في الفرائض، وأنه رحل – قبل وفاته بسنتين – من طرابلس إلى "غنيمة" وهي قرية بمسلاته من عمل طرابلس، وتوفي بها سنة "٤٣٢هـ/١٠٤٠م" وقبره معروف يزار. انظر. السيد أحمد النائب الأنصاري: من أعيان طرابلس في ق "١٣هـ/١٩م" المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجانى، طرابلس الغرب –ليبيا دون تاريخ ص ١٠١.

٥٣)هذه الوحدة المشار إليها تبدو حقيقة تجمع بين بلاد المغرب عامة، من خلال مجموع الأقطار الأفريقية الممتدة غربى مصر بما فيها برقة وطرابلس، وهو ما أشار إليه نفر من الباحثين المغاربة. انظر. عبدالعزيز بن عبدالله: وحدة المغرب العربي "مظاهرها السلالية واللغوية والفكرية، تطوان، العدد الأول ١٩٥٦ ص ٥١.

٥٤)انظر. التجاني: رحلة، ص ٢٦٦؛ وفي ص ٢٦٥ من رحلة التجاني تعريف بالفقيه أبى مسلم مؤمن بن فرج الهوارى الطرابلسى، وهو صاحب مسجد يعرف باسمه لإقرائه به؛ وغنى عن القول هنا أن الشيعة لا يقرون صلاة التراويح التي يؤديها أهل السنة في شهر رمضان لأن سيدنا عمر بن الخطاب هو الذى شرعها أو بمعنى أدق وحد المسلمين عليها، وهذا معروف إسلاميًا. وقد تحدث المستشرق الفرنسى أ. الفرد بل في هذا الأمر عند حديثه عن الاختلافات بين السنة والشيعة. انظر. الفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي "من الفتح العربى حتى اليوم" ترجمة عن الفرنسية: عبدالرحمن بدوى، ط ٣ دار المغرب الإسلامي ١٩٨٧. ص ١٥٦؛ وقد سجل المالكى مناظرة في صلاة القيام أثناء ترجمته لابن الحداد المتوفي سنة "٣٠٢هـ/٩١٤م" وخُتمت بقول قاضى الشيعة محمد بن عمر المروذى "من صلى القيام ضربت عنقه" انظر. المالكى: رياض ج٢، ص ٦٠-٦٢.

٥٥) انظر. التجاني: رحلة، ص ٢٦٦.

٥٦)انظر. التجاني: رحلة، ص ٢١٩؛ وكتب الطبقات والتراجم تزخر بأسماء عديدة من أهل الفقه والعلم في الديار الليبية، وقد سبق الإشارة إلى ما كتبه أ. صالح مفتاح.

٥٧)انظر. التجاني: رحلة، ص ٢٦٥ –٢٦٧؛ وقد سبق الإشارة إلى ما ذكره ابن خلدون عن مساندة ابن المنمر لخزرون بن خليفة، ثم مجئ المنتصر بن خزرون ودخوله طرابلس، وهروب خزرون، وفي عهد المنتصر وقعت نكبة ابن المنمر. انظر. ابن خلدون: تاريخ، مج ٧، ص ٥٢، وهو ما أشار إليه التجاني ص ٢٦٧ من الرحلة.

٥٨) انظر. التجاني: رحلة، ص ٢٦٥، ٢٦١ حسب ترتيب الشخصيات المذكورة

٥٩) انظر. التجاني: رحلة، ص ٢٤٩

٦٠) انظر. التجاني: رحلة، ص ٢٤٨، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥١ حسب ترتيب الشخصيات المذكورة، وقد أورد صاحب المنهل العذب تراجم وافية لنفر من هؤلاء الصالحين منهم الشيخ أبى عثمان سعيد بن خلفون الحسانى، ويذكره " الحشانى " وكانت وفاته عام " ٣٦٢ هـ /٩٧٢ م " ويذكره بأنه من كبار الصوفية، حاويًا للعلوم اللدنية، وهناك الشيخ أبو نزار خطاب البرقى، وهو ممن توفي سنة " ٣٧٣ هـ/٩٨٣ م " مشيرًا إلى أن له كرامات خارقة، وأنه من أكابر العلماء العارفين... انظر. الأنصارى: المنهل العذب، ص ٨٩، ٩١.

٦١) انظر. التجاني: رحلة، ص ٥٦، ٥٧.

٦٢) انظر. التجاني: رحلة، ص ٣٣، وانظر في ترجمة ابن ميخائيل القرشى. ابن رشيق القيروانى: حسن بن رشيق ت " ٤٦٥ هـ /١٠٣٣ م " أنموذج الزمان في شعراء القيروان، جمعه= =وحققه: محمد العروسى المطوى، بشير البكوش، ط ٢ دار الغرب الإسلامى ص ٣٠١ – ٣٠٢ ترجمة رقم ٨٣.

٦٣) انظر. التجاني: رحلة، ص ٣٤؛ وانظر في ترجمة ابن الصفار السوسى. القيروانى: أنموذج الزمان، ص ٢١٥ – ٢١٨ ترجمة رقم ٥٦.

٦٤) انظر. التجاني: رحلة، ص ٣٥، ٣٦؛ وانظر في ترجمة أبى الفتوح بن محمد السوسى. ابن رشيق القيروانى: أنموذج ص ٦٣ – ٦٤ ترجمة رقم ٥.

٦٥) انظر. التجاني: رحلة، ص ٣٦؛ وانظر في ترجمة " القطان " عيسى بن إبراهيم أبو موسى القطان الأنموذج، ص ٢٥٥ –٢٥٦ ترجمة رقم ٧٠.

٦٦) انظر. التجاني: رحلة، ص ٣٧؛ الأنموذج، ص ١٨٨ – ١٩٠ ترجمة رقم ٤٨.

٦٧) انظر. التجاني: رحلة، ص ٣٨، الأنموذج، ص ٣١٢ –٣١٦ ترجمة رقم ٨٨ وهو محمد بن عبدون الوراق السوسى؛ ولعل هذا العدد الذى يذكره التجاني من شعراء إفريقية وتونس، فضلا عما جاء في الأنموذج من شعراء، يدحض ماقيل عن أن النشاط

الأدبى في مدرسة القيروان كان مقصورًا على الوافدين إلى البلاد من المشرق أو الأندلس. انظر. حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ص ١٥٧.

٦٨) مثال ذلك حديث التجاني عن منطقة قابس، وأن المرء لا يجد وجوه كثير من أهلها إلا مصفرة؛ وسبب ذلك يرجع الى اختلاط المياه بنوع من الشجر يسمى الدفلى وهذا يضر بأهلها، وحديثه عن أهل توزر وأنهم يعيرون بأكل لحوم الكلاب، ومدينة طرابلس التي يوجد بها بئر يسمى " بئر أبى الكنود " وأن من يشرب منه يفقد عقله، وهو مما نقله عن البكرى، وكذا حديثه عن شدة العواصف والرياح في مناطق بلاد نفزاوة، وسبب ذلك وجود طلسم كان مدفونًا، وأخرجه البعض، وكذا الحال في حديثه عن إبل غاصت في الأرض، ثم عادت الأرض كما كانت، وكأن لم تكن لتلك الإبل أثر... وهكذا. انظر. التجاني: رحلة، ص ٨٩، ١٦٠، ٢٥٩، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٥. حسب ترتيب الأساطير والغرائب.

٦٩) انظر. محمود إسماعيل: قضايا في التاريخ الإسلامى " منهج وتطبيق " دار العودة – مكتبة مدبولى (بيروت – القاهرة) ١٩٧٤ص ٨.

٧٠) قمت بالتعريف بكتب المناقب وأهميتها، مع ضرورة أخذها بشيء من الحذر؛ خاصة أنها تسرف في ذكر الخوارق والمعجزات والمعلومات ذات الطابع الأسطوري. انظر. عادل يحيى: العلم والتعليم صفحة ق، ر، ش وحاشية رقم (١) من صفحة ش؛ ومن أمثلة مرويات المناقب التي ذكرها التجاني في رحلته ما جاء عن الشيخ خطاب البرقى أنه كان يخاطب في النوم بجميع مايكون في اليقظة، وهناك من يخرج إلى الحج وهو مكفوف البصر، ويقول لمن يصحبه أنه يسمع من يقول له: يمينك – شمالك، أمامك – خلف، حتى يصل إلى مكة. وهناك من دعا على شخص كان يقطع حجارة من كهف تحت مسجد، فقال اللهم احصد عمره، فكان مقتله بسقوط جزء من الكهف عليه، وهناك من أخبر أنه رأى النبى – صلى الله عليه وسلم – نحوًا من أربعمائة مرة، وأنه كان يشاور النبى – صلى الله عليه وسلم – في أكثر أموره. انظر. التجاني: رحلة، ص ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٩؛ وقد أشرت إلى شئ من هذه المناقب في حاشية رقم ١٥، عند الحديث عن مسجد الشعاب الذى قيل عنه أن الخضر – عليه السلام – كان يجتمع فيه مع ابن الشعاب.!!!

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصدر الرئيس للبحث:-

التجاني: أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد ت بعد سنة " ٧١٧ هـ/١٣١٧ م "

– رحلة التجاني، تقديم وتحقيق: حسن حسنى عبدالوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ١٩٨١.

ثانيًا: المصادر: –

البرادى: أبو القاسم بن إبراهيم عاش في النصف الثاني من ق " ٨ هـ /١٤ م "

– كتاب الجواهر، طبعة الشيخ محمد يوسف البارون، والشيخ سليمان بن مسعود المجدلى، مصر – قسنطينة دون تاريخ.

البغدادي: عبدالقاهر طاهر بن محمد التميمى ت " ٤٢٩ هـ/١٠٣٧ م "

– الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ١٤١٣ هـ /١٩٩٢ م

البكري: أبو عبيدالله بن عبدالعزيز ت " ٤٨٧ هـ/١٠٩٧ م "

– جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك " تحقيق: د. عبدالرحمن الحجى، ط ١ دار الإرشاد ١٩٨٦

– المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، باريس ١٩٦٥

ابن حزم: أبو محمد على بن أحمد ت " ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣ م "

– الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢، مكتبة صبيح، القاهرة ١٩٦٤

الحميرى: أبو عبدالله محمد بن عبدالمنعم ت " ٨٦٦ هـ /١٤٦١ م "

– كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢ مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ١٩٨٠.

ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد ت " ٨٠٨ هـ /١٤٠٥ م "

– كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، مج ٤، ٦، ٧، ط ١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢.

الداعى إدريس عماد الدين: أحد دعاة الفاطميين باليمن ت " ٨٧٢ هـ /١٤٨٨ م "

– تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق: محمد اليعلاوى، ط١، دار الغرب الإسلامى ١٩٨٥ " استخدمت مقدمة التحقيق فقط "

ابن الدلائى: أحمد بن عمر بن أنس العذرى ت " ٤٧٨ هـ /١٠٨٥ م "

– نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: د. عبدالعزيز الأهوانى، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٦٥.

ابن رشيق القيرواني: حسن بن رشيق ت " ٤٦٥ هـ/١٠٣٣ م "

– أنموذج الزمان في شعراء القيروان، جمعه وحققه: محمد العروسى المطوى، بشير البكوش، ط ٢ دار الغرب الإسلامى ١٩٨٥

الرقيق القيرواني: أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم ت " ٤٢٥ هـ /١٠٣٣ م "

– تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق د. عبدالله العلى الزيدان، د. عز الدين عمر موسى، ط ١ دار الغرب الإسلامى ١٩٩٠.

ابن زاكور الفاسي: محمد ت " ١١٢٠ هـ /١٦٩٩ م "

– نشر أزاهر البستان فيمن أجازنى بالجزائر وتطوان، المطبعة الملكية الرباط ١٩٦٧.

الشريف الإدريسي: أبو عبدالله محمد ت " ٥٤٨ هـ /١١٥٤ م "

– وصف أفريقية الشمالية والصحراوية، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر: هنرى بيريس الجزائر ١٩٥٧.

الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبدالكريم ت " ٥٦٤ هـ /١١٥٣ م "

– الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلانى، ج١، دار صعب بيروت ١٤٠٦ هـ /١٩٨٦ م.

ابن الصغير: مؤرخ الدولة الرستمية عاصر ق " ٣ هـ /٩ م "

– أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق: محمد ناصر، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامى ١٩٨٦.

ابن عذارى المراكشي: عاش أوائل ق " ٨ هـ/ ١٤ م "

– البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج١، تحقيق ومراجعة. ج. س كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط٣ الدار العربية للكتاب دار الثقافة ١٩٨٣.

أبو العرب: محمد بن أحمد بن تميم القيرواني ت " ٣٣٣ هـ/٩٤٤م "

– طبقات علماء إفريقية وتونس، تقديم وتحقيق: على الشابى، نعيم حسن اليافي، ط٢ الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس – الجزائر ١٩٨٥.

ابن غالب: محمد بن أيوب ت " ٥٧١ هـ/ ١١٧٥ م "

– قطعة من كتاب فرحة الأنفس، نشر: د. لطفي عبدالبديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ١، ج٢، ١٩٥٥.

كاتب مراكشى من كتاب ق " ٦ هـ/١٢ م "

– كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: د. سعد زغلول عبدالحميد، مشروع النشر المشترك (بغداد – المغرب) ١٩٨٥.

ابن ماجة القزوينى: الإمام أبو عبدالله محمد بن يزيد ت " ٢٧٥ هـ/ ٨٨٨ م "

– سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقى، ج١ دار الحديث، القاهرة دون تاريخ.

المالكي: أبو بكر عبدالله بن محمد ت بعد سنة " ٤٦٠ هـ /١٠٦٧ م "

– كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسى المطوى، ج١، ج٢، ط ٢ دار الغرب الإسلامي ١٩٩٤.

النائب الأنصاري: السيد أحمد، من أعيان طرابلس ق " ١٣ هـ/ ١٩ م "

– المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجانى، طرابلس الغرب ليبيا دون تاريخ.

ابن وردان: مؤلف مجهول الشخصية من أعيان ق " ٩ أو ١٠ هـ / ١٥، ١٦ م "

– تاريخ مملكة الأغالبة، دراسة وتحقيق: د. محمد زينهم محمد عزب، ط١ مكتبة مدبولى ١٩٨٨ م.

ياقوت الحموى: شهاب الدين أبى عبدالله ت " ٦٢٦ هـ /١٢٢٨ م "

– معجم البلدان، مج ٣، مج٤،ط٢ دار صادر بيروت.١٩٩٥

اليعقوبى: أحمد بن أبى يعقوب بن واضح ت " ٢٨٤ هـ/٨٩٧ م "

– وصف أفريقيا الشمالية، مأخوذ من كتاب البلدان، نشر هنرى بيريس الجزائر ١٩٦٠.

ثالثا: المراجع (الكتب العربية –الدوريات – الكتب المترجمة)

إحسان عباس " د ":

– تاريخ ليبيا منذ الفتح العربى حتى القرن التاسع الهجري، ط ١ دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازى ١٣٨٧هـ/١٩٦٧ م.

أحمد إبراهيم الشعراوى " د ":

– دور العرب في بلاد المغرب والأندلس، ط١، القاهرة ٢٠١٥.

أحمد فكرى " د ":

– مساجد الإسلام، ج١، مسجد القيروان، مطبعة المعارف القاهرة ١٩٣٦.

حبيبة البورقادية:

– ملامح الشعوب في أدب الرحلات، المناهل، عدد ٣، السنة ٢، جمادى الثانية ١٣٧٥ هـ / يونيو ١٩٧٥ م

حسن إبراهيم حسن " د ":

– تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر ورسورية وبلاد العرب، ط ٢ مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٥.

حسن أحمد محمود " د "

– الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ط ٣ دار الفكر العربى ١٩٨٦.

حسن حسنى عبدالوهاب:

– ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، القسم الثالث: جمع وإشراف: محمد العروسى المطوى، مكتبة المنار تونس ١٩٧٢

– الإمام المازرى، ضمن نوابغ المغرب العربي بمناسبة مرور ثمانمائة عام على وفاته، دار الكتب الشرقية، تونس ١٣٤٨ هـ /١٩٢٩ م

– خلاصة تاريخ تونس، ط ٤ الدار التونسية للنشر ١٩٦٨.

– بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، ط٢ مكتبة المنار، تونس ١٩٧٠

حسن على حسن " د ":

– الحياة الدينية في المغرب " القرن الثالث الهجري " القاهرة ١٩٨٥

حسين مؤنس " د "

– تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد ١٩٦٧

– تاريخ المسلمين في البحر المتوسط " الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية " ط ٢ الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٣.

– تاريخ المغرب وحضارته، مج ١، ج١، ط١ العصر الحديث للنشـــر والتوزيع، بيروت ١٤١٢ هـ /١٩٩٢ م

– معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط٤ دار الرشاد ١٩٩٧.

سعد زغلول عبدالحميد " د ":

– تاريخ المغرب العربي، ج٣، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٩٠.

السيد عبدالعزيز سالم " د "

– التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٧.

– بيوت الله مساجد ومعاهد، ج٢، كتاب الشعب رقم ٧٨ مطابع الشعب ١٩٦٠.

صالح مصطفي مفتاح

– ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، ط ١، منشورات الشركة العالمية للنشر والتوزيع والإعلان يوليو ١٩٧٨.

الطاهر أحمد الزاوي:

– معجم البلدان الليبية، ط١ مكتبة النور، طرابلس ١٩٦٨.

عادل يحيى عبدالمنعم " د ":

– العلم والتعليم في بلاد المغرب العربى " من الفتح إلى نهاية دولة الموحدين " رسالة دكتوراة غير منشورة، عين شمس ٢٠٠٢ م ".

– الأثنوجرافيا والسوسيوجرافيا في الإطار الجغرافي لبلدان المغرب العربى من خلال رحلة أبى عبدالله محمد... العبدرى المتوقي بعد سنة " ٧٠٠ هـ /١٣٠٠ م " بين الموضوعية في النقد والتطرف في الرأى، مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط، عدد ٤٣، سبتمبتر ٢٠١٧ " قيد النشر حاليا ".

عبدالعزيز بن عبدالله " د ":

– وحدة المغرب العربي " مظاهرها السلالية واللغوية والفكرية، تطوان، العدد الأول ١٩٥٦.

الفرد بل:

– الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي " من الفتح العربي حتى اليوم " ترجمة عن الفرنسية: د. عبدالرحمن بدوى، ط ٣ دار الغرب الإسلامي ١٩٨٧.

فؤاد قنديل:

– أدب الرحلة في التراث العربى، ط٢، مكتبة الدار العربية، يوليو ٢٠١٠.

محمد محمد زيتون " د ":

– القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط ١ دار المنار القاهرة ١٩٨٨.

محمود إسماعيل عبدالرازق " د ":

– الأغالبة " ١٨٤ – ٢٩٦هـ " سياستهم الخارجية، ط ٢ مكتبة وراقة الجامعة فاس ١٩٧٨

– الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط٢ مكتبة الحرية الحديثة، جامعة عين شمس ١٩٨٦.

– المالكية والشيعة بافريقية إبان قيام الدولة الفاطمية المجلة التاريخية المصرية، مج ٢٣، ١٩٧٦.

– مغربيات " دراسات جديدة " فاس ١٩٧٧.

– قضايا في التاريخ الإسلامي " منهج وتطبيق " دار العودة – مكتبة مدبولى (بيروت – القاهرة) ١٩٧٤.

نجيب العقيقى:

– المستشرقون، ج١، ط ٤، دار المعارف دون تاريخ.

رابعا: المراجع الأجنبية:-

BLACÉRE (R):

- ABDALLÀH ALTIGANI., RIHLAT- ALTIGANI., ARABICA., TOME. VII., LEIDEN. 1960.

GAUTIER (E. F.):

- LE PASSE Del' AFRIQUE Du NORD., PARIS 1942.

MARCAIS (GEORGES):

- LA BERBÉRIE MUSULMANE ET L'ORIENT AU MOYEN AGE PARIS 1946.

VONDERHEYDEN (M):

- LA BERBERIE ORIENTALE SOUS LA DYNASTIE DES BENOU' L–ARLAB., PARIS 1927.

الدور السياسي لمدينة البُشرَات الأندلسية

في الربع الأخير من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي

دكتور حسام محمود المحلاوى

مدرس بكلية الآداب– جامعة دمياط

ملخص:

يتناول هذا البحث بالدراسة تاريخ مدينة البشرات الأندلسية فترة سقوط مملكة غرناطة نهائياً في قبضة الممالك المسيحية، وإماطة اللثام عن تاريخها السياسي وما لعبته من دور فعال في تلك الفترة وربط تاريخ المدينة قبيل السقوط بتاريخها المُشَرِّف بعد السقوط، ولدراسة المقومات الجغرافية والسياسية التي جعلت منها مركزاً لانطلاق الثورات في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

ويرصد البحث بعد التعريف بالمدينة وموقعها الجغرافي الدور الذي لعبته على مسرح الأحداث السياسية في الأندلس في تلك الفترة، من العمل بكل جد لنجدة المدن الإسلامية قبيل سقوطها وتم رصد ثلاثة أمثلة لوقفتها مع المدن الإسلامية، فقد حاولت إنقاذ بلش مالقة، وساعدت مدينة بسطة بكل قوة، علاوة على الدور الفعال أثناء حصار غرناطة العاصمة، كما تم رصد الثورة التي انطلقت في البشرات بعد سقوطها في قبضة قشتالة، والتي أعادتها إلى الدولة الإسلامية مرة أخرى، ثم سقوطها بعد ذلك نهائياً بعد استسلام غرناطة العاصمة في عام ٨٩٧هـ /١٤٩٢م .

Abstract

This paper examines the history of the city of Andalusia, the period of the fall of the Kingdom of Granada, finally in the grip of the Christian kingdoms, and unveil its political history and its active role in that period and linking the history of the city before the fall with its honorable history after the fall, and to study the geographical and political constituents that made it a center of departure Revolutions in the tenth century AH / 16th century AD.

The research, after the definition of the city and its geographical location, monitored the role it played on the political scene in Andalusia in that period, from working very hard to help the Islamic cities before its fall. Three examples of its stand with Islamic cities were monitored. In addition to the active role during the siege of Granada, the capital, was also monitored the revolution, which was launched in humans after falling in the grip of Castile, which returned it to the Islamic State again, and then fell definitively after the surrender of Granada, the capital in 897 AH / 1492 AD.

مدينة البُشرات إحدى مدن الجنوب الأندلسي، شكلت وأحوازها إقليماً معروفاً، وفاقت شهرتها كل البلاد الأندلسية بعد نهاية دولة الإسلام في الأندلس بسقوط غرناطة في عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م، فقد فاقت شهرتها في التاريخ الحديث- وتحديداً في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي- المدن الإسبانية الأخرى، فقد كانت مهد الثورات، وحملت راية العصيان ضد ملوك إسبانيا، اعتراضاً على سوء معاملتهم، وإرغامهم على ترك دينهم .

ومع تلك الشهرة الواسعة في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، لكونها المدينة صاحبة أقوى وأعظم الثورات ضد التمييز العرقي، والتشدد الديني لملوك أسبانيا، الذي انعكس على أوضاعهم، إلا أن تاريخها قبيل سقوط الأندلس لا زال يكتنفه الكثير من الغموض، فشهرتها بعد سقوط الأندلس فاق بكثير تاريخها السياسي والحضاري قبيل السقوط، فلم تحظ باهتمام الكثير من المؤرخين، ولا يكاد يصل ذكرها لسطور متناثرة على صفحات الكتب التاريخية والجغرافية على حد السواء، ربما لكونها كانت منطقة غير آهلة بالسكان لفترات طويلة، فهى لم تعرف تكدساً سوى مع مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي بسبب نزوح الكثير من المسلمين إليها بعد سقوط مدنهم، أو لكونها منطقة جبلية وعرة، كانت ملاذاً آمنا لكل من لجأ إليها متحصناً من غارات القوى المسيحية.

وقد وقع الاختيار على تاريخ هذه المدينة في الربع الأخير من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، لربط تاريخ المدينة قبيل السقوط بتاريخها المُشَرِّف بعد السقوط، ولدراسة المقومات الجغرافية والسياسية التي جعلت منها مركزاً لانطلاق الثورات في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، فهل كانت جغرافيتها وحصانتها سبباً في اندلاع الثورات منها، أم كونها جمعت مسلمين من بلاد عدة بعد سقوط مدنهم، وكانوا قد ذاقوا مرارة العيش تحت نير التمييز والعنصرية وسياسة الإذلال التي انتهجها الملوك الإسبان حتى قبيل سقوط مملكة غرناطة نهائياً فى عام ٨٩٧هـ /١٤٩٢م.

وعلى الرغم من أن مدينة البشرات من المدن الأندلسية الصغيرة والمغمورة فهى ليست كالمرية أو مالقة أو الجزيرة الخضراء أو غرناطة أو غيرها من المدن ذات الشهرة الواسعة، إلا أنها فجأة ظهرت على المسرح السياسي الأندلسي، لتعلب دوراً سياسياً مهماً بين كل المدن الأندلسية، وبخاصة في فترة السقوط، ربما لقربها من غرناطة العاصمة آخر معاقل المسلمين في بلاد الأندلس، كما أنها كانت شاهداً علي سقوط المدن والحصون الإسلامية الواحدة تلو الأخرى، وحاولت بكل قوة مساندة بعض المدن الإسلامية قبيل سقوطها في قبضة القوى المسيحية، مقدمة لها العون والمدد، إحساساً منها بمسئوليتها تجاه غيرها من المدن، ولأن أغلب سكانها ذاقوا مرارة الفرقة والتشريد قبل هجرتهم للبشرات بسقوط المدينة التي كان قد نشأ وتربى فيها.

وقد اقتضت دراسة الموضوع تقسيمه إلى عدة نقاط رئيسة :

أولاً : البشرات : الاسم والموقع

ثانياً: دور البشرات فى نجدة المدن الإسلامية قبيل سقوطها

ثالثاً : ثورة البشرات ٨٩٥هـ /١٤٩٠م

رابعاً: سقوط مدينة البشرات ٨٩٧هـ /١٤٩٢م .

وأنهى هذا البحث بفضل الله بخاتمة تضم أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التى اعتمدت عليها فى إتمام هذا البحث .

أولاً : البشرات: الاسم، والموقع الجغرافي :

البشرات Alpujarras مدينة مهمة من مدن الجنوب الأندلسى، ورد ذكرها كثيراً فى المصادر التاريخية فى الربع الأخير من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى، لما كان لها من دور فعال فترة سقوط بلاد الأندلس نهائياً فى قبضة القوى المسيحية الموحدة (مملكتي قشتالة وأراجون) [١]، كما سيتضح فى الصفحات التالية.

---

(١) كان عام ٨٧٤هـ /١٤٦٩م نقطة تحول كبرى لصالح القوى المسيحية فى شبه الجزيرة الأيبيرية، وذلك باتحاد مملكتى قشتالة وأراجون فى قوة مسيحية واحدة بزواج الأميرة إيزابيلا Esabel ولية=

وقد وردت فى المصادر التاريخية والجغرافية بمسميات عدة تدور كلها حول لفظ البشرات، فقد وردت باسم البشرات عند ابن سعيد المغربى ووضع فيها كتاباً أسماه ".. كتاب المَسَرَّات في عمل البُشرَات ..." (١). وذكرها أيضاً المؤرخ المجهول صاحب كتاب نبذة العصر باسم البشرات "... فبعث أهل وادي آش والبشرات إلي أمير غرناطة يستنصرونه..." (٢) . كما وردت باسم البشارات بالألف بعد الشين فقد ذكرها المؤرخ ابن الخطيب في الإحاطة بهذا الاسم "... ولى القضاء بمواضع من الأندلس كثيرة من البشارات أقام بها أعوامًا خمسة..." (٣)، وفى موضع آخر "... ولي القضاء

=العرش فى مملكة قشتالة،والأخت غير الشقيقة للملك هنرى الرابع من الأمير فرناندو Fernando ولى عرش مملكة أراجون وابن الملك خوان الاثانى ملك أراجون. وبعد وفاة الملك القشتالى هنرى الرابع فى عام ٨٧٨هـ /١٤٧٤م تولت الملكة إيزابيلا وزوجها حكم مملكة قشتالة، ثم انضمت إليها أراجون بعد أن ورث فرناندو الخامس العرش عن والده خوان الثانى بعد وفاته في عام ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م، وبذلك أصبحتا قوة واحدة مسلطة على رقاب المسلمين فى بلاد الأندلس. انظر: يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين– ترجمة محمد عبد الله عنان،القاهرة، ١٩٤٠م، ص ص ١٠–١١؛ عبد الواحد ذنون طه: تحالف الممالك الإسبانية فى الأندلس وأثره على سقوط غرناطة، مجلة البحث العلمى، المغرب، ع ٣٤، ١٩٨٤م ص ٧٠؛ محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،، ١٩٩٧م، ص ١٨٥–١٩٥؛

Canning, J.:100 Great Kings, Queens and Rulers of the worled– New York,1988, p. 366–367

(١) ابن سعيد المغرب : المُغرب في حُلي المَغرب، تحقيق شوقي ضيف ،دار المعارف، القاهرة ، ٢٠٠٩م ، ج٢ ، ص١٣١.

(٢) مجهول: نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر(تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلي المغرب)، تحقيق، الفريد البستاني ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٢م، ص٣٥–٣٦.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة –تحقيق عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٧٤م، ج١، ص ١٦٤ .

بجهات من البشارات .." [١]، ووردت بذات الاسم عند المؤرخ شكيب أرسلان فى الحلل السندسية ".. ويتلو هذا الإقليم البشارات.."[٢].

كما وردت عند ابن الخطيب فى الإحاطة باسم الشَّارّات بدون حرف الباء "... وتحرك منها بعد الغد إلى الساحل فشق العِمامة الآمنة من الإقليم والشارات.."[٣] .

كما وردت في بعض المصادر باسم البَشرة، فقد ذكرها المقري بهذا الاسم "..يوجد في ناحية دلاية من إقليم البشرة ...." [٤]. وذكرها المؤرخ المجهول صاحب كتاب نبذة العصر بذات الاسم "... وقطع الطريق من البشرة فقل الطعام عند ذلك في أسواق المسلمين في غرناطة.." [٥]وفى موضع آخر "... وأن الطريق الذي كانت يأتيهم عليها الطعام والفواكه من البشرة انقطعت ..". [٦]

كما وردت باسم البشرة مقرونة باسم آخر فقد ذكرها ابن الخطيب في اللمحة البدرية باسم بشرة بني حسان "... وإقليم بشرة بني حسَّان..... وهو معدن من معادن الحرير .." [٧]، ووردت عند المقري باسم بشرة غرناطة "... ومن غرائب الأندلس أن به شجرتين من شجر القسطل ،وهما عظيمتان جداً إحداهما بسند وادي آش والأخري ببَشرة غرناطة ...." [٨].

ويبدو واضحاً ارتباط الاسم بالطبيعة الجغرافية، فالبشارات تشير إلى الهضاب والمرتفعات، وهذه الكلمة محرفة من كلمة Sierras اللاتينية وتعنى الجبال الوعرة، فهى فى

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣، ص ٣٠٦.

(٢) شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار كلمات ، القاهرة ، د.ت، ج١ ، ص٧٥

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣، ص ١١١.

(٤) المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت،١٩٦٨، ج١، ص١٤٠-١٤١ .

(٥) مجهول : نبذة العصر، ص ٣٩-٤٠ .

(٦) مجهول : نبذة العصر، ص٤١ .

(٧) ابن الخطيب : اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية ، تحقيق محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت ، ٢٠٠٩م، ص٥٢ .

(٨) المقري : نفح الطيب ، ج١ ، ص١٥٠ .

مجملها منطقة جبلية تتخللها التلال الصلدة ، والأخاديد العميقة، فى منطقة جبلية واقعة جنوب سفح جبل شلير أو جبل الثلج Sirra Nevada [١]، وعلي مقربة من البحر المتوسط، ويبلغ طول هذه المنطقة نحو تسعة عشر ميلاً ، وعرضها نحو أحد عشر ميلاً.[٢]

ولهذه الطبيعة الوعرة فضل المسلمون المدجنون Los Mudéjares [٣] الهجرة إليها بعد سقوط مدنهم فى قبضة مملكتى قشتالة وأراجون، وربما كان هذا هو السبب أيضاً فى هجرة المسلمين إليها بعد سقوط غرناطة، نظراً لصعوبة الوصول إليها، مع سهولة تحصينها، علاوة على الحصانة التى منحها لها الله بهذا الموقع المحصن طبيعياً[٤].

ووقد شكلت البشرات وأحوازها وبعض القرى والحصون القريبة منها إقليماً ضم عدداً من البلدان التابعة له، ولطبيعته الجغرافية كانت تتبعه عدداً كبيراً من الحصون، أهمها حسبما ذكر ابن

---

(١) جبل شيلر أو جبل الثلج وهو جبل سيرا نيفادا Sirra Nevada وهو تحريف للاسم اللاتينى القديم Solorius أى جبل الشمس، وذلك لشدة لمعاناة نتيجة لانعكاس أشعة الشمس على قممه المغطاة بالثلوج الناصعة صيفًا وشتاءً ويبلغ ارتفاعه ٣٤٨١ مترًا . ويقع فى الجهة القبلية من مدينة غرناطة . انظر : الزهرى: كتاب الجغرافية،تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت ص٩٦ ؛ الحميرى : الروض المعطار فى خبر الأقطار –تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٤م ص ص ٣٤٣-٣٤٤..

(٢) عبد الواحد ذنون طه: حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة ، دار المدار الإسلامي، بيروت ،٢٠٠٤م، ص٢٧.

(٣) أطلق المسلمون لفظ المدجن على كل مسلم أقام فى أراضى خاضعة لحكم الممالك المسيحية، ومعناه الخضوع، وقد حرف أهالى مملكة قشتالة لفظ مدجن إلى مدجل أو مدجر، ثم انتقل إلى الرومانسية الدارجة Mudéjar . أما فى مملكة أراجون فقد أطلق عليهم قبل القرن التاسع الهجرى / الخامس عسر الميلادى اسم سارهيم Sarrahim . أو لفظ سارينز Sarrins كما أطلق عليهم البعض فى أراجون اسم مسلمو السلام Moro de Paz . كما عرفوا ب مورو Moro أى المسلم . وهذا اللفظ سابق للفظ الموريسكيين Moriscos الذى أطلق على المسلمين من مملكة غرناطة الذين خضعوا للتاج القشتالى فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى . وبعد سقوط مملكة غرناطة عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م عمم هذا اللفظ على المسلمين فى بلاد الأندلس أجمعين. انظر : مرثيديس غارثيا أرينال : شتات أهل الأندلس (المهاجرون الأندلسيون) –ترجمة محمود فكرى عبد السميع، القاهرة،٢٠٠٦م، ص ص٧١-٧٢.

(٤) ابن الخطيب:اللمحة البدرية، ص٥٢؛ عبد الواحد ذنون طه: حركة المقاومة العربية الإسلامية، ص٢٧.

سعيد حصن الْعقَاب، وحصن بلور، ومن أشهر قراها قَرْيَة ركونة [١]، وذكر ابن الخطيب أيضاً عدداً من الحصون أهمها حصن بَرجة والعذراء والقُليعة ، وحصن شبالش، وبلدة دلاية [٢].

وعلى الرغم من الطبيعة الجغرافية الوعرة للبشرات على النحو سالف الذكر، إلا أنها اشتهرت برقعتها الخصبة وحدائقها اليانعة، فعلى الرغم من ازدياد عدد السكان بها فى أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي لكثرة الهجرة إليها، إلا أنها كانت غنية من الناحية الاقتصادية لدرجة تكفل لهم الحياة بهذه المنطقة من ناحية، ومساعدة المناطق القريبة منها من ناحية أخرى، وبخاصة في أوقات الحصار [٣]، كما سيتضح في الصفحات التالية.

كما ذكر المؤرخ ابن الخطيب أن بالبشرات ".. عمران عظيم وهو معدن من معادن الحرير .." [٤] . كما ذكر المقري في نفح الطيب ما يدلل على ذلك أيضاً، من رخائها وازدهارها والخير الذي اتسم به أهلها، وظهر وقت الشدة بالنسبة لجيرانها [٥].

والمؤرخ المجهول صاحب الرواية الإسلامية الوحيدة عن سقوط مملكة غرناطة، يذكر أن وقت حصار غرناطة كان أهل البشرات يمدونها بخيرات كثيرة من مزروعاتها وأهمها القمح والذرة والشعير والزيت والزبيب [٦]، وهو ما يدلل بصورة قوية على ازدهار البشرات من الناحية الاقتصادية .

كما عملت الطبيعة الجغرافية لإقليم البشرات على انتشار حرفة الرعى وتربية الحيوانات، وهو ما ساعد كثيراً في كثرة مساعداتها لجيرانها في أوقات الحصار، وكانت مرتفعات المملكة وغاباتها تذخر بالحيوانات المختلفة التي كانت هدفاً للصيد،

---

(١) ابن سعيد المغرب : المُغرب في حُلي المَغرب، ص١٣١.
(٢) ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص٥٢.
(٣) مجهول : نبذة العصر، ص٣٩.
(٤) ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص٥٢.
(٥) المقري : نفح الطيب ، ج٤ ، ص٥٢٤-٥٢٥.
(٦) مجهول : نبذة العصر، ص٣٩ .

ويذكر الدكتور أحمد محمد الطوخى أنه في عام٨٩٩هـ/١٤٩٤م دهش الرحالة خيرونيمو مونز في زيارته للبشرات من كثرة الحيوانات التي صيدت مثل الدببة، والخنازير الجبلية، والوعول ، والظباء من المناطق الجبلية فيها(١).

ويتضح مما سبق أن الطبيعة الجغرافية لإقليم البشرات تدخلت بشكل مباشر فى دورها السياسي، حيث كانت الطبيعة الوعرة السبب المباشر في فرار المسلمين إليها من بطش القوى المسيحية بعد نجاحها في الاستيلاء على مدنهم وهو ما شكل ملاذاً آمناً لهم، حيث تحصينه الطبيعي، وسهولة تحصينه بتشييد الحصون على مرتفاعته، علاوة على كثرة سكانه فى تلك الفترة، كما أن كثرة خيراته ومراعيه كانت ذات أثر أيضاً .

ثانياً: دور أهل البشرات في الفتنة الأهلية فى غرناطة ٨٩١-٨٩٢هـ /١٤٨٦-١٤٨٧م .

تجلى دور البشرات السياسى بصورة كبيرة فترة سقوط غرناطة، وتحديداً في السنوات الأخيرة من عمر دولة الإسلام في الأندلس، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا؛ كيف ظهرت هذه المدينة وأحوازها فجأة على المسرح السياسى وتحولت من دور التابع لدور الزعامة في فترة كان الأندلسيون يعيشون الفترة العصيبة من تاريخهم، وهى فترة سقوط دولتهم نهائياً بعد أن استمرت ثمانية قرون كاملة ؟

وللإجابة على هذا التساؤل يجب النظر بدقة فى الخريطة السياسية لدولة الإسلام في بلاد الأندلس في تلك الفترة، فقد دارت الدائرة عليهم فى فترة وجيزة، وأصبح مصيرهم في قبضة عدوهم، وبدأت تظهر شخصيات للأسف الشديد تتعاون مع النصارى ضد المسلمين بقصد أو بغير قصد، وزاد التشكيك بينهم، ومن هنا بدأت مرحلة جديدة من مراحل الصراع الإسلامي المسيحي في بلاد الأندلس، وهى مرحلة لفظ الأنفاس الأخيرة بالنسبة للمسلمين .

والحقيقة أن هذه المرحلة كانت قد بدأت مبكراً بعد هزيمة الموحدين فى موقعة

---

(١) أحمد محمد الطوخي : مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر ، مؤسسة شباب الجامعة ، القاهرة ، ١٩٩٧م، ص١٢٧ .

العقاب فى عام ٦٠٩هـ /١٢١٢م،Las Navas de Tolosa [١] وما ترتب عليه من كثرة سقوط المدن الأندلسية في قبضة الممالك المسيحية والتوسع على حساب المسلمين، وعلى الرغم من أن مملكة غرناطة التي قامت لتوحيد الجبهة الإسلامية ضد القوى المسيحية ظلت تطاحن زهاء قرنين ونصف القرن وسط هذه الممالك، إلا أنها في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي كانت قد كتبت شهادة وفاتها بنفسها بعد أن استشرى الضعف في جسدها، واحتدم الصراع داخل البيت الحاكم، وارتضى البعض منهم مهادنة القوى المسيحية، بل والاستعانة بها ضد البلدان الإسلامية، كما سيتضح فى الصفحات التالية .

ومع سقوط المدن الأندلسية الكبرى بدأ المسلمون فى البحث عن ملاذ آمن، يتحصنون به، بل ويمكن أن يتخذونها قاعدة لهم لنجدة إخوانهم إذا ما اقتضت الحاجة، ووقعت أعين أغلبهم على منطقة البشرات الجبلية، التي وهبها الله تحصيناً طبيعياً يكفل لهم حمايتهم، علاوة على قربها من العاصمة غرناطة، فقرروا أن تكون هي قاعدتهم الجديدة، ومن هنا بدأت البشرات تلعب الدور المحوري في تاريخ تلك الفترة.

وكان أولى المواقف السياسية لأهالي البشرات، ذلك الدور الذى لعبته في أثناء الفتنة الأهلية في غرناطة، والتي تحولت لحرب طاحنة،أنهكت المملكة، وأنهكت قواها، واستنفذتها في حرب داخلية بدلاً من أن تثتثمرها في رد العدوان القشتالى على

(١) معركة العقاب Las Navas de Tolosa: سميت بذلك نسبة إلى قرية العقاب التى تقع بين جيان وقلعة رباح وعلى أرضها دارت المعركة بين الجانبين. الإسلامى بقيادة سلطانهم محمد الناصر، والمسيحى تتزعمه قشتالة بقيادة ملكها ألفونسو الثامن Alfanso VIII، وضم أيضًا قوات من أراجون والبرتغال ونافار – التى تقع فى الشمال من مملكتى قشتالة وأراجون– وتلقى المسلمون فيها هزيمة قاسية. وللمزيد عن معركة العقاب انظر: عبد الواحد المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب –تحقيق محمد زينهم، القاهرة، ١٩٩٤م،ص٢٦٥؛ ابن عذارى: البيان المغرب فى اختصار ملوك الأندلس والمغرب– تحقيق اميروس هويثى ميرانده، محمد بن تاويت، الرباط، ١٩٦٢، ج٣، ص ص ٣٤٠–٣٤٣؛ صبحى عبد المجيد إدريس: عصر الخليفة الناصر الموحدى فى المغرب والأندلس– رسالة دكتوراة، آداب طنطا، ١٩٩٩م، ص ١٥٨–١٦٠.

أراضيها، تلك الحرب التي دارت بين السلطان أبى عبد الله محمد بن أبى الحسن على الملقب بالصغير [١](٨٨٧-٨٩٧هـ /١٤٨٢-١٤٩٢م)، وبين عمه أبو عبد الله محمد بن سعد الملقب بالزغل[٢] .

فبعد أن وقع السلطان أبو عبد الله محمد الصغير أسيراً في قبضة مملكة قشتالة في موقعة اللسانة Lucena [٣]عام ٨٨٨هـ / ١٤٨٢م،أحد المعارك التي درات بين مملكتي غرناطة وقشتالة، واستدعى أهل غرناطة السلطان أبا الحسن على بن سعد، ليتولى الحكم بعد أسر ولده محمد، لكنه كان فقد بصره، فتنازل لأخيه أبى عبد الله محمد الزغل، وظل سلطاناً للمملكة فترة أسر السلطان أبى عبد الله محمد الصغير[٤].

---

(١) أبو عبد الله محمد بن السلطان أبى الحسن على من ابنة عمه عائشة، ورغم أنه كان المرشح بعد والده لحكم غرناطة إلا أن زوجة أبيه ثريا أو كوكب الصباح التى يرجع أصلها إلى الأصل الإسبانى، جعلت السلطان يعزل ابنه محمد عن ولاية العهد، وقبض عليه هو وأخيه ووالدتهما عائشة وسجنهم فى الحمراء، وتمكنا من الفرار إلى وادى آش، واندلعت ثورة عارمة ضد السلطان أبى الحسن فى غرناطة انتهت بجلوس أبو عبد الله الصغير على عرش المملكة، وهو في الخامسة والعشرين من عمره . وتطلق عليه المصادر والمراجع الأوربية اسم Boadil . ويعرف أيضاً بالصغير ElRey Chico، ويلقب أيضاً بالزغيبى، ومعناها المنكوب أو التعس الصغير. انظر: مجهول: نبذة العصر، ص ص ١٨؛ المقرى : نفخ الطيب، جـ٦، ص٢٦٢؛ أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب و الأندلس،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،١٩٦٨م، ص ٤٦٣-٤٦٤؛ محمد عبد الله عنان: أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة،مجلة أدب ونقد، القاهرة، عدد ٨٨، مجلد ٩، ديسمبر ١٩٩٢م، ص ٥٠-٥٥.

Luis Seco de Lucena: La Sultana Madre de Boabdil- (Al- Andalus, Madrid Y Granada, Vol. VII, 1947), pp. 369-370.

(٢) مجهول: نبذة العصر، ص ١٨ ؛ أحمد مختار العبادى: تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٦٦

(٣) أرض اللسانة Lucena : قلعة هامة فى غرب الأندلس فى الشمال الغربى من غرناطة، ومجاورة لحصن قبرة. وعلى مقربة من قلعة يحصب . انظر : ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة –تحقيق عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٧٤م، جـ١,١١١،ص١١١ ح ٣؛ محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس، ص ٢٠٣.

(٤) مجهول: نبذة العصر، ص ١٨؛ أحمد مختار العبادى: تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٦٦؛ عبد الرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت، ١٩٧٦م، ص٥٥١؛ محمد عبده حتاملة: محنة مسلمى الأندلس عشية سقوط غرناطة وما=

إلا أنه بعد إطلاق سراحه من الأسر والاتفاق مع الممالك المسيحية بالوقوف فى وجه عمه الزغل، وشجعوه على ضرورة انتزاع وادى آش وأحوازها من عمه، دارت رحى الحرب الأهلية بين الطرفين، ومدت قشتالة يد العون للسلطان أبى عبد الله محمد الصغير فى صراعه ضد عمه أبى عبد الله محمد الزغل، واستمرت الحرب لمدة شهرين من ربيع الأول عام ٨٩١هـ/ مارس ١٤٨٦م وحتى جمادى الأولى من نفس العام، وتم الاتفاق بين الجانبين على دخول أبى عبد الله الصغير في طاعة عمه الزغل. (١)

ولم يدم هذا الصلح طويلاً، واندلعت الحرب بين الجانبين من جديد بعد وقوع السلطان الصغير في الأسر للمرة الثانية في جمادى الأولى من عام ٨٩١هـ / مايو ١٤٨٦م(٢)، ثم اطلاق سراحه من قبل مملكة قشتالة في شوال من العام نفسه، وتم الاتفاق معه على مهاجمة الأراضى الواقعة تحت سيطرة عمه الزغل، ومدوه بالرجال والسلاح للوقوف في وجه عمه الزغل، وبدأ أبو عبد الله الصغير يردد ضرورة عقد الصلح مع القوى المسيحية وأنهم لا قبل لهم بمواجهتهم، فأطاعه أهل ربض البيازين

=بعدها، دار الشعب، عمان، الأردن، ١٩٧٧م، ص ٣٥-٣٦؛ أسعد حومد: محنة العرب فى الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،، بيروت،١٩٨٨م، ص ١٣٤-١٣٥؛

Luis Seco de Lucena: La Sultana Madre de Boabdil , 372; Rachel Arie, :El Reino Nasri . de Granada (1232-1492) – Madrid, 1992, pp.88-89

(١) مجهول : نبذة العصر، ص ١٨ ؛ المقرى، نفح الطيب ج٤، ص٥١٩، ج٦، ص٢١٣ ؛ أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٦٦ ؛ عبد الرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسى، ص٥٥١ ؛ يوسف شكرى فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت، ١٩٨٢م، ص٦٢؛ محمد عبد الله عنان: أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة، ص ٥٢-٥٣؛

Luis Seco de Lucena: La Sultana Madre de Boabdil,p.373-375.

(٢) كان توقيع الصلح بين السلطان أبى عبد الله محمد الصغير وعمه أبى عبد الله محمد الزغل فى مدينة لوشة المحاصرة من قبل قوات الملك فرناندو الخامس ، والذى تمكن من دخولها فى جمادى الأولى لعام ٨٩١هـ/ مايو ١٤٨٦م، وتمكن كذلك من أسر السلطان الصغير للمرة الثانية . انظر : مجهول : نبذة العصر، ص ١٧؛ المقرى، نفح الطيب ج٤، ص٥١٧؛ أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٦٦؛

Luis Seco de Lucena: La Sultana Madre de Boabdil,p.373-375.

Albaicin[١] وبعض الحصون الشرقية، بعد أن أقنعهم بالصلح مع النصارى، وتمكن من دخول ربض البيازين سراً في١٣شوال ٨٩١هـ/١١ أكتوبر١٤٨٦م، وبايعوه سلطاناً للمملكة علي حين غفلة من أميرها محمد بن سعد المعروف بالزغل ، ودارت رحى الحرب الأهلية فى غرناطة للمرة الثانية[٢].

وما يهمنا هنا دور أهل البشرات كقوة اعتمد عليها أبو عبد الله محمد الزغل فى حربه ضد ابن أخيه أى عبد الله محمد الصغير فعندما عزم أبو عبد الله محمد الزغل دخول البيازين عنوة بالسيف ومارية قوات ابن أخيه فى ٨٩٢هـ/١٤٨٧م أرسل الزغل لجميع الأقطار التابعة له، بضرورة القدوم لغرناطة لشن الحرب على البيازين، فآتته الوفود من أهل بسطة وأهل وادي آش ومن حولهم من البشرات للتصدى لمخطط النصارى بتقسيم غرناطة [٣] .

وكان المبرر لأهل وادى آش والبشرات والمناطق المجاورة المشاركة فى الحرب ضد أبى عبد الله محمد، وأهل ربض البيازين أن أبا عبد الله محمد الصغير، كان قد دخل من وجهة نظرهم فى طاعة النصارى، وحاول اقناع بلاد أندلسية كثيرة بعقد الصلح مع النصارى والتخلى عن مبدأ الجهاد، وانتشر ذلك الخبر كالنار فى

---

(١) ربض البيازين أحد أشهر الأحياء الملاصقة لمدينة غرناطة العاصمة، وهو أشبه ما يكون بمدينة ملاصقة لمدينة غرناطة، لكثرة العمران فيه، وكثرة سكانه، ففى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى كان يعج بالسكان، وكان مزدحماً للغاية، فقد كانت أعداد كبيرة ممن كانت تسقط مدنهم تهاجر إليه، وله ثلاثة أبواب كبيرة ومشهورة . انظر: يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر، ص ١٧٨.

(٢) مجهول : نبذة العصر ، ص١٩–٢٠ ؛ المقري: نفح الطيب ، ج٤، ص ص٥١٦–٥١٨ ؛ محمد عبد الله عنان: أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة، ص ٥٣–٥٥؛ سحر السيد عبد العزيز سالم: بنو سراج وزراء بنى نصر بين الحقيقة التاريخية والقصة الشعبية –ضمن بحوث مشرقية ومغربية فى التاريخ والحضارة الإسلامية، الإسكندرية، ١٩٩٧م، جـ١، ص٤٥٧ .

(٣) مجهول : نبذة العصر، ص٢١؛ المقري: نفح الطيب ، ج٤، ص ٥١٩؛

Jose Conde , History of dominion of the Arabs in Spain ,London ,1954 , P.86.

الهشيم، فأصبح من وجهة نظرهم يستوجب الحرب لخيانته، وهنا كانت انتفاضتهم ضد جيش ربض البيازين بزعامة أبى عبد الله محمد الصغير. (١) وليس ثمة دليل على موالاة السلطان الصغير لقشتالة من أن".... العدو دمره الله أمد أمير البيازين بالرجال والأنفاط والبارود والقمح والعلف والبهائم والذهب والفضة وغير ذلك ليشد به عضد الفتنة ويقوى الشر ..." (٢)

وكان حتماً على الجهات التابعة للزغل والمناصرة له الوقوف ضد مخطط النصارى بإزكائهم الحرب الأهلية فى غرناطة ومساندة الصغير ضد عمه الزغل، الذى هو من وجهة نظرهم السلطان الشرعى للبلاد.

ثالثا: : دور البشرات فى نجدة المدن الإسلامية:

يحسب لمدينة البشرات وأحوازها الدور الذى لعبوه لنجدة المدن الإسلامية قبيل وقوعها فى قبضة القوى المسيحية، إذ أن البشرات كانت الملاذ والعون والمدد لعدد من المدن الإسلامية غداة سقوطها، ولم تبخل بجهد أو عون على كل من طلب نجدتها،أو حتى رأت أنه فى حاجة لنجدتها دون طلب ذلك من أهلها.

والحقيقة أن إحساس أهل البشرات بالمسئولية الدينية والوطنية تجاه المدن الإسلامية فترة السقوط يمكن القول أنه إحساس فريد، نابع من إحساسهم بما أذاقوه من هول الطرد من بلادهم بعد سقوطها، لذا لعبوا الدور الفعال فى تلك الفترة.

– محاولة إنقاذ بلش مالقة Vélez málaga (٣) ٨٩٢هـ/١٤٨٧م:

---

(١) مجهول : نبذة العصر، ص٢٠؛ المقري: نفح الطيب ، ج٤، ص ٥١٩؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، مجلة الأكاديمية، المغرب، ع ٢٤، ٢٠٠٧م، ص ٦٠-٦١.

(٢) مجهول : نبذة العصر، ص٢١.

(٣) مدينة بلش مالقة Velez Malaga: أطلق عليها بليش، وهو تحريف الكلمة اللاتينية Vallis بمعنى وادي. يطلق عليها الآن بلش Velez، وتقع في غرب مالقة بنحو ٣٤ كم . ونظراً لأن بلش يطلق على أماكن أندلسية عديدة ، فقد سميت بلش مالقة Velez Malaga، وذلك=

كانت أولى المدن التي سعت البشرات لنجدتها مدينة بلش مالقة ففى أثناء الفتنة الداخلية واشتعال الحرب الأهلية فى غرناطة بين الزغل وابن أخيه الصغير، بدأت القوى المسيحية الموحدة تحت زعامة قشتالة فى استغلال هذه الأوضاع لصالحها، وشن الغارات المباغتة على البلدان الإسلامية بقصد الاستيلاء عليها، فعندما وصل أبو عبد الله الزغل إلى ربض البيازين لشن الحرب للقاء قوات ابن أخيه الصغير كما سبق ذكره، وصلته أنباء عن اتجاه القوات القشتالية بقيادة ملكها فرناندوا الخامس إلى مدينة بلش مالقة، وذلك أواخر ربيع الثاني سنة ٨٩٢هـ/ أبريل ١٤٨٧م(١).

وهنا اتخذ الزغل قراره بضرورة التوجه بقواته المحاربة فى غرناطة لإنقاذ المدينة التى استجارت به كسلطاناً للمملكة، وكان جيشه أغلبه من البشرات ونواحى وادى آش، وعلى الرغم من ذلك نادى بالجهاد، وتجمعت جموعاً أخرى من تلك

=لقربها من مالقة، ويوجد كذلك بلش لورقة Velez Lurca وهي بجوار مدينة لورقة . انظر: ابن بطوطة: تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٦٤م، جـ٢، ص١٨٧؛ شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص ٢١٥؛

Simonet: (Francisco Jovier):Descripcion de Reino de Granada Bajo La Dominacion de los Naseritas – Madrid, 1860, pp. 193.

(١) مجهول : نبذة العصر ، ص ٢٥ ؛ المقرى : نفح الطيب، ج٤، ص ٥١٩؛ شكيب أرسلان : خلاصة تاريخ الأندلس، ص ٢١٥؛

Jose Conde , History of dominion of the Arabs in Spain,p.87; Arie, R.: El Reino Nasri, p. 94.

النواحى فى انتظار توجه القوات لإغاثة بلش مالقة [١]، وبالفعل خرج من غرناطة تاركاً بعض الجند يقاتلون ابن أخيه في حي البيازين [٢] .

وتوحدت جيوش السلطنة تحت قيادة الزغل و".. أتى أهل وادى آش وغيرها وجموع البشرات..." [٣] ومناطق أخرى، واتجه فى طريقه لإنقاذ المدينة، ولما وصل إلى منطقة قريبة منها، وجد الملك فرناندو قد فرض حصاره على المدينة وشدده، ثم وصل الزغل خبر استيلاء النصارى عليها وهو فى طريقه لنجدتها في١٠جمادى الأولى سنة ٨٩٢ هـ / ٣ مايو ١٤٨٧ م [٤].

وبذلك سقطت مدينة بلش مالقة فى قبضة القشتاليين،وهنا قرر الزغل أن يتجه بجيشه كاملاً إلى مدينة غرناطة لمؤازرة جيشه الذى تركه يقاتل ابن أخيه، ولكنه وهو فى طريقه إليها وصلته أنباء انتصار ابن أخيه وإحكام سيطرته على غرناطة كاملة ودخوله الحمراء، وجلوسه على العرش مكانه، فاتجه الزغل بجيشه إلي مدينة البشرات، ثم قصد مدينة وادي آش ليقيم فيها .[٥]

---

(١) مجهول : نبذة العصر، ص ٢٢–٢٣ ؛ المقرى، نفح الطيب ج٤، ص٥١٩، ج٦، ص٢١٣ ؛ أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٦٦ ؛ عبد الرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسي، ص٥٥١ ؛ يوسف شكرى فرحات : غرناطة في ظل بني الاحمر، ص٦٢ .

(٢) مجهول: نبذة العصر، ص ٢٢–٢٣ ؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، ص ٦١.

(٣) المقرى: نفح الطيب، ج٤، ص ٥١٩–٥٢٠.

(٤) مجهول: نبذة العصر، ص ٢٣–٢٤؛ المقرى: نفح الطيب، ج٤، ص ٥١٩–٥٢٠؛ سحر سالم: بنو سراج، ص٤٥٧؛

Pulgar: (Fernando): Guerra de Granada – en Colecion de Cronicas Espanolas, edicion de Juan de Mata Carriazo, Madrid, 1940-1964., pp.270-272. .

(٥) مجهول : نبذة العصر ، ص ٢٣؛ المقري: نفح الطيب، ج٤، ص ٥١٩ –٥٢٠؛ محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس ، ص٢٤١؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، ص٦١.

خلاصة القول شاركت البشرات وأحوازها مع وادى آش وأحوازها فى نصرة المسلمين فى مدينة بلش مالقة، ولم تتوان تلك الجهات فى القيام بدورها والتوجه بعشرات الآلاف للانضمام لجيش السلطان الزغل، لرد العدوان القشتالى عن المدينة، إلا أنه كان قد سبق عليها الكتاب فدخلها النصارى.

– مساندة مدينة بسطة Baza[١] ضد قوات قشتالة ٨٩٤هـ / ١٤٨٩م:

أما المدينة الثانية التى حاول أهل البشرات إنقاذها قبيل سقوطها كانت مدينة بسطة Baza، وكانت استكمالاً لمخطط مملكة قشتالة بالعمل على انتزاع البلدان الإسلامية الخاضعة للسلطان أبى عبد الله محمد الزغل، لأنها أماكن التمرد والعصيان بالنسبة للقوى المسيحية، أما تلك المناطق التى تتبع لسيطرة أبى عبد الله محمد الصغير فهى مناطق مضمونة بالنسبة لهم[٢]، وهو ما يدلل على فكرة المؤامرة . ووصلت القوات إلى مدينة بسطة فى شهر رجب سنة ٨٩٤هـ / يونية ١٤٨٩م[٣] .

ومما يهمنا هنا هو دور البشرات وأحوازها فى تلك الأحداث، فقد نادى المسلمون بالجهاد لإنقاذها من قبضة النصارى، وتجمعت أعداد كبيرة من البشرات وتوجه بعضهم إلى مدينة بسطة متطوعاً للجهاد، والبعض انتظر أمر السلطان أبى عبد الله محمد الزغل[٤] .

---

(١) مدينة بسطة Baza : مدينة أندلسية تقع بالقرب من وادى آش . تتبع كورة جيان وهى قريبة منها أيضًا. مشهورة بكثرة البساتين بها. انظر: الحميرى: الروض المعطار، ص ١١٣-١١٤.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج٤، ص ٥١٩ ؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، ص٦١.

(٣) مجهول : أخبار العصر، ص٢٥ ؛

Jose Conde , History of dominion of the Arabs in Spain,p.88 ;Arie, R.: El Reino Nasri, p. 98.

(٤) المقري : نفح الطيب: ،ج٤ ، ص ص٥٢١؛ محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس، ص ٢٢٥؛ L.P. Harvey: Islamic Spain1250-1500-London, 1990., p. 30

وتجمعت جموع كبيرة من "... أهل نجدة تلك البلاد من وادى آش والمرية والمنكب والبشرات ..." [١] ومما ساعد فى سهولة وصول المتطوعة للجهاد والدفاع عن بسطة هو عدم تمكن القوات المسيحية من الوصول لأسوار المدينة لضرب الحصار عليها وعسكرت فى منطقة قريبة من المدينة فى وسط المزارع الخضراء[٢].

أما ما يتعلق بالجيش الغرناطى النظامى والمتمثل فى قوات الزغل [٣]، فقد فضل السلطان أبو عبد الله محمد الزغل ألا يتجه بنفسه على رأس الجيش وفوض نائباً عنه، وبرر ذلك بخوفه من انقضاض ابن أخيه على وادى آش وضمها لغرناطة مستغلاً غياب عمه عنها[٤] .

وسجل المتطوعة ممن وصلوا إلى المدينة وجيش الزغل الذى أرسله قوة ضاربة بعد وصولهم للمدينة، وسجلوا بطولات وانتصارات، استمرت لثلاثة أشهر لم يمكنوا خلالها عدوهم من نصب آلات الحصار، ويصور المؤرخ المجهول صاحب نبذة العصر بطولة المجاهدين المناصرين لبسطة بقوله".. فكلما أراد الدنو من البلد قمعوه وردوه على عقبه خاسراً، ولم يقدر على نصب نفط ولا عدة من آلة الحرب..." [٥].

وعلى الرغم من بأس المقاومة تمكن الملك فرناندو من بناء سور من الخشب حول المدينة، إلا أن المجاهدين من المسلمين ظلوا يشتبكون معهم لثلاثة أشهر وهم تحت نير الحصار.[٦]

---

(١) المقري : نفح الطيب: ،ج٤ ، ص٥٢١؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، ص٦١.
(٢) مجهول : نبذة العصر، ص٢٥؛ المقري : نفح الطيب: ،ج٤ ، ص٥٢١؛ محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس، ص ٢٢٥؛ .
(٣) مجهول : نبذة العصر ، ص ص٢٥-٢٦ ؛ المقري : نفح الطيب: ،ج٤ ، ص ص٥٢١- ٥٢٢ ؛ محمد عنان : نهاية الأندلس ، ص٢٢٥ ؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، صؤ ٦١-٦٢.
(٤) مجهول : نبذة العصر ، ص ص٢٥-٢٦ ؛ المقري : نفح الطيب: ،ج٤ ، ص ص٥٢١- ٥٢٢ ؛ محمد عنان : نهاية الأندلس ، ص٢٢٥ ؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، ص ٦١-٦٢.
(٥) مجهول : نبذة العصر، ص ٢٦ .
(٦) مجهول : نبذة العصر، ص ٢٦؛ المقري : نفح الطيب: ،ج٤ ، ص٥٢١-٥٢٢.

كما تجلى دور المجاهدين من وادى آش والبشرات بجلب الطعام لأهل بسطة المحاصرين، وكان ذلك فى استمرارهم فى المقاومة رغم الحصار المفروض عليهم [١].

إلا أنه بدخول الشتاء وتمكن فرناندوا من غلق مداخل ومنافذ المدينة ساءت أحوالهم، فقرروا تسليمها للملك فرناندو مقابل أن يأمنهم على أنفسهم وأموالهم، فقبل ذلك، وغادروها إلى وادى آش فى ١٠ محرم سنة ٨٩٥هـ / ٧ ديسمبر ١٤٨٩م [٢].

وهكذا تجلى دور المدن الإسلامية فى المنطقة الشرقية من مملكة غرناطة فى الجهاد نظاميين ومتطوعة، وليس ثمة دليل على ما قدموه من مساعدة أرهقت جيش الملك فرناندوا كثيراً فى دخول المدينة مما ورد من أنه اشترط عند تسليم المدينة منح الأمان لأهل بسطة دونما منحه للمتطوعة من أهل وادى آش والبشرات والمرية والمنكب، إلا أن أهل بسطة رفضوا ذلك[٣]، وهو ما يؤكد دورهم الحيوي فى فترة حصار المدينة.

- مساعدة أهل مدينة غرناطة فترة الحصار ٨٩٦هـ /١٤٩١م :

أما الدور الثالث لإقليم البشرات فى مساعدة المدن الإسلامية قبيل سقوطها فى قبضة النصارى فيتعلق هذه المرة بالعاصمة غرناطة، وهو الدور المحورى لإقليم البشرات فى تلك الفترة، والذى يتجلى فى المساعدة وتقديم العون والمدد فى أبهى صوره.

---

(١) مجهول : نبذة العصر، ص ٢٦؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، ص ٦١-٦٢.

(٢) مجهول :نبذة العصر، ص ٢٦؛ المقري : نفح الطيب: ،ج٤ ، ص ص٥٢١ -٥٢٢؛ ج.س. كولان: الأندلس الأندلس – ترجمة لجنة دائرة المعرف الإسلامية (إبراهيم خورشيد وآخرون)، القاهرة، ١٩٨٠م، ص١٣٩؛

Pulgar, F: Guerra de Granada., p. 409; Harvey, L. P :Islamic Spain1250-1500., p. 302.

(٣) مجهول: نبذة العصر، ص ٢٦.

وتعود أحداث هذه المساعدة إلى فترة سقوط مدينة غرناطة العاصمة، فكان الملك فرناندوا والملكة إيزابيلا قد قررا شن حملة واسعة النطاق على مدينة غرناطة بقصد الاستيلاء عليها نهائياً، وفى ١٢ جمادى الآخرة سنة ٨٩٦هـ/ ٢٣ أبريل ١٤٩١ م ، وصلت القوات إلى فحص غرناطة،، وكانت الحملة مزودة بعدد كبير من المدافع، نصبت كلها حول غرناطة،، وفرضت الحصار ،واستعدت لضرب الأسوار (١).

ولما ضرب الحصار على مدينة غرناطة، وكان حصاراً أقل ما يقال عنه أنه محكماً، لم يكن لهم نصيرٌ سوى الله والبشرات وأحوازها أقرب بلاد الأندلس إلى غرناطة العاصمة ، وعلى الرغم من وعورة الطرق والمناطق الجبلية تدفقت الإمدادات والمساعدات من البشرات لأهل غرناطة، فكانت رجالاً للجهاد، عتاد، وأسلحة، وأطعمة،"... من القمح والشعير والذرة والزيت والزبيب وغير ذلك من الفواكه والسلع..." (٢) وهو ما ساعد فى صمودها أما الحصار الشديد المفروض عليها (٣)

ولما رأى فرناندوا صمود أهل غرناطة أمام الحصار ،رأى وقادته أن يزيد فى تشديد الحصار فأمر بتشييد سور كبير حول مناطق عديدة من غرناطة(٤). كما رابطت السفن القشتالية والأراجونية في مضيق جبل طارق لفرض الحصار البحرى، حتى تحول دون وصول أية إمدادات لغرناطة من الخارج (٥).

---

(١) مجهول: نبذة العصر، ص ٣٧-٣٨؛ المقري: نفح الطيب: ،ج٤ ، ص٥٢٤-٥٢٥؛ عبد الحميد العبادى: المجمل فى تاريخ الأندلس– القاهرة، ١٩٥٨م، ص١٩٥؛ مونتغمرى وات: فى تاريخ أسبانيا الإسلامية، ترجمة د. محمد رضا المصرى – لبنان، ١٩٩٥م، ص١٥٩ ؛
Arie, R.: El Reino Nasri, p. 103.

(٢) مجهول: نبذة العصر، ص ٣٩ .

(٣) مجهول: نبذة العصر، ص ٣٩–٤٠ ؛ المقري : نفح الطيب: ج٤، ص٥٢٤–٥٢٥؛ عبد الحميد العبادى: المجمل فى تاريخ الأندلس، ص١٩٥؛ شكيب أرسلان : خلاصة تاريخ الأندلس ، ص٢٦١؛ جمعة شيحة: صدى سقوط غرناطة في الشعر الأندلسى – الذكرى الخمسمائة لسقوط غرناطة –تونس ، ١٩٩٣، ج٢، ص١٢٤ .

(٤) مجهول : نبذة العصر، ص٤٠؛ المقري : نفح الطيب: ،ج٤ ، ص٥٢٤–٥٢٥؛

(٥) محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس ، ص ٢٢٥–٢٣٠ ؛

أما الطرق البرية فقد شدد أيضاً على قطعها عن غرناطة، ولم يبق سوى طريق البشرات فقط من ناحية جبل شيلر لجلب الأقوات من إقليم البشرات إلى غرناطة [١]

كما يتجلى دور البشرات فترة حصار غرناطة فى نزوح الكثير من أهل غرناطة إلي قرى البشرات لما أصابهم من الجوع والخوف فترة الحصار، فتسجل الرواية الإسلامية الوحيدة لأحداث تلك الفترة أن المسلمين فى غرناطة كان قد تمكن الجوع والخوف منهم فترة الحصار بعد أن طالت، وفضل الكثيرين منهم ترك المدينة، ولم يكن أمامهم سوى طريق البشرات عبر جبل شيلر، على الرغم من وعورته، إلا أنه هو الطريق الوحيد للبشرات[٢].

ومع استمرار الحصار حول غرناطة، واستمرار تدفق الخيرات من البشرات عبر جبل شيلر صمد المسلمون أمام الحصار، ويتجلى دور البشرات فترة الحصار فى استمرارية الإمداد طوال مدة الحصار، فلما تم قطع طريق البشرات فى شهر المحرم ٨٩٧هـ/ نوفمبر ١٤٩١م، لدخول فصل الشتاء، وقطع الطريق بسبب نزول الثلج على الجبل وفى الطرقات والأزقة وغلقها، فانقطع المدد من البشرات وهنا توقفت الحياة فى غرناطة فاشتد الغلاء وقل الطعام في الأسواق وأدركهم الجوع فكثر السؤال، وتمكن منهم الخوف من مصيرهم المجهول. [٣]

وليس ثمة دليل على دور البشرات في تلك الفترة، وما آلت إليه أحوال المسلمين في غرناطة من تلك الصورة التي يرسمها لنا المؤرخ المجهول صاحب

Harvey, L. P.: Islamic Spain1250-1500., p. 309.

(١) مجهول : نبذة العصر، ص ٣٩؛ المقري : نفح الطيب: ج٤، ص٥٢٤–٥٢٥؛ شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس، ص٢٦١ .

Arie, R.: El Reino Nasri, p. 103.

(٢) مجهول: نبذة العصر، ص٣٩؛ المقري: نفح الطيب: ج٤، ص٥٢٤–٥٢٥؛ محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص ٢٢٩–٢٣٠

(٣) مجهول: نبذة العصر، ص٣٩ ؛ المقري: نفح الطيب: ج٤، ص٥٢٤–٥٢٥؛ محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص ٢٢٩–٢٣٠

الرواية الإسلامية الوحيدة بقوله ".. وما زال حال البلد يضعف ويقل من الطعام والرجال إلي أن دخل شهر المحرم من عام سبعة وتسعين وثمانمائة ودخل فصل الشتاء والثلج نازل الجبل، وقطع الطريق من البشرة فقل الطعام عند ذلك في أسواق المسلمين في غرناطة واشتد الغلاء وأدرك الجوع كثيراً من الناس وكثر السؤال..." والعدو ساكن ببلده ومحلته ولقد منع الفحص كله ومنع المسلمين من الحرث والزراعة وقطع الحرب في هذه المدة بين الفريقين فلما دخل شهر صفر من عام التاريخ اشتد الحال على الناس بالجوع وقلة الطعام وأدرك الجوع كثيرا من الناس الموسرين.." (١)

ويمكن القول أن غلق الطريق بين البشرات وغرناطة على النحو سالف الذكر عجل بموافقة المسلمين على التسليم، لذا اجتمع الجند والفقهاء والأعيان، واتفقوا على التسليم فى ٢١ محرم ٨٩٧هـ/ نوفمبر ١٤٩١م (٢)، وليس ثمة دليل على ذلك أقوى من أن المؤرخ المجهول صاحب نبذة العصر يعدد دوافع أهل غرناطة لتسليم مدينتهم ويذكر أن أهمها "... وأن الطريق الذي كانت يأتيهم عليها الطعام والفواكه من البشرة انقطعت.." (٣)

خلاصة القول، سعت البشرات حسب إمكاناتها المتاحة لعمل ما يمكن أن تقوم به حيال غيرها من المدن الإسلامية، فكانت تسعي لإنقاذها بشتى الطرق، وتجلى دورها في مساندة بلش مالقة، وبسطة، والدور الأكبر والمحورى كان في مساندة غرناطة العاصمة، وعلى الرغم من أن الكتاب قد سبق على المدن الثلاث وسجل التاريخ سقوطها في قبضة النصارى، إلا أن صفحات التاريخ ذاتها التي سجلت سقوطها، هي نفسها التي سطرت دور البشرات بحروف من نور، بوقوفها على النحو سالف الذكر مساندة غيرها من المدن .

---

(١) مجهول: نبذة العصر ٣٩– ٤٠.

(٢) مجهول: نبذة العصر، ص٣٩– ٤٠؛ المقري: نفح الطيب، ج٤، ص ص٥٢٥–٥٢٦؛ شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس، ص ص٣٢٩–٣٣٠ .

(٣) مجهول: نبذة العصر، ص٤١ .

رابعاً : انتفاضة البشرات ٨٩٥هـ/١٤٩٠م .

لم يكن غريباً على مجتمع البشرات ثورته العارمة التى اشتهرت بها بعد سقوط دولة الإسلام في الأندلس بسقوط مدينة غرناطة في عام ٨٩٧هـ /١٤٩٢م، وذلك في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، فقد ثاروا في عام١٥٠١م، إلا أن ثورتهم الكبرى كانت عام ١٥٦٨م .

إذ أن التمرد والثورة لا يمكن أن تكون وليدة اللحظة، وإنما كانت هذه الثورات نابعة من طبيعة المنطقة، ومن يسكنها من المسلمين الذين ذاقوا مرارة فقدان بلدانهم لصالح القوى المسيحية، وطردهم منها بعد أن كانوا ساداتها .

ويسجل تاريخ المسلمين في بلاد الأندلس انتفاضة أهل البشرات وأحوازها ضد القوى المسيحية التي تحالفت ضد المسلمين، وعلى الرغم من كونها انتفاضة لم تصل لمرحلة الثورة، إلا أنه طبقاً لمعطياتها يمكن القول بأنها كانت ثورة في شكل انتفاضة، مع أن المؤرخ المجهول صاحب نبذة العصر أطلق عليها انتفاضة وثورة بقوله".. وبدأت بوادر الانتفاضة والثورة تشتد ..." (١).

ولرصد مقدمات هذه الثورة والبحث في أسبابها فيمكن القول أن الأحداث المتلاحقة للمسلمين في بلاد الأندلس، كانت سبب مباشر في انتشار روح الغضب، واستشراء روح المحاولة الأخيرة لإنقاذ بلادهم وتاريخهم وحضارتهم من الزوال.

كان دخول السلطان الزغل في طاعة مملكة قشتالة نقطة تحول فاصلة لصالح القوى المسيحية، فهو رمز الجهاد والنضال في المملكة في تلك الفترة، والتف المسلمون حوله فى محاولة للتصدى للمد القشتالى الأراجونى الموحد للتوسع على حساب المسلمين، إلا أنه وفى ظروف غامضة أعلن دخوله فى طاعة مملكة قتشالة، ويبرر أنصاره ذلك بأنه رأى أن مالقة قد سقطت، وبعدها بسطة، وعلم أن الدور سيأتي على وادى آش، وأنه لن يتمكن من الوقوف فى وجه النصارى

(١) مجهول : نبذة العصر، ص ٣٦.

خاصة وأنه سيعتمد في حربه معهم على جنده فقط، وليس جند غرناطة،بعد أن تمكن ابن أخيه من دخول الحمراء، فخرج من وادى آش، واتجه للقاء الملك فرناندو، وعرض عليه الدخول في طاعته، وتجنب الصدام بينهما، ولم يكد يسمع الملك فرناندو بذلك حتى رجع معه إلى وادى آش، ودخلها النصارى دون قتال فى صفر سنة ٨٩٥هـ / يناير ١٤٩٠م(١).

وعن دخول الزغل وجنده في طاعة قشتالة يقول صاحب كتاب نبذة العصر:" .. ودخل في ذمته جميع فرسان الأمير محمد بن سعد وجميع قواده، وصاروا له عوناً على المسلمين وطوعوا له جميع البلاد والقرى والحصون التي كانت تحت طاعته .."(٢)

وما يهمنا هو علاقة البشرات وأحوازها بهذه الأحداث، والحقيقة أن دخول الزغل في طاعة قشتالة يعنى دخول كل ما تحت أيديه من بلاد في طاعة قشتالة، وللأسف هو ما حدث بالفعل فقد دخلت وادى آش والبشرات وأحوازهما وكل البلاد التي كان الزغل يحكمها تحت طاعة النصارى دون قتال ولا حصار، وبذلك تحولت البشرات بقراها وحصونها لطاعة الملك فرناندو والملكة إيزابيلا، وبدورهم قاموا بتعيين حكاماً من النصارى عليهم، وأوجدوا حاميات مسيحية لحمايتها، وتحول بذلك المسلمون فى البشرات ووادى آش إلى مدجنين مبكراً، ولم يعد للمسلمين فى الأندلس من بلاد سوى مدينة غرناطة العاصمة وأحوازها . (٣)

---

(١) مجهول: نبذة العصر، ص ٢٧؛ المقري: نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٢؛ عبد الرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسي، ص٥٥٢؛ محمد عبده حتاملة: آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، مجلة دراسات، الأردن، مج٢، ع٢، ١٩٧٥م، ص ١٧–١٨؛ محمود مكى :تاريخ الأندلس السياسى ٩٢–٨٩٧هـ/٧١١–١٤٩٢م، ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، تحرير دكتورة سلمى الخضراء الجيوسي،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،١٩٩٨، ص١٣٥.

Arie, R.: El Reino Nasri, pp.100–101.

(٢) مجهول: نبذة العصر ، ص٢٧.

(٣) مجهول : نبذة العصر، ص٢٧–٢٨؛ المقري : نفح الطيب، ج٤، ص ٥٢٢؛ محمد عبده حتاملة : آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، ص١٨–١٩.

Arie, R.: El Reino Nasri, p. 102.

وحسب الاتفاق المسبق بين السلطان أبى عبد الله محمد الصغير والملك فرناندو، فإنه من الطبيعى بعد سقوط وادى آش والبشرات وأحوازهما على النحو سالف الذكر فإنه يتوجب على السلطان الغرناطى تسليم ما تحت أيديه من بلاد، وأرسل وفداً قشتالياً بهذا الطلب (١)، في صفر عام ٨٩٥هـ/ أكتوبر ١٤٨٩م، إلا فقام أبو عبد الله محمد بجمع الأعيان والكبراء والأجناد والفقهاء والخاصة وبعض العامة، وأخبرهم بطلب قشتالة، وحاول إقناعهم بأن عمه الزغل هو من أفسد الصلح بينه وبين قشتالة، وطلب رأيهم بعد أن خيرهم بين القتال أو الدحول في طاعة قشتالة، فإذ به يفاجأ بإجماع الحاضرين على الخيار الأول وهو خيار الجهاد ورفعوا شعار النصر أو الشهادة. (٢)

وبلغ ما اتفقوا عليه الملك فرناندو، فخرج فى ٨٩٥هـ/١٤٩٠ في قواته ساخطاً علي الأمير أبي عبد الله وزحف علي بسائط غرناطة وانتسفوا الزروع وساقوا الماشية وخربوا الضياع والقري، ودرات معارك دموية بينهم علي أثرها ارتحل القشتاليون في رجب ٨٩٥هـ/١٤٩٠م، وعمدوا إلي تحصين بعض الحصون والمواقع القريبة من غرناطة، وشحنها بالرجال والعدد واستعدوا للمعارك القادمة(٣).

أما عن البشرات ووادى آش وأحوازهما فبعد تحولهم لطاعة النصارى، وتحول حكامهم من حكام مسلمين لتعين حكام نصارى عليهم،تملكهم الحزن وخيبة الأمل، ولم يكن هناك غير طريق واحج فقط، إنه طريق الجهاد في سبيل الله، وطرد العدو من أراضيهم، لكن من يقود حركة الجهاد هذه المرة، فالسلطان الشرعى من وجهة نظر

---

(١) مجهول: نبذة العصر، ص٢٨؛ المقري : نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٢؛ عبد الحميد العبادي: المجمل فى تاريخ الأندلس، ص١٩٤ .

(٢) مجهول: نبذة العصر، ص٢٩؛ المقري : نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٣؛ محمد عبده حتاملة: آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، ص ١٨–١٩.

. Arie, R.: El Reino Nasri, p. 102

(٣) مجهول: نبذة العصر، ص ٢٩–٣٠؛ المقري : نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٣؛ محمد عبده حتاملة : آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، ص ١٩–٢٠؛ محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس ، ص٢٣٣.

الكثير تتملكه روح الهزيمة والاستسلام التي تمكنت منه بشكل كبير، وسيطرت على أفكاره، والسلطان الزغل الذي كان من وجهة نظرهم مجاهد في سبيل الله، سلم وادى آش والبشرات وأحوازهما لقشتالة، إلا أن الضغط الشعبي على السلطان الغرناطى بعد عودة الملك فرناندو لبلاده، بعد تخريبه لزروعهم وبلادهم، جعله يخرج بجيشه في شهر رجب سنة ٨٩٥هـ/ مايو ١٤٩٠م، وأغار على بعض البلاد القريبة من غرناطة والتي كانت قد سقطت في قبضة قشتالة ثم عاد إلى غرناطة (١).

وهنا دبت روح الثورة في جسد البلدان التي كانت قد سقطت في قبضة القوى المسيحية قبل ذلك من قرى البشرات، وليس غريباً أن تكون البشرات مهد اندلاع هذه الثورة، فتاريخها النضالى ضد القوى المسيحية مشرف منذ وقت مبكر، وسجلت بحروف من نور كما سبق ذكره مواقف مشرفة تجاه مساعدة غيرها من البلدان الإسلامية الأخرى للوقوف في وجه القوى المسيحية (٢).

وعلى إثر ذلك ولاستكمال انتفاضتهم ضد الوجود القشتالى على أراضيهم أرسلوا للسلطان أبى عبد الله محمد الصغير يعلمونه بعصيانهم لطاعة قشتالة ويطلبون منه التوجه إليهم بجيشه ليدخلوا في طاعته، ويخلعوا طاعتهم لمملكة قشتالة . (٣)

---

(١) مجهول: نبذة العصر، ص ٣٠؛ المقري : نفح الطيب، ج٤، ص ٥٢٣؛ عبد الحميد العبادي: المجمل فى تاريخ الأندلس، ص ص ١٩٥-١٩٦؛ محمد عبده حتاملة: آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، ص ١٩.

.Pulgar, F.: Guerra de Granada p. 443.

(٢) مجهول : نبذة العصر، ص ٣٠ ؛ المقري : نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٣؛ محمد عبده حتاملة : آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، ص ١٩-٢٠.

(٣) مجهول : نبذة العصر، ص ٣٠ .

أما عن أهم نتائج انتفاضة البشرات واستدعائهم السلطان الغرناطي، فقد خرج السلطان بجيشه من غرناطة متجهاً إليهم في أواخر شهر رجب سنة ٨٩٥هـ/ يونية ١٤٩٠م، وتمكن من إنزال الهزيمة ببعض حاميات الجند القشتاليين في بلدان البشرات، واتجه بجيشه إلى قرية الأنجرون Lanjoran إحدى أهم قرى البشرات، ولما اقترب منها، فر من كان بها من النصارى ومن كان بها من أعوانهم من المسلمين.(١)

وتشجعت البلدان الأخرى التابعة للبشرات والقريبة من الأنجرون، فأعلنوا عصيانهم فخرج من كان بها من النصارى خائفين من ثورة المسلمين، ومن قدوم الجيش الغرناطى إليهم، وصمد آخرون لقتال المسلمين، وتمكن المسلمون من استرداد بلدان كثيرة من البشرات، ثم عاد الجيش إلى غرناطة العاصمة بعد أن ترك حاميات من الجند تقاتل من بقى من النصارى والمرتدين.(٢)

كما تشجعت قرى وحصون آخري تابعة للبشرات، وانتفضت وأرسلوا فى شعبان سنة ٨٩٥هـ/ يوليو ١٤٩٠م، للسلطان الغرناطى ليتوجه إليهم بجيشه، لتخليصهم من حكم النصارى، فخرج بجيشه وتوجه للبشرات، وتمكن من استرداد حصن أندرش Andaras (٣) وبعض الحصون والقلاع والقرى المجاورة له، وعادت البشرات وأحوازها إلى الإسلام مرة أخرى كما كان من قبل (٤).

---

(١) مجهول : نبذة العصر ، ص ٣١؛ المقري : نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٣

(٢) مجهول : نبذة العصر ، ص ٣١؛ محمد عبده حتاملة : آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، ص ١٨-١٩.

(٣) مجهول : نبذة العصر ، ص ٣١؛ المقري : نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٣ ؛ عبد الرحمن على الحجي: التاريخ الأندلسى ، ص٥٥٢ ؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، ص٦١.

(٤) مجهول: نبذة العصر، ص ٣١-٣٢؛ المقري : نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٣ -٥٢٤؛ محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس، ص ٢٣٤، ص٢٣٤ ؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة،ص٦١.

أما عن رد فعل الملك فرنادوا والملكة إيزابيلا على الأحداث سالفة الذكر، فقد رأى الملك أن يقود بنفسه حملة لإخضاع تلك المناطق مرة أخرى، فخرج في حملة كبيرة في شوال عام ٨٩٥هـ / يوليو ١٤٩٠م وفضل أن يتجه لتخريب أحواز غرناطة نفسها، قبل أن يتوجه إلى وداى آش والبشرات، وبالفعل خرب الزرع في غرناطة، وفى طريق عودته من غرناطة بعد تخريب زروعها مر على وادى آش، فأخرج من كان ببعض قرى وادي آش من المسلمين، الأمر الذي زاد في غضبهم بعد تفريقهم، وأرسلوا إلى السلطان الغرناطى مرة أخرى لنجدتهم، فخرج إليهم فى ١٣ ذى القعدة عام ٨٩٥هـ /٢٧ سبتمبر ١٤٩٠م لنصرتهم ،وأمر أن يتم إخلاء القرى خوفاً من عودة الملك فرناندو لتخريبها والتنكيل بهم،، فظلوا ينقلون الزرع من قري وادي آش، ويحملونه إلي غرناطة، إلا أن الملك فرناندو منحهم أماناً لعودتهم لقراهم فعادوا مرة أخرى (١).

ويتضح من العرض السابق أن البشرات صاحبة أول انتفاضة ضد القوى المسيحية لما حل بأهلها من ذل وهوان، وما كانوا قد عانوه قبل ذلك من سقوط مدنهم في أيدى الممالك المسيحية قبل هجرتهم للعيش في البشرات، ومن هنا يمكن القول أن أهل البشرات كانوا يحاولون بكل قوة التخلص من الوقوع تحت نير الدجن والعيش مهددين بقية حياتهم، أو يتم التضيق عليهم بعد ذلك للدخول في دين مملكة قشتالة، وهو ما حدث بعد ذلك بالفعل .

ويحسب أيضاً للبشرات وأحوازها أنها انتفضت ضد القوى المسيحية، وتمكنت من العودة للدولة الإسلامية مرة أخرى، ولولا دعوتهم للسلطان الغرناطى بعد انتفاضتهم لما تمكنوا من تحقيق ذلك .

---

(١) مجهول : نبذة العصر، ص ٣٥–٣٦؛ المقري : نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٣–٥٢٥؛ محمد عبده حتاملة : آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، ص ١٨–١٩.

خامساً: سقوط مدينة البشرات ٨٩٧هـ /١٤٩٢م :

ارتبط سقوط القرى والحصون التابعة للبشرات والتي لم تكن قد خضعت لمملكة قشتالة بسقوط مدينة غرناطة، فسقوط الحاضرة يعنى نهاية الدولة، وبسقوط مدينة غرناطة وتسليمها على النحو سالف الذكر، تكون فترة حكم المسلمين في بلاد الأندلس قد انتهت بعد، ولم يعد هناك بد من أن تكون الدولة والرمز السياسي قد سقط، وبلدة من البلدان لم تدخلها قوات النصارى، فعدم دخول القوات إليها لا يعنى أبداً استمرارها إسلامية الديانة في وسط هذه الأجواء، لذا كان سقوط كامل البشرات أمراً طبيعياً بعد سقوط العاصمة غرناطة، على الرغم من أنه كان بعد سقوط العاصمة غرناطة نفسها، فقد استمرت البشرات تطاحن وتثور وتساعد بكل قوتها في التصدى للقوى المسيحية الموحدة الراغبة في انتزاع البلدان الإسلامية الواحدة تلو الأخرى، حتى كانت فاجعة سقوط غرناطة.

على أية حال بعد انتهاء مراسم تسليم غرناطة، ودخول الجند النصارى المدينة وسط أجواء من الفرحة والبهجة غير المسبوقة في الجانب المسيحي، وأجواء من الحزن والأسي والألم في الجانب الإسلامي، ورأى أهل البشرات ما أن القدر قد سبق على دولة الإسلام في الأندلس بنهاية مأساوية، تجمع أهل الحل والعقد بها، وأرسلوا موافقتهم على الدخول في طاعة الملك فرناندوا والملكة إيزابيلا ويسجل التاريخ أنها كانت آخر البلدان الإسلامية التي خضعت للنصارى [(١)]، وأنها ظلت حتى آخر لحظة تسعى لمساعدة إخوانها من البلدان والأقاليم خشية من سقوطها في قبضة النصارى، ويحسب لأهلها ما فعلوه مع أهل غرناطة وقت الحصار.

---

(١) مجهول: نبذة العصر، ص٤٢ ؛ المقري : نفح الطيب، ج٤، ص ٥٢٣-٥٢٤؛ محمد عبده حتاملة: آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، ص ٢٠؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، ص٦١.

وعن دخول البشرات في طاعة النصارى كآخر بلدة إسلامية تسقط في قبضتهم يقول صاحب كتاب نبذة العصر "..... فلما سمع أهل البشرة أن أهل غرناطة دخلوا تحت ذمة النصارى أرسلوا بيعتهم إلى ملك النصارى ودخلوا في ذمته ولم يبق حينئذ للمسلمين موضع بالأندلس وإنا لله وإنا إليه راجعون...." (١)

أما عن آخر ذكر لدور سياسي للبشرات فبعد سقوط غرناطة على النحو سالف الذكر، جمع السلطان أبو عبد الله محمد متعلقاته من قصر الحمراء، وخرج يجر أذيال الهزيمة باكياً متأثراً مع أسرته إلى البشرات ليعيش فى المكان المخصص له فى حصن أندرش من حصون البشرات حسب شروط معاهدة التسليم(٢)، إلا أن ذلك لم يدم كثيراً ولم يتحمل السلطان ما وقع به، فقرر الرحيل إلى المغرب وعندما أشرف الركب على الشعب المطلة على منظر غرناطة، وقف السلطان ينظر للمرة الأخيرة إلى مدينة غرناطة، التي كان حتى الأمس القريب سلطانها، حزن حزناً شديداً، وانهمر في البكاء، فصاحت به أمه" ابك كالنساء ملكا لم تحافظ عليه كالرجال". ويعرف هذا الموضع حتى الآن باسم" زفرة العربى الأخيرة " Elultimo sospiro de Moro، وتعتبر من أهم المناطق السياحية فى تلك المناطق(٣) وغادر الأندلس إلى بلاد المغرب فى شوال سنة ٨٩٨هـ/ أغسطس ١٤٩٣م، ونزل أولاً فى مليلة ثم قصد إلى فاس فاستقر بها(٤)

---

(١) مجهول : نبذة العصر، ص٤٢.

(٢) مجهول : نبذة العصر ، ص ٤٣؛ المقري : نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٥ –٥٢٦ ؛ محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس ، ص ٢٣٤–٢٣٥؛ Arie, R.: El Reino Nasri, p. 109.

(٣) مجهول : نبذة العصر ، ص٤٣؛ المقرى : نفح الطيب، ج٤، ص ص٥٢٧؛ مونتغمرى وات : فى تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص١٥٩.

(٤) مجهول : نبذة العصر ، ص٤٣؛ المقرى : نفح الطيب، ج٤، ص ص٥٢٧– ٥٢٩ ؛ ٤٤ ؛ مانويل جاسبار رميرو : رحيل أبى عبد الله مع أسرته وكبار أتباعه من الأندلس –ضمن فصول فى تاريخ الأندلس، بداية النهاية،

وبرحيل السلطان الغرناطي عن البشرات، تغلق صفحات تاريخها السياسي فى عصرها الإسلامى، لتبدأ ملحمة بطولية جديدة فى التاريخ الحديث، تلك الملحمة التى بدأت بعد سقوط غرناطة بوقت قصير، وبعد أن هدأت الأمور، وجمعوا قواهم، وفى المقابل نقض الجانب المسيحى كل عهوده، بل مارسوا أشكال العنف والقهر ضد المسلمين، وهنا لم يجد المسلمون من أهل البشرات غير طريق الثورة، فاندلعت فى عام٩٠٤هـ / ١٤٩٩م .

ترجمة د . عبد الفتاح عوض، القاهرة، ٢٠٠١، ص ص٢٥٢ –٢٦٧؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، ص٦١.

الخاتمة

توصلت من خلال دراسة موضوع مدينة البشرات وما كان لها من دور سياسي فى الربع الأخير من القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى لعدد من النتائج المهمة على رأسها أن هذه المدينة لم تحظ باهتمام وكتابات المؤرخين قدامى ومحدثين كغيرها من المدن الأندلسية، ربما لكونها كانت عبارة عن مناطق جبلية وعرة، ولما كانت دولة الإسلام في الأندلس تضم الكثير من المدن والمساحات الواسعة لم تزدحم هذه المناطق بالسكان والعمران، أو لكونها كانت تابعة لوادى آش فتناولوا الأحداث التي تتعلق بتاريخ وادى آش وغرناطة وأغفلوا البشرات لعدم وجود دور سياسي أو اقتصادي قوى مثل باقي المدن الأندلسية مثل غرناطة والمرية ومالقة ووادى آش والجزيرة الخضراء والمنكب وغيرها من المدن الأندلسية ذات التاريخ العريق السياسي والحضاري على السواء .

كما اتضح أن البداية الحقيقية لبداية ظهور مدينة البشرات وأحوازها على مسرح الأحداث السياسية كان في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ومن المؤكد أن السبب في ذلك هو كثرة هجرات المسلمين الذين سقطت مدنهم في قبضة القوى المسيحية إليها، فلم يجدوا ملاذاً آمناً أكثر منها، كما أن أغلب المدن في جنوب الأندلس وعلى رأسها غرناطة العاصمة كانت تعج بالسكان، وازدادت أعدادهم لدرجة باتت تشكل تهديداً لتوفير الاحتياجات لهم، فلم يعد أمامهم سوى المناطق غير الآهلة ومنها منطقة البشرات وأحوازها، وأهم ما كان يميزها قربها من وادى آش ومن غرناطة العاصمة، ولكونها منطقة جبلية وعرة مجصنة طبيعياً كما يسهل بناء الحصون على مرتفعاتها رفع أسهمها عند المهاجرين إليها.

كانت طبيعة سكان البشرات في الربع الأخير من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي هي الإيجابية تجاه أحداث دولة المسلمين في بلاد الأندلس،

وإحساس أهلها بأن كيان الدولة الإسلامية كيان واحد، لا يمكن تجزأته، يدلل على ذلك موقف أهلها من الأحداث الجارية في تلك الفترة، فلم يقفوا متفرجين أمام مهادنة السلطان أبى عبد الله الصغير لقشتالة وخضوعه لها، ورغبته في إقرار الصلح والتبعية في كل أقاليم الأندلس في تلك الفترة، بل أخذتهم الحمية وشاركوا في الحرب الأهلية في غرناطة بمساندة السلطان الشرعي من وجهة نظرهم، ضد ابن أخيه الخارج عليه، المهادن للنصارى، وشكلوا مع أهل وادى آش القوة الحقيقية الضاربة التي استند إليها الزغل في تلك الفترة سواء في حربه ضد ابن أخيه أم فى حربه ضد النصارى.

كما تجلى الدور الإيجابي والإحساس بالمسئولية الحقيقية تجاه المدن الإسلامية في أبهى صوره في مساندتهم لإخوانهم من سكان المدن الاندلسية الأخرى قبيل سقوطها في قبضة النصارى، لأنهم ذاقوا الفرقة والذل والهوان على أيدى القوات المسيحية من قبل غداة سقوط مدن أغلبهم، ومن هنا تجسدت فبهم روح المقاومة، وروح المساندة لإخوانهم، وهو ما ظهر جلياً فى التوجه بأعداد غفيرة لإنقاذ مدينة بلش مالقة فى عام ٨٩٢ هـ / ١٤٨٧ م، ومساندتهم بكل قوة لأهل مدينة بسطة والدخول فى معارك عديدة من قوات الملك فرناندو المحاصرة لها في عام ٨٩٤هـ / ١٤٨٩م، وتجسد الدور الأكبر والمحوري في فترة حصار مدينة غرناطة عاصمة دولة بني الأحمر آخر كيان إسلامي في بلاد الأندلس، ولعبت دوراً بطولياً في مساندتها، وظلت لآخر لحظة تعمل على أمل إنقاذها من السقوط.

وللمعطيات السابقة ليس غريباً أن تكون البشرات صاحبة أول تمرد ضد القوات القشتالية وضد حكامها من النصارى بعد استيلاء الملك فرناندو عليها وعلى وادى آش عقب دخول السلطان أبو عبد الله الزغل في طاعته في عام ٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م، فأرسلت للسلطان أبى عبد الله الصغير في غرناطة ليتوجه إليها لإنقاذها من قبضة النصارى، بصفته السلطان الوحيد والشرعي لغرناطة بعد دخول عمه في طاعة

قشتالة، وكانت انتفاضتهم السبب في رجوعهم مرة أخرى لتبعية الدولة الإسلامية في الأندلس وفرار حكامهم النصارى أما غضبهم، وقامت بلاد أخرى قريبة من البشرات بنفس العمل، فعادت إسلامية مرة أخرى.

وتشير كل المعطيات السابقة أيضاً إلى نتيجة حتمية ومتوقعة وهى أن البشرات وأحوازها كانت آخر بلاد إسلامية سقطت في قبضة القوى المسيحية، ودانت بغير دين الإسلام، ذلك أنها سقطت بعد سقوط العاصمة غرناطة وتسليمها للملك فرناندو والملكة إيزابيلا، فلما رأى أهل البشرات ما دار على المسلمين في غرناطة وما آل إليه مصيرهم، كتبوا إلى الملك فرناندو بالدخول في طاعته، لن ذلك أضحى مصير محتوم لا جدال فيه .

وفى النهاية وإن كان التاريخ السياسي لمدينة البشرات في العصر الحديث مع مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي قد سطر بحروف من نور في قيامها بأعظم ثورات المسلمين في بلاد الأندلس بعد سقوطها في قبضة القوى المسيحية في ثورتهم العارمة عام ٩٠٤هـ/١٤٩٩م، وثورتهم الباسلة ومحاولتهم العودة بالحكم الإسلامي لبلاد الأندلس في عام ١٥٦٨م في ثورة البشرات العظيمة ضد الظلم والاستبداد والتفرقة العنصرية والدينية من ملوك إسبانيا ضدهم، إلا أن هذا البحث يثبت بما تم رصده من مواقف مشرفة سطرها أهل البشرات قبيل سقوط دولة الإسلام في بلاد الأندلس نهائياً وبخاصة في الربع الأخير من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي أن أهل البشرات كان تاريخهم في فترة الحكم الإسلامي تاريخاً مشرفاً هو الآخر، وتستحق وبجدارة لقب المدينة المناضلة في فترة الحكم الإسلامي بما قدمته للمدن الإسلامية من مساعدة، والمدينة الباسلة في التاريخ الحديث بوقوفها ضد اضطهاد ملوك إسبانيا للمسلمين وإجبارهم على ترك دينهم والتخلي عن تراثهم الحضاري.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد الطنجى اللواتى (ت ٧٧٩ هـ/ ١٣٧٨م)

– تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٦٤م .

الحميرى: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت أواخر ق٩هـ/١٥م)

–الروض المعطار في خبر الأقطار –تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٤م.

ابن الخطيب : أبو عبد الله محمد لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤م)

- الإحاطة فى أخبار غرناطة –تحقيق عبد الله عنان، مكتبة الخانجى،القاهرة، ١٩٧٤م

- اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية، تحقيق محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٩م.

الزهرى: أبو عبد الله محمد (ت فى أواسط ق٦هـ/ ١٢م)

- كتاب الجغرافية –تحقيق محمد حاج صادق،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت

ابن سعيد المغرب : أبو الحسن على بن موسى محمد بن سعيد (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)

- المُغرب في حُلي المَغرب، تحقيق شوقي ضيف ،دار المعارف، القاهرة ، ٢٠٠٩م

ابن عذارى: أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً عام ٧١٢هـ/١٣١٢م) .

- البيان المغرب فى اختصار ملوك الأندلس والمغرب- تحقيق اميروس هويثى ميرانده، محمد بن تاويت، الرباط، ١٩٦٢..

مجهول :

– نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر (تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلي المغرب)، تحقيق ، الفريد البستاني ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٢م.

المراكشى: عبد الواحد المراكشى (ت ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٧م)

– المعجب فى تلخيص أخبار المغرب –تحقيق محمد زينهم، القاهرة، ١٩٩٤

المقري : شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج١، ج٤، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت،١٩٦٨.

ثانياً : المراجع العربية والمعربة :

- **أحمد محمد الطوخي**: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة ، القاهرة ، ١٩٩٧م.

– **أحمد مختار العبادى:** دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٦٨م.

– **أسعد حومد :** محنة العرب فى الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،، بيروت،١٩٨٨م.

- **ج.س. كولان :** الأندلس الأندلس –ترجمة لجنة دائرة المعرف الإسلامية (إبراهيم خورشيد وآخرون)، القاهرة، ١٩٨٠م.

- **جمعة شيحة** : صدى سقوط غرناطة في الشعر الأندلسى - الذكرى الخمسمائة لسقوط غرناطة - تونس ، ١٩٩٣

- **سحر السيد عبد العزيز سالم**: بنو سراج وزراء بنى نصر بين الحقيقة التاريخية والقصة الشعبية - ضمن بحوث مشرقية ومغربية فى التاريخ والحضارة الإسلامية، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

-**شكيب أرسلان** :

- خلاصة تاريخ الأندلس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، دار كلمات ، القاهرة ، د.ت

صبحى عبد المجيد إدريس: عصر الخليفة الناصر الموحدى فى المغرب والأندلس– رسالة دكتوراة، آداب طنطا، ١٩٩٩م.

- **عبد الحميد العبادى:** المجمل فى تاريخ الأندلس، القاهرة، ١٩٥٨م،.

عبد الرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت، ١٩٧٦م.

عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، مجلة الأكاديمية، المغرب، ع ٢٤، ٢٠٠٧م

عبد الواحد ذنون طه :

–تحالف الممالك الإسبانية فى الأندلس وأثره على سقوط غرناطة، مجلة البحث العلمى، المغرب، ع ٣٤، ١٩٨٤م .

– حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة ، دار المدار الإسلامي ، بيروت،٢٠٠٤م.

- **مانويل جاسبار رميرو** : رحيل أبى عبد الله مع أسرته وكبار أتباعه من الأندلس –ضمن فصول فى تاريخ الأندلس، بداية النهاية، ترجمة د . عبد الفتاح عوض، القاهرة، ٢٠٠١.

محمد عبد الله عنان:

– أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة،مجلة أدب ونقد، القاهرة، عدد ٨٨، مجلد ٩، ديسمبر ١٩٩٢م

– نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،، ١٩٩٧م.

محمد عبده حتاملة :

– آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، مجلة دراسات، الأردن، مج٢، ع٢، ١٩٧٥م

– محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وما بعدها، دار الشعب، عمان، الأردن، ١٩٧٧م
محمود مكي: تاريخ الأندلس السياسي ٩٢-٨٩٧هـ /٧١١-١٤٩٢م، ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، تحرير د. سلمى الخضراء الجيوسي،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،١٩٩٨.
-**مرثيديس غارثيا أرينال** : شتات أهل الأندلس (المهاجرون الأندلسيون)– ترجمة محمود فكرى عبد السميع، القاهرة،٢٠٠٦م.
مونتغمرى وات: فى تاريخ أسبانيا الإسلامية، ترجمة د. محمد رضا المصرى –لبنان، ١٩٩٥م.
– **يوسف أشباخ:** تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين – ترجمة محمد عبد الله عنان،القاهرة، ١٩٤٠م
- **يوسف شكرى فرحات** : غرناطة في ظل بني الأحمر، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت، ١٩٨٢م .

ثالثاً: المصادر والمراجع الأجنبية :

– **Canning, J.**:100 Great Kings, Queens and Rulers of the worled– New York,1988.
- **Jose Conde** : History of dominion of the Arabs in Spain ,London ,1954.
- **L.P. Harvey**: Islamic Spain1250-1500-London, 1990
- **Luis Seco de Lucena**: La Sultana Madre de Boabdil- (Al- Andalus, Madrid Y Granada, Vol. VII, 1947).
-**Pulgar:** (Fernando): Guerra de Granada – en Colecion de Cronicas Espanolas, edicion de Juan de Mata Carriazo, Madrid, 1940.
-**Rachel Arie**, :El Reino Nasri de Granada (1232-1492) – Madrid, 1992
- **Simonet**: (Francisco Jovier):Descripcion de Reino de Granada Bajo La Dominacion de los Naseritas – Madrid, 1860.

القدس الشريف إبان الحكم العثماني لفلسطين

١٥١٦م-١٩١٧م

د. ازدهار محمد رابى

رئيسة جمعية المؤرخين الفلسطينيين

ملخص:

تناولت هذه الدراسة القدس الشريف إبان الحكم العثماني لفلسطين ١٥١٦م–١٩١٧م.

وقد تم تقسيم البحث إلى تمهيد وأربعة محاور، تناولت في التمهيد معنى القدس، وأسمائها، وموقعها الاستراتيجي، وجغرافيتها.

وفي المحور الأول تطرقت إلى النظام الإداري، من تبعية إدارية، وتشكيلات إدارية، والدائرة المدنية، ثم الدائرة الشرعية، وفي نهايته تناولت الدائرة الأمنية.

وفي المحور الثاني تناولت الحياة الاجتماعية من السكان وطوائفهم وعلاقتهم مسلمين، ونصارى، ويهود، والأسرة من زواج وطلاق ومخالعة، وما كان للمرأة في القدس من مكانة حيث قامت بوقف أموالها وعقاراتها وأدواتها، هذا بالإضافة إلى الجانب الصحي.

وفي المحور الثالث قدمتُ الحياة الدينية والعلمية من مدارس، ومكتبات....والتصوف كونه واحداً من المجالات الفكرية الموجودة وما كان له من أثر في الحياة الدينية. والزوايا، والترب والجبانات، والخانقاوات .

وفي المحور الرابع أشرتُ إلى النواحي الصحية من حمامات، ومواردها المائية.

وأخيراً النشاط العمراني، ومنشآت الأتراك، ثم الخلاصة والتوصيات.

ABSTRACTE

Jerusalem during the Ottoman rule of Palestine 1516-1917

This study dealt with Jerusalem during the Ottoman rule of Palestine in 1516-1917.

The research was divided into four sections, which dealt with the meaning of Jerusalem, its names, its strategic location, and its geography.

In the first axis, the administrative system, administrative subordination, and administrative formations, and the civil service, and then the legitimate department, and at the end dealt with the security department.

In the second axis dealt with the social life of the population and their communities and their relationship Muslims, Christians, Jews, and the family of marriage, divorce and contravention, and the women in Jerusalem from the position where they stopped the funds and real estate and tools, in addition to the health aspect.

In the third axis, religious and scientific life was provided by schools, libraries, and mysticism. It is one of the existing intellectual domains and has had an impact on religious life. The angles, the cults, the cabins, and the hacks.

On the fourth axis, I referred to the health aspects of the baths and their water resources.

And finally the urban activity, the installations of the Turks, foreign penetration. Then the conclusion and recommendation

تمهيد :

القدس لغة تعني الطهارة، والتقديس والتطهير والتبريك، وتقدّس أي تطهّر [١]، ولها عدة أسماء منها: يبوس، أور سالم أو اورشليم، القدس، بيت المقدس [٢]، ايليا كابتالونيا [٣]، القدس الشريف وأطلق عليها العثمانيون هذا الاسم بدلاً من بيت المقدس الذي استخدم أيام الأيوبيين والمماليك نتيجة لمكانتها المقدسه، وتشريفاً لها [٤].

وتحتل موقعاً استراتيجيًّا وجغرافيًّا غايةً في الأهمية، وتقع على مجموعة من التلال متقاربة في الارتفاع من ٧٠٠– ٨٠٠م فوق سطح البحر [٥] . وتضاريسها ومناخها: الجبال ومنها جبل الطور [٦]، وجبل الباطن [٧]، وجبل بيت محيسير [٨]،وجبل النبي صموئيل [٩]، وجبل حرمون [١٠]، وجبل راس عمار [١١]، وجبل الفريديس [١٢]، وجبل السناسين والمنطار [١٣]، وبها من الأودية ما يبلغ عدده ستة عشر منها:وادي سنتا مريم، وجهنم أو النار، وسلوان، وقدرون [١٤]، ووادي الصرار [١٥]، وأرطاس [١٦]، وسهولها منها: سهل البقعة [١٧]، وسهل الساهرة [١٨]، وتتمتع بمناخ مداري جيد من حيث الحرارة، فتتراوح درجات الحرارة في الشتاء من(٧–٩)، وفي الصيف بمعدل 25درجة مئوية [١٩].

تطور المدينة:

لقد حظي القدس الشريف بمكانة عظيمة لم تنافسها في ذلك أي مدينه؛ لما تميزت به من بُعد روحي، وما تمتعت به من الموضع والموقع، فهي مدينة مقدسة أمتها حضارات مختلفة [٢٠]، وقد استمرت هذه المدينة رغم ما أصابها من حروب ونكبات، منذ ستة الآف عام، فكانت يبوس الكنعانية (القدس)، وتعرضت القدس لغزو الكلدانيين، وحصل السبي البابلي سنة ٥٨٦م ق.م، وبعدها الغزو الفارسي سنة ٥٣٩–٥٣٨ق.م [٢١]، ثم اجتاحها اليونان ٣٣٢ق.م، ثم الرومان سنة ٦٣م، وفي أيام هيرودوس الكبير عام ٣٧ق.م أخذ اورشليم ووطد حكمه فيها [٢٢]، وأما الفتح الإسلامي فقد وجه الرسول_ صلى الله عليه وسلم_ أنظار المسلمين للقدس؛ لأهميتها الدينية والروحانية لدى المسلمين، وتوجه جيش المسلمين إلى بيت المقدس بقيادة أبي عبيده عامر بن الجراح وحاصرها فخرج صفرونيوس من فوق سور القدس،

وطرح تسليم المدينة لعمر بن الخطاب، فخرج إليها عمر واستلمها من صفرونيوس وأعطاهم ما عُرف بالعُهدة العمرية [٢٣]، ولاقت المدينة اهتمامًا كبيرًا في العهد الأموي[٢٤]، وقلّ الاهتمام بالمدينة في العصر العباسي، وتعرضت للغزو الصليبي فساروا إليها في ٧ حزيران (يونيه)١٠٩٩م وسقطت في ليلة ١٤ تموز(يوليو) ١٠٩٩م،وأصاب أذاهم الشجر والحجر والبشر[٢٥]، وبدأ صلاح الدين الأيوبي الزحف إلى جنوب فلسطين، وحصلت معركة حطين عام

١١٨٧/٥٨٣م، بعدها توجه إلى القدس وفتحها، وأنشأ الخوانق والمدارس، ثم بدأ الحكم المملوكي في حدود سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠ م، فأنشئوا المدارس وأجروا التعميرات الدينية في الصخرة المشرفة، وأقاموا المدارس والزوايا والربُط والخانقاوات وغيرها[٢٦]، وبعد معركة مرج دابق وانتصار الجيش العثماني على الجيش المملوكي ومقتل قانصوه الغوري في المعركة، واصل السلطان العثماني سليم الأول زحفه فدخل دمشق في ١٥١٦/٩/٢٨م، واجتاز جسر بنات يعقوب بعدها توجه إلى خان اللجون [٢٧]، ثم قرية قاقون، ثم جلجوليه [٢٨]، وفي ١٥١٦/١٢/٢٨م، دخل السلطان سليم الأول القدس سلماً دون قتال [٢٩]،وهناك مراجع تذكر تاريخ آخر لدخول السلطان سليم القدس وهو الرابع من ذي القعده ٩٢٢هـ/٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٥١٦م[٣٠].

زار السلطان الأماكن المقدسه، وكان في استقباله عدد من الأعيان والوجهاء والأهالي، وسلموه مفاتيح الصخرة المشرفه، والمسجد الأقصى المبارك [٣١]، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على فرح الأهالي بقدوم العثمانيين. ومن المؤرخين من يذكر أن السلطان سليم قد مرّفي طريقه وزار قبور الأنبياء والآثار القديمة هناك[٣٢]،وأقام أهل القدس وليمة للسلطان سليم الأول حضرها جمعٌ من مشايخ وحكام كل من : نابلس،وصفد، والخليل، وقدّم أهالي القدس الطعام في أواني خشبية تسمى هنايب لفقرهم[٣٣]، ووجد السلطان سليم الحالة العمرانية في القدس بحالة سّيئة جداً، رغم منشآتهم في حاراتها[٣٤]، وفي هذا الوضع عيّن السلطان سليم النائب الأول للشام إسكندر باشا بن أورانوس أميراً للواء القدس، وعين فيها وزراء وباشوات وأفنديه وأكابر [٣٥].

النظام الإداري في القدس الشريف :

الترتيبات الإدارية:

تباينت تشكيلاتها الإدارية من فترة لأخرى؛ لمكانتها الحضارية والدينية، وتطور النظم العثمانية، والتهديدات التي تعرضت لها بلاد الشام، والصراعات الداخلية في فلسطين بعد الحكم المصري، واحتلالها مركز الريادة السياسية والاستراتيجية، ومواجهة التغلغل الأجنبي، والحركة الصهيونية[٣٦]، فتباينت تبعيتها الإدارية من وقت لآخر وتم رفع شأنها إلى مركز إداري مرموق [٣٧]، وكانت القدس من السناجق الخمسة التي أُتبعت بإيالة دمشق،القدس، نابلس، غزة،، واللجون وصفد[٣٨]، وتغير لواء القدس حتى أصبحت عام ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م متصرفية بعد انتهاء الحكم المصري لبلاد الشام[٣٩]. وتمتع أمير لواء القدس أيام المماليك والعثمانيين بمكانة رفيعة [٤٠]، وعرف بين أهالي المدينة بملك الأمراء[٤١].

وتباينت تبعية القدس الإدارية من وقت لآخر؛ بسبب تطور النظم والتشكيلات الإدارية في الدولة العثمانية، والحملة المصرية، وتطور وسائل الاتصالات، وضعف ولاة الشام في دمشق، وقوة ولاة عكا، والأخطار المحدقة بفلسطين بشكل عام والقدس بشكل خاص، وبموجب ذلك كانت القدس انتظمت في تبعيتها في محور القدس –دمشق إسطنبول، ومحور القدس– عكاإسطنبول، والقدس – دمشق القاهرة، ومحور القدس – إسطنبول، وبموجب ذلك دخلت القدس مجالات التطور منها: وسائل المواصلات والاتصال، ففي عام ١٨٤٠م استخدم القارب البخاري بين إسطنبول وميناء يافا،وفي١٨٦٧م تم تعبيد طريق يافا – القدس لسير العربات واستبدلت بالسيارات عام ١٩١٤م، وربطوا القدس بالتلغراف العثماني عام ١٨٦٣م، وفي عام ١٩١٤م تم ربطها بالهاتف[٤٢].

الجهاز الإداري :

لقد عهدت الدولة العثمانية بإدارة القدس ومناطقها إلى هيئات مدنية وعسكرية، وأشركت المقدسيين فيها، وهذه الدوائر هي:

أولاً: الدائرة المدنية:

واحتل فيها الحاكم العام رأس الهرم وبيده العزل والتولية، عُرف أول الأمر باسم أمير اللواء ثم المتسلم، وفي عهد المتصرفيّه أصبح يديرها متصّرف وحمل رتبة رفيعة المستوى منها مير ميران من أبرزهم جبر أبو غوش من قرية "أبو غوش" (قرية العنب)، ومارس الحاكم العام مهامه في السرايا (دار الحكومة)، وسكنه قريباً منها، وفي عام ١٨٥٦م انتقلت مشاريع العمران خارج الأسوار، فنقل مقره إليها، وكان يشارك في الاحتفالات، ويقوم بجولات ميدانية، وقاد وحدات الجيش للتصدي للغارات البدوية، وودع قوافل الحجاج واستقبلهم، وفض الخصومات بين العائلات، وساعد السكان في تنفيذ المشاريع الخيرية كبناء المدارس والمشافي وغير ذلك، ونظرًا لمكانة القدس الدينية، تم تشكيل مجلس بلدي فيها بعد إسطنبول، مثّل المجلس المسلمين والمسيحيين واليهود [٤٣].

ثانياً: الدائرة الشرعية:

وكان من التشكيلات العثمانية وزارة الأوقاف، تشكلت في إسطنبول عام ١٨٢٦م، ولها الإشراف على المقدسات الإسلامية وما يتعلق بها من مساجد، ومدارس، ومقامات، ومزارات، وزوايا، وتكايا، ومشافي، وترب، وبقيت الأوقاف غير الإسلامية بيد رؤساء الطوائف وإدارة مجالسها الخاصة، وتشكلت مديرية عموم أوقاف القدس عام ١٨٤٣، وقد تولى إدارتها شخصيات محلية على قدر من المعرفة والدراية[٤٤].

تنامت سلطة القاضي الشرعي الحنفي بالقدس أيام العثمانيين، وعُرف بالحاكم الشرعي، وأصبح أعلى سلطة قضائية وتشريعية في اللواء، يحكم بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، ويجب أن يكون على درجة عالية في العلوم الشرعية، وخبرة كبيرة في القضاء، مارس أعماله في محكمة القدس وعُرفت ببيت الشرع أو محكمة الشرع، ومقرها حتى بداية القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي في مدرسة الطازية انتقلت بعدها إلى المدرسة التنكزيه[٤٥]، وتم تنصيبه بأمر شريف سلطاني [٤٦]، ويتم

تسجيل بداية تنصيب القاضي في المحكمة الشرعية عند وصول الخطاب لأهالي القدس الشريف [٤٧]، وعُرف باسم المولى وتعني العالم الكبير، محرر دقائق التفسير، أقضى قضاة الاسلام، وصدر أساطين العلماء...الخ[٤٨] السيد واستمر عمل قضاة المذاهب الأخرى[٤٩]. وتولى كرسي القضاء عدد من القضاة في القدس منهم المقدسي، والدمشقي، والعراقي، والمصري[٥٠]..

ومن سماحة الدين الإسلامي أن أهل الذمة عرضوا قضاياهم على القاضي المسلم، ومن صلاحيات القاضي رفع التقارير إلى السلطنة حول عمل الحاكم [٥١]، وسير وعمل كبار الموظفين ومراقبتهم، ويصدر الحكم عليهم إذا ارتكبوا تعديات [٥٢]، وبيده قرار تعيين العلماء وصرف رواتبهم [٥٣]، ويشرف على الأماكن الدينية كالحرم القدسي الذي يشرف على ترميمه وصيانته إضافة للمساجد[٥٤]، والمدارس وغيرها [٥٥]، ويشرف على المال الوارد والصادر للقدس [٥٦]، ويقوم بسن مختلف العقوبات .

ويلي القاضي المفتي الحنفي وتولّى عددٌ من المفتين عدداً من الوظائف في الحرم القدسي[٥٧]، ويعينه شيخ الإسلام، ويجب أن يكون على درجة من العلم والمعرفة بأمور الدين[٥٨]، ويُعيّن مدى الحياه، وتكرس هذا المنصب بيد عائلة آل الحسيني. ثم ناظر الحرم، وما تبعه من خطباء ومؤذنيين وفراشين وحراس وخدم ومدير عموم الأوقاف الذي يشرف على الأوقاف .

ونقيب الأشراف الذي تمتع في مدينة القدس بصلاحيات واسعة، وكان لهذا المنصب أهميةٌ اجتماعيةٌ واقتصاديةٌ، وتركز في عائلات محددة، حاولت الحفاظ عليه [٥٩].

ومشيخة الحرم القدسي[٦٠]: وهي وظيفة رفيعة المستوى في الوظائف المشرفة على الحرم، ومهامه الإشراف على المسجد الأقصى، ومرافقه، ينصبه القاضي، ويبلغه عن أي خلل يحصل في الأماكن المقدسة [٦١]، وكان إمام المسجد الأقصى[٦٢] يؤم المصّلين بالصلاة وممن تولى هذه الوظيفة الشيخ يحيى بن قاضي الصلت .

والخطيب الذي كان يقوم بخطبة الجمعة والعيدين وغالباً كانت وراثية، ويجب أن تتوفر فيه الكفاءة العلمية، ومعرفته بالأمور الشرعية، ومن أهل الصلاح والعفة، ويجتاز امتحاناً لاستلام المنصب [٦٣]. وهناك مناصب دينية أخرى مثل قارئ الحديث الشريف[٦٤]، وشيخ الخانقاه الصلاحية وشيخ القراء، وشيخ السبع، ورئيس المؤذنين، والمؤقت والواعظ، ووكيل القاضي[٦٥]، الباش كاتب رئيس الكتاب، وممن تولى هذا المنصب في القدس الشيخ خليل الخالدي، والشيخ علي بن شهاب الدين، في محكمة القدس الشرعية[٦٦].

ثالثاً: الدائرة الأمنية :

تألفت هذه الدائرة من بداية الحكم العثماني وأقسامها: الجيش النظامي وكان مرتبطاً بإسطنبول، وبعد عام ١٨٢٦م والقضاء على الانكشارية، أصبحت التشكيلات ضمن جيش عربستان، الجيش الخامس الذي انتقل إلى الرابع وعلى رأسه جمال باشا السفاح الذي نقل مقره من دمشق الى القدس [٦٧] .

وأقامت الحامية في القلعة وعلى أسوار المدينة، وأقام السلطان سليم في المدينة حامية، استعمل عليها ولاة تحت إمارة الدولة، وتوزعوا في حارات القدس، وأسلحتهم البارودة، والمدفع، والسيف، والرمح، والدرع[٦٨]، ووظيفتها الدفاع عن المدينة، وحفظ الأمن الداخلي، وضرب قطاع الطرق، وإخضاع القبائل البدوية، ووقف الحروب الأهلية، وكانت غالبية الجيش من الخارج وافدين.

وكانت التشكيلات العسكرية في القدس تتكون من (كيخيا أمير اللواء) وهو الذي يساعد أمير اللواء في مهامه الإدارية[٦٩]، (الألاي بك) وهو القائد المسؤول عن السباهيه[٧٠]، (السر عسكر) وهو قائد الجيش في لواء القدس[٧١]، (والصوباش) ومهمته إلقاء القبض وتوقيف اللصوص والمخالفين للقانون[٧٢]، (العسس باشي) مرتبطة بصوباشي القدس ويأمرهم بمهام ليلية أمنية حفاظاً على الأمن العام [٧٣]، و(الجاويش باشي) ترتبط بأمير لواء القدس ومهمتهم نقل مراسلات الأمير، ومهمة الجاويشية حراسة المسجد الأقصى، و(الجري باشي) ومهمته الإشراف على حُراس المسجد الأقصى،

و(دزدارقلعة القدس)لأهمية القدس العسكرية للجنود الأروام، من مهام دزدار القلعة صيانة القلعة وعمارتها، والحفاظ على خزائن السلطان، وتأمين المؤن والسلاح المخزن فيها، والسباهية (الفرسان) وهم عسكر مدربين، ومقربين إلى أصحاب القرار، ووجد عدد كبير منهم في القدس و(المستحفظان) أقاموا في القلعة، ومهمتهم حراسة القلعة والسور[٧٤]. (الانكشارية) ووجدت بالقدس بأعداد بلغت ما بين ٥٠– ٥٠٠ فرد، زمن السلطان سليم وسليمان القانوني[٧٥]، (وجبه جيان قلعة القدس) وتعني رئيس مخازن السلاح والدروع ومسؤوليته توزيع البارود والبنادق على الجند، وتدريبهم على حمل السلاح[٧٦].

الحياة الاجتماعية:

سكان القدس: قُدر عدد سكان القدس عام ١٨٩٠ بخمسة وأربعين ألف نسمة، وازدادوا حتى أصبحوا عام ١٨٩٦ بنحو خمسين ألف نسمة، وفي عام ١٩١٣م تسعين ألف نسمة، وتناقص العدد في نهاية الحرب عام ١٩١٧م إلى خمسين ألف نسمه فقط، ثم عاد عام ١٩٢٠ وارتفع إلى إحدى وستين ألف نسمة، وفي ١٩٤٤ م ارتفع إلى ١٥٧٠٠٠ نسمة[٧٧]، وقد عاشت جميع الفئات في القدس وتمتعت بحرية العبادة، وكان هناك تعايشٌ بين الأديان، فكان الواحد منهم يحضر جميع الاحتفالات من إسلامية ومسيحية ويهودية، ووصف الجوهري احتفالات شهر رمضان من نشيد وزيارة، وعزف، وشرب الشربات، وأكل الحلوى "أي أنهم كانوا في منتهى السرور "[٧٨]، وشارك المسلم والمسيحي في النزهة اليهودية، وما كان يُغنى فيها من موشحات أندلسيه، وغناء وقضاء يوم كامل[٧٩]، وهذا يدل على أنه كان احترام بين الجميع وكانت الأماكن الدينية في القدس تحظى باهتمام الدولة، وسادت سياسة التسامح بين السكان على مختلف الملل والمذاهب[٨٠] .

يقسم السكان فيها من الناحية الدينية إلى:

١– **المسلمين:** وشكلوا الغالبية، وأقاموا في منطقة الحرم، وهم من جميع المذاهب الإسلامية[٨١]، ويضم جنسيات مختلفة منهم:

أ-**المغاربة:** قدموا إلى فلسطين بعد سقوط الأندلس١٤٩٢م، وسبب قدومهم ديني أو اقتصادي أو عسكري، وقدموا مع الجيش العثماني، والسبب الديني لزيارة المسجد الأقصى، ومجاورتهم، وطلب العلم[٨٢]، وسكنوا في حارات سميت باسمهم حارة المغاربة وبابهم باب المغاربة، الذي هدمته إسرائيل بالكامل عام ١٩٦٧م[٨٣]، وكان لهم شيخُهم حتى أنهم طلبوا من القاضي أن يلتزم شيخهم بما هو منصوص عليه تجاه المغاربة القاطنين بالقدس، فقد اشتكى المغاربه على الشيخ أحمد وولده حسين؛ لعدم التزامه بشروط الطائفة وذلك بتوفير السكن المناسب من مال الوقف[٨٤].

ب- **الهنود:** وأتى هؤلاء من الهند إلى القدس لزيارة الأماكن المقدسة وللمجاورة، ولهم أماكنهم الخاصة بهم، وسميت باسمهم كحوش الهنود، ولهم شيخُهم الذي يتولى إدارة مصالحهم[٨٥].

ت- **العُربان:** توزعوا في فلسطين وسكن عدد منهم في نواحي القدس، مثل بني زيد الذين أقلقوا القدس والدولة العثمانية[٨٦].

ث- **الأكراد:** أتوا إلى فلسطين مع صلاح الدين الأيوبي بعد فتح بيت المقدس عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م،وخدموا في الجيش وسكنوا القدس وغزة، وعكا[٨٧].

٢- أهل الذمـــة:

أ- **المسيحيون:** أقام هؤلاء في فلسطين بشكل عام وفي القدس بشكل خاص، وقد تمتعوا في كنف الدولة العثمانية بحرية دينية نتيجة لتسامحها الديني، والدليل على ذلك أنهم طالبوا فتح سبع طاقات بكنيسة القيامة، وأن يوضع لها شبابيك حديد، وبعد الكشف أجاز القاضي عبد الرحيم عشاقي زاده االموافقة على ذلك[٨٨]، وقد ورد في سجلات المحكمة الشرعية أنه تم التنبيه على حاكم القدس لرفع تعدياته عن النصارى، حيث اكتفى بدفع رسوم كنيسة القيامة فقط وعدم الدفع على نهر الأردن؛ لأن ذلك يجعل الزوار يعزفون عن القدوم إلى كنيسة القيامه[٨٩]، وإن دلّ هذا على شيء، فإنما يدل على حرية الطوائف الدينية الأخرى من نصارى أرمن، وروم، حيث تم التنبيه على حاكم

القدس لرفع ذلك، دفع النصارى الجزية والخراج فالنصارى بمختلف طوائفهم من سريان، وروم حيث دفع كل واحد منهم أربع غروش وربع الغرش[٩٠]، ومنهم الأرمن وكان لهم كنيسة في القدس [٩١].

٢- **اليهود:** وسكن اليهود في القدس، ودفعوا جزية مقدارها أربع غروش ونصف[92]، ووقف المصلون اليهود على قمة جبل المشارف شمال شرقي المدينة، تقيم شعائرها الدينية من بعيد، حتى سمح لهم السلطان سليمان القانوني بأداء صلواتهم في زقاق المغاربة، مقابل دفع مبلغ من المال إلى متولي وقف أبو مدين[٩٣]، وكان لهذا العمل تبعات سلبية على الزقاق؛ إذ استغل الصهاينة ذلك، وعرضوا شراء الزقاق؛ مما أثار حفيظة المسلمين بشكل عام، ومتولي الوقف بشكل خاص، ومنع اليهود من السكن في فلسطين وسيناء، وسمح لهم بالسكن في أي مكان شاءوا في الأرض العثمانية عدا الأرض المقدسة، فكانوا في منتهى التسامح، مع وعيهم التام لسياسات اليهود الطامعة في الاستيلاء على الديار المقدسه[٩٤]، وفي عام ١٨٧٤م عهد السلطان عبدالحميد منع اليهود من الإقامة في فلسطين، وطلبت منه أمريكا بعدم منع اليهود من الإقامة في فلسطين، وقال قولته المشهوره :"إنني لن أسمح لليهود بالاستقرار في فلسطين ما دامت دولة الخلافة العثمانية قائمة "[٩٥].

ومارست بريطانيا الضغوطات على السلطان من أجل إلغاء قانون منع الهجرة اليهودية إلى القدس، ولكنه سمح لهم بالاستيطان في شمال فلسطين[٩٦]، وفي عام ١٩٠٧م ظهر مصطفى كمال أتاتورك من زعماء جمعية الاتحاد والترقي، وعندما أصبحت هذه الجمعية تسيطر على مقاليد الحكم في الدولة العثمانية ازداد تغلغل اليهود في فلسطين[٩٧]، وحتى نهاية الحكم العثماني تمكن اليهود من إقامة نحو ٢٤ حيًّا استعماريًّا في غربي القدس، وفي عام ١٩١٢م تحيز جودت باشا متصرف القدس لليهود وسهل شراء الأراضي، وانحاز كذلك متصرف لواء القدس مهدي بك [٩٨].

وقد وصفها السائح التركي المشهور أوليا جلبي فقال:"القدس بلد عظيمة كائنة على هضبة مرتفعة، هواؤها عليل، وماؤها عذب، وسكانها نضار الوجوه، إنها مهوى أفئدة الكثيرين من الناس لا

من حيث قدسيته فحسب بل من حيث اقتصادياتها ووفرة حاصلاتها أيضاً، ووصفها هنري موندرل (Henry Maundrell)إن السائح ينتظر أمام الباب حتى يصدر إذن بالدخول، وعليهم أن يسلموا أسلحتهم عند الدخول إلى الجنود المرابطين على الأبواب، إلا إذا أجاز لهم الحاكم، ووجد عدد من الانكشارية أمام باب كنيسة القيامة ليراقبوا الزوار ويجبوا منهم الضرائب وتسمى (ضريبة الغفر)، وهي أربعة عشر عن كل شخص"[٩٩].

الأسرة:

وكانت المرأة المسلمة مثلها مثل أي امرأة شرقية، ولكن ما لاحظته في السجلات أنها كانت تتقاضى مهر معجل ومؤجل من ٥٠ إلى ٢٠٠ غرش، وساهمت في رفع العوز والمعاناة الاقتصادية عن الورثة فأوقفت **أموالها** فعلى سبيل المثال:كوكبة من النساء اللواتي أوقفن وقفاً ذُريّاً، **فمن الأوقاف الذُّرية ما يكون على النفس وعلى الأولاد ومن ثم الأحفاد**[١٠٠]، ومنهن من أوقف على نفسها ثم ذريتها[١٠١]، ومنهن من أوقف أرض مزروعة [١٠٢].ومنهن من أوقفت دارًا[١٠٣].

وهناك مَن اشترطت أن يكون الوقف على مذهب كالشافعي[١٠٤]. **أو على طائفة المغاربه**[١٠٥]. أو **على قبة الصخرة المشرفة** [١٠٦]. ومنهن من أوقفت على مصالح قبة الصخرة المشرفه، وإذا تعذر ذلك فعلى فقراء ومساكين المسلمين[١٠٧]. **أو على الحرم الشريف**[١٠٨]، **أو على المسجد النبوي الشريف** [١٠٩]. ولم يقتصر وقف النساء الذُري على البيوت والعقارات بل تعدى ذلك إلى الوقف للأدوات المنزلية رُبع، وثُمن، وتُسع، قيراط من ثلاث دسوت نحاسيه مخصصه لطبخ الدبس، وقد جعلت النظر على وقفها لولدها[١١٠]. وأوقفت هذه الأدوات؛ لأنها لم تكن متوفره لدى الجميع، ولأهمية توفرها في موسم العنب، خاصة أن العنب مزروع فيها ومتوفر بكثرة، العنب المنتج كافٍ للاستهلاك ويفيض عن الحاجة، فأين يذهبون بالكمية الفائضة ؟فيتم عملها دبس .

ولم يقتصر وقف النساء على الوقف الذري بل ساهمت المرأة أيام العثمانيين بوقف النقود، والأمثلة كثيرة بهذا الخصوص : فقد أوقفت بلقيس خاتون مائة وسبعين سلطانيًّا ذهباً[١١١]،

وخرجت المرأة من بيتها للضرورة كالزواج، والطلاق، والوقف، وقضاء حوائجها الضرورية، والصلاة، والمولد النبوي[١١٢] .

وكانت تذهب للحمامات التي تحوي قسماً خاصًّا للنساء، وكذلك الزوايا التي تحتوي على قسم خاص للنساء[١١٣]، وامتلكت المرأة المال والمجوهرات والأدوات المنزلية الفاخرة إذا كانت من بنات أو زوجات الوجوه الأعيان أو التجار.

شرب الخمر :

وكان شرب الخمر غير مقبول حتى أنه كان يتم إخبار عن حالات شرب خمر مسكر، فعلى سبيل المثال تم الإخبار عن ذلك في بيت بخط البسطامية، وقام بالإخبار محمد غاصوباشي من مدينة القدس. وجد جماعة داخل البيت أمامهم إبريق ورائحة فمهم خمر مسكر وهم عمر بن خليل القصيبي واخيه إبراهيم ومحمد والحاج محمد بن السبع[١١٤]، وفي عهد السلطان أحمد الأول ١٦٠٣م حُرم بيع الخمور، ولأول مرة في عهده عُرف التبغ في البلاد، وفي عهد السلطان مراد الرابع ١٦٣٣م أنه حظر على الناس شرب القهوة وتدخين التبغ[١١٥]، وان دلّ هذا على شيء فإنما يدل على محافظة الدولة العثمانية على الإنسان سالمًا معافى من أي شيء يضر بعقله وصحته، وإنها تحكم بالدين الإسلامي. حيث أن هذا القانون غير موجود في القرن الحادي والعشرين .

وتم رفع المظالم عن أهالي القرى الذين كانوا يخدمون في الحرم الشريف[١١٦].

ووصف فاكهتها من عنب وغيره، وذكر كرومها التي بلغت ثلاثة وأربعين ألف كرم، وفيها ألف وخمسمائة منظرة قائمة وسط الكروم.... علماؤها: وفيها العلماء والأشراف والأعيان والفضلاء، والتجار وأرباب الحرف. سكانها ٤٦٠٠ من مختلف الطوائف والأمم، موظفيها ألف موظف في

الحرم، راتبهم من الذهب من صرة الأستانه ملابسهم الأغنياء يلبسون السمور، وقمباز الجوخ، الجلابي "ملابس من الصوف"، وأما الفقراء لبسوا عباءة وقمباز من الجوخ العادي وملابس من الصوف الأبيض النساء على رؤوسهن طاقيات مصنوعة من الذهب أو الفضة، ويلتففن بالملايات البيض، أحذيتهن مقفولة تُعرف بالجزم[١١٧] .

الحياة العلمية في القدس الشريف:

بقيت المؤسسات التعليمية السابقة للعهد العثماني في القدس من مملوكية وأيوبية تقوم بدورها في العهد العثماني وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، والمدارس والتكايا والزوايا المنتشرة بالقرب منه وسبب ذلك؛ مكانة القدس العلمية، والتي أضحت محطة جذب للدارس، وتنافس الولاة في دعم الحركة العلمية، وحجم الأوقاف والأُعطيات التي رصدت للإنفاق على التعليم، وتسامح الدولة العثمانية مع جميع المذاهب وحرص عائلات القدس المتنفذة في الحفاظ على جميع امتيازاتها[١١٨].

أصبحت القدس موقعاً للتعليم الديني في منتصف العهد العثماني، لا سيما ما بين القرنين التاسع إلى الثاني عشر الهجريين/الخامس عشر إلى الثامن عشر الميلاديين [١١٩]، وارتفع عدد المدارس في القدس بشكل ملحوظ خلال الجزء الأخير من القرن التاسع عشر ففي عام ١٨٨٢م وُجد في مدارسها ٣٨٥٤ طالبٍ، منهم ٢٧٦٨ من الذكور، ١٠٨٦ من الإناث، يعلمهم ٢٣٥ معلماً [١٢٠].

١- المدارس: إن المدارس من المراكز العلمية المهمة جدًّا، ولها دور كبير في الحياة الفكرية والثقافية، وكانت المدارس تدرس العلوم الدينية: (علوم القرآن الكريم، القرآن الكريم بقراء اته المختلفة، وممن برع في ذلك وفي قراءاته العشر محمد بن تاج الدين بن محمد المقدسي[١٢١]، والتفسير: وقد كان مهمًّا للطلاب والعلماء وبرع من القدس مجد الدين بن عبد الصمد شيخ الحرم القدسي[١٢٢]، وكانت العلوم العقلية كالفلسفة والرياضيات،والمنطق والهندسة، والفلك، والأرصاد من أجل التعرف

على الحركات الفلكية،والأدوات الرصدّيه[١٢٣]، وبرع الشيخ محب الدبن بن عبد الصمد شيخ الحرم القدسي بعلم الفلك[١٢٤]، وأما التنجيم فقد امتهن شرف الدين العسلي القدسي هذا العلم [١٢٥].

وكانت المدارس في البيوت، والحُجر، والدهاليز، كان منها لإلقاء الدروس، وأُخرى سكن للطلاب والمدرسين، ومصلى، ومكتبه[١٢٦] .

الوظائف التعليمية في مدارس القدس:

أ- المدرس: وقد برع في هذه المهنة من القدس مصطفى بن أحمد بن صلاح الدين القدسي العلمي، وخالد القدسي[١٢٧].

ب- المعيد: وقد تولى طه بن صالح بن يحيى الديري المقدسي، وكان يعيد الدروس التي يقوم بشرحها المدرس، ويعيد دروس التفسير في الصخرة المشرفه بالباب القبلي [١٢٨]

االوظائف الإدارية :

١- المتولي ومن مهامه إدارة أوقاف المدرسة والحفاظ عليها[١٢٩]، وفي عام ١١٧٩هـ/١٧٦٥م تولى هذه الوظيفة الإدارية علي بن موسى أفندي الحموري وكان في المدرسة المنجكية[١٣٠].

٢- الناظر: ويشرف على الشؤون المالية من صادر ووارد، ففي عام ١١١٨هـ/١٧٦٨م تولى أحمد أفندي جار الله وعز الدين الجماعي وأولاده، عبد الحق الجماعي المدرسة الموصيلية[١٣١].

٣- المشارفة: وفي عام ١١٧٥هـ/١٧٦١م تولى هذه الوظيفة كل من مصطفى ومحمد وعبد الصمد، وأبى الهدى بن أبي الفضل العلمي [١٣٢].

٤- الجابي: ويقوم بتحصيل أموال الأوقاف الخاصة بالمدارس، ويساعد الناظر في الحسابات الخاصة بالمدرسة، وممن تولى هذه الوظيفة محمد العسيلي عام (١١٢٣هـ/١٧١١م) في المدرسة الغادرية[١٣٣].

٥- الكاتب: وجدت هذه الوظيفة بالمدرسة الجوهرية خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي ويقوم بتسجيل كل ما تحتاج إليه المدرسة من قرطاسية وكتب، ومراسلات، واشتُرط فيمن يقوم بهذه الوظيفة العلم، والتدين [١٣٤].

٦- الشّهادَه :يقوم صاحب الوظيفة بالتعرف واستقصاء أخبار الناس، ويشهدون القضايا [١٣٥]، وتولى عز الدين الجماعي وأولاده في المدرسةالجوهرية هذه الوظيفة[١٣٦].

الوظائف الخدماتية:

١- البواب يحافظ على ما في المدرسة من متاع، ويُشعل القناديل[١٣٧]، وتولى هذه الوظيفة أبو السعود أفندي بن أبي الفضل العلمي في ثلث وظيفة البوابة بالمدرسة، وصالح كتخذا الحموري الذي تولى البوابه بالمدرسة الحمراء عام ١١٩١هـ/١٧٧٧م [١٣٨].

٢- الشَّعاله:وهم المسؤولون عن إشعال القناديل والشموع[١٣٩]، وتولى الشيخ عز الدين الجماعي، وأولاد عبد الحق الجماعي هذه الوظيفة في المدرسة الجوهرية مقابل عثماني[١٤٠] .

٣- الفراشة وتعني تنظيف المدرسة كاملة[١٤١].وتولى عز الدين الجماعي، وأولاد عبد الحق الجماعي هذه الوظيفة عام (١١٤٦هـ/١٧٣٣م)في المدرسة الختنية[١٤٢].

٤- الِكناسة:وهو الذي يقوم بكنس المدرسة ورشها بالماء يومياً[١٤٣]، وتولى علي الدّقاق وأولاده هذه الوظيفة في المدرسة الحنفية (١١٩٧هـ/١٧٨٢م) [١٤٤].

٥- السقا: وهو مَن يجلب الماء للمدرسة ليسقي روادها وتنظيفها[١٤٥]، وتولى قبلان باشي هذه الوظيفة في المدرسة الغادرية مقابل أربع عثمانيات[١٤٦] .

الوظائف الدينية:

أ- الشيخ: ويتمتع بمكانة عالية، ويشرف على تنظيم أمور التعليم في المدرسة[١٤٧]، وممن شغل هذه الوظيفة الشيخ علي بن حبيب الله ين محمد بن نور الله بن أبي اللطف الشافعي في المدرسة الصلاحية والحنفية في القدس[١٤٨].

ب- الإمام :ومهمته إسداء النصح والإرشاد للناس، وممن شغل هذه الوظيفة أبو الهدى بن أبي الفضل أفندي العلمي، وأخوته مصطفى، وعبد الصمد ومحمد في المدرسة الحمراء[١٤٩].

ت- قُراء الأجزاء الشريفة: ممن تولى ذلك وممن تولى تلك الوظيفة محمد بن موسى أفندي الخالدي، كان يقرأ القرآن بالصخرة المشرفة في سنة ١١٤٤هـ|١٧٣١ م، ومحمد بن مصطفى النقيب من قراء الجزء بالمسجد الأقصى المبارك، وخلفه ابنه محفوظ في مشيخة القراء[١٥٠] .

ث- المُأذن: من الوظائف الأساسية في المدارس.

ج-الوعاظ: وكان لهم دورٌ هامٌ في الحركة الفكرية والثقافية، ونشطوا في المسجد الأقصى، ومختلف المدارس، واهتموا بتفسير آيات القرآن الكريم، وعلم الحديث، والفقه، ومدح النبي، وإحياء المناسبات الدينية، كالمولد النبوي الشريف، والإسراء والمعراج....[١٥١].

ح-قراء الحديث : مَن يقرأ الحديث بطريقة علمية، ومن قراء الحديث في القدس الشيخ عز الدين الجماعي وأولاده في المدرسة الجوهرية(١١٤٦هـ/١٧٣٣م[١٥٢].

خ-التصدير: وهو الجلوس بصدر المسجد، حيث يجلس أمامه مجموعة من الناس، ويكلف الشيخ بإلقاء الدروس بالمسجد الأقصى، وهي بالعلوم الدينية، وتفسير القرآن الكريم[١٥٣]، وممن شغل هذا المنصب عبد الحكيم الحنبلي[١٥٤].

مدارس القدس :

١- مدرسة خاصكي سلطان (المدرسة الحجرجية): وكانت من ضمن المؤسسات الموجودة في مجمع خاصكي سلطان في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي[١٥٥]

٢- المدرسة الأمينية وتقع في باب العتم شمالي الحرم، وفي عام ٧٣٠ هـ وقفها الوزيرأمين الدين عبد الله، وأصبح المبنى وقفاً لآل الإمام، وفي عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م تم اكتشاف عقود وأقواس من آثار البناء، وفي المدرسة قبور لآل الإمام [١٥٦].

٣- المدرسة القادرية : أنشأتها مصر خاتون زوجة الأمير ناصر الدين بن دلغادر وكانت تقع بين باب حطه وباب الأسباط، وكانت المدسة مخصصة للترك القاطنين بالقدس، وكان سكن المدرسة مشروطاً لمن هو ناظر أو شيخ في المدرسه[١٥٧].

٤- المدرسة الفارسية : تقع شمال الحرم، وقفها الأمير فارسي البكي ابن الأمير قطللو ملك عبد نائب غزه، تم تعين الشيخ طه الديري (الخالدي)، مشيخة المدرسة، وكان مشايخها في القرون العاشر إلى الثاني عشر من أبناء عائلة الخالدي [١٥٨].

٥- المدرسة الحنفية: ولها اسم آخر العظمية ؛ لأنه وقفها المعظم عيسى بن الملك العادل، وهي من المدارس الشهيرة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين[١٥٩].

٦- المدرسة الطازية أنشأها الأمير المملوكي سيف الدين طاز، في حي باب السلسلة سنة٧٦٣هـ، وكانت المدرسة في القرن العاشر الهجري كانت غنية، وكان مجموع غلالها لسنة واحدة ٩٨٠هـ (١٠٩٢٩) قطعة فضية سليمانية، ومجموع العاملين فيها اثنا عشر موظفاً، وبها عشرة أيتام، وستة عشر طالباً[١٦٠].

٧- المدرسة السلامية بخط داود وهي بحاجة لشيخ وناظر، وقد قرر القاضي محمد الخالدي تعين محمود بن الشيخ عبد الغفار العجمي في الوظيفة المذكورة[١٦١] .

٨- المدرسة الرصاصية بنيت في عصر السلطان سليمان القانوني، بناها (بايرام جاويش بن مصطفى) بتاريخ ٢٠ ربيع الأول ٢٥/٩٤٧ تموز ١٥٤٠م وتقع على ملتقى طريق الواد بطريق باب الناظر وعقبة التكية، وكانت في البداية رباطاً، ثم أصبحت مدرسة لتعليم أبناء القدس، وهي وقف الأمير بايرام جاويش [١٦٢].

٩- المدرسة الرشيدية: وتقع لاتجاه السور بباب الساهرة، سميت بذلك نسبة إلى أحمد رشيد بك متصرف القدس في زمن السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٦م [١٦٣].

١٠- المدرسة الأحمدية أنشأها أحمد باشا حاكم غزة عام ١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م، فوق سطح قبة الصخرة للدراسة والعبادة والذكر [١٦٤].

١١- المدرسة الأرغونية: وتقع في باب الحديد، أنشأها أرغون الكاملي (ت ٧٥٨هـ/١٣٥٦م)، وفي عام ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م رمم أجزاء منها متوليها الشيخ إبراهيم بن غضية، وفي سنة ١١٠٢هـ/١٦٩١م حصل ترميم للطابق السفلي وجزء من العلوي [١٦٥].

١٢- المدرسة الأفضلية: تقع في محلة المغاربة وهي من أولى المؤسسات العلمية، رُممت في القرن الحادي عشر الهجري ١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م [١٦٦].

١٣- المدرسة الباسطية :تقع شمال المسجد الأقصى، أوقفها زين الدين عبد الباتسط بن خليل الدمشقي في سنة ٨٣٤هـ/١٤٣٠م.

ويتضح لي من خلال عرض الوظائف في المدا، أنّ المدرسة تهتم بالطلاب من الناحيتين التعليمية والدينية.

وكانت المدارس والتعليم في زمن العثمانيين فكانت تابعة للدولة، وكان مستوى التعليم متأخراً، وأحد أسباب ذلك سياسة التتريك[١٦٧]، وكان للأوضاع العامة في الدولة العثمانية أثرٌ كبيرٌ على التعليم، خاصة بعد وفاة سليمان القانوني، ومانتج عنه من ضعف الجيش ؛فأثر ذلك على التعليم في القدس، وأرادت الدولة إصلاح نظام التعليم فكان بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ودخل

التعليم الحديث إلى المدينة؛ بسبب تراثها الزاخر بالمؤسسات التعليمية، ومكتباتها، وتوفر كمية من المخطوطات، والمدارس التبشيرية وصدور قانون المعارف العثماني ١٨٦٩، ودخول الوسائل الحديثة إلى مجال التعليم من طباعة، وقرطاسية، فازدهرت الحركة العلمية فيها، وظهر الطبيب، والمهندس، ورجال الفكر والأدب، وصدرت الصحف والمجلات، وأُنشئت المدارس ومنها مدرسة صهيون، وفي عام ١٨٩٢م وأُنشئت دار الأيتام السورية للتعليم المهني، وفي عام ١٨٩٢م دُشنت المدرسة الميمونية، وفي ١٨٩٢م كلية الفرير[١٦٨]، وفي عام ١٩٠٦م أنشأ متصرف القدس رشدي بك المدرسة الرشيدية، وأسس أعيان القدس وهم الشيخ حسن أبو السعود، وإسحاق درويش، وعبد اللطيف الحسيني كلية روضة المعارف، والشيخ محمد الصالح [١٦٩]

وتضم المدرسة جميع المراحل الدراسية، وبها مكتبه ومجله وجمعية لطلابها، وفرق الكشافة، وتم قبول طلبتها في الجامعات السورية واللبنانية والتركية والمصرية، وإن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن منهاجها وتدريسها كانا على مستوى جيد [١٧٠]

وأسس خليل السكاكيني وعلي جارالله المدرسة الدستورية عام 1906م، وتمتاز بأنها جمعت التلاميذ رغم اختلاف نحلهم ومذاهبهم وتعزز التلميذ وتحترمه وتنمي مواهبه"[١٧١]، في حين كانت المدارس مثل المدرسة اللوثرية الألمانية "الدباغة "تستخدم أسلوب الضرب وتم نقل توفيق وواصف جوهرية من المدرسة الدستورية نتيجة تعرضهما للضرب[١٧٢]

وكان التعليم في القدس في أواخر العهد العثماني سيّئ للغاية؛ حتى أصبح المعلم ممّن ليس له خبرة، وكان أسلوبه عقيماً وجافاً، وهذا يدل على ضعف التعليم، حتى أصبح معظم مدرسي المدرسة السلطانية من الأتراك، الذين لا يفهمون اللغة العربية، ولا يوجد بينهم سوى مدرس عربي واحد هو الشيخ موسى البديري، وكان أسلوب البديري قاسياً، والشيخ حسام جارالله، وأعرض خليل السكاكيني عن الضرب ومنع المدرسين من استخدامه.

الكتب والمكتبات :

تعد المكتبة أهم صرح علمي وحضاري، مكانتها عظيمه؛ لأن دورها عظيم؛ إذ يلتقي فيها المثقفون والعلماء، ويقصدها الطلاب لينهلوا من العلوم من بين ثنايا الكتب .

وكان باستطاعة العالم أن يستعيرها ثم يعيدها مما كان له كبير الأثر في دعم الحياة الفكرية والعلمية [١٧٣]، ومكتبات القدس في العهد العثماني قسمان :المكتبات العامة ومنها مكتبة خزانة الصخرة المشرفة، وكان لها أمين، كان يضبط الكتب والمستعار منها[١٧٤]، ومكتبة المسجد الأقصى واحتوت على عدد من المصاحف، وكتب الحديث الشريف، والفقه، والتفسير وغيرها،[١٧٥]وتم تعين القاضي لتجليد المصاحف والأمانة عليه، وكان الشيخ أمين الخليلي براتب أربع عثمانيات[١٧٦]ا.

وكانت المكتبات الخاصة التي تخص الأشخاص مكتبة الطواشي وكان عليها مشرفاً، وحصل الشيخ محمد بن مشمش على نصف وظيفه [١٧٧]، ومكتبة الشيخ محمد الخليلي وهي من أضخم المكتبات، ومكتبة الشيخ محمد بن بدير، ومكتبة عبد المعطي الخليلي، ومكتبة حسن بن عبد اللطيف الحسيني [١٧٨]، ومكتبة أبو الوفاء العلمي التي ضمت أكثر من مائتي كتاب ضمت العلوم الدينية والتاريخ والفلك وغيرها، ومكتبة الشيخ عمر العلمي التي احتوت ١٥٠ كتاباً منها كتب التفسير، واللغة وعلوم اللغة والتصوف وغيرها، وهذا يدل دلالة واضحة على أن هذا الشيخ كان على درجة عالية من الثقافة والعلم والمعرفة، ومكتبة الشيح محمد بن يحيى المؤقت خطيب المسجد الأقصى (ت ١١١٩هـ/١٧٠٧م) كان في مكتبته أكثر من مائتي كتاب في علوم مختلفة منها التفسير، والحديث والفقه، والتصوف، وفي الطب النبوي، وفضائل بيت المقدس [١٧٩].

وكانت القدس مكاناً يلتقي فيه طلاب العلم من شيوخ وتلاميذ، فأخذ العلم مَن جاء إلى القدس ومَن وجد فيها، فأخذ عبد الرحيم بن أبي اللطف الحنفي المقدسي العلوم ممن جاء إلى القدس، وكان ذلك عام ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م[١٨٠]، وسافر محمد غازي الخلوتي إلى القدس ليأخذ عن عدد من العلماء [١٨١]، ووصل عدد من العلماء إلى القدس من مصر ودمشق فأخذ عنهم علماء القدس.

النواحي الصحية:

إن مدينة القدس مدينة مفتوحة على الخارج، لذا نالت قسطاً وافراً من الاهتمام، وهي مدينة مقدسة، فأولتها المؤسسات الرسمية والشعبية عناية كُبرى من النظافة، وزودتها بالماء ليل نهار، وراقبت المواد الغذائية التي تصلها، واعتنوا بالصرف الصحي، وفحص مياه الشرب، ورش الماء صيفاً حتى تقضي على الغبار، وعمل الحجر الصحي، وتشديد الاجراءات على الوافدين، ورغم كل الاحتياطات إلا إن المدينة تفشت فيها بعض الأمراض مثل: الكوليرا التي قضت في عام ١٨٦٥-١٨٦٦على ٦٠٠شخص، وفي عام ١٩١٦م قضت الكوليرا على خمسين ألف شخص[١٨٢].

مواردها المائية:

تتمتع القدس بموقع مداري جيد من حيث درجة الحرارة؛ إذ تتراوح درجات الحرارة في فصل الشتاء من ٧-٩ درجات، وفي الصيف بمعدل ٢٥ درجة[١٨٣]، وتعد مياه الأمطار المصدر الرئيس لها، فكان يتم تجميعها من على أسطح المنازل في صهاريج، ثم من مياه البرك التي تجمع من مياه العيون المنتشرة في أنحاء المدينه[١٨٤]، ومن بركها : بركة إسرائيل، وبركة حمام البصير، وبركة حمام البطرك، بركة حمام الأسباط، بركة السلطان، بركة ماملا، بركة سليمان [١٨٥]، والعيون والآبار خارج المدينة كثيرة منها عيون العروب[١٨٦]، وعيون أرطاس[١٨٧]، وفي القدس العديد من الأسبله التي أُنشئت من أجل منفعة أهل القدس وللزوار القادمين إليها، ومنها: سبيل قايتباي •، وسبيل بيرم باشا، وسبيل قاسم باشا، وسبيل السلطان سليمان، وسبيل إبراهيم متسلم القدس، وسبيل باب جامع المغاربة، وسبيل الصخرة بباب الحرم، وسبيل السقائين، وسبيل عبد الكريم الجوريجي، وسبيل قنطرة خط داود [١٨٨]، وعمرَّ السلطان سليمان القانوني (بركة السلطان)، السبيل الواقع جنوبي بركة السلطان، والسبل في ساحة الحرم، وأمام المدرسة التنكزية، وفي باب الناظر، وبالقرب من باب الأسباط وكتب عليها نقش يوضح أن السطان سليمان القانوني قام بذلك، وقام السلطان مراد الرابع

١٦٢٢م بتجديد سبيل شعلان، وبنى القلعة عام ١٦٧٧م عند برك سليمان ؛لحماية البرك وتأمين وصول المياه للقدس، وفي ١٩٠١م احتفلوا بوصول مياه أرطاس إلى القدس والحرم، وأنشأ السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٧ م السبيل الملاصق للسور بباب الخليل، وجدد سبيل قايتباي [١٨٩] .

وفتحت البلدية المشفى البلدي عام ١٨٩١م على عهد السلطان عبد الحميد الثاني في حي الشيخ بدر والتي تعرف لغاية الآن بروميما [١٩٠]، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر قطعت القدس مشواراً طويلاً في الطب الحديث؛ وذلك بعد دراسة أبنائها الطب والصيدلة في الجامعات الأوروبية، وسماح االعثمانيين للمؤسسات التبشيرية بفتح المشافي، وقبل نهاية الحكم العثماني أضحى في القدس عدد من المشافي في تخصصات متعددة منها: الروسي الذي افتتح عام ١٨٥٩م، ويقع في المسكوبية، وفي عام ١٨٦٧ تم افتتاح المستشفى المورافي، وتخصص في مرض الجذام، والفرنسي الذي افتتح عام ١٨٨٠م مقابل باب الحديد، وافتتح مشفى مار يوحنا للعيون عام ١٨٨٢م، وبعده بثلاث سنوات ١٨٩٤م وبالقرب من باب العامود افتتح الألماني، تلاه الإيطالي عام ١٩١٠م بالقرب من باب الخليل، وهداسا الذي كان يسمى روتشيلد عام ١٩١٨م غربي باب الخليل، هذا ما وجد في الأحياء العربية وللجميع، أما مشفى المجانين فهو خاص بالمستوطنين، وفي عام ١٨٨٧م افتتح المشفى الإنجليزي بوسط الأحياء اليهودية[١٩١].

الحمامات :

وكان انتشار الحمامات في المدينة نظراً لمكانتها الدينية المقدسة، وحاجة الوافد والمقيم إلى النظافة، والطهارة، فأُلحقت الحمامات بالخانات والمدارس وغيرها، ويوجد عدد من الحمامات في القدس منها: حمام الشفا ويقع في سوق القطانين، وهو وقف المسجد الأقصى [١٩٢]، وتم ترميمه، وتقدر تكاليف الترميم ٣٦ غرشاً أسدياًو ٢٠ قطعة مصرية، وقدم الطلب رؤساء المعمارية بالقدس [١٩٣]، حمام ستنا مريم، وحمام السلطان، وحمام حمزه، وحمام العين، وحمام البطرق، وهو غالباً حمام للنصارى[١٩٤].

أسبلتها :

رمم العثمانيون الأسبلة القديمة الموجودة منذ العهد المملوكي، وأضافت عليها أسبلة جديدة مثل سبيل باب الخليل الذي أنشأه السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٧م، وبنى السلطان سليمان القانوني عدد من البرك جنوب المدينة لتخزين المياه لتزويد المدينة، وبنى قناة حجرية لنقل المياه من عيون العروب للبرك، ومنها للمدينة، أقام السلطان مراد الحراس على البرك والقنوات وحمايتها من اللصوص[١٩٥]، وفي القدس سبيل المسقاة الذي كان في مجمع خاصكي سلطان وبنيت في السنة التي تم فيها إنشاء التكية نفسها [١٩٦].

ووُجِدَ في القدس عددٌ من السواقي التي وجدت في الأماكن العامه بغرض نيل الثواب والأجر، وفي القدس عين سلوان ولها أسماء عديدة منها عين جيحون، العذراء، وأم الدرج تبعد حوالي ٣٠٠م عن زاوية الحرم الجنوبية [١٩٧].

تتمتع القدس بمكانة دينية وعلمية جذبت العلماء والفقهاء والزهاد والطلبة والزوار للإقامة فيها،مما أدى إلى إقامة أماكن للنوم والأطعمة،فتألفت الزوايا والتكايا والربط، وكانت تحتوي على غرف للدراسة، وآبار للمياه، وفرن ومطبخ، ومن أهم التكايا التي ما زالت موجودة حتى يومنا هذا (تكية خاصكي سلطان) أنشأتها زوجته روكسلانه عام ١٥٥٢م، ورصد عليها عائدات (٢٧) قرية ومزرعة في فلسطين[١٩٨]

ومن العلماء الذين أتوا إلى الحرم القدسي الشيخ إبراهيم الرملي، وأخذ علومه في رملة فلسطين، ثم رحل إلى مصر، ونقل العلوم إلى الشيخ أحمد الأسعردي مفتي القدس [١٩٩]، والشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري وصل إلى القدس ١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م، وبرع في علوم عدة منها : التاريخ، وفنون الأدب، والحديث، والمعارف [٢٠٠]، والشيخ خير الدين بن أحمد بن نور الدين مفتي مدينة الرمله، وأخذ عنه الشيخ محمد الأسعردي مفتي الشافعية، والشيخ عبد الرحيم بن أبي اللطف فتي الحنفية في القدس [٢٠١]، هذا على سبيل المثال من فلسطين، ومن خارج فلسطين الشيخ موسى السندي من المدينة المنورة قدم للشام ثم إلى الخليل، وأقام في بيت المقدس حتى وفاته[٢٠٢].

النواحي الدينية :

الخانقاوات:

وهذه كلمة فارسية أصلها خوانكاه، أطلقت أول الأمر على مكان أكل السلطان، وأصبحت تطلق على أماكن يختلي بها الزهاد والعباد [٢٠٣]، ومنها الخانقاه الصَّلاحية [٢٠٤] انشأها صلاح الدين الأيوبي (٥٨٥هـ/١١٨٩م)بالقرب من كنيسة القيامة،سميت بهذا الاسم نسبة للأشراف الذين عملوا فيها[٢٠٥]،بناؤها عبارة عن بيوت سكنية للمتصوفين، ومسجد،ويقرأ المتصوفون القرآن الكريم، مما له أثر كبير في الناحية الثقافية [٢٠٦]، الخانقاه الباسطية في المدرسة الباسطية في القدس، نسبها إلى القاضي عبد الباسط بن خليل الدمشقي عام (٨٥٤هـ/١٤٥٠م)[٢٠٧]، وتولى مشيختها محمد أفندي أبو اللطف سنة (١١١٥هـ/١٧٠٣م)[٢٠٨].

الأربطة أو الرُّبط:

واشتقت الكلمة من ربط الشيء وأصلها رباط الخيل، وهي مرتبطة بالمسلمين بمنع الأعداء من دخول البلاد الإسلامية [٢٠٩]، واستخدمها المتصوفون كالخانقاوات [٢١٠] وبما أنها استخدمت لنفس الهدف فلا بد أن يكون لها أثر كبير في الحياة الثقافية؛ لأنها تقوم بتعليم العلوم الشرعية .ومن الربط في القدس : رباط أبي شريف يقع في باب حطه[٢١١]، ورباط علاء الدين الذي يقع في باب الناظر[٢١٢]، ورباط بيرام جاويش ويقع في أسفل عتبة الست[٢١٣]، والرباط الزمني وأنشأه محمد بن عمر الزمن[٢١٤]، ورباط الحاج قاسم [٢١٥]، والرباط المنصوري [٢١٦] وغيرها من الربط في أماكن ومواقع مختلفة من القدس يدل دلالة واضحة على أن المسلمين في ذلك الوقت كانوا على أهبة الاستعداد .

التصوف:

كان التصوف واحداً من العناصر الأساسية للفكر الإسلامي، وساد الفكر الصوفي في العصر العثماني[٢١٧]. وانتشر التصوف في القدس ولا تكاد توجد طريقة إلا ولها مريدوها في بيت المقدس؛ لأن

الدول الإسلامية التي تعاقبت على بيت المقدس آوت، وآزرت المتصوفين فأسس صلاح الدين الأيوبي الخانقاه الصلاحية، تلاه في التشجيع المماليك، ثم العثمانيون، ولم يقتصر ذلك على الحكومات بل أخذت بعض العائلات على عاتقها دعم الصوفيه، مثل آل العلمي، وآل الدجاني[٢١٨]. وفي بيت المقدس عدد من الفرق الصوفية منها: الطريقة المولوية، والخلوتية، والشاذلية، والقادرية، والنقشبندية[٢١٩] .

الزوايـــا:

ظهر هذا الاصطلاح في العصر المملوكي وازداد في العصر العثماني وهي عبارة عن أماكن مخصصة للعبادة والمطالعة، ويكون على شكل خلوة أو رواق بالمسجد [٢٢٠]، وارتبطت الزوايا في القدس بالطرق الصوفية ومن زوايا القدس: زاوية الشيخ تاج الدين أبي السعود[٢٢١]، وأقامها تاج الدين أبو السعود في القدس، والزاوية الوفائية التي تقع بجانب المسجد الأقصى.[٢٢٢]،او الخلوة أو الزاوية التحتانية في المسجد الأقصى[٢٢٣] وعمّرها الشيخ مصطفى البكري[٢٢٤]، والزاوية المهمازية، تنسب للشيخ كمال الدين المهمازي، تقع بباب حطه[٢٢٥]، والزاوية الأدهمية وتقع خارج أسواق القدس، بالقرب من باب الساهرة، وتنسب إلى إبراهيم بن أدهم [٢٢٦]، والزاوية القادرية التي تقع في حارة الواد، تعرف باسم زاوية الأفغان، وزاوية الهنود، التي تقع بالقرب من باب الساهرة[٢٢٧]، والزاوية الأسعردية، وزاوية الأردبيلي، وزاوية أولاد نسيبة، وبركة خان، والبدرية، وزاوية الجليقي، والحيدرية، والرفاعية، والزمنية، والطواشية، والغزالية وغيرها [٢٢٨]، وهذا يدل دلالة واضحة على أن هناك اهتمام بهذه الزوايا؛ لأنها عنصر من عناصر الفكر الإسلامي، وكان مسموح لها ولو كان مضيق عليها لما كانت بهذا الانتشار.

كنائسها ومساجدها :في القدس كنيستان للأرمن، وثلاث للروم، وكنيستان لليهود، وللمسلمين أربعون محراباً، وسبعة دور للحديث، وعشر دور للقرآن، وأما تكاياها لسبعين طريقة منها بالكيلانية، والبدرية، والسعدية، والرفاعية، والمولوية أكثرهم أهل ذوق رفيع ودراويش [٢٢٩] .

الترب والجبانات :

انتشرت القبور والمقامات داخل أسوار القدس وخارجها، فهي في داخل الأسوار على القبور الموجودة في المقامات، والأديرة والكهوف، والساحات، وقد أوصى طلبة أو علماء وغيرهم أن يُدفن فيها مثل المدرسة الخاتونية المجاورة للمسجد الأقصى، والتي تضم في رحابها، والشريف حسين بن علي، وموسى كاظم الحسيني، وشهيد معركة القسطل عبد القادر الحسيني، وأحمد حلمي عبد الباقي رئيس حكومة عموم فلسطين ومحمد علي الهندي، وعبد الحميد شومان[٢٣٠].وتتوزع المقابر خارج السور منها : مقبرة باب الرحمه، شرقي السور، ومأمن الله الى الجنوب الغربي من باب الخليل ودُفن فيها عدد من العلماء وكبار الصحابه، والتابعين، والمجاهدين، ورجال العلم والفكر والأدب.[٢٣١]

ومن الترب والمقابر التي وجدت في القدس تربة حسام الدين بركه خان الموجودة بالقرب من المدرسة الكيلانية، والتربة اليوسفية، ومقبرة مأمن الله التي تقع بالجهة الغربية للمدينة، وفيها عدد كبير من العلماء والصحابة والشهداء، ومن أسمائها باب الله، ومقبرة باب الرحمة وتقع شرقي السور للمسجد الأقصى، وفيها قبور عدد من صحابة رسول الله [٢٣٢] .

النشاط العمراني:

تركز البناء داخل السور من عام ١٥١٦م ؛ لتوفر الأراضي، واضطراب الأمن، واستمر العمران على هذه الحال حتى ١٨٥٦م، ثم نشط البناء خارج السور؛ للزيادة الطبيعية في عدد السكان والوافدين، وتحسن ظروف الأمن، وتطور فنون العمارة، ودخول مجالات التحديث في البناء، وارتفاع مستوى المعيشه، فانتشر البناء في الجهة الشمالية والغربية، إلا إن الأبواب كانت تغلق بعد غروب الشمس ووقت صلاة الجمعة مدة ساعتين ؛ ليتمكن الجنود المرابطون على القلعة والأبراج من أداء الصلاة،[٢٣٣]

وأما التحصينات الدفاعية؛ فمنذ عام ١٥١٦م اهتمت الدولة العثمانية بتحصين المدينة، منذ دخولها، وأراد السلطان سليم إعمار السور، إلا إنه وافته المنية قبل ذلك، وحقق السلطان سليمان القانوني ذلك عام ١٥٤٠م، بهدف حماية الأماكن المقدسة من تعديات اللصوص، وغارات القبائل،

والزحف الأجنبي، واستغرق البناء خمس سنوات، وانفق عليه أموال طائلة، أشرف على البناء مهندس البلاط السلطاني سنان باشا [٢٣٤] .

وبنوا السور من الأسفل بحجارة كبيرة الحجم ومن أعلى حجارة أصغر حجمًا، واستحدثوا طاقات مستطيلة الشكل لتوجيه بنادقهم منها، وشبابيك بها فتحات للحراسة، ولحموا البناء بالمونة الجيرية. وفي السور سبعة أبواب وهي من الشمال: الساهرة، والعامود، والجديد أو "عبد الحميد:، ومن الجنوب باب المغاربة، والنبي داود، ومن الشرق الأسباط أو ستنا مريم، والخليل من الغرب، وهي مصنوعة من الخشب المصفح بالحديد، وأما باب الساهرة والجديد، فتم تجديدهما بالحديد أيام الانتداب البريطاني وتم إغلاق الأبواب المفرد، والمجوز، والثلاثي لعدم الحاجة إليها، وباب التوبة أو الرحمة لوضع حد للإشاعة القائلة بعودة الصليبيين واحتلال المدينة من جديد[٢٣٥]، ومن أجل أن يؤدي السور دوره أنزلوا أشد العقوبات لمن يحاول المس به، ومنعوا الأجانب من الاقتراب، ولم يسمحوا لهم بالدخول إلا بعد الحصول على تصريح بالدخول، وتسليم السلاح على الباب، وأُضيف باب جديد سمي بالجديد أو باب السلطان عبد الحميد فوصل عددها سبعة أبواب[٢٣٦].

وأما القلاع، فقاموا بتعمير قلعة القدس التي بناها السلطان المعظم عيسى الأيوبي، وهي على مرتفع صخري وعليها خمسة أبراج أهمها برج غزة، والنبي داود، وفيها مسجد، وأماكن لنوم الجنود، وسجن، ومخازن ومستودعات، وعتاد، واسطبلات[٢٣٧]، واحتلت موقعًا استراتيجيًّا فتمركز فيها الجيش، والقلعة الثانية المدرسة الجاولية القائمة عند زاوية المسجد الأقصى الشمالية الغربية، يتمركز فيها الأمن، ويسجن الخارج على القانون، وسميت بالجاولية، إذ أوقفها علم الدين سنجر الجاولي نائب غزة والقدس ٦٣٨–٧٤٥هـ فنسبت إليه وبقيت مقراً حتى نهاية الحكم العثماني [٢٣٨]، والقلعة الثالثة فهي في وسط البلدة القديمة جنوب خط باب الناظر، وفيها مقر الحاكم العام(السرايا)أو الدار الكبيرة بنتها طشنق خاصكي سلطان، واستمر استخدامها حتى ١٩١٤م[٢٣٩].

استخدموا السرايا مقرًّا للحكومة وأجهزتها، وفي عام ١٩١٤م نقل جمال باشا قائد الجيش العثماني الرابع مقر قيادته من دمشق إلى القدس، وكان مقره عمارة الألمان المعروفة باغاستا فكتوريا أو المُطّلع .[٢٤٠] وفي عهد السلطان مراد الرابع أقام قلعة سميت قلعة مراد نتيجة معاناة أهل القدس انقطاع المياه؛ لأن الأشقياء وقطاع الطرق كانوا يوقفون الأسبلة، وفي عهد السلطان إبراهيم بن أحمد 1639هـ/1655م تم بناء المئذنة داخل القلعه، وفي عهد السلطان محمد الرابع 1651-1648م أنشأ المصلى الكائن بجانب سبيل شعلان[٢٤١] .

جدد السلطان سليمان القانوني وعمّر سور القدس، واستمر العمل فيه خمسة أعوام من ٩٤٣هـ-٩٤٧هـ/١٥٣٦-١٥٤٠م، وعمّر بركة السلطان والسبيل الواقع أمامها، وعمّر باب الناظر من أبواب االحرم ٩٤٣هـ/١٥٣٦م، وفي عام ١٥٤٢م عمّر جدران الحرم، وفتح باب ستنا مريم، الباب الذهبي، وعمّر باب الصخرة الغربي، وجدد قاشاني قبة السلسلة عام ٩٦٩هـ/[٢٤٢]، وأنشأ تكية خاصكي سلطان، ومساجد، وأسبله[٢٤٣]. وفي عام ١٥١٧م أنشأ مسجداً فوق جبل الطور مكان كنيسة الصعود، وأنشأت زوجته الروسية روكسيلانه عام ١٥٥٢م تكية خاصكي سلطان هذا المجمع الخيري ويحتوي على مسجد، ومنزل يضم خمسين حجرة، ومدرسة، وخان وسبيل، وجامع وتكية، وتقع في عقبة التكية نسبة إلى تكية خاصكي سلطان، ومن منشآت خاصكي سلطان في بيت المقدس المسجد الشريف، والعمارة التي تضم مطبخاً، وأفرانًا، ومخازن، ومحطبًا، والحجرات الخمسة والخمسين حول المسجد وأوقفتها على المجاورين، والخان المنيف الواسع، وأوقفته على عامة أبناء السبيل وأصحاب السفر والرحيل[٢٤٤]

من منشآت الأتراك في القدس :

أولاً : السور: جدد عمارته والجزء العلوي منه السلطان سليمان القانوني، ونقش اسمه عليه، واستمر العمل فيه مدة خمس سنوات، وكانت جميع البيوت داخل السوق، وكانت أبوب السور تغلق عند الغروب، ولا يفتح الباب لمن جاء بعد إغلاقه، وكان الحراس من الجنود النظاميين على مدار

الساعة، وعند خروج سكان القدس إلى خارجها ساروا تحت حماية شيوخ القرى القريبة مقابل مبلغ من المال، عكس أهل القرى إذا دخلوا المدينة وفدوا إلى الأفندية الذين قاموا بدور الوساطة بينهم وبين الحكومة " ولطالما أثرى هؤلاء على حساب الآخرين" [٢٤٥]

ثانياً: السكة الحديدية أنشأتها شركة فرنسية عام ١٨٨٩م واستمر العمل حتى ١٨٩٢م طولها ٨٧ كيلومترا، والمحطة في حي البقعة الذي كان مهجورًا، مما اضطر إدارة السكة لدفع الخاوه لمشايخ القرى من أجل حماية السكة[٢٤٦]

ثالثاً: الطرق والشوارع كانت شوارع المدينة ضيقة، ورصفها سّيئ وأمامها مصاطب لجلوس المتسوقين التي مُنعت عام ١٨٦٣م، وفي عام ١٨٨٥م استبدل البلاط القديم بجديد، وتم حفر أقنية لسير مياه الأمطار،وكانت وسائل النقل هي الحيوانات فقط، ولم يكن طرق خارج المدينة، فأقام العثمانيون طريق يافا القدس عام ١٨٦٧م، وطريق القدس نابلس عام ١٨٧٠م [٢٤٧]

رابعًا: برج الساعة أقام العثمانيون هذا البرج عام ١٩٠٩ احتفاءً بمرور ثلاث وثلاثين سنة على جلوس السلطان عبد الحميد بناه علي أكرم بك، وكان في أعلى كل ضلع من أضلاعها الأربعة ساعة كبيرة يراها سكان الحي، دمرها الإنجليز عند احتلال القدس [٢٤٨]،

خامسًا: المساجد ومنها مسجد جبل الطور على جبل الزيتون أنشأه العثمانيون عام ١٥١٧م، ويقال أن السلطان سليم هدم كنيسة الصعود وأقام مكانها المسجد، والمسجد العمري الذي يقع جنوبي كنيسة القيامة وعلى مقربة منها، وحصل هذا زمن سلطنة عبد المجيد ١٨٣٩-١٨٦٠م [٢٤٩]

وتأثرت القدس بزلزال ٩٥٢هـ/١٥٤٥م وتضررت كنيسة القيامة، وفي عام ١٥٤٦م أصاب القدس زلزال عنيف أثَّر على القدس بشكل كبير، فوقعت خسائر بشرية ومادية، وكانت الأماكن الأعظم تضرراً هي المباني القديمة[٢٥٠]، ومن البديهي أن يقع الضرر الأكبر في المباني القديمة؛ لأنها ضعيفة البناء بسبب مرور الزمن على إنشائها. ولأنها تعرضت لزلزال آخر أفقدها متانتها وقوتها .

ولم تنج المباني الدينية والعلمية من الضرر، مثل المدارس، والزوايا، والتكايا، والكنائس والأديرة، والحمامات، وغيرها .

وأصاب القدس عام ١٢٥٠هـ/١٨٣٦م زلزال عنيف أدّى إلى سقوط أجزاء من سور الأقصى، ومئذنة مسجد الأسعدية[٢٥١].

الخلاصـــة:

عرضتُ في هذه الدراسة أهم الملامح العامة لتاريخ القدس الشريف وركزتُ فيه على المحاور التالية: المحور الأول عالجتُ فيه الجانب الإداري، والتشكيلات العثمانية والتبعية الإدارية والجهاز الإداري.

وخصصتُ المحور الثاني لمعالجة الحياة الاجتماعية التي انتابت المدينة في العهد العثماني حيث تم التركيز على عدد السكان والعلاقات العامة والتعليم وما كان في القدس من مدارس، والوظائف الإدارية والتعليمية والدينية والخدماتية في المدارس والصحة .

أما المحور الثالث، فقد ركزتُ فيه على النواحي العلمية والدينية، الذي ما زال جزء منه حتى يومنا هذا وتطور النشاط العمراني والتحصينات الدفاعية، وعلى رأسها السور والأبواب، والأبراج، والقلاع والحصون، والمؤسسات الخيرية كالتكايا، والزوايا، والأربطه، والأسبلة، والترب.

التوصيات :

الحفاظ على الموروث الحضاري والديني في هذه المدينة المقدسة رغم كل ما تتعرض له من مضايقات. لذا يجب ثبات أهل القدس على اختلاف مستوياتهم مع الدعم العربي والاسلامي من أجل الحفاظ على المدينة المقدسه– هنا لا يشترط أن يكون الدعم مادي –، ضرورة الحفاظ على أرض القدس الطاهرة التي رُوي ثراها من دماء الشهداء البواسل على مر العصور، وعودة أمجاد القدس ومنع غير المسلمين من الدخول إلى الحرم الشريف كما كان عليه في العهد العثماني، والذي يدخله المستوطنون اليهود في أي وقت، وضرورة الحفاظ على أراضي القدس والعمل الدؤوب على

استعادة ما سُلب منها، والمطالبة والاصرار على أن تكون القدس عاصمة للدولة العربية، واستمرار البحث العلمي في كل ما يخص المدينة.

الهوامش:

[1]- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (٧١١هـ/١٣١١م)، **معجم لسان العرب**، (١٥ جزءًا)، مادة قدس ج١٢، (بيروت، دار صادر، ١٩٧٠م)، ص٤٠.

[2]- حسن ظاظا، **القدس**، (الإسكندرية، ١٩٧٠م)، ص6-9.

[3]- عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**(القدس: ١٩٤٧م)، ص ٢٩-٣٧.

[4]- تيسير جباره وآخرون ،**تاريخ القدس** ، ،(عمان: منشورات جامعة القدس المفتوحه ،٢٠٠٩م ص٢١٤.

[5]- أحمد المرعشلي وآخرون، **الموسوعة الفلسطينية** ، ٤ مجلدات ، الخاصة، (دمشق: ١٩٨٤م)،ط١، ص٥٢٧؛

Gioss Max ;Ottoman Rule in provinceof Damascus, 1860 -1909, PHD, Dissertation, Georgetown University,1979, pp,1-4.

[6]- عبد الغني النابلسي، **الحقيقة والمجازفي رحلتي إلى بلاد الشام ومصر والحجاز**، ق٢، تحقيق : رياض عبد الحميد مراد، دار المعرفه،١٩٩٨م، ق١، ص٣٤٠.

[7]- قسطنطين نقولا أبو حمود، **معجم أسماء المواقع الجغرافية في فلسطين** ، ط١(القدس: جمعية الدراسات العربية، ١٩٨٤م)، ص١٥.

[8]- مصطفى مراد الدباغ، **بلادنا فلسطين**،١٠ج، (الخليل: رابطة الجامعيين بجامعة الخليل، ١٩٧٤م)، ج٨، ص٢٧٩.

[9]- المرجع السابق، ج٨، ص٩٢.

[10]- قسطنطين نقولا أبو حمود، مرجع سابق، ص٥٥-٥٤.

[11]- ،مصطفى مراد الدباغ، مرجع سابق، ج٨، ص٢٦.

[12]- نفسه.

[13]- قسطنطين خمار، **موسوعة فلسطين الجغرافية**، (بيروت: مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية)، ص١١٦.

[14]– مجير الدين الحنبلي العليمي، ت٩٢٧هـ/١٥٢٠م، **الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، ٢ج، تحقيق: محمود كعابنه، ومحمد أبو تيانه، (الخليل: مطبعة دنديس، ١٩٩٨م) ج ٢، ص١١٢.،

[15]– الدباغ، مرجع سابق، ج٨، ص٣٠–٢٨.

[16]– قسطنطين أبو حمود، مرجع سابق ، ص ٢١٠.

[17]– مجير الدين الحنبلي العليمي ، مصدر سابق ، ج٢،ص١٢٠.

[18]– محمد سليم اليعقوب ،**ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري /السادس عشر** الميلادي،ج٢، (عمان: البنك الأهلي الأردني،١٩٩٩م)،ج١،ص٩.

[19]– صلاح الدين بحيري ،**جغرافية الأردن**،(عمان: مطبعة الشرف ،١٩٧٣م)،ص٣١.

[20]– فؤاد حسنين علي، **فلسطين العربية**، (القاهرة:١٩٧٣م)، ص١٦.

[21]– عارف العارف ،**المفصل في تاريخ القدس** ، ص١٦–١٩..

[22]– المصدر السابق، ص٢٩–٣٧.

[23]– بيان نويهض الحوت، **فلسطين القضية والشعب والحضارة**، (بيروت:١٩٩١م)، ص١٠٤،

[24]– عقيق البهنسي، **الأصلة الإسلامية في عماري القدس**، (عمان: الندوة السادسة، ١٩٩٥م) ص٨٠.

[25]– عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس** ، ص ٧١.

[26]– المصدر السابق،ص٧٦–٨٥.

[27]– تيسير جباره وآخرون، **تاريخ القدس**، (عمان: منشورات جامعة القدس المفتوحه ،٢٠٠٩م)،ص٢١٣.

[28]– محمد فردريك بك المحامي **تاريخ الدولة العلية العثمانية تحقيق: د احسان حقي** (بيروت: دار النفائس،١٩٨١م)، ط١، ص٣٨٣..

[29]– عبله المهتدي ،**القدس تاريخ وحضارة ٣٠٠٠ق.م–١٩١٧م**، (بيروت: دار نعمه للطباعة والنشر، ١٩٩٨م)، ص99 .

[30] –Amnon Cohen,Economic Lifein the Ottoman Jerusalem (Cambridge ,1989),p. 1…

[31]– تيسير جباره وآخرون ،تاريخ القدس ، ص٢١٣.

[32]– خليل بن خطار سركيس، **القدس الشريف**، (بيروت مطبعة المعارف، ١٨٧٤م)، ص١٩٠.

[33]– عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس** ،ص٢٩٤,٢٦٥,٢٦٤.

[34]–M.H.Burgoyne, Mamlluk Jerusalem ,An Architectural Study, withaddtional gistorical research by D.S.Richards London; British School of Archaeologyin Jerusalem .

[35]– محمد غوشه وآخرون **القدس دراسات في التاريخ والسياسة،** (الإمارات العربية المتحدة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ٢٠١٠م)، ص٦٤.

[36]– تيسير جباره وآخرون ،**تاريخ القدس،** ص٢١٤

[37]– عادل مناع، **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني١٧٠٠–١٩١٨م** (،بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٩٩م)،ص٧.

[38]– ميرفت أبو عواد **الحياة الإدارية والثقافية الاجتماعية والاقتصادية في فلسطين خلال القرنين الحادي والثاني عشر الهجريين| السابع والثامن عشر الميلاديين من خلال كتب التراجم** (عمان: دار دجله ٢٠١٨م)ص٢٥،٢٦.

[39]– عادل مناع، مرجع ساب، ص٧.

[40]– سجلات محكمة القدس الشرعية سجل رقم٩، حجه ١٠٢.

[41]– حسن الباشا، **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار** (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م) ص٥٠٣.

[42]– تيسير جباره ، مرجع سابق ، ص٢١٦–٢١٩.

[43]– تيسير جباره وآخرون ، تاريخ القدس ، ص ٢١٩–٢٢٣.

[44]– أمين أبو بكر، **تنظيم أراضي الأوقاف في فلسطين وضبطها ١٨٢٦–١٩٤٨**،الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين، المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلا الشام ٢٧–٢١ شعبان ١٤٢٧هـ/ ١٠–١٤ أيلول ٢٠٠٦م، تحرير : محمد عدنان البخيت، (عمان: منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام – الجامعة الأردنية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م ،ص٣٤٩،٣٤٥.

[45]–سجلات محكمة القدس الشرعية رقم ٩٥، حجه ٢، ١٩ صفر ١٠٢٣هـ/٧ أيار١٦٠٥م،ص١٤٩.

[46]–سجلات محكمة القدس الشرعية رقم١٥٧، حجه١، ١١ رجب ١٠٧٠هـ/٢٣ آذار١٦٦٠م ، ص١١٠.

[47]– سجلات محكمة القدس الشرعية رقم ١٢٥،حجه ١,١٤ جمادي ثاني ١٠٤٥هـ/٢٥ تشرين ثاني ١٦٣٥م،ص٢.

[48]– سجلات محكمة القدس الشرعية رقم ١٦١،حجه رقم ٢، ٢٣ذي القعدة ١٠٧٢هـ/١٠ تموز ١٦٦٢ م،ص٣٧٥.

[49]– صلاح الدين المنجد، **ولاة دمشق في العهد العثماني** (دمشق:١٩٤٩م)، ص١١٢؛ عبد الكريم رافق، **العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦**(عكا: مكتبة ومطبعة السروجي للنشر ،ط٢، ١٩٧٨) ،ص٥٣

[50]– حسن بن محمد بن حسن البوريني،(ت١٠٢٤هـ/١٦١٥م)، **تراجم الأعيان من أبناء الزمان** ، جزآن ، تحقيق صلاح الدين المنجد، (دمشق/ المجمع العلمي العربي ، ١٩٥٩م)ج٢ ص١٣٢،ج٢،ص١٩٨.

[51]– سجلات محكمة القدس الشرعية سجل ١٩٢، حجه ١ أواسط رجب ١١٠١هـ/٢٤ نيسان ١٦٩٠م ،ص٩٠.

[52]– المصدر السابق سجل ١٧٤ ، حجه ١ ١٨ ربيع ثاني ١٠٨٤هـ/١٢ آب ١٦٧٣م، ص٣٣٦.

[53]– المصدر السابق سجل ١٦٧،حجه ٢ ، ٦ شوال ١٠٧٧هـ/٣ نيسان ١٦٦٧م ،ص١٥٣.

[54]– المصدر السابق سجل ١٧١، حجه١,٢، نهاية شعبان ١٠٨٠هـ/٢٧ كانون ثاني ١٦٧٠م،ص٢٧٤.

[55]– المصدر السابق سجل ١٦٧،حجه١,١٠ رجب ١٠٧٧هـ/٨ كانون ثاني ١٦٦٧م،ص٧٥.

[56]– المصدر السابق سجل ١٨٤،حجه١,١٣ ربيع أول ١٠٨٣هـ/٩ تموز ١٦٧٢،ص٣٣٩.

[57]– زياد المدني، **مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد العثماني**، (عمان: دار المكتبة الوطنية، ١٠٠٤م) ط١، ص٧٥.

[58]– عبد العزيز عوض، **الإدارة العثمانية في ولاية سوريا ١٨٦٤م-١٩١٤م**، (مصرو: دار المعارف، ١٩٦٩م)، ص١١٨.١

[59]– عادل مناع، **لواء القدس في أواسط العهد العثماني الإدارة والمجتمع** ، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية ٢٠٠٨م)، ط١، ص١٦٩

[60]– المرادي، مصدر سابق، ج٣ ،ص٨٨.

[61]– ابراهيم ربايعه، **تاريخ القدس في العصر العثماني في ضوء الوثائق خلال ١٦٠٠-١٧٠٠م**، مكتبة كل شيء، ص١٤٩-١٥٠.

[62]– محمد الخطيب ،**الأوقاف الاسلامية في فلسطين في العصر المملوكي٦٤٨-٩٣٢هـ/١٢٥٠-١٥١٧م دراسة وثائقية**، (الاردن: دار الكتاب الثقافي، ٢٠١٣م)،ص١١١.

[63]– دعاء عبد الله أحمد العصا ،**الأوضاع الادارية والاقتصادية والاجتماعية في لواء نابلس ١٨٤٠-١٨٦٤م**، رسالة ماجستير غير منشوره، جامعة الخليل ، ٢٠١٥م، ص٤٢.

[64]– المحبي محمد الأمين بن قضل الله المحبي ،(ت١١١١هـ|١٧٠٠م، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ٤ج، .(لبنان: دار الكتب العلمية ٢٠٠٦م)،ج٣،ص٢٣٥.

[65]– ميرفت أبو عواد، **الحياة الإدارية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية في فلسطين خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين/السابع والثامن عشر الميلاديين من خلال كتب التراجم**، (عمان: دار دجله، ٢٠١٨م) ص٨٠-٨٣.

[66]– أبو الفضل محمد خليل علي بن محمد المرادي، **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، ٤ أجزاء، (بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٩٧م)، ج٢،ص٧٠.

[67]– تيسير جباره وآخرون، **تاريخ القدس** ، ص ٢٢٣.

[68]– مركز الامارات للدراسات والبحوث ،**القدس دراسات في التاريخ والسياسة**، ص٤٨.

[69]– أحمد سعيد السليمان، **تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل** ،(القاهرة:دار المعارف)، ص١٧٦-١٧٧.

[70]– مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، مرجع سابق ، ص٤٩.

[71]– محمد أحمد سليم اليعقوب، **ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري| السادس عشر الميلادي**، (عمان: البنك الأهلي الأردني، ١٩٩٩م)، ج١، ص٢١٣.

[72]– السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، (القاهرة: دار الكتاب العربي ، ١٩٤٨م، ص٤٣-٤٤.

[73]– مصطفى عبد الرحيم الخطيب، **معجم المصطلحات التاريخية**، (بيروت:١٩٩٦م)، ص٣٢١.

[74]– مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، مرجع سابق، ص ٤٨-٤٩.

[75]– مصطفى عبد الرحيم الخطيب، **معجم المصطلحات التاريخية** ،(بيروت:١٩٩٦م)،ص٥٠

[76]– زياد المدني، القدس وجوارها، ص٤١.، كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريب: نبيه نبيه فارس ومنير البعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين،ط١,١,١٩٨٨م)، ص٤٦٧.

[77]– هيئة الموسوعة الفلسطينية، أحمد المرعشلي وآخرون، **الموسوعة الفلسطينية القسم العام**، ٤ مجلدات، (دمشق: ١٩٨٤م)، مجلد٣، ص٥١٢.

[78]– واصف جوهرية، **القدس العثمانية في المدكرات الجوهرية**، تحرير: سليم تماري، وعصام نصار (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية) ص١٦٨

[79]– واصف جوهرية، المصدر السابق ص١٦٩.

[80]– تيسير جباره وآخرون ، **تاريخ القدس** ،ص٢٤٢.

[81]– سجل ٩٢، حجه ١، غرة رجب ١٠٢٠هـ/١٠ تشرين أول ١٦١١م ، ص١٠١.

[82]– أحمد حسنين عبد الجبوري، **القدس في العهد العثماني(١٦٤٠-١٧٩٩)،دراسة سياسية – عسكرية –إدارية–اجتماعية–اقتصادية**، (الأردن: دار الحامد،٢٠١١م)، ج، ص ٢٢٧.

[83]– عبد القادر البوخاري، **أوقاف المغاربه في القدس**، بحوث الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافي في إطار الحوار الإسلامي المسيحي ١٤١٤-١٩٩٣م ،(المغرب: منشورات المنظمة العربية للعلوم والثقافة الايسسكو) ص٣٣٤.

[84]– سجلات محكمة القدس الشرعية سجل رقم ١٥٠، حجه رقم ١، ص٤٢، ٩ ربيع أول ١٠٦٥هـ|١٧-١١٦٥٥م.

[85]– مرام عقابنه، **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في مدينة القدس**، رسالة ماجستير غير منشورة ، فلسطين، جامعة الخليل، ٢٠١٥م، ص٣١.

[86]– محمد أحمد سليم اليعقوب ،**ناحية القدس الشريف في القرن العشر الهجري |السادس عشر الميلادي**، (الأردن: البنك الأهلي الأردني، ١٩٩٩م)، ط١، ص٤٦-٤٧.

[87]– زياد المدني ،**مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد العثماني** ،(عمان: دار المكتبة الوطنية، ٢٠٠٤م)،ط١، ص٢٣٢.

[88]– سجلات محكمة القدس الشرعية، سجل رقم ١٥٠، حجه١، ص٣٦٧، ٦ شوال ١٠٥٦هـ| ١٠-٧-١٦٥٥م.

[89]–سجلات محكمة القدس الشرعية، سجل رقم ١٥٠،حجه ١،ص١٩٢,٨ جمادي الثانية ١٠٦٥هـ|١٥-٤-١٦٥٥م.

[90]– سجلات محكمة القدس الشرعية سجل رقم ١٥٠، حجه١، ص٣٠٥، ١٨ شعبان ١٠٦٥هـ|٢٣-٦-١٦٥٥م.

[91]– عثمان مصطفى الغزي الطباع (ت ١٣٧٠هـ|١٩٥٠م) **اتحاف الأعزة في تاريخ غزة** ، أربع أجزاء، تحقيق: عبد اللطيف زكي أبو هاشم، (غزة: ط١,١٩٩٩م)، ج٢، ص٤١.

[92]– سجلات محكمة القدس الشرعية سجل ١٥٠، حجه٢، ص٣٠٥,٢٨ شعبان|٣-٧-١٦٥٥م.

[93]– تيسير جباره وآخرون ، تاريخ القدس ، ص٢٤٢.

[94]– طارق السويدان، **فلسطين التاريخ المصور**، (الكويت: الابداع الفكري، ٢٠٠٤م) ط٢، ص١٩٩..

[95]– المرجع السابق، ص ٢٠٩.

[96]– المرجع السابق، ص ٢١٣.

[97]– المرجع السابق ، ص ٢١٧م.

[98] –نائلة الوعري، **موقف الولاة والعلماء والأعيان والاقطاعيين في فلسطين من المشروع الصهيوني (١٨٥٦-١٩١٤)**، الدراسات الفلسطينية عدد٩٤,٢٠١٣م،ص١٩٦.

[99]– عارف العارف ،**المفصل في تاريخ القدس** ، ص٢٦٧.

[100]– سجلات محكمة القدس الشرعية.، سجل ٨، ص٣٠٤، ١، ص ٢٠.

[101]– المصدر السابق سجل.١٦،وثيقة ٣٨٤.

[102]– المصدر السابق سجل ١٧، وثيقه ٢٢، ص٢١.

[103]– المصدر السابق سجل ٢٤، ص٦٠٩.

[104]– المصدر السابق سجل ١٨، ص٣٨٨ .

[105]– المصدر السابق سجل ٤٨، ص٢٩٨.

[106] – المصدر السابق، سجل ٤٨، ص٢٩٧.

[107]– المصدر السابق، سجل ٤٩،ص١٣٣.

[108]– المصدر السابق سجل ٢٧، وثيقة ٢٢٦٦.

[109]– المصدر السابق سجل ٣٥، ١٦٠٥.

[110]– المصدر السابق سجل ٨،ص٢٩٨.

[111]– المصدر السابق سجل ٧٢،ص٤٢٧.

[112]– عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، **الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز**، تقديم :د. أحمد عبد المجيد هريدي(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٦م)، ج١،ص٣٨٢.

[113]– سجلات محكمة القدس الشرعية ،سجل ١١٨،حجه١، ص١١٤,٣ ذي الحجة ١٠٤٠هـ/٣-٧-١٦١٣م.

[114]– المصدر السابق سجل رقم ١٥٠، حجة ١، ص٢٥١,١٨ جمادي الآخرة ١٠٦٥هـ|٢٥-٤-١٦٥٥م.

[115]– عارف العارف ، **المفصل في تاريخ القدس** ، ص٢٦٦.

[116]– كامل جميل العسلي ، **وثائق مقدسية تاريخية**،٢جزء،(عمان:الممؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٨٥مم)، ط١، ج٢،ص١٩٩.

[117]– عارف العارف المفصل في تاريخ القدس ، ص ٢٦٧-٢٧٨

[118]– تيسير جباره وآخرون، **تاريخ القدس**. ص٢٣٢-٢٣٣.

[119]– روشيل ديفيس الحياة الشعبية، والتعليم والوعي السياسي في القدس قبل ١٩٤٨م حوليات القدس عدد١٠، ص٥١.

[120] –Graham –Brown,p 15,Citing Éducation in Syria'by Shahin Makrius,1883.

[121]– محمد الأمين بن قضل الله المحبي، (ت١١١١هـ|١٧٠٠م)، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** ،٤ج. (لبنان: دار الكتب العلمية ٢٠٠٦م)، ط١، ج٢، ص٣٩٦م.

[122]–عبد اللطيف الحسيني، **العلم في بيت المقدس**، ٢ج(عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٨٢)، ج١، ص٦٧-٦٨.

[123]– **نجم الدين محمد بن محمد الزي** (ت١٠٦١هـ|١٦٥١م) ، **لطف السمر وقطف الثمر**، جزآن، تحقيق محمود الشيخ، (دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي)، د.ت، د.ط، ج١، ص٣٣.

[124]– الحسيني، مصدر سابق ج١ س٦٨، ج٢، ص٣٣٨.

[125]– المحبي، مصدر سابق، ج٢،ص٢١٧.

[126]– إبراهيم ربايعه، تاريخ القدس، ص٢٧٠,٢٧١.
[127]– عبد اللطيف الحسيني ، مصدر سابق، ج٢ ، ص٣٤.
[128]– محمد الأمين بن فضل الله المحبي، (ت ١١١١هـ/١٧٠٠م)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٤أجزاء، (لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م) ط١،
[129]– ابراهيم ربايعه، تاريخ القدس، ص٢٧١.
[130]– الحسيني ، مصدر سابق ، ج١، ص٦٠.
[131]– الحسيني مصدر سابق ، ج١، ٣٠,٣١,٥٦,٥٧.
[132]– الحسيني، مصدر سابق، ج١، ص٣٠,٣١,٥٦,٥٧.،
[133]– الحسيني، مصدر سابق، ج١، ص٢٧–٤٠.
[134]– الحسيني، مصدر سابق، ج١، ص٢٧.
[135]– تاج الدين عبد الوهاب السُبكي، مصدر سابق، ص٤.
[136]– الحسيني، مصدر سابق، ج١، ص٢٦–٢٧.
[137]– كامل جميل العسلي، (مصدر سابق)، ص١٢٥.
[138]– الحسيني، مصدر سابق ، ةج١ ،ص٢٧,٣٠,٣١,٦١.
[139]– تاج الدين عبد الوهاب السبكي مصدر سابق،،ص١٠٩.
[140]– الحسيني، مصدر سابق، ج١، ص٥٣–٥٤.
[141]– محمد الخطيب مرجع سابق، ص٣٥
[142]– الحسيني، مصدر سابق، ج١، ص٢٦–٣٢.
[143]– محمد الخطيب ، مرجع سابق، ص٣٦..
[144]– الحسيني ، مصدر سابق ، ج١،ص٤٤,٥٤.
[145]– كامل جميل العسلي ،معاهد العلم في بيت المقدس ،(عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية ، ١٩٨٢)،–ص٢١٥.
[146]– الحسيني ، مصدر سابق ، ج١،ص٤٤._–ص٢١٥
[146]– نفسه
[147]– إبراهيم ربايعه، تاريخ القدس ، ص٢٧٢.

[148]– أبو الفضل محمد خليل بن علي بن محمد المرادي ،(ت ١٢٠٦هـ/١٧٩١م) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٤ أجزاء، (بيروت: دار الكتب العلمية للملايين، ١٩٩٧م) ط١،ج٣، ص٢٠١،

[149]– الحسيني، مصدر سابق، ج١، ص٣٠.

[150]– الحسيني مصدر سابق، ج١،ص٦٨,٦٩.

[151]– محمد زارع الأسطل، الحياة الفكرية والثقافية في مدينة القدس في العهد المملوكي ،٦٤٨-٩٢٢هـ|١٢٥٠-١٥١٦م، رسالة ماجستير غير منشوره ، الجامعة الإسلامية، (غزة:٢٠١٤م)،ص١١٣.

[152]– الحسني، مصدر سابق، ح١،ص٣١,٣٢.

[153] –ابراهيم ربايعه، تاريخ القدس، ص٢٦٧..

[154]– الحسيني ، مصدر سابق، ج١،ص٢٩.

[155]– غسان محيبش ، مرجع سابق، ص٣٧٩.

[156]– كامل جميل العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، مع مقدمة حول بعض المصادر الأولية لتاريخ القدس ،٢ مجلد، (عمان: مطبعة التوفيق،١٩٨٣م)، ط١، ج١ ص٢٢٦.ا

[157]– المصدر السابق، ج١، ص٢٢٤.

[158]– المصدر السابق، ج١، ص٢٢٢.

[159]– المصدر السابق، ج١، ص٢١٩.

[160]– المصدر السابق، ج١، ص٢١٥.

[161]– سجلات محكمة القدس الشرعية سجل ١٥٢، ص٦٤،حجه ٢، أوائل ربيع أول ١٠٦٧هـ/١٩-١٢-،

[162]– عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس ،ص ٣٠٧-٣٠٨..

[163] – المصدر السابق، ص ٣٠٨.

[164]– محمد كرد علي، خطط الشام، (دمشق: مكتبة النوري ، ١٩٣٨م)،ص١٢٥.

[165]– إبراهيم ربايعه، تاريخ القدس، ص٢٧٧.

[166]– المرجع السابق، ص٢٧٨م

[167]– فيصل الحوراني، مرجع سابق، ص٥٩.

[168]– تيسير جباره وآخرون، ص٢٣٣-٢٣٤.

[169]– مصطفى مراد الدباغ ، **بلادنا ، فلسطين** ، ج١٠،ص٢١٥ .

[170]– ازدهار محمد رابي، **المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى في فلسطين ودوره الديني والاجتماعي والوطني من ١٩٢٢-١٩٤٨م**، رسالة دكتوراه غير منشورة ،(القاهرة: جامعة عين شمس، ٢٠١٥م)، ص١٥٠.

[171]– خليل السكاكيني **كدا أنا يا دنيا** (القدس: ١٩٥٥)، ص٣٤٧..

[172]– واصف جوهرية، **القدس العثمانية في المدكرات الجوهرية** تحرير سليم تماري وعصام نصار (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية) ص١٠٧ .

[173]– كامل جميل العسلي **معاهد العلم في** بيت المقدس ،(عمان: جمعية عمال المطابع ١٩٨١,م) ، ص٣٧٠،

[174]– إبراهيم ربايعه، **تاريخ القدس** ، ص٣١٦.

[175]– عارف العارف، **تاريخ الحرم القدسي**، (القدس: ١٩٤٧م)، ص١١١،

[176]– سجلات محكمة القدس الشرعية، سجل رقم ١٤٣، حجه ٢، ص٥٤، ٥ صفر ١٠٦٠هأ/٧ شباط ١٦٥٠ .

[177]– سجلات محكمة القدس الشرعية، سجل رقم ١٥٥، حجه رقم ١، ص٢٤١،، ١٢ شعبان ١٠٦٨هـ٣ أيار ١٦٥٨م.

[178]– الحسيني، مصدر سابق ، ج١، ص ٧٢، ٧٤، ٧٥.

[179]– إبراهيم ربايعه، **تاريخ القدس** ، ص٣١٧,٣١٨.

[180]– المرادي **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، ج٣، ص٣.

[181]– محمد الأمين بن فضل الله المحبي، (ت ١١١١هـ/١٧٠٠م)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٤أجزاء، (لبنان: دار الكتب العلمية ،٢٠٠٦م) ط١، ج٤، ص٣٠٧

[182]– تيسير جباره وآخرون، تاريخ القدس، ص ٢٣٤ ،٢٣٥.

[183]– صلاح الدين بحيري، جغرافية الأردن، (عمان: مطبعة الشرف، ١٩٧٣م)، ص٣١.

[184]– عارف العارف، تاريخ الحرم القدسي، (القدس: مطبعة دار الأيتام، ١٩٣٧م)، ص٩٥.

[185]– إبراهيم ربايعه، تاريخ القدس في العصر العثماني في ضوء الوثائق خلال ١٦٠٠-١٧٠٠م، مكتبة كل شيء، ص٢٤-٢٥

[186]– عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، الحضرة الآنسية في الرحلة القدسية، ٢ح، تحقيق حمد أحمد يوسف، ١٩٩٤م، ج٢، ص٤٧٦.

[187]– عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس ، ص٤٣٨.

•– السلطان المملوكي الأشرف قايتباي (٨٨٧هـ|١٤٨٢م) أنظر محمد محمد شراب، بيت المقدس والمسجد الأقصى دراسة تاريخية موثقة،١٩٩٤م،ص٤٨٤.

[188]– إبراهيم ربايعه، تاريخ القدس ص ٢٨–٣٠.

[189]– عارف العارف ، المفصل في تاريخ القدس،، ص٣٠٦.

[190]– المصدر السابق، ص ٣٠٥.

[191]– تيسير جباره وآخرون ، تاريخ القدس ، ص ٢٣٤–٢٣٥.

[192]– النابلسي، الحضرة الآنسية في الرحلة القدسية،٢ جزء، تحقيق : د. حمد أحمد يوسف ١٩٩٤م،ج٢، ص٧٠٥.

[193]– سجلات محكمة القدس الشرعية ،سجل ١٥٢،ص١٠٠، حجه ١,٢٥ ربيع الثاني ١٠٦٧هـ/١٠–٢–١٦٥٧م

[194]– عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ٢٦٨.

[195]– تيسير جباره وآخرون، تاريخ القدس ، ص ٢٤٤.

[196]– غسان محيبش ، مرجع سابق ، ص٣٧٩

[197]– الحسيني ، مصدر سابق، ج٢ ، ص٣١٤ .

[198]– تيسير جباره وآخرون ،تاريخ القدس، ص ٢٤٤ ،٢٤٥.

[199] المحبي، خلاصه ،ج١، ص١٦،

[200]– المحبي، المصدر السابق، ج١ ،ص٢٥٠٢٧.

[201]– المصدر نفسه ، ج٢، ص١٣٤–١٣٧ز

[202]– المحبي، مصدر سابق ،ج٤، ص٤٣٥ .، و

[203]– محمد كردعلي، **خطط الشام**، ة٦ أجزاء،(دمشق: مكتبة النوري،١٩٨٣م) ط٣، ج٦، ص١٣٠.

[204]– نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت:١٠٦١هـ/١٦٥١م)، **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، ٣أجزاء، (بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٩٧م)، ط١، ج١، ص١٠.

[205]– مجير الدين الحنبلي العليمي ، **الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل** ،جزآن، ج٢،ص٦٦،

[206]– محمد أحمد سليم اليعقوب، **ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي**، (عمان: البنك الأهلي الاردني،١٩٩٩)ط١ ج٢، ص٣٤٩.

[207]– زياد المدني، مرجع سابق، ص٢٦٠.

[208]– الحسيني، مصدر سابق، ج١، ص٢٢.

[209]– جورج مارسيه، **الرباط، دائرة المعارف الاسلامية**، مركز الشارقة للابداع الفكري، ١٩٩٨م، ط١، ج١، ص٥٠٧٩-٥٠٩٠.

[210]– زياد المدني ، مرجع سابق ،ص ٢٦١.

[211]– سجلات محكمة القدس الشرعية، سجل رقم ١٣٤،حجه١,١٠ شعبان ١٠٣٥هـ/٢٤ تشرين أول ١٦٤٣،ص١٤٣

[212]– المصدر السابق سجل ١٢٠، حجه١، ١٤ رجب ١٠٤٢هـ/٢٥ كانون ثاني ١٦٣٣مص٢٣٥.، ورباط بيرام جاويش.

[213]– كامل خليل العسلي، **معاهد العلم**، س٢٢٤-٢٢٦

[214]– العليمي، الانس الجليل ،ج٢،ص٧٩

[215]– سجلات محكمة القدس الشرعية ا، سجل ١٨، حجه٢، أوار جمادي الأولى ١١٠٩هـ/١٢ كانون الثاني١٦٩٨م، ص٨.

[216]– العليمي، **الانس الجليل**، جج٢، ص٩١ .

[217]– مصطفى البكري الصديقي، **النصيحة السنية في معرفة آداب الطريقة الخلوتية** ،دراسة وتحقيق :إبراهيم ربايعه، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية ١٩٩٩م، ص٢٨ ،٢٩.

[218]– سجلات محكمة القدس الشرعية، سجل ١٥٧، حجه١، ١٣ رمضان ١٠٧٠هـ/٢٣أيار ١٦٦٠م،ص١٨٠.

[219]– إبراهيم ربايعه، **تاريخ القدس**، ص٢٣٧-٢٣٩.

[220]– رائف نجم وآخرون، **كنوز القدس**، مآب مؤسسة آل البيت المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية ، منظمة المدن العربية،(عمان:١٩٨٣م) ص، عبله المهتدي، مرجع سابق ص٢١٧-٢١٨ .

[221]– الحسيني، مصدر سابق، ج٢، ص٢٩٧.
[222]– الطباع، مرجع سابق ج٣، ص٤٤.
[223]– المرادي، مصدر سابق، ج٤، ص٢٠٢.
[224]– عبله المهتدي، مرجع سابق، ص٣٣٠.
[225]– الحسيني، مصدر سابق، ج١، ص٦٤.
[226]– محمد محمد شراب، **موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى**، جزآن، (الاردن: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م) ج٢،ص٩١٣.
[227]– الحسيني، مصدر سابق، ص٦٥-٦٦.
[228]– إبراهيم ربايعه، **تاريخ القدس**، ص٢٣٠-٢٤٠.
[229]– عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس** ، ص٢٨٨.
[230]– تيسير جباره وآخرون ، **تاريخ القدس** ، ص٢٤٥.
[231]– نفسه.
[232]– عبد الرحمن بن حسن الجبرتي (ت ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م) **عجائب الآثار في التراجم والأخبار** ٤ أجزاء، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، (القاهرة/مطبعة دار الكتب المصرية،١٩٩٧م)، ط٦، ١، ص٦٤١.
[233]– تيسير جباره وآخرون، **تاريخ القدس**، ص٢٣٧-٢٣٨.
[234]– كارين أرمسترنج، **القدس مدينة واحدة عقائد ثلاثة**، ترجمة فاطمه نصر، محمد عناني، ١٩٩٨م، ص١٥٠.
[235]– رائف نجم وآخرون، كنوز القدس، ص٢١٨.
[236]– أمين أبو بكر ، **ملكية الأراضي في متصرفية القدس ١٨٥٨-١٩١٨م** ،(عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان، ١٩٩٦م)، ص١٢٢
[237]– محمد سليم اليعقوب، **ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري – السادس عشر الميلادي**، (عمان: البنك الأهلي الاردني،١٩٩٩م)، ص١١٢.
[238]– عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**،ص٢٩٠.
[239]– تيسير جباره وآخرون ، **تاريخ القدس** ،ص ٢٤١.

[240] – تيسير جباره وآخرون ،**تاريخ القدس** ، ص٢٤١.

[241]– عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، ص٢٦٦.

[242]– عارف العارف، المصدر السابق ،ص٢٦٦.

[243]– أحمد المرعشلي وآخرون ، **الموسوعة الفلسطينية** ،٤أجزاء ،(دمشق : ١٩٨٤م)،ج٣، ص٥١٣.

[244]– غسان محيبش، **تكية خاصكي سلطان**، ودورها في القضاء على الفقر في مدينة القدس وتوير الحياة المستدامة للطبقات المعدومة والمهمشة مجتمعياً، وقائع المؤتمر الأكاديمي الرابع،– الوقف الإسلامي في القدس، إعداد مجموعة باحثين، تحرير أ. عزيز العصا وآخرون(القدس: الهيئة الإسلامية العليا ،٢٠١٨م)ص٣٧٧.

[245]– المرجع السابق ،ص٣٠٣-٣٠٤.

[246]– المرجع السابق، ص٣٠٤.

[247]– المرجع السابق، ص٣٠٤-٣٠٥.

[248]– نفسه.

[249]– المرجع السابق، ص ٣٠٨ .

[250]–Amiran ,David,E,Arich ,and T.Turcotte,Earthquakes in Israel and Adjacent Areas;Macroseismic Observation since 100 B .C ,E ,"Israel Exploration Journal ,IEJ,44,(1944).

Braslavi, Joseeph,"The Earthquake and Division of the Jordan in 1546 "(Hebrew:English abstract ,vi –vii)Zion 3,(1"938),323-336

[251]– Spyridon S .N Annalsof ".

مدينة زنجبار في القرن التاسع عشر
(واجهة العرب العمانيين في شرق أفريقيا ووسطها)

د. أحمد عبد الدايم محمد
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الدراسات الإفريقية العليا
جامعة القاهرة

المدينة في أحد تعريفاتها هي عبارة عن تجمع سكاني، له خصوصيات معينة، من مكان وزمان وعادات وتقاليد وخدمات وتنوع ثقافي وعرقي وتآلف وانسجام. وتتميز المدينة عن القرية بأنها عبارة عن فضاء حضاري حاضن للإبداع والمعرفة والعلم والتعايش بين عرقيات مختلفة، وأن هذا التنوع العرقي والثقافي شرطه التآلف والتعايش والانسجام وطريقة تجمع السكان. ولما كانت المدينة هي بنت للاستقرار والتنظيم، فإن مدينة زنجبار في القرن ١٩ كانت عبارة عن عباءة واسعة لتفاعلات ثقافية مختلفة. فكان طابعها الجمالي وعلاقاتها الوظيفية تقدمها كمدينة عربية الهوى والهوية تارة، وليبرالية منفتحة على كافة الثقافة تارة أخرى. لكن السؤال الذى يطرح نفسه: هل اكتسب سكانها هويتهم من المدينة نفسها؟ أم أن المدينة هي التي اكتسبت هويتها من سكانها؟ خاصة وأن هناك صعوبة في فهم عملية التغيير الاجتماعي التي جرت في المدينة طيلة القرن ١٩، وما إذا كانت عمارتها وليدة الوعي وفقط؟ ام أن الواقع السياسى حينها فرض مسائل أخرى. فمدينة زنجبار أو بندر زنجبار الحجرية في القرن ١٩، كلها مسميات لمدينة ستون تاون الحالية التي تقع على الساحل الغربي لجزيرة زنجبار التابعة لدولة تنزانيا الحالية. حيث اكتسبت مدينة زنجبار شهرتها كحاضرة للعرب العمانيين من كونها كانت مقرًّا لحكمهم في شرق أفريقيا ووسطها. وهو ما عبرت عنه كتابات الرحالة الأوروبيين حول علاقة تلك المناطق بالعاصمة، فذكروا بأنه" إن عزف المزمار في زنجبار رقص عليه الناس في البحيرات "، بما يدل على أن منطقة البحيرات الأفريقية التي تضم دول كينيا وأوغندا وتنجانيقا والكونغو

وملاوى كانت تتوقف حركتها على القرارات الصادرة من تلك المدينة وحكامها من أسرة البوسعيد. حيث ارتبطت قصور سلاطينها بحكايات تجارها وسرد قناصلها عن الداخل الأفريقي وعجائبه. فمن المعروف أن مدينة زنجبار قد بنيت من المرجان والملاط وليس من الصخور. حيث حوت ما يقارب ١٧٠٠ مبنى من الحجر، منها قصور السلاطين وبيوت الوجهاء من العرب والهنود والأوروبيين، واحتوت على ٢٣ مجمعًا تجاريًّا، وكاتدرائيتين، وأكثر من ٥٠ مسجدًا و١٥٧ استراحة، وأكثر من ٢٠٠ باب منحوت.

ولم تأتِ شهرة مدينة زنجبار من كونها مشرقية الطابع، أو من كونها قد أصبحت عاصمة الحكام العمانيين منذ عهد السلطان سعيد بن سلطان وفقط، بل لدورها في تحديث منطقة شرق أفريقيا ووسطها. وعلى هذا، فإن دراسة المدينة تستهدف أمورًا ثلاثة: أولها، الأسباب التي جعلت السلاطين العمانيين يختارون بندر زنجبار ليكون عاصمة لدولتهم ومقرًّا لحكمهم. ثانيها، الدور الحضاري والتحديثي الذي تم في المدينة، وما لعبه هذا المقر في شرق أفريقيا ووسطها. ثالثها، رصد القوى الاجتماعية الحاكمة للمدينة وطبيعة حياتها وتمددها العمراني ونظامها الإداري. لكن السؤال الذي يفرض نفسه: كيف استطاعت مدينة زنجبار أن تتحكم في كل كبيرة وصغيرة في شرق أفريقيا ووسطها؟ وما هي أهم مميزاتها؟ ولماذا برزت كحاضرة للعرب وبوتقة لتلاقى الثقافات؟ وفي هذا الإطار تنقسم الدراسة إلى خمسة محاور رئيسة:-

أولا- نشأة مدينة زنجبار.

ثانيًا- توسعات مدينة زنجبار في القرن ١٩.

ثالثًا- القوى الاجتماعية المتحكمة في مدينة زنجبار في القرن ١٩.

رابعًا- نشاطها الاقتصادي وتأثيرها الحداثي في شرق أفريقيا ووسطها.

خامسًا- علماء المدينة وقضاتها ونخبتها الثقافية.

أولًا- نشأة مدينة زنجبار:-

بداية يجب أن نفرق بين جزيرة زنجبار ومدينة زنجبار التي نقصدها. فجزيرة زنجبار تقع المدينة داخلها، وسميت بهذا المسمى الفارسي لتعني ساحل الزنج، في حين تسمى باللغة السواحلية أنجوجا، بمعنى الصحن الواسع الممتلئ. ويبلغ طول جزيرة زنجبار ٥٤ ميلا، وعرضها ٢٤ ميلا بمساحة ٦٤٠ ميلا مربعًا. ويفصلها عن ساحل شرق أفريقيا مضيق عرضه ٢٢.٥ ميلا. أما مدينة زنجبار، موضوع الدراسة، فتقع في الشمال الغربى من جزرة زنجبار نفسها، ويسميها العرب والمستعربون بالمدينة أو البندر أو البلدة أو مجينى بالسواحيلية، وهي عبارة عن عدة أحياء: حى بيمولم والسوق وقلب المدينة وحى مكونزينى وحى مكيونجونى إلى غير ذلك[١]. وإذا كان مناخ جزيرة زنجبار مشابهًا من جميع النواحي لمناخ الحزام الساحلي لشرق أفريقيا إلا إن بلدة زنجبار لا تشارك المدن الساحلية في نسيم الرياح الموسمية [٢]. حيث أكدت الكتابات الأوروبية بأن شهر يونيو كان أفضل بدء لموسم الأمطار[٣]. وكان فصل الشتاء فيها، حسب رواية الاميرة سالمة، صغيرًا جدًّا، عبارة عن أسابيع معدودة يكون الجو ممطرًا رطبًا أكثر منه باردًا، وأن درجة الحرارة تصل لـ ٧٣ درجة فهرنهايت[٤].

وجدير بالذكر أن جزيرة زنجبار كانت مقسمة حينها إلى ثلاث مقاطعات غير المدينة نفسها: المقاطعة الأولى، مقاطعة كوكتون Kokotoni ، ويحدها من الشمال الغربي والشرق المحيط الهندى، ومن الجنوب خط مستقيم يبدأ من نقطة على الساحل الغربي بطول نصف ميل إلى

---

(١) أحمد عبدالدايم محمد حسين:- قصور البوسعيد في زنجبار في القرن ١٩.. سياحة ثقافية مستدامة، مؤتمر السياحة الستدامة في أفريقيا الفرص والتحديات. في القارة، ١١-١٥ إبريل ٢٠١٨، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة، ٢٠١٨.

(٢) W.O.287-16:- Military Report on the East Africa Protectorate and Zanzibar Volume I, General Staff,1910, London, PP.54,55.

(٣) Bartle E. Frere:- A Few Remarks on Zanzibar and the East Coast of Africa, Proceedings of the Royal Geographical Society of London, Vol. 17, No. 5 (1872 -1873), p.353.

(٤).الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان:- مذكرات أميرة عربية، ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسى، ط٩، وزارة الثقافة والتراث، سلطنة عمان، ٢٠٠٦، ص ١٣٥.

الجنوب من ناننجيل ، إلى نقطة على الساحل الشرقي بمسافة ميل واحد إلى الشمال من قرية بونجوي. المقاطعة الثانية، مقاطعة موبرا Mwera. ويحدها شمالا حدود مقاطعة كوكوتوني، ومن الجنوب والغرب المحيط الهندى، ومن الشرق خط يمتد من مدخل سونقى إلى شواكاChwaka . المقاطعة الثالثة، مقاطعة شواكا. وتحدها مقاطعة Kokotoni ، ومن الغرب الحدود الشرقية لمقاطعة موبرا. أما مدينة زنجبار، بما في ذلك نجامبو والجزر التي تقع أمام ميناء زنجبار، فكانت مستثناه من ولاية والي موبرا. حيث كان يتم وضع مسؤول عربي، يكون برتبة والي على جميع المقاطعات السابقة ، ويوجه جميع القضاه والشيوخ والرؤساء والسلطات المحلية الأخرى داخل حدود المنطقة المخصصة له، ولهم صلاحيات مخولة تخضع لإشراف الوالى.اللهم إلا محكمة المقاطعة التي لا يتم الاستئناف داخلها بل في محكمة مدينة زنجبار [٥]. (انظر الشكل التالى):

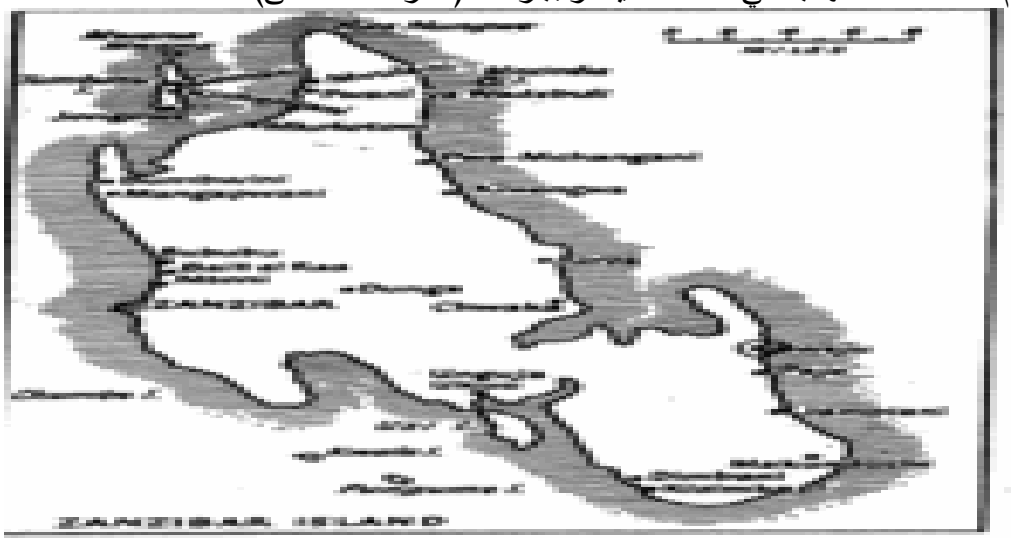

(٥) DECREE DATED 29th OF SHAWAL, 1314. FROM SEYYID HAMOUD BIN MAHOMED BIN SAID TO ALL HIS SUBJECTS."Zanzibar Gazette," April 7th, 1897(TRANSLA TIon, Arthur H. Hardinge: Legislative Methods in the Zanzibar and East Africa Protectorates, Journal of the Society of Comparative Legislation, Vol. 1, No. 1 (Mar., 1899), p. 8.9.

وفيما يتعلق بنشأة مدينة زنجبار، فيشير المقيم البريطاني في زنجبار بأن المدينة لم تنشأ في العصور القديمة، بل جاء صعودها كأبرز مدينة في ساحل شرق أفريقيا بعد انسحاب البرتغاليين من تلك المنطقة في القرن الثامن عشر. وأنها بنيت على واحدة من الجزر الصغيرة التي تنحدر من ساحل زنجبار، وأنها أصبحت في فترة لاحقة جزءًا من الأرض الصلبة. وقيل أن عاصمة الشيرازيين كانت تقع في جزيرة تومباتو خلال فترة الوجود الفارسي منذ القرن العاشر فصاعدًا. وتم العثور فيها على عملات معدنية تعود لـ ٦٠٠ سنة، وقيل أن عاصمتهم كانت تقع في كيسكيمكازي. لكن مدينة زنجبار التي أصبحت عاصمة لدولة البوسعيد فيما بعد، بدأت نشأتها تتجسد في شانجاني في عام ١٦٦٠. حيث تشير السجلات البرتغالية بأن زنجبار العظمى كانت تسمى سهل" زنجبار. وأن مصطلح " العظمى" كان يستخدم لتمييزها عن البلدة القديمة، وأن المدينة الحديثة نشأت على يد العمانيين سنة ١٧١٠ بعد استعادتهم للجزيرة [٦]. حيث تشير الروايات لدور السلطان حسن ووالدته الملكة فاطمة بنت يوسف ١٦٥٠-١٧١٠ بأنهما أول من اهتما جديًّا بمدينة زنجبار، وبجعلها العاصمة السياسية، حيث كانت من قبل مجرد مرسى لسفن الصيد [٧].

ويؤكد على هذا أحد المصادر الأوروبية، جيث يقول بأن الفضل في نشأة المدينة يعود الى حاكم اسمه يوسف. وأنه حينما كانت جزيرة زنجبار عبارة جزأين: الجزء الجنوبي، وعاصمته كيسكيمازى ومخصص لابنه بيكيرى Bakiri، فإنه أعطى الجزء الشمالي من الجزيرة، وفيه موقع مدينة زنجبار الحديثة لابنته فاطمة. تلك السيدة التي عاشت في الفترة من ١٦٥٠ إلى حوالي سنة ١٧١٥. وكانت السجلات البرتغالية تلقبها، فضلا عن السكان المحليين، باسم "ملكة زنجبار. وخلال

---

(٦) Major F B Pearce C M G:- Zanzibar, The Island Metropolis Of Eastern Africa LONDON, First published in 1920 , p.181-1184.

(٧) الشيخ عبدالله بن صالح الفارسى:- البوسعيديون حكام زنجبار، ترجمة محمد امين عبدالله، ط٢، سلسلة تراثنا، وزارة التراث القومى، سلطنة عمان، ص ٥٩.

فترة حياة هذه المرأة، وفي عام ١٧١٠ ظهرت أول لمحة عن مدينة زنجبار الحديثة. فقد كان المكان يتألف من قرية صيد على نقطة شانجانى، ومبنى مهدم كان يستخدم ككنيسة من قبل البرتغاليين وأحياء سكنية، واحتل هذا المبنى موقع الحصن العربي . وكان بجوار هذه الكنيسة المدمرة بيت الملكة فاطمة. حيث أقيمت في هذه البلدة حامية مكونة من خمسين من عرب عمان، ويقال أنهم قد حولوا الميناء المخرب في عام ١٧٨٤. وتوثق الروايات بأن نشأة المدينة تمت على يد ابن الملكة فاطمة المدعو حسن، فهذا الرجل تعتبره تلك الروايات بمثابة مؤسس مدينة زنجبار الحقيقى؛ لأنه عندما توفيت والدته أصبح سلطانا، وبدأ نشيطًا في جعلها عاصمة لملكه. فقام بمسح الأراضي المحيطة بها، وبدأ في توسيع المدينة بشكلها المتعارف عليه فيما بعد. حيث وافق على مغادرة بعض سكان البر الرئيس من صيادى السمك ليستقروا في شنجانى ، ولم يعترض سكانها على تمديد قريتهم، وتم ذكر أسماؤهم في جميع التصريحات العلنية. وفي وقت لاحق جاء بعض العرب المفازيين من باتا، واستقروا في الموقع الجديد، وعين لهم السلطان حسن حى موافي Mwavi، على اسم شجرة Mkumavi ، وذلك قرب موقع جمعية الخوجة الإسماعيليين فيما بعد. وفي وقت لاحق جاء العرب الشطرية من مافيا. وحدث اندماج مع السكان الجدد والقدامى، تبعهم مجيئ تجار من شبه الجزيرة العربية والهند. وتأسس الميناء بشكل حديث، وأصبح يعج بالسفن. وعلى بعد مسافة قصيرة من الميناء نشأت العديد من البلدات الرئيسة في محيط المدينة الجديدة، وكانت تسمى على أسماء الشجر حسب التسميات الزنجبارية. مثل "MnaziMoja"على اسم شجرة جوز الهند؛ Mkunazini، "أو مثل Mkunazi على اسم الشجرة "التي كانت أوراقها تستخدم بمثابة الصابون؛ Mbuyuni،" او المكان الذى تسمى باسم شجرة Mzambarau ، إلخ[٨].

وبحلول نهاية القرن الثامن عشر، ازدهرت البلدة الأصلية بشكل كبير، فكانت تنتشر في جميع أنحاء المدينة المنازل المبنية بالحجارة، وكانت مقرًا للأثرياء من العرب. وفي هذا الإطار كتب

---

(٨) Major F B Pearce C M G:– Op.Cit. , p.185,186.

الملازم البريطاني بيسل، بأنه حين دخل ميناء زنجبار، فإن قلعتها أطلقت عدة طلقات من ثلاث بنادق تحية له. وفي فبراير ١٨١١، كان هناك بريطانيان آخران قد زارا مدينة زنجبار من شركة الهند الشرقية، فسجل الكابتن Smee انطباعاته بأن بلدة زنجبار "كبيرة وكثيرة السكان، وأن عدد كبير من المباني الحجرية هو ملك للتجار العرب. وأنه في مركز قريب من الشاطئ يقف الحصن، وأن عدد سكان الجزيرة قد بلغ ٢٠٠،٠٠٠، ثلاثة أرباعهم على الأقل من الرقيق. وأن تجارة ساحل شرق أفريقيا بشكل رئيس في أيدي العرب العمانيين وعدد قليل من المغامرين الهنود من كوتش والسند. وحتى حوالي عام ١٨٢٢ ، كان الميناء في كثير من الأحيان منتجعًا للقراصنة الأسبان والبرتغاليين، الذين ينقلون تجارتهم الشائنة في الرقيق بكل قسوة[٩]. وعلى هذا لم تكن المدينة قد برزت بصورتها المتعارف عليها، إلا في عهد دولة البوسعيد. فقد حدثت توسعات كبيرة، جعلت المدينة أكبر حجمًا وأجمل شكلًا وأقوى تأثيرًا.

ثانيًا– توسعات مدينة زنجبار في القرن ١٩:–

إذا كانت مدينة زنجبار قد نشأت في عهد أسرة اليعاربة العمانيين، إلا إن حضورها السياسى والثقافي والفكري قد برز في عهد أسرة البوسعيد التي حكمت شرق أفريقيا طيلة القرن ١٩. ورغم أن أول ذكر لبندر زنجبار قد جاء في المعاهدة التي عقدها السلطان سعيد مع الولايات المتحد سنة ١٨٣٥ باعتبارها أحد البنادر التي سيتمتع فيها الأمريكان بحرية التجارة والبيع والإقامة[١٠]، إلا إن نشأة المدينة كان سابقًا على هذا التاريخ بكثير. لكن عند وصول السلطان سعيد في زيارته الثانية لجزيرة زنجبار سنة 1828 فرض القانون والنظام على الجزيرة ككل. أما مدينة زنجبار، فقد استمر في تطويرها لتصبح حاضرة العرب العمانيين على ساحل شرق أفريقيا والداخل الأفريقي، بصفة

---

(٩) Ibid , p.187,188.

(١٠) Alexander I. Cotheal:– Treaty between the United States of America and the Sultân of Masḳaṭ: The Arabic Text, journal of the American Oriental Society, Vol. 4 (1854), p.349

عامة. بل قام في عام ١٨٤٠ بنقل عاصمته من مسقط في عمان إلى مدينة زنجبار، وشجع الهندوس والهنود المسلمين للهجرة إليها(١١). وأصبحت المدينة في عهد البوسعيد، حسب رواية الأميرة سالمة، يحيط بها سور من كافة الجهات عدا الواجهة البحرية الغربية. حيث أصبح جو العاصمة جوًّا شرقيًّا، وكان لها سحر لا تمتلكه أي مدينة أخرى في شرق أفريقيا، فكان لها شبكة شوارع ضيقة ومظللة، وكانت منازلها حجرية مزينة بأبواب خشبية منحوتة مرصعة بنحاس، وكانت شوارعها رائعة الجمال بفعل الرياح الموسمية الشمالية الشرقية (١٢). وكانت هناك عدة أسباب أثرت على السلطان سعيد لاختيارها كعاصمة لممتلكاته في شرق أفريقيا: أولها، أنها أعلنت الولاء للعرش العماني منذ غزوها. ثانيها، إنها كانت قادرة على تطوير مركز التجارة الرئيس في شرق أفريقيا ككل. وبسبب موقعها المركزي، أدرك السلطان سعيد أن المدينة ستصبح مكانًا لتوزيع البضاعة القادمة من الساحل ومركزًا لتسويق التجارة إلي الداخل الأفريقي. ثالثها، أن المدينة كانت تمتلك ميناء عميقًا مؤهلًا لرسو السفن الكبرى. رابعها، إن المدينة كان لديها إمدادات لا تنضب من مياه الشرب النقية تجتذب العديد من السفن المارة. خامسها: إن مناخها مناقض لمناخ سلطنة عمان القاحلة. سادسها: إن السلطان سعيد أرأد عاصمة خارج عمان ليكون بعيدا عن المؤامرات الدائمة في مسقط ، والشجار المستمر بين قبائل عمان، نظرًا للزيادة السكانية(١٣).

---

(١١)Hatim Amiji:– The Bohras of East Africaournal of Religion in Africa, Vol. 7, Fasc. 1 (1975), pp. 35,36.

(١٢)Claud Hollis;:;–Zanzibar: Present Conditions and Interests, Journal of the Royal African Society, Vol. 28, No. 111 (Apr., 1929), pp. 218

(١٣) Padma Srinivasan i:– SAYYID SAID, THE IMAM OF MUSCAT AND THE DEVELOPMENT OF ZANZIBA, Proceedings of the Indian History Congress, Vol. 59 (1998), pp. 945,946.

وجدير بالذكر أن شرق أفريقيا بأقاليمها المختلفة، جزيرة زنجبار وبمبا وكينيا وتنجانيقا، قد أصبح في النصف الأول من القرن ١٩ تحت حكم أسرة البوسعيد. فقد حكمها السلطان سعيد بن سلطان في الفترة من ١٨٠٤-١٨٥٦، وتبعه ابنه السلطان ماجد من ١٨٥٦- ١٨٧٠م[١٤]، ثم حكمها أخوه السلطان برغش في الفترة من ١٨٧٠- ١٨٨٨م. ثم تبعه حكم خليفة بن سغيد ١٨٨٨-١٨٩٠، وخلال تلك الفترات، كانت يد العمانيين مبسوطة على نواحي شرق أفريقيا ودواخلها. لكن تغير هذا الأمر تمامًا في كينيا وتنجانيقا سنة ١٨٨٥، فصارت جميعها تحت حكم الألمان أو الإنجليز. حتى أن زنجبار نفسها لم تسلم من الأوروبيين، حيث وضِعَت تحت الحماية البريطانية سنة ١٨٩٠(١٥). وعلى هذا اقتصرت سلطة البوسعيد على الساحل، كسلطة شكلية، لا تبسط يدها إلا على مسافة ١٠ كم من الساحل داخل كينيا(١٦). ومع ذلك ظلت أسرة البوسعيد تحكم المنطقة المشار إليها سابقًا حتى سنة ١٩٦٤. وفي سياق موضوعنا فقد حكم السلطان على بن سعيد ١٨٩٠-١٨٩٣، وتبعه السلطان حمد بن ثوينى ١٨٩٣-١٨٩٦، وانتهي القرن ١٩ بحكم السلطان حمود بن محمد بن سعيد ١٩٩٦-١٩٠٢. غير إن قصة انفصال زنجبار عن عمان تبدأ بعد وفاة السلطان سعيد عام ١٨٥٦ ، حيث خلفه ابنه ماجد على الجزء الأفريقي وابنه ثوينى على

---

(١٤) J. E. R. Stephens:- The Laws of Zanzibar, Journal of the Society of Comparative Legislation, New Ser., Vol. 13, No. 3. (1913),p.603.

(١٥) Neville Rubin:- Government Publications Relating to Zanzibar,1860 – 1963, University of London, Solaprint of Leeds Ltd, Great Britain, 1979, p .1,3.

(١٦) جمال زكريا قاسم :- الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٥، ص ص متفرقات. وكذلك انظر، ناصر بن عبد الله الريامى :- زنجبار شخصيات وأحداث ١٨٢٨-١٩٧٢ ، مكتبة بيروت، مسقط، سلطنة عمان، ٢٠٠٩ . ص ص ٢١٢، ٢١٤ .

الجزء الأسيوي. لكن استمرت المكائد والمؤامرات المضادة حتى عام 1860[١٧]. ولم تنته إلا بعد أن قبل ماجد بدفع مبلغ مالي لثوينى قدره ٤٠،٠٠٠ دولار، رفض دفعه فيما بعد. وداخل مدينة زنجبار نفسها لم يسلم ماجد من المؤامرات ضده، فقد شهدت المدينة تمرد أخيه برغش على سلطته. هذا التمرد الذى شغل القنصلين، الفرنسى والبريطاني، حتى تم حل المشكلة ١٨٦١-١٨٦٢ [١٨]. وحينما استقرت الأمور في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، شكلت مدينة زنجبار أساسًا للتحركات السياسية عبر الدواخل الأفريقية[١٩]. وظلت حاضرة العمانيين حتى عام ١٨٩٠، حينما أصبحت سلطنة زنجبار تحت الحماية الرسمية للتاج البريطاني [٢٠].

ونظرًا للدور الكبير الذى قامت به أسرة البوسعيد في تطوير مدينة زنجبار في القرن ١٩، والأساسات التي وضعتها تلك الأسرة طيلة فترة حكمها، والتي تعرضت لهجوم أفريقي عليها بعد انتهاء الحكم العربى سنة ١٩٦٤، وباعتراف هيئة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة سنة ٢٠٠٠ بأهمية المدينة من الناحية التاريخية والمعمارية والثقافية، ووضعها في قائمة المدن ذات التراث العالمي [٢١]، كل ذلك وغيره يفرض علينا ضرورة التعرف على طبيعة المدينة وما تم فيها من توسعات على يد البوسعيد. فيحكى لنا

---

[١٧]Marguerite Ylvisaker:- The Origins and Development of the Witu Sultanate. The International Journal of African Historical Studies, Vol. 11, No. 4 (1978), pp.674

[١٨]Moses D. E. Nwulia:-,The Role of Missionaries in the Emancipation of Slaves in Zanzibar, The Journal of Negro History, Vol. 60, No. 2 (Apr., 1975), pp.274,275.

[١٩]B. G. Martin:- Notes on Some Members of the Learned Classes of Zanzibar and East Africa in the Nineteenth Century. African Historical Studies, Vol. 4, No. 3 (1971), pp. 525.

[٢٠]Laura Fair:- Identity, Difference, and Dance: Female Initiation in Zanzibar, 1890 to 1930, A Journal of Women Studies, Vol. 17, No. 3 (1996), pp. 149.

[٢١]Brian Hoyle:- Urban Waterfront Revitalization in Developing Countries: The Example of Zanzibar's StoneTown, The Geographical Journal, Vol. 168, No. 2 (Jun., 2002), pp. 145.

الشاب البريطانى جون ستدى لايت John Studdy Leigh الذي عاش في المدينة عام ١٨٣٦ كموظف في شركة نيومان التجارية التي مقرها لندن، بأن القنصل البريطاني كان مقيما في زنجبار. ومعه مجموعة صغيرة من الدبلوماسيين الإنجليز، روبرت كوجان والدكتور هوارد وروبرت نيومان هانت ووليام سليمان. وتحدث عن زياته الأولى بتاريخ 2أغسطس ١٨٣٧] بأنهم قابلوا القنصل البريطاني والأمريكي في منزليهما الذي يشبه الطراز العربي، وشاهد القصر السلطاني، بيت الساحل ومبنى الحصن. ورأى في المدينة هجمات الحمى، وذهب لهذا القصر لمقابلة السلطان[٢٢].وكانت المقبرة الملكية لأسرة البوسعيد تقع بجوار هذا القصر، فيما يعرف بحى القصور السلطانية. وقد بنيت في عهد السلطان سعيد بن سلطان[٢٣].

هذا، وقد أظهرت الخرائط المرفوعة لليونسكو (انظر الشكل التالي) التطور الذى حدث لمدينة الحجر منذ عام ١٨٤٩، وأنها غطت مساحة قدرها ١٢٥ هكتار، تتألف من الجزء المبني من الحجر والمناطق المفتوحة على طول حدودها الشرقية، بالإضافة إلى الجزء الأكبر من شارع داراجاني، بإجمالي مساحة قدرها ١٦٠٠ هكتار. وأوضح أحد التقارير المرفوعة لليونسكو أن ٣٢٪ من المباني التاريخية في المدينة مستمدة من النماذج الهندية، و ٢٥٪ من النماذج العربية. أما البقية، فهي إما "تقليدية" أو غير مصنفة[٢٤].

---

[٢٢] John Studdy Leigh and James S. Kirkman:- The Zanzibar Diary of John Studdy Leigh, Part I , The International Journal of African Historical Studies, Vol. 13, No. 2 (1980), pp281,284-286.

[٢٣] أحمد عبد الدايم محمد حسين:- شواهد المقبرة الملكية في زنجبار مصدرًا لتاريخ أسرة البوسعيد(١٨٤٣- ١٩٧٠)، مجلة الدراسات الافريقية، العدد ٣٦، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١٤، ص ٧٥ .

[٢٤] أحمد عبدالدايم محمد حسين:- تنمية مدينة ستون تاون في زنجبار تنزانيا (تجربة اليونسكو وتحدياتها في الفترة من ٢٠٠٠-٢٠١٨)،اعمال المؤتمر السنوى التنمية الستدامة في أفريقيا . في القارة، ٧-٨ مايو ٢٠١٨، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة، ٢٠١٨.

وحينما قرر الرحالة برتون أن يجدد تصميم بلاده في الوصول إلى المناطق المجهولة في الداخل الأفريقي، فكانت انطلاقته من مدينة زنجبار في ١٩ أبريل 1856. فبعد أن قام بزيارة السلطان ماجد في القصر الشرقي المجاور للحصن، قدم لنا وصفا رائعًا لرصيف الميناء وقصر السلطان والمدافع التي تقع أمامه، وأنها للعرض أكثر منها للاستعمال. ووصف لنا مبنى العبيد وعدد من المساجد وبيوت زنجبار المزينة بأواني من الزهور الاصطناعية الموضوعه على عتبات النوافذ[٢٥].وفي عام ١٨٦٣ وعلى الجانب الشمالي من جنوب المدينة، بنى ماجد منزلا كبيرا لنفسه سماه "بيت السلام".[٢٦]. وقد عرفنا كل كبيرة وصغيرة عن التوسعات التي حدثت في المدينة؛ لأنه تم تصوير نواحى زنجبار؛ نظرًا لاهتمام أفراد العائلة المالكة بمصورى الصور الفوتغرافية. وفي هذا الإطار نقل

---

(٢٥)Richard F. Burton:– Zanzibar City Island and Coast, Vol. I. LONDON,1872, p.4,256,260,261

(٢٦) Jan Knappart :– "A Short History of Zanzibar, Annals Equatorial, Vol. 13 (1992), pp. 30,31.

جوميز في أوائل عام ١٨٧٠ استوديو الصور الخاصة به من عدن إلى مدينة زنجبار، فتعاون معه هناك استوديو الأخوان فيليكس وكوتينهو وغيرهم، ففتحوا استديو إضافي للبورتريهات وإطلالاتهم على مدينة زنجبار. وتحولت الصور المرسومة إلى بطاقات بريدية وتذكارات صور، نظرًا للطلب الكبير من قبل النخبة الملكية والزوار والمهاجرين والتجار [٢٧].

وظهرت المدينة فى عهد السلطان برغش فى أبهى صورة حضارية لها، حيث أدخل فيها خط انابيب لمياه الشرب يأتى من نبع شيم شيم على بعد أربعة أميال إلى المدينة، مما وفر مياه الشرب النقية للاهالى [٢٨]. وأشار أحد التقارير المرفوعة لليونسكو أن التنمية الحضرية قد بدأت في عهد ذلك الرجل. حيث سعى لمحاكاة ما رآه في الهند عند نفيه سنة ١٨٦٠، وما رآه في أوروبا خلال زيارته لبريطانيا عام ١٨٧٥، فاظهره عند بنائه لبيت العجائب، ومن خلال توفيره للمياه المنقولة بالأنابيب للمدينة والكعبة وغيرها. وجاءت المرحلة النهائية من التنمية المعمارية عندما أصبحت زنجبار محمية بريطانية عام ١٨٩٠. حيث تأثر المهندس المعماري جون سنكلير، بالمميزات المستمدة من العمارة الإسلامية فى إسطنبول والمغرب. غير أن الإدارة الاستعمارية البريطانية أدخلت لوائح بناء صارمة، ووسعت من نطاق الخدمات العامة. وأصدرت تدابير للتخطيط الحضري فيما بعد. وحينما زاد النشاط التبشيرى في الربع الأخير من القرن التاسع عشر دخل أيضًا الفن القوطى لزنجبار، ببناء الكاتدرائيات الأنجليكانية والكاثوليكية الرومانية[٢٩]. وفى هذا الاطار تشير الأميرة سالمة فى مذكراتها بأن منظر مدينة زنجبار من البحر كان سنة ١٨٨٥ أكثر جمالًا مما كانت عليه من قبل، فقد بنيت عدة بيوت جديدة. ومما زاد من

---

[٢٧] Erin Haney:– Daughters of Zanzibar, Transition, No. 119, Afro–Asian Worlds (2016), pp.40,42.

[٢٨] أحمد حمود العمرى:– عمان وشرقى إفريقية، ترجمة محمد أمين عبدالله، سلسلة تراثنا، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، ص ٧٦.

[٢٩] أحمد عبدالدايم محمد حسين:– تنمية مدينة ستون تاون.. المرجع السابق.

جمال منظرها، الفنار القائم أمام بيت العجائب والمضاء بالكهرباء. غير أنها ذكرت بأن وسط المدينة من الداخل قد ساء أمره، وأصبح فى حال يرثى لها من الخراب والإهمال. فالخرائب أصبحت تنتشر فى شوارع المدينة الضيقة والوسخة. حيث نما عليها العشب والحشيش ونبتت بها بعض الشجيرات. مع أنه أنشأ مصنعًا للثلج ومحطة للكهرباء والقطار وأشياء أخرى ليس أقلها الطباخون الفرنسيون والأطباق الفرنسية[٣٠].

وعلى الجانب الجنوبي من بيت العجائب كان يقع الحصن العربي القديم، وكان مكانًا للإعدام، ففيه يتم قطع رءوس الجناة بالسيف خارج الجدار الشرقي للحصن، وأيضًا كان يستخدم كسجن، وأحيانًا في أغراض جمركية، وجزئيًّا كان ورشة عمل للسكك الحديدية الحكومية. وكانت المواسير التي تأتي بإمدادات المياه الجيدة إلى المدينة من على بعد أربعة أميال، قد تمت في عهد السلطان برغش. وفي عهده أيضًا تم إضاءة المدينة بالكهرباء بمحركات ديزل، وتم تركيب التليفونات إلى كل أحيائها [٣١].

وقدم لنا الكابتن جيلين من البحرية الفرنسية خريطة لمدينة زنجبار نشرها في كتابه، يظهر فيها الحصن ثم ممرات وراء سارية العلم الكبيرة المرفوعة على قصر السلطان سعيد القديم، وهو موقع بيت العجائب فيما بعد. وعلى يسار سارية العلم يقع بيت الساحل وقصر السيد ماجد. وكانت القنصلية الفرنسية تقع وراء هذا القصور. وعلى يمين الحصن تقع القنصلية البريطانية والقنصلية الأمريكية ومستشفي الأوروبيين. ثم منزل الشيخ بشير بن سالم الحارثي والذي أخذه منه السلطان سعيد، وهو ما أصبح مقرًّا لبعثة وسط أفريقيا التبشيرية فيما بعد[٣٢].وعندما تم تدمير القصرين المجاورين من قبل الأسطول البريطاني أثناء قصف عام ١٨٩٦، نجا بيت العجائب، الذى يقع أمامه مدفعين نقلهما السلطان سعيد من عاصمته مسقط إلى المدينة. فحين شهدت مدينة زنجبار

---

[٣٠].الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان:- المصدر السابق، ص ٣٠٩.

[٣١]Major F B Pearce C M G:- Op.Cit., p.206-208.

[٣٢]Jan Knappart:- " Op.Cit., pp. 16,22,23,29

تمردًا من قبل خالد بن برغش، واقتحم مع مناصريه القصر يوم ٢٧ أغسطس ١٨٩٦، انهته بريطانيا على الفور، فنقلته القنصلية الألمانية التي استجار بها على زورق ألماني، فتم نقله إلى دار السلام، ولم يتم اعتقاله في من قبل القوات البريطانية إلا في عام ١٩١٧ (٣٣).

وكانت أغلب قصور زنجبار تقع بالقرب من شاطئ المدينة الغربي، وكانت ملكًا للعرب. فعمارة بنجانى كانت للبراونة، وسكة البرتغاليين للمحارمة، وكانت حارة شنجانى للمواهبة، وحارة مبارك لعرب المناذرة، وحارة مكنزين للشواطر، وأكثر حارة مالندى والسهول الساحلية كانت لأسرة البوسعيد. وكانت حارة كجشفينى لال المغيرة وبنى ريام. وهكذا، فإن أغلب عمارة مدينة زنجبار كانت للعرب. وكانت تتكون عادة من طابقين أو أربعة طوابق، وكانت مبنية من الأحجار المرجانية، وممراتها مزخرفة بالآيات القرآنية، وإطارات الأبواب والنوافذ مقوسة ومزخرفة بقطع من النحاس والنفوش البارزة. والأدوار الأرضية ليس لها نوافذ، حيث تستعمل كمستودعات، أما نوافذ البيوت فموجودة في الأدوار العلوية، ومحمية بأعمدة من الحديد موضوع عليها حاجز خشبي. هذا وقد بلغ عدد عرب مدينة زنجبار حوالي ١٠.٠٠٠ نسمة، يمكن تصنيفهم إلى المجموعات التالية: الأولى عرب المشهري من حضرموت. الثانية، العرب القمرية من جزر القمر. الثالثة، العرب الشاطرية والمفازية من الجزيرة العربية. الرابعة، عرب عمان. وكان المجتمع المشهري السني يمتلكون مسجدهم الخاص ومقبرتهم، حيث يختلفون عن عرب عمان (٣٤).

وفي جنوب المدينة، كانت هناك منازل العرب المميزة مجاورة لأحياء الأفريقيين الفقيرة. وفيها كان يقيم الأثرياء العرب والنبلاء، والسلاطين والتجار الهنود. وكقاعدة، كان كل

---

(٣٣)Major F B Pearce C M G:– Op.Cit., p.198–206.

(٣٤)Ibid, p.215.

عرق، سواء عربى أو أوروبي أو هندي أو أفريقي، يفضل الإقامة الجزء الخاص به. فالبلوش من مكران لديهم حى سكني خاص بهم خارج الحدود الشمالية للبلدة: وعرب حضرموت كانوا يقيمون في ماليندي، ويشتغلون بتجارة الحصر والسلال والأكياس المستخدمة في تعبئة القرنفل وتصنيعها. وكانت كل طائفة من مسلمي الهند تقيم حول مساجدها الخاصة ومنازلها، حيث تكون المؤسسات مراكز حياتها الدينية والاجتماعية. وكان هناك سوق دراجاني، الذي كان يعج بمجموعات متنوعة من الفواكه وغيرها من المنتجات، وبه سوق خاص بمختلف أنواع السمك، فضلا عن المكان المخصص فيه للحرفيين القادمين من الهند لصناعة المجوهرات والأحجار الكريمة والذهب[٣٥].

وفيما يتعلق بالحي السكني الأوروبي داخل المدينة، فكانت تقع فيه منازل المسؤولين الأوروبيين وموظفي المحاكم. وتقع فيه بعض القنصليات الأجنبية ونادي اللغة الإنجليزية والبنوك ومكتب البريد العام، والمحلات التجارية الأكثر أهمية، ومنازل البريطانيين. وكانت حدائق فيكتوريا التي أنشاها السلطان برغش تقع قرب قصره في شكواني Chukwani ، وكان حمام السباحة متاخما لحديقة الترفيه العامة. وهناك كاتدرائيتان، واحدة تنتمي إلى البعثة الكاثوليكية للروح القدس، والآخرى للبعثة التبشيرية لوسط أفريقيا. وفي وسط المدينة وبالقرب من الحي الأوروبي كان يوجد عدد من المدارس ومستشفي للمرضى المحليين، وآخر للكاتدرائية الكاثوليكية الرومانية في الوسط، وثالث للكاتدرائية الإنجليزية في الشرق. والجزء الشمالي من المدينة كان مخصصًا لسكنى الصيادين بالقرب من حي ماليندي [٣٦].

---

[٣٥]Ibid, p.210,211.

[٣٦]Ibid , p.208-210.

أما نواة المدنية فبنيت بالحجارة، حيث كان البيت العربى الحجري هو مفتاح النخبة في الهيمنة والتفوق من قبل الإمبراطورية العمانية منذ أواخر القرن السابع عشر. حيث كانت كمية الحجارة والكلس في الجدران ونوعيتها أكبر. وكان سمك الجدران والأسقف وعدد الطوابق علامة رئيسة على الدوام والقوة. وكان متوسط عدد المنازل للتاجر هو منزل واحد أو اثنان، أما النخبة فلها ثلاثة أو أربعة أو خمسة منازل. وهيمنت المنازل الحجرية متعددة الطوابق على مدينة زنجبار في سبعينيات القرن التاسع عشر، في حين كانت تقتصر على جيوب معينة في ضاحية نجامبو على أطراف المدينة من ناحية الشرق، وكانت مملوكة للتجار أو الذين يخدمون في تجارة القوافل أو المزارع أو مرافئ الميناء وأسرهم. وهي منازل دائمة تخص العبيد والتجار المتجولين والحرفيين المهرة شائعا. وكانت علاقات المرء ومنزله تحدد قوته الاجتماعية والاقتصادية بالنسبة لمنازل الآخرين[٣٧].

وكان توزيع الثروة في مدينة زنجبار يختلف في القرن التاسع عشر باختلاف الأصول الاجتماعية لسكانها؛ حيث كان التقسيم المكاني للمدينة مجرد انعكاس لعلاقات القوة داخلها، حيث تنتقل المكانة من الأعلى وهم العرب، ويعيشون على شاطئ المدينة والأجزاء القريبة منها، إلى الأدنى وهم الأفارقة، ويعيشون في ضاحية نجامبو. وكانت بيوت العرب مبنية بالمواد الخام المتوفرة في البيئة المحيطة، من حجر المرجان والكلس، أما نجامبو فبنيت بيوتها بالطين والحصى المرجانية وجدرانها من الجير. وكانت المنازل المؤقتة أو شبه الدائمة هي الأكثر شيوعًا في المكان المخصص للأفريقيين، وكانت المنازل من الفئة الثالثة شبيهه بالمنازل "السواحيلية، لها إطار خشبي قوي وسقف من القش، أما الجدران والأساسات فكانت من الحجارة والجير. حيث تتكون البيوت من طابق واحد به أرضيات وجدران مغطاة بالجير. وكانت تلك المنازل السواحيلية شائعة في نجامبو منذ توسع المدينة مع بداية القرن التاسع عشر حتى حلول أواخر القرن التاسع عشر عندما تعددت الطوابق[٣٨].

---

[٣٧]Garth Andrew Myers: Sticks and Stones: Colonialism and Zanzibari Housing, Africa: Journal of the International African Institute, Vol. 67, No. 2 (1997), p.256.

[٣٨]Ibid, pp.252-255

وكانت نجامبو Ngambo قد شكلت جزءًا رئيسًا من مدينة زنجبار فيما بعد. حيث كانت في خمسينيات القرن ١٩ عبارة عن مزارع لجوز الهند وتعيش بها الكلاب المنبوذة من زنجبار. وكان يشار للخور الذي يمتد في الجزء الخلفي من مدينة زنجبار الرئيسة، ويقسمها من ربع نجامبو، بأنه البحيرة النتنة، في حين تعرف الأرض المجاورة له باسم منزي موجا، تلك التي أشارت لها الدكتورة كريستي عام ١٨٦٩ باسم"Nazemodya" بأنها كانت تستخدم كمدافن مشتركة ، وأن العديد من الأوروبيين مدفونون هناك. وعلى هذا، فإن نجامبو في بدايتها كانت عبارة عن مدافن لمدينة زنجبار. لكن بطبيعة الحال كانت منطقة أفريقية مميزة عن البلدة العربية والمنطقة الأوروبية، حيث كان هناك تكتل عظيم من البيوت شرق الخور في المنطقة المسماه بنجامبو، كانت تشكل ضاحية منفصلة عن المدينة، يقطنها حوالي ١٥٠٠٠ نسمة، يعيشون في أكواخ ومبان مستطيلة كبيرة، بها العديد من الغرف. وكانت شوارعها وممراتها مظلمة ومضللة، وغالبية سكانها من أفارقة الكونغو والنوبيين والحبشيين والصوماليين والسنغاليين[٣٩]. (انظر الشكل التالى):

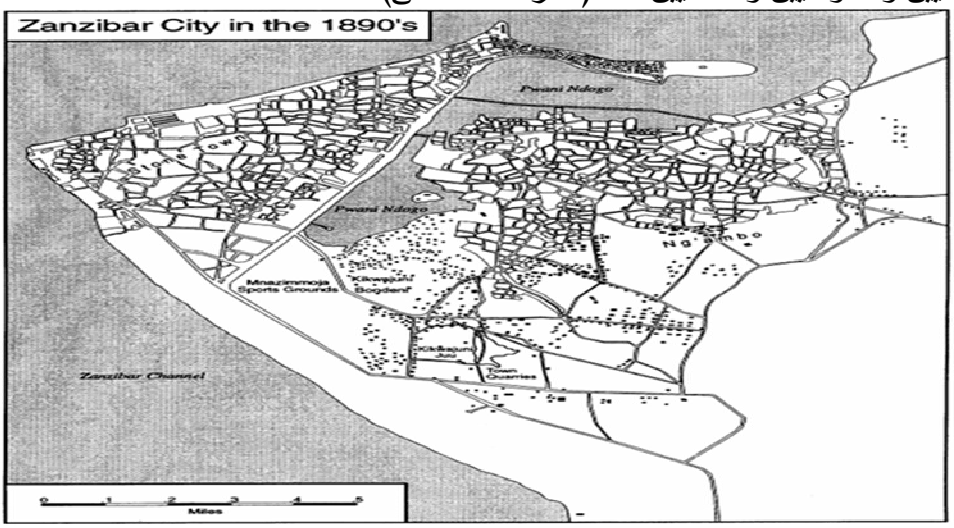

FIGURE 1 *Zanzibar city in the 1890s.*

(٣٩) Major F B Pearce C M G:- Op.Cit., pp.190-194,211-2115.

ومع كل تلك التطورات التي حدثت في المدينة، الا إنها حسب أحد الرويات، كانت تتم بشكل غير صحي. فحتى عام ١٨٧٥، أي حتى زيارة السلطان برغش إلى إنجلترا ، لم تكن هناك أي محاولة جدية للتعامل مع تلك المسألة. فقد علق الكابتن سميي عام ١٨١١ على الأسلوب غير الرسمي في دفن الموتى في مدينة زنجبار ، وذكر أن القبور كانت صغيرة لدرجة أن الجثث كانت مغطاة بالكاد، وكانت أطراف الجثث تتعرض باستمرار للخطر بين عامي ١٨٤٦ و١٨٥٠. وكتب الدكتور روشنبرجر في عام ١٨٣٥ بأن "مدينة زنجبار كانت تمتلك القليل من عوامل الجذب للمسيحيين الغرباء. وفي عام ١٨٤١ كتب هامرتون، من الجيش الهندي عين مندوبًا عامًّا لشركة الهند الشرقية البريطانية في بلاط السلطان سعيد في زنجبار، "بأنه لم يسكن في منزل مناسب للتمثيل البريطاني في أيامه الأولى ، ولكنه حصل على سكن لعائلته بعد ذلك، في المنزل الذى اتخذته شركة سميث ماكنزي وشركاه فيما بعد، بينما أقام القنصل الأمريكي بالقرب منه، في قصر عربي كبير في شنجاني. إلى أن تم إنشاء القنصلية العامة البريطانية، واستخدمت كمستشفي أوروبي في السنوات من ١٨٤٧ – ١٨٥٠[٤٠]. ويشير آخر بأن شوارع المدينة كانت ضيقة جدًّا وقذرة. وكان الجزء الأكبر من تشكيل المنازل من طابق أرضي مبني بالطين والقش مع فروع النخيل. وكان سكان المدينة ياكلون الأسماك والفواكه والمكسرات التنبول والبطاطا الحلو، وكان التعامل في البداية يتم بالخرز[٤١].

وقيل بأن التخلص من العبيد المتوفين كان يتم بطريقة غير صحية حتى أواخر عام ١٨٥٧. وفي هذا الإطار، انتشر وباء الكوليرا في الجزيرة في وقت مبكر من عام ١٨٥٩، ومات على أثره

---

(٤٠)Ibid, p.187,188.

(٤١)John Studdy Leigh and James S. Kirkman:– Op.Cit., pp292,293.

حوالي ٢٠٠٠٠ شخص في مدينة زنجبار نفسها. وانتشرت الكوليرا العظيمة داخل المدينة سنة ١٨٦٩، توفي على أثرها ١٥٠٠٠ من السكان، ولم تكن هناك طريقة جيدة للتخلص من الموتى[٤٢]. فكانت المدينة في حالة قذرة من كثرة الجثث، خصوصًا في المنطقة التي تقع إلى الشرق من الخور، المعروفة باسم نجامبو. وكانت ضاحية Mnazi Moja سيئة للغاية، فحالة الشوارع والشواطئ كانت سيئة جدًّا. فيشير الدكتور كريستي بأن ملايين لا تحصى من النمل والخنافس وملايين من الفئران وجيوش من الكلاب البرية كانت تنتشر فيها. وكانت لا توجد إزالة للقمامة من المدينة والضواحي، وكانت الأمطار تزيد من قذارة المكان. وفي الربع الأوروبي من المدينة، استخدم الزنوج لإزالة القمامة. ويؤيد ذلك ما كتبه ليفنجستون حينما كان في المدينة عام ١٨٦٦ ، بأن رائحة شواطئ المدينة كريهه. وتحدث كريستى عن اندلاع الكوليرا في عام ١٨٦٩ ، فانتشر الطاعون في المدينة، لدرجة أنها جعلت الناس يندفعون للمساجد للدعاء والصلاة فيها، داعين الله أن ينجيهم من هذا الوباء. وكانت الشوارخ خالية بالليل من المارة إلا الزنوج الذين كانوا يمرون على طول جسر دراجانى، حيث توغلت جثث الموتى في ضواحي المدينة [٤٣].

ورغم كل ما قيل في حق المدينة، إلا إنها كانت واحدة من أجمل المدن في العالم قاطبة، مدينة شرقية الطابع بنيت على بروز من الأرض داخل البحر، ذات قباب متلألئة ومساجد متعددة. بناياتها بيضاء اللون، ذات شوارع متعرجة وضيقة جدًّا. واشتهرت بأبوابها المنحوتة، وأشهرها أبواب بيت العجائب المرصعة بالمسامير النحاسية لمنع كسرها من قبل الأفيال، وكان بالأبواب زوائد زخرفية، وتغطيها نصوص من القرآن، ناهيك عن رخام القصور المستورد من أوروبا[٤٤].

---

[٤٢]Jan Knappart:- " Op.Cit.,, pp. 16,22,23,29

[٤٣]Major F B Pearce C M G:- Op.Cit., p.190-197.

[٤٤]Ibid,p.203-206.

ثالثًا– القوى الاجتماعية المتحكمة في مدينة زنجبار في القرن ١٩:–

إذا أردنا التعرف على مدينة زنجبار في القرن ١٩، فعلينا أن نتعرف على الفاعلين الاجتماعيين المقيميين في المدينة والمتحكمين فيها. وأى نقد يمكن أن يوجه للمدينة وطبيعتها فيما بعد، سيكون جزءًا من نقد التجربة الاجتماعية للمدينة ورحلتها فيما بعد. حيث اكتسبت المدينة طبيعتها من هوية الفاعلين فيها في القرن ١٩، وغالبيتهم عرب. فالمدينة نشأت مشرقية الهوى والهوية دون أن تخلو من اللمسات الهندية والأفريقية والأوروبية. وقبل أن نتعرف على تلك القوى نعطى لمحة حول حجم سكان المدينة في القرن ١٩. ففي عام ١٧٧٧ كان عدد سكان جزيرة زنجبار حوالى ٤٠٠٠٠، منهم 300 من العرب . وحينما جاءها السلطان سعيد سنة ١٨٢٨ لم يكن عدد العرب فيها كبيرًا[٤٥]. غير أن إشارة أحد المصادر بأن عدد سكان المدينة بلغ حوالي ٧٠،٠٠٠ عربي وسواحلى في يوليو ١٨٣٨ من جملة سكان الجزيرة ١٠٠،٠٠٠، وان سكان مدينة زنجبار العرب قد تجاوز ١٠،٠٠٠ نسمة، يدلل على طفرة كبيرة قد حدثت في الحجم. وانه من بين ١٠ الاف عربي، منهم ما بين ٢٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ بحارة، وأن هناك ١٠.٠٠٠ شيرازى و ٤٠٠ هندى من البانيان، والباقي من السود من جزر القمر ومدغشقر وغيرها[٤٦]. وارتفع عدد سكان مدينة زنجبار من ٢٥٠٠٠ إلى ٤٠٠٠٠. وكتب القنصل البريطانى في زنجبار عام ١٨٥٩ بأن المدينة كانت مليئة بالآلاف من عرب الخليج وحضرموت، وأنهم كانوا يأتون بغرض خطف العبيد والأطفال، وينقلونهم للبيع في سواحل الجزيرة العربية وبلاد فارس وأنهم يرتكبون جرائم القتل والسرقات ويفلتون من العقاب. حيث كان جنود السلطان يخافون منهم. ففي ٩ مارس ١٨٦١ ، أصابوا أربعة موظفين في القنصلية الأمريكية، ثم قاموا بحبس القنصل الأمريكي في منزله ، وحاصروها طوال اليوم. في حين ذكر في

---

(٤٥)Jan Knappart:– " Op.Cit.,pp. 16,22,23,29

(٤٦)John Studdy Leigh and James S. Kirkman:– Op.Cit., pp284–290.

تستعينيات القرن ١٩ بأن سكانها بلغوا حوالي ٣٦٠٠٠ نسمة.، من مجموع سكان محمية زنجبار البالغ عددهم ١٩٧،١٩٩، وفيما يختص بالترتيب الاجتماعى، فكان العرب يأتون في أعلى السلك الاجتماعي يليهم الهنود ثم السواحليون [٤٧]. وفي عام ١٨٧١ كان حوالى٢٠٠ ألف يعيشون في المدينة، أكثر من نصفهم من العبيد . منهم ٤٠٠٠ هندي و ٦٦ أوروبيًّا منهم ١٢ ألمانيًّا، لهم علاقة بتجارة الأسلاك النحاسية وجميع النحاسيات، ورغم هذا العدد القليل، تمكن الألمان أن تحصل شركاتهم على ٢٤ ٪ من تجارة الجزيرة [٤٨].

ويمكن تقسيم القوى الاجتماعية التي سكنت المدينة لخمس قوى: القوة الأولى، العرب. حيث سكن مدينة زنجبار عدة قبائل عمانية وأسرة البوسعيد وتجار عرب شاركهم التجارة هنود وأوروبيون، وهؤلاء جميعًا ورد ذكرهم في كتابات المستكشفين الأوروبيين في القرن التاسع عشر. فذكرت تلك الكتابات بعض من صفات التجار العرب القاطنين بالمدينة بأن سماتهم جميلة لهم شوارب طويلة من دون لحى، وكانت ملابسهم حريرية وأنيقة وفاخرة وذات أكمام طويلة. وكانوا من العناصر الأساسية في التطور الاستثنائي الذي حدث في الجزيرة ككل [٤٩].وكان القادمون من عمان يتبعون المذهب الإباضي، وهناك آخرون ينتمون إلى الإثنا عشرية والإسماعيلية. وكان الوقف في المدينة في معظمه ملكا للعائلة المالكة البوسعيدية، وهذا يعني أن معظم الأوقاف كانت مخصصة للإباضية، وبالتالى كان التمييز بين الإباضية والشافعية يتم بناء على الوقف، وكان دلالة على فصل الملاك عن المستأجرين[٥٠]. وفي عام 1870 سيطر العرب الحضارمة على سوق

---

[٤٧]Major F B Pearce C M G:- Op.Cit., pp.190-194,211-215.

[٤٨] Jan Knappart:- " Op.Cit., pp. 32.

[٤٩] Beatrice Nicolini:- The Western Indian Ocean as Cultural Corridor: Makran, Oman and Zanzibar through Nineteenth Century European Accounts and Reports, Middle East Studies Association Bulletin, Vol. 37, No. 1 (Summer 2003), pp.24,25.

[٥٠] Garth Andrew Myers: Op.Cit., pp.257,258.

العمل في ميناء زنجبار. وكانت هذه المجموعات الأكثر نفوذاً في المدينة نفسها ، من الناحية السياسية والتجارية [٥١].وكان بعض أثرياء العرب يعيشون في حى مالیندی مسيكيتى، وبعضهم في حى مالندى ميزنجانى، ومالندى كيوندا. وكانت قبيلة المحرمي تعيش في منطقة المحرمة بجوار الكنيسة الكاثوليكية. وبالنسبة للعرب الشاطرية من عرب حضرموت، وهم أول جماعة استوطنت المدينة بعد أن أصبحت عاصمة، فقد كانت لهم قصور ومساجد ومقاطعات ومقابر وممتلكات كثيرة هناك، وسيطروا على مسجد الجمعة المطل على الميناء. وأيضًا قبيلة الكندى[٥٢].

وبعيدًا عن حى القصور السلطانية الذي خصص لأفراد الأسرة الحاكمة، فإن بعض أسرة البوسعيد كانوا يقيمون في نواحى أخرى، فكان بعض الأمراء والمبرزين منهم، كالأمير عبدالعزيز بن سعيد، يسكن في بيت في مالیندی شمال المستشفي الآسيوى[٥٣]. وعاش سعيد بن حمد بن جاعد البوسعيدى في مالندى، وكانت له بيوت عديدة تسمى جما لاثريا، وهي التي أصبح المستششفي الآسيوى جزءًا منها فيما بعد[٥٤]. وكان عدد من أفراد أسرة سليمان بن حمد البوسعيدى يقيمون في مالندى ميزنجانى، بين القنصلية الفرنسية والمنزل المواجه لمسجد السيد حمود، والذى أصبح مقرًا للقنصلية الهولندية فيما بعد [٥٥]. وكان قبطان السفينة فيكتوريا، هلال بن عبدالله المدى، قد سكن بيت كبير مبنى بالحجارة في المنطقة الفراغ الملحقة بالمحطة الكهربائية. في حين بنى الشيخ يوسف الشمسى قصره في الحديقة التي شغلت هيئة مزارعي القرنفل[٥٦]. وبنى الشيخ حسن بن إبراهيم الفارسى، وزير الخارجية والتجارة، منزله بجوار الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وحين خلفه في المنصب الشيخ أحمد بن

---

[٥١] R. J. Gavin:– The Bartle Frere Mission to Zanzibar, 1873, The Historical Journal, Vol. 5, No. 2 (1962), pp. 122–124.

[٥٢] الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان:– المصدر السابق، ص ص ٩٦–١٠٠.

[٥٣] الشيخ عبدالله بن صالح الفارسى:– المصدر السابق، ص.٢٨

[٥٤] الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان:– م المصدر السابق، ص ٨٨.

[٥٥] الشيخ عبدالله بن صالح الفارسى:– المصدر السابق، ص ٦٤.

[٥٦] الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان المصدر السابق، ص ص ١٥٨–١٦٠.

نعمان الكعبى، أقام منزله في حى مالندى كيوندا. حيث بنى البيت الذي عرف باسم ماتم الشيعة؛ لأن الشيعة اتخذوا البيت مأتمًا بعد وفاته، وقبل أن يتزعمهم خان على صاحب المنطقة المعروفة كوخانى او منطقة الخان(٥٧).

ومن ضمن المبرزين العرب الذين سكنوا المدينة الشيخ محمد بن ناصر. حيث كان واليًا على المدينة في عهد السلطان سعيد، وسكنها أيضًا الشيخ محمد بن أحمد باقشمر سكرتير السلطان سعيد سنة ١٨٣٧. وأصبح وزيرًا للخزانة في عهد ماجد، وأصبح مستشارًا لجميع شئون الحكم في عهد برغش. وأصبحت كل الأمور بيده في عهد خليفة بن سعيد، حتى تم إبعاده عن زنجبار سنة ١٨٨٩، فغادرها ليقيم في بومباى الهند. ثم عاد ليعيش في مالندى وبنى مسجد نجامبو مبويونى الذي عرف باسم مسجد باقشمر (٥٨).

وبعد أن استقر السلطان سعيد في المدينة نقل قواته العسكرية النظامية لزنجبار في عام ١٨٤٦. وكانت تتمثل في ٤٠٠ رجل، منهم ٨٠ في مدينة زنجبار، و ٢٥٠ في مومباسا، و٣٠ في لامو، و ٢٥ في باتا، ومن ٦ إلى ١٠ في كيلوا، وأزواج متنوعة في مقيديشو وأماكن أخرى بعد ذلك. وتضاعفت تلك القوة إلى ثلاثة أضعاف فيما بعد، هذا بالإضافة إلى القوة غير النظامية (٥٩).وكان الحرس الشخصي الدائم للسلطان سعيد بن سلطان يتكون من ٣٠٠ من البلوش،غير الـ ٢٠٠٠ من البلوش الذين يعيشون في مسقط (٦٠). وفي العقد الأخير من القرن ١٩ هجر بعض المزارعين العرب الأغنياء، وباعوا مزارعهم وأقاموا في المدينة، مما جعل مزدحمة للغاية (٦١).

---

(٥٧) الشيخ عبدالله بن صالح الفارسى:- المصدر السابق، ص ص ٦٦، ٦٧.

(٥٨) نفسه، ص ص ٦٨-٧٠.

(٥٩)Richard F. Burton:- Op.Cit.,, p.265

(٦٠)Beatrice Nicolini:- Op.Cit., pp.24,25.

(٦١) إبراهيم عبدالمجيد محمد:-الهنود في زنجبار في ظل حكم العمانيين في القرن التاسع عشر، المنصورة، ٢٠١٠، ص ٢٣.

القوة الثانية، الأوربيون. وبالنسبة للقناصل البريطانيين، فعندما انتقل السلطان سعيد إلى زنجبار عام ١٨٤١ اضطر الوكيل البريطاني إلى اتباعه إلى هناك، رغم أن مسقط كان يديرها الجهاز السياسي الهندي، حيث كان مسؤولاً أمام حكومة بومباي، وتكلفت تكاليفها من الإيرادات الهندية [٦٢]. وبالتالى كان اتكنز همرتون أول قنصل بريطانى يقطن مدينة زنجبار منذ ٤ مايو ١٨٤١ . حيث عاش في البيت الذي استخدمته شركة سميث ماكينزى وتوفي سنة ١٨٥٧ وخلفه فرانسيس بارون بياس كمقيم بريطانى. وظل القناصل يقيمون في مبنى شركة سميث ماكينزى حتى سنة ١٨٧٥ إلى أن انتقلوا إلى مبنى مامبومسيج. لكن منذ سنة ١٩٠٢ سكن القنصل في ميتاجويو في حدائق فيكتوريا [٦٣]. ووصل أول قنصل أمريكى، رينشارد ووترر إلى زنجبار سنة ١٨٣٩، وظل هناك حتى سنة ١٩١٩ عندما انتقلت القنصلية من المدينة إلى نيروبى. في حين تم وصول اول قنصل فرنسى في نوفمبر ١٨٤٤ وهو مسيو بركوا [٦٤].

وفيما يختص بإقامة المسئولين الأوروبيين في المدينة، فحينما تم منح امتيازات خارجية عبر معاهدات مختلفة عقدتها سلطنة زنجبار مع فرنسا والبرتغال والولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا والجمهوريات الهانزية وبلجيكا وألمانيا والنمسا وروسيا [٦٥]، اتخذ مسئولو تلك الدول مدينة زنجبار مقرًّا لإقاتهم. فكان أول مسؤول أمريكي عاش في

---

[٦٢] Robert J. Blyth:- Redrawing the Boundary between India and Britain: The Succession Crisis at Zanzibar,1870-1873, he International History Review, Vol. 22, No. 4 (Dec., 2000), pp. 787.

[٦٣] الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان:- المصدر السابق، ص ص ١٠٢، ١٠٣.

[٦٤] نفسه، ص ١٤٥.

[٦٥] S. S. Abrahams:- The Reorganization of the Zanzibar Courts, Journal of Comparative Legislation and International Law, Third Series, Vol. 6, No.4 (1924), pp. 294.

مدينة زنجبار هو ريتشارد بالمر، وخلفه ووترز في المنصب الى أن غادر زنجبار في ١٨٤٤. ثم جاء سي وارد ، وتبعه ويب ثم ماكميلان ثم مانسفيلد. وفي عام ١٨٥٩ زاد عدد الأمريكيين في المدينة، فإلى جانب وكيل شركة جون بيرترام وشركاه التي مقرها مدينة سالم الأمريكية الرئيسة، وكان يعاونه روبس والسيد ويب وروفوس جرين وشركاه، عاش فيها وكلاء وتجار اَخرين. وأشهرهم التاجر صامويل ماسوري، فضلًا عن شركات فرنسية من مرسليا وشركات ألمانية من هامبورج [٦٦]. وأصبحت المدينة مقرًّا لمؤسسة جون بيرترام الأمريكية، ثم شركات روبس وإميرتون، إلى أن أصبح لكل ولاية من الولايات المتحدة مواطن يعمل كقنصل عام بين عامي ١٨٧٠ و ١٨٩٠ [٦٧]. وبطبيعة الحال، فإن هؤلاء المسئولين قد عكسوا قوة بلادهم ونفوذهم على سلاطين زنجبار.

وفيما يتعلق ببريطانيا الأقوى نفوذا في زنجبار، فقد رشح اتكينز هاميرتون كقنصل في زنجبار من قبل حكومة الهند، حيث لم تكن تسيطر عليها وزارة الخارجية البريطانية [٦٨]. واستقر في المدينة فعليا منذ سنة ١٨٤١. حيث طلب البقاء هناك بدلا من مرافقة السلطان سعيد إلى مسقط. فاستطاع بمساعدة القوات الموالية للسلطان أن يسيطر على الوضع ضد المغامرين العرب ممن كانوا يسيطرون على المدينة بقوة السلاح [٦٩]. وفي هذا الوقت لم يجرؤ أي مواطن أوروبي على الخروج من منزله بعد حلول

---

(٦٦)Richard F. Burton:- Op.Cit.,p.313,320

(٦٧)Gerald J. Pierson:- U.S. Consuls in Zanzibar and the Slave Trade, 1870–1890, he Historian, Vol. 55, No. 1 (AUTUMN 1992), pp. 54,55.

(٦٨)Norman Robert Bennett:- France and Zanzibar, 1844 to the 1860s. he International Journal of African Historical Studies, Vol. 6, No. 4 (1973), pp.602-676.

(٦٩)Jan Knappart:- " Op.Cit., pp. 16,22,23,29

الظلام. بل لم ينته الأمر إلا بعد أن أعطى السلطان سعيد لمثيري الشغب من العرب ألف روبية، لأنهم منعوه هو نفسه من ممارسة نشاطاته اليومية. إلى أن جاءت بعض سفن الأسطول البريطانى، وأمهلتهم ثمانيا وأربعين ساعة لمغادرة المدينة [٧٠]. وخلف القنصل هاميرتون في عام ١٨٥٨ ريجبي [٧١]. وقضى القنصل الجديد فترته في المدينة ما بين سنة ١٨٥٨-١٨٦١، ثم جاء من بعده فاير (١٨٦٣-١٨٦٥) وتلاه هنري تشرشل في الفترة من عام ١٨٦٧ إلى عام ١٨٧٠[٧٢]. ثم تبعه جون كيرك في الفترة من ١٨٧٠-١٨٨٦ [٧٣].وتدرج جون كرك كوكيل لقنصل زنجبار منذ عام١٨٦٦، ثم مساعدًا للوكيل السياسى سنة ١٨٦٨. وفي عام ١٨٧٣ أصبح هو القنصل العام، ولعب دورًا مهمًّا في حياتها[٧٤]. وكان القائم بأعمال القنصل العام في زنجبار إف دبليو هولموود، قد تم عزله من منصبه ردًّا على شكاوى متكررة وشديدة من برلين تستعجن سلوكه. وتلك الشكاوى كانت موجهة ضد السير جون كيرك[٧٥]. وسكنها أيضًا القنصل البريطانى ايوان سميث ووليم ماكينزي، مسئول شركة شرق أفريقيا البريطانية للتفاوض مع السلطان برغش

---

(٧٠)Major F B Pearce C M G:- Op.Cit., p.190-194.

(٧١)Jan Knappart:- " Op.Cit.,, pp. 16,22,23,29

(٧٢)Chhaya R. Goswami:- Professor P. S. Gupta Prize Essay: The Slave Trade at Zanzibar and the Role of Kutcha's, Proceedings of the Indian History Congress, Vol. 64 (2003), pp. 1283-11285.

(٧٣)Jan Knappart:- Op.Cit., pp. 30,31.

(٧٤)H. H. Johnston:- Obituary: Sir John Kirk, G. C. M. G., K. C. B., F. R. S., M. D., LL. D., D. Sc., D. C. L,The Geographical Journal, Vol. 59, No. 3 (Mar., 1922), pp. 225,226.

(٧٥)Emile de Grootreat Britain and Germany in Zanzibar: Consul Holmwood's Papers, 1886-1887), The Journal of Modern History, Vol. 25, No. 2 (Jun., 1953), pp. 120- 122.

للتنازل عن بعض أجزاء ساحل شرق أفريقيا[٧٦]. وفي ١٢ يناير١٨٧٣ دخل اليخت البريطاني انشانترس Enchantress ميناء زنجبار. وكان على متنه حاكم بومباي السابق ومجموعة من ستة مسؤولين حكوميين، لمناقشة مسألة تجارة الرقيق [٧٧].

وبالإضافة الى دور المسؤلين السابق، فان دورهم سيبرز أكثر بعد عام ١٨٨٤. حيث كان الرجل الذي يحكم زنجبار في الواقع، هو جيمس رينيل رود (١٨٥٨ – 1941). ويظهر دوره في تولية السلاطين، فحينما كان لا يرغب في أن يتولى خالد بن برغش الحكم وقف ضده متفقًا مع السير جيرالد بورتال (١٨٥٨–١٨٩٤) في أن خالدًا كان وحشيًّا. وكتب آرثر هاردينج (١٨٥٩ – ١٩٣٣) بأن خالد لم يكن مرشحًا مناسبًا لمنصب سلطان زنجبار من قبل بريطانيا. وأن واحدة من خالاته، وهي زمزم بنت سعيد بن سلطان، كان لها بعض التأثير على مسار حياة ابن أخيها. وأن هذه السيدة كانت مولعة جدًّا بخالد بن برغش، واقنعته مرتين بالاستيلاء على العرش بطريقة غير دستورية. وعندما تم نفي خالد للمرة الثانية كانت حزينة جدًّا، وأرسلت بعض عبيدها لخدمته في المنفي بعد القصف البريطاني لمدينة زنجبار، حيث لجأ خالد إلى مقر القنصلية الألمانية الإمبراطورية [٧٨]. وبعد اعلان الحماية البريطانية على زنجبار ١٨٩٠ كانت الإدارة البريطانية تعطى السلطان راتبا بلغ قدره ٢٥٠٠٠ سنويًّا. وقام جون سميث في عام ١٨٩١، بجعل ميناء زنجبار مجانيًّا [٧٩].

---

[٧٦]John S. Galbraith Italy, the British East Africa Company, and the Benadir Coast, 1888–1893, The Journal of Modern History, Vol. 42, No. 4 (Dec., 1970), p.557.

[٧٧]R. J. Gavin:– Op.Cit., pp. 122–124.

[٧٨]P. J. L. Frankl:– The Exile of Sayyid Khalid Bin Barghash Al–Busa'Idi: Born Zanzibar C. 1291 AH/AD 1874Died Mombasa 1345 AH/AD 1927British Journal of Middle Eastern Studies, Vol. 33, No. 2 (Nov., 2006), pp. 162,163.

[٧٩]Jan Knappart:– " Op.Cit., pp. 35.

وكانت هناك محاكم محلية في مدينة زنجبار نفسها، إلى أن أنشات بريطانيا عددًا من المحاكم بعد فرض الحماية. وأصبح الوكيل البريطاني في المدينة هو قناة التواصل بين حكومة زنجبار والقوى الأجنبية، ويدير، تحت إشراف وزارة الخارجية البريطانية، العلاقات الخارجية لسلطنة زنجبار [٨٠]. وتم تطبيق القوانين الهندية على زنجبار كقانون الجنون الهندي وقانون العقوبات الهندي وقانون الوراثة وقانون البريد الهندي وقانون الطلاق الهندي وقانون المحاكم المدنية لبومباي وقانون الأدلة الهندي وقانون العقود الهندي[٨١].

وفيما يتعلق بالألمان، فعندما دخلت ألمانيا طرفًا في موضوع الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد للتوفيق بينها وبين أخيها السلطان برغش لأهداف استعمارية، كلفت الحكومة الألمانية عام ١٨٧٦ القنصل الألماني في زنجبار باتخاذ خطوات رسمية لمفاتحة برغش في الموضوع، ولكن الرجل رفض أي مناقشة لهذه المسألة، حتى مع القنصل البريطاني العام، إلى أن أخذت القضية أبعادًا أخرى عام ١٨٨٠، تطورت فيما بعد لحصار مدينة زنجبار من قبل السفن الحربية الألمانية سنة ١٨٨٥. وعاش في زنجبار أيضًا صاحب المشروع الاستعماري الألماني كارل بيترز. وكان يتردد على القنصلية الألمانية في زنجبار في نوفمبر ١٨٨٤ وأيضًا عاش فيها وليام أوسوالد [٨٢].

---

[٨٠]Arthur H. Hardinge: Legislative Methods in the Zanzibar and East Africa Protectorates, Journal of the Society of Comparative Legislation, Vol. 1, No. 1 (Mar., 1899), p. 1,4,5.

[٨١]J. E. R. StephensThe Laws of Zanzibar, ournal of the Society of Comparative Legislation, Vol. 13, No. 3 (1913), pp. 603.

[٨٢]E. Van Donzel: Sayyida Salme, Rudolph Said-Ruete und die deutsche Kolonialpolitik, Die Welt des Islams, New Series, Bd. 27, Nr. 1/3 (1987), pp.15-17.

وبالنسبة لفرنسا، فحينما وقعت معاهدة بين زنجبار والولايات المتحدة أثار هذا اهتمام وزارة التجارة الفرنسية في باريس، فتم إرسال وكيل فرنسي إلى مسقط عام ١٨٤٠ لطلب الإذن لإنشاء قنصلية في زنجبار. الأمر الذي انعكس في المعاهدة التي وقعت في باريس في ١٠ مارس ١٨٦٢ بين بريطانيا وفرنسا، اتفق فيها الطرفان على احترام استقلال سلطان مسقط وسلطان زنجبار، ظلت سارية لأكثر من عشرين عامًا[٨٣].

وهناك وثائق تشير بأن المدينة قد استخدمت في ملمات كثيرة خاصة بالأوروبيين، منها أنها كانت نقطة انطلاق بعثة انقاذ أمين باشا في أوغندا [٨٤]. ولعل الأرشيف البريطانى المعنون علاقات ألمانيا بزنجبار لهو خير شاهد على الاف الرسائل والمكاتبات التي خرجت من المدينة أو جاءت إليها تتعلق بمختلف الأمور السياسية والاقتصادية والثقافية والتكالب الاستعماري على الشرق والوسط الأفريقي، وتقطع بأن مدينة زنجبار كانت نقطة الانطلاق الرئيسة في كل ما جرى في تلك المناطق[٨٥].

ومما يدل على كثرة عدد الأوروبيين القاطنين للمدينة هو عدد المدارس والمستشفيات التي تم افتتاحها، وأبرزها المستشفي الأوروبي في ٢١ يونيو ١٨٧١ . حيث كان هناك احتفاء رسمى في المدينة

---

[٨٣] J. A. Kieran:– The Origins of the Zanzibar Guarantee Treaty of 1862, Canadian Journal of African Studies / Revue Canadienne des Études Africaines,Vol. 2, No. 2 (Autumn, 1968), p. 147

[٨٤] F.O.403–79:– Further Correspondence Respecting THE RELIEF OF EMIN PASHA AT UGANDA,No. 29,No.30,No,31, January, 1887,p.11.

[٨٥] F.O.403–107:–Part XV, Further Correspondence Respecting Germany and Zanzibar, October to December 1888, No.57, From The Marquis of Salisbury to Colonel Euan–Smith.(No. 152. Ext, 52.), Foreign Office, October 11, 1888., and see F.O.403–138:–Part XXII, Further Correspondence Respecting Zanzibar, July to September 1890 .

بهذا الافتتاح من قبل القناصل والنخبة العربية والسلطان برغش وجراحى المستشفي والضباط المقيمين في المؤسسة وعدد كبير من طلاب مدرسة الطب [٨٦]. فإلى جانب سكنى الوكلاء والقناصل الاوربيين، فقد عاش فيها العديد من المستكشفين، أمثال ليفينجستون وبيرتون وسبيك وكاميرون وصمويل بيكر وستانلي [٨٧]. وحين قضى الدكتور ديفيد ليفينجستون ثلاثة أشهر في مدينة زنجبار في عام ١٨٦٦، في منزل لا يزال يحمل اسمه، ولم تعجبه البلدة؛ لأنها كانت ممتلئَة بالقذارة والرائحة الكريهة، تحدث مع السلطان برغش في وجوب منع تصدير العبيد وإغلاق سوق العبيد هناك، وقد نجح في خذا المسعى، فأقيم على هذا السوق الكنيسته الإنجليكانية بقيادة المطران إدوارد ستيرى في عام ١٨٧٣ [٨٨].

ومن مدينة زنجبار غادرت حملة ستانلى لإنقاذ أمين باشا في أوائل عام ١٨٨٧. وسافرت عبر كيب تاون إلى مصب نهر الكونغو ثم إلى نهر أروبيمي. حيث ذكرت سجلات الحملة بأن عددًا من الحمالين انضموا للحملة وعددهم ٦١١ رجل تم تجنيدهم في زنجبار، لهذا تم تسميتهم بالوحدة الزنجبارية، وفيهم بعض العرب ، وتشمل ممثلين عن كل قبيلة في أفريقيا الاستوائية [٨٩].ونزل فيها ستانلى أيضًا إلى أن أبحروا منها في ٣٠ سبتمبر ١٨٧٤، بعد أن تم تجهزهم بالكامل في المدينة بالأسلحة والعتاد والخدم، وأبحروا عبر سفن السلطان القاطنة في ميناء زنجبار [٩٠].

---

(٨٦)Visit Of The Sultan Of Zanzibar To St. Thomas's Hospital, the British Medical Journal, Vol. 1, No. 756 (Jun. 26, 1875), p. 863.

(٨٧)Major F B Pearce C M G:- Op.Cit., p.206-208.

(٨٨)Jan Knappart:- " Op.Cit.,, pp. 32.

(٨٩)Ruth Rempel:- "No Better than a Slave or Outcast": Skill, Identity, and Power among the Porters of the Emin Pasha Relief Expedition, 1887-1890, The International Journal of African Historical Studies, Vol. 43, No. 2 (2010), pp.279-282,284,285

(٩٠)Henry M. Stanley:- Explorations in Central Africa. Journal of the American Geographical Society of New York, Vol. 7 (1875), p. 174,1176,177.

القوة الثالثة، الهنود. عاش في مدينة زنجبار رجال الأعمال الكوتشي كممولين وتجار جملة وتجزئة. وشجعهم السلاطين العمانيون على تمويل إنتاج مزارع القرنفل الجديدة وتسويقها. وكان رجال الأعمال والتجار الهنود أمثال جيرام شيفجي وثريا توبان، قد اكتسب جنسية زنجبار بموجب "قانون التجنس الذى صدر في 1847. هذا وقد وصل عدد الهنود من كوتش عام ١٨٦٧ لأكثر من ١٢٠٠ [٩١]. ولأهميتهم في المدينة نرى ريتشارد بيرتون، عندما وصف جزيرة زنجبار بأنها أغنى"مستودع تجارى في أفريقيا الشرقية، يذكر " بأن هناك"٣٨ شبكة من الروابط التجارية الدولية التي يديرها هنود، يمتد نفوذها التجارى من شرق أفريقيا الى الجزيرة العربية والخليج الفارسي والهند حتى جنوب شرق آسيا وإندونيسيا وحتى الصين. وهذه الشبكة لم تتأثر بمنافسة الشركات الأوروبية إلا في منتصف القرن التاسع عشر"[٩٢]. وهناك مجموعة من المهاجرين الهنود في مدينة زنجبار كانت تعمل في التجارة والتمويل وفي شراء القرنفل وبيعه في بلادهم. واشتغل بعضهم كصيارفة حكوميين، وكانوا موضع ترحيب من قبل ساكني المدينة من الأوربيين والأمريكيين [٩٣]. وكان لهم مدارس وأندية خاصة بهم، وأشهرها نادى البنجابيين في زنجبار [٩٤]،

وكان هناك سببان لإقامة الهنود في مدينة زنجبار: الأول: إنه بانتقال السلطان سعيد لجزيرة زنجبار واتخاذه مدينة زنجبار عاصمة لدولته، عمل على تشجيع المجتمع التجاري الهندي في الحياة التجارية في شرق أفريقيا. الثاني: إنشاء القنصلية البريطانية في

---

[٩١]Chhaya R. Goswami:– Op.Cit., pp. 1283–11285.

[٩٢]Beatrice Nicolini:– Op.Cit., pp.36.

[٩٣]R. J. Gavin:– Op.Cit., pp. 122–124.

[٩٤]Khojas' Necklace Queer Experience of Viscountess Cave, The World's News Saturday 21 May 1927,P.44.

مدينة زنجبار عام ١٨٤١، مما أعطى الهنود الشعور بالأمان، كون الهند كانت تابعة لبريطانيا، فكان عددهم في زنجبار قد ارتفع من ٢٠٠٠ عام ١٨٥٦ إلى ٥٤٦٦ في عام ١٨٧٩. واحتل الهنود مناصب في الجمارك، وأشهرهم وات بهيما(١٨٣٠-١٨٣٥) وجيرام سوجي (١٨٣٥-١٨٧٥) و(١٨٨٠-١٨٨٦) وتاريا توبان ١٨٧٥-١٨٨٠، حيث بدءوا مع وكلائهم في الجمارك، ثم أصبحوا مستشارين للقناصل والسلاطين. ففي عام ١٨٥٧، عمل لودها دامجى LudhaDamji كقائم بأعمال الوكالة البريطانية [٩٥]. واتخذت المؤسسات التجارية الهندية مدينة زنجبار مقرًّا لها، تخزن فيها البضائع والسلع لتصديرها إلى الخارج أو إلى الداخل الأفريقي. وأصبحت المدينة مستودعًا لكل محاصيل شرق أفريقيا وارداتها. وحينما بدأ ساحل شرق أفريقيا يجذب المؤسسات الهندية عن المدينة حاول السلطان برغش عبر مرسوم سنة ١٨٧٠ أن يمنع الهنود بمقتضاة من التجارة خارج المدينة. لكن لم تفقد المدينة أهميتها كمركز تجارى إلا في العقد الأخير من القرن ١٩ بعد قامت كثير من المؤسسات الهندية بنقل مراكزها الرئيسة إلى دار السلام ومومبسة[٩٦].

القوة الرابعة، الشيرازيون. كان هناك شيرازيون كثيرون موجودون في الجزيرة، لكن كان أفراد أسرة المونى مكو الشيرازية هم حكام زنجبار قبل البوسعيد، وكانوا يقيمون في مدينة زنجبار نفسها، وأشهرهم السلطان حسن بن أحمد بن سلطان العلوى. حيث سمح لهم السلطان سعيد بمباشرة اختصاصاتهم. وقد تزوج بعض من سيدات هذه الأسرة من العرب العمانيين فأصبح لهم ذرية من المونى مكو. وكانوا يوقعون في خطاباتهم باسم السلطان أو الملك، وكان السلاطين العمانيون يخاطبونهم بذلك، أما الأشخاص العاديون فينادونهم باسم الجومبى أو المونى مكو. وكانوا يحظون باحترام وتوقير كبير في

---

[٩٥]Mandar Anant Thakur:- "INDIAN AGITATION AGAINST CLOVE DECREES IN ZANZIBAR, Proceedings of the Indian History Congress, Vol. 68, Part Two (2007), pp. 1230.

[٩٦] إبراهيم عبدالمجيد محمد:- المرجع السابق، ص ١٣-١٥.

مدينة زنجبار وكافة نواحى الجزيرة. وكانوا وزراء السلطان سعيد في الشئون المحلية، وكانوا يتمتعون بصلاحيات تحت سلطته، وكانت أسماؤهم تذكر الى جوار السلاطين البوسعيد في صلاة الجمعة والعيدين. وظل هذا الأمر حتى وفاة آخر مونى مكو في عهد السلطان برغش. وكان أشهرهم السلطان حسن بن أحمد بن سلطان العلوى، وكان يقيم بالمدينة، وهو مؤسس أسرة المونى مكو، وكانت أمه الملكة فاطمة بنت السلطان يوسف أول من أبدت اهتمامًا بالمدينة ثم جاء هو فقام بتأسيسها[٩٧].

القوة الخامسة، الأفارقة. حينما تحدثنا من قبل عن منطقة نجامبو، ذكرنا أشياء كثيرة عن الأفريقيين الذين يعيشون في ضاحية المدينة. وفي الواقع كان ثلثا سكان مدينة زنجبار يتألفون من الأفريقيين ومن الطبقة العاملة سواء المستعبدون أو الأحرار [٩٨]. وكان العاملون في الميناء يعتادون على النوم في المبنى الكبير الذي شغلته المطبعة الحكومية فيما بعد[٩٩]. وكانت أكبر المجموعات العرقية الموجودة بالمدينة هم من الزارامو والياو والاونياموزيي. وغالبية سكان نجامبوا كانوا على المذهب السني الشافعي منذ منتصف القرن ١٩[١٠٠]. وخلاصة القول، إن هذه القوى عاشت في انسجام وتعايش ولم تبد أي تبرم من أوضاعها إلا خلال فترة الاستعمار البريطاني فيما بعد، وفي أيامه الأخيرة فقط، أى في خمسينيات القرن العشرين. بما يدل على أن صيغة التعايش التي أوجدتها المدينة، وأشرف عليها حكام البوسعيد، قد خلقت مدينة ليبرالية منفتحة بها تنوع عرقي وثقافي وديني، لتكون عاصمة للبوسعيد وحاضرة للعمانيين في شرق أفريقيا ووسطها.

---

[٩٧] الشيخ عبدالله بن صالح الفارسى:- المصدر السابق، ص ص ٥٧-٥٩.

[٩٨]Chhaya R. Goswami :-Op.Cit., pp. 1281,11282.

[٩٩] الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان:- المصدر السابق، ص ٧٢.

[١٠٠]Garth Andrew Myers: Op.Cit., pp.257,258.

رابعًا– اقتصاد مدينة زنجبار وتأثيرها الحداثي في شرق أفريقيا ووسطها:–

باعتبار مدينة زنجبار عاصمة لدولة البوسعيد، لذا فإنها كانت تلخص القوة الاقتصادية لهذه الدولة، كونها المكان الذى تتلاقى فيه صادرات أفريقيا مع واردات أوروبا وآسيا. فقد كان ميناء زنجبار يستقبل الواردات من شتى الأماكن. وفي وقت مبكر من عام ١٨٢٧ كانت سفن مدينة سالم الأمريكية تأتى الى مدينة زنجبار، وبعد ثلاث تم تعيين أول قنصل أمريكي هناك(١٠١). لهذا تحدث أحد الزوار الأوروبيين في أواخر ثلاثينيات القرن ١٩ بأنه رأى التأثير الاقتصادي الصينى والآسيوي في المدينة من خلال التجارة في المرايا والزجاج، وبعد أن سجل الطعام المرسل له من القصر السلطانى، وانه عبارة عن لحم غنم كامل مسلوق أو مطهو وخثارة وحلويات وأنواع مختلفة من الأرز والخبز وشربات وموز وخضار، أشار إلى وجود ٣٠٠.٠٠٠ شجرة قرنفل(١٠٢).

وتجدر الإشارة بأن اوروبا وأمريكا والهند كانت تطلب من مدينة زنجبار في أواخر ثلاثينيات القرن التاسع عشر القرنفل والصمغ والجلود والعاج، وتعطيها بالمقابل السلع القطنية والحديد والسكاكين(١٠٣). وفي عام ١٨٣٩ عقدت داخل المدينة معاهدة بين بريطانيا وزنجبار على نمط معاهدة عام ١٨٣٣ بين زنجبار والولايات المتحدة. وفي عام ١٨٤٤ عقدت معاهدة أخرى بين فرنسا وسلطان مسقط وزنجبار، وحصلوا من خلالها على امتيازات سياسية واقتصادية (١٠٤). لكن الهنود هم الذين هيمنوا على اقتصاد زنجبار من خلال دورهم كممولين للمزارعين العرب وتجار القوافل الذين

(١٠١)Erik O. Gilbertthe:–Zanzibar Dhow Trade: An Informal Economy on the East African Coast, 1860–1964, Submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy,University of Vermont, 1997,,pp. 47,50.

(١٠٢)John Studdy Leigh and James S. Kirkman:– Op.Cit., pp299.

(١٠٣)Ibid, pp282.

(١٠٤)S. S. Abrahams:– Op.Cit.,pp. 294.

هيمنوا على اقتصاد زنجبار من خلال دورهم كممولين للمزارعين العرب وتجار القوافل الذين يتاجرون مع المناطق الداخلية لشرق أفريقيا. فصدروا العاج والعبيد والقرنفل وبذور السمسم. وزودت زنجبار السوق العالمية بـ ٨٠٪ من القرنفل [١٠٥].

وكانت مدينة زنجبار في منتصف القرن التاسع عشر مزدهرة للغاية، يمكنك التنزه فيها حيث الواجهة البحرية والميناء الذي يعج بالمراكب الشراعية المحلية والسفن التجارية والحربية الاوروبية وقوارب الصيد. ويوجد بالميناء مكتب الجمارك، وإلى الشمال منه يقع قصر السلطان ومصنع الثلج. وإلى الجنوب كانت توجد منازل المقيمين والتجار والقناصل الأوروبيين. وعلى الشاطئ مباشرة يقع بيت أوسوالد ووكالة جون بيرترام والقنصلية البريطانية. وفي طريق العودة من الشاطئ كانت توجد القنصلية الفرنسية ومقر الجند البلوش الى غير ذلك. وبحلول عام ١٨٥٩ بلغت قيمة التجارة المنجزة في زنجبار ١،٦٦٤،٥٧٧ جنيه إسترليني. وكان هذا التوسع التجارى بسبب التوسع في الاقتصادات الصناعية عبر المحيط الأطلسي ومطالب الإنتاج المتزايدة في شرق أفريقيا. فكانت مدينة زنجبار مكانا للتجارة المختلطة، الأوروبية مع الأفريقية، والعربية مع الآسيوية[١٠٦]. وكانت وسيلة النقل داخل المدينة هي الخيول والحمير والبغال. وأدخلت عملة البيسة في مدينة زنجبار سنة ١٨٥٩. وكان التعامل التجارى من قبل يتم من خلال عملة ماريا تريزا والريال الإسبانى، ودخلت عملة برغش سنة ١٨٨٣ ثم عملة زنجبار ١٨٨٧ التي لم تظهر إلا في عهد السلطان خليفة بن سعيد. وظلت إلى أن دخل الشلن والسنت فيما بعد، سنة ١٩٣٦ [١٠٧]. وكان تأثير المدينة الاقتصادي ضخمًا في شرق أفريقيا

---

[١٠٥]Mandar Anant Thakur:– "Indian Agitation Against Clove Decrees in Zanzinar, Proceedings of the Indian History Congress, Vol. 68, Part Two (2007), pp. 1230.

[١٠٦]Erik O. Gilbertthe:– Op.Cit., pp. 35,38.

[١٠٧] الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان المصدر السابق، ص ص، ١٤٠، ١٤٦، ١٤٧.

ودواخلها، لأنها كانت البوابة التي تنطلق منها تجارة الدواخل الأفريقية نحو أوروبا وآسيا زنجبار. حيث ارتبط مبنى الجمارك في المدينة بالمنافذ الموجودة قبالة جزيرة زنجبار، من حيث الضريبة والاحتكار التجاري. فقد أصبحت المدينة منفذًا لتجارة المحيط الهندي والتجارة الدولية طيلة القرن ١٩ [١٠٨].

هذا ولم يكن هناك رصيف لميناء زنجبار حتى ١٨٩٠، حيث كان يتم رسو السفن على طول الواجهة البحرية للمدينة، وعبر الخور الذى يقع شمالها[١٠٩]. وكان كارل بيترز الألماني وغيره من المتنافسين الأوروبيين على استعمار شرق أفريقيا، يدركون جيدًا الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية لمدينة زنجبار في أنحاء المنطقة. وأن التنافس بين العملاء البريطانيين والألمان في زنجبار كان يتكرر مع زيادة حدة العنف في المراسلات الألمانية في عام ١٨٨٦[١١٠]. لكن لم تقل أهمية ميناء زنجبار من الناحية الاقتصادية إلا بعد التغييرات التي أجرتها الإدارة الألمانية في مستعمرتها في تنجانيقا في مرفق دار السلام، فقاد هذا إلى روابط تجارية جديدة مختلفة عما كانت عليه من قبل[١١١].

وفيما يتعلق بتأثير المدينة الحداثى في شرق أفريقيا ووسطها. فكانت سلطة زنجبار تمتد على طول الساحل الشرقى لأفريقيا وفي الداخل والوسط الأفريقي. لدرجة أنه في عام ١٨٧٥ حدث اشتباك مصرى مع زنجبار للسيطرة على الصومال الجنوبى. حيث أرسل الخديوي إسماعيل

---

(١٠٨)Erik O. Gilbertthe :– Op.Cit.,,,pp. 51,52.

(١٠٩)Ibid,,pp. 47,50.

(١١٠)Emile de Grootreat Britain and Germany in Zanzibar: Consul Holmwood's Papers, 1886–1887), The Journal of Modern History, Vol. 25, No. 2 (Jun., 1953), pp. 120– 122.

(١١١)A. J. Christopher:–Continuity and Change of African Capitals. Geographical Review, Vol. 75, No. 1 (Jan., 1985), p.51.

ماكيلوب باشا في حملة صغيرة، سميت بحملة جوبا[١١٢]. ولهذا فإن نفوذ العاصمة البوسعيدية كان كبيرًا وممتدًا. وما تكرر في المصادر الأوربية من مقولات، وعلى رأسها مقولة "إن عزف المزمار في زنجبار رقص عليه الناس في البحيرات "، ومقولة لفنجستون " زنجبار هي مكتبة الداخل الأفريقي"[١١٣]، يلخص هذه المكانة للعاصمة ويحفظها.

من هنا، فإن المسؤولين الأوروبيين كانوا يعلمون تلك المقولات وبتأثير مدينة زنجبار وسلاطينها في الداخل الأفريقي[١١٤]. فكان تأثير مدينة زنجبار الثقافي كبيرًا في ساحل شرق أفريقيا ووسطها، حيث جرى تقليد الأفارقة للعرب في الملابس والعادات، بحكم تمدد القبائل العربية عبر مناطق الوسط الأفريقي[١١٥]. وانتشر تقليدهم في طريقة حياة العرب داخل المنازل[١١٦]، وفي الطرز المعمارية العربية [١١٧]، وفي استخدام الأسماء العربية [١١٨]. وبزيادة أعداد المهاجرين العرب القادمين من مدينة زنجبار

---

[١١٢]E. R. Turton:-Kirk and the Egyptian Invasion of East Africa in 1875: A Reassessment,The Journal of African History, Vol. 11, No. 3 (1970), pp. 355,370.

[١١٣] أحمد عبدالدايم محمد حسين :- الوجود العربي في منطقة البحيرات الأفريقية الكبرى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، العدد ٢١، السنة ١١، ٢٠٠٧، ص ٥٤٩.

[١١٤]Emile de Grootreat Britain and Germany in Zanzibar: Consul Holmwood's Papers, 1886-1887), The Journal of Modem History, Vol. 25, No. 2 (Jun., 1953), pp. 120- 122.

[١١٥]Stanley H.M :-Letters of Mr.Stanly on His Journey to Victoria Nyanza and Circumnavigation of the Lake , Proceedings of the Royal Geographical Society of London , Vol.20, No.2(1875-1876) P.149.

[١١٦] رونالد اوليفر، أنتونى اتمور:- أفريقيا منذ عام ١٨٠٠، ترجمة فريد جورج بورى، المشروع القومى للترجمة، العدد ٩٤٨، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٠٧ .

[١١٧]Smith Alison :- King Leopold and Congo Arabs , The Journal of African history , Vol. 1. No.1960,P.167 .

[١١٨]Langworthy Hary :- Swahili Influence in The Area between Lake Malawi and The Luangwa River , African Historical Studies , Vol.4,No.3,1971,P.589.

منذ خمسينيات القرن ١٩ في المناطق الداخلية، نمت مراكز ومدن جديدة، كطابورة وأوجيجى ونيانجوى وكاسونجو وكاراجوى ونيخوتاكوتا، وحاولت أن تقلد العاصمة في بعض الأشياء. حيث ارتبطت نشأة المناطق الحضرية في وسط أفريقيا في القرن ١٩ ارتباطًا مباشراً بهجرة القبائل العربية إليها. وخير مثال على ذلك ما أشار إليه الرحالة الأوروبيون لدور تلك الهجرات في تطوير الزراعة وتبنى تقنيات حديثة فيها. ناهيك عن الثورة المعمارية التي نقلوها من عمان والساحل إلى الداخل[١١٩]. وفي هذا الإطار ادخلوا الإدارات الحديثة، فقسموا أعالى الكونغوا إلى سبع مناطق إدارية، وأدخلوا نظام الحكم غير المباشر، فسمحوا باستقلال بعض الزعامات المحلية بالحكم تحت إشرافهم [١٢٠]وأحدثوا نظمًا اقتصادية جديدة لم تعرفها المنطقة، تتمثل في الضريبة والجمارك [١٢١]، وفي إيجاد قوات عسكرية مدربة [١٢٢]. فضلا عن دور قبيلة الحارث والورديين في كشوف بحيرة تتجانيقا ونهر الكونغو [١٢٣]، وبقية المناطق [١٢٤]، ودور قبيلة العفيفي في كشف بحيرة بنجويلو ونهر اللوالابا [١٢٥]، ودور قبيلة الحارث في كشوف الرحالة ستانلى وغيره [١٢٦]. (انظر الخريطة التالية).

---

[١١٩]Thomas Franklin McDow Arabs and Africans: Commerce and Kinship from Oman to the East African Interior, c. 1820-1900, Faculty of the Graduate School, Yale University, Doctor of Philosophy, May 2008, PP.201, 203,204.

[١٢٠] عدنان حداد :- انتشار الإسلام في أفريقيا الوسطى لاسيما في جمهورية الكونغو الديمقراطية، المؤتمر الدولى :- الإسلام في أفريقيا، الكتاب الحادى عشر، السودان، ٢٠٠٦، ص ص ٥٥٩، ٥٦٣ .

[١٢١] جمال زكريا قاسم :- الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٥، ص ٢٤٢.

[١٢٢]Werner J.R. :- The Congo and The Ngala and Aruwimi Tributaries, Proceeding of the Royal Geographical Society and Monthly Record of Geography , New Monthly Series, Vol. 11 No.6(Jan.1889), PP.349,350.

[١٢٣] Burton R.E.,J.H.Speke:- Exploration in Eastern Africa, Proceeding of the Royal Geographical Society of London, Vol.3, No. 6 (1858-1859) PP .351, 352.

[١٢٤] Russel A.J. :- The Livingstone's Nile , What is it? and Relief Expedition , Journal of The American Geographical Society of New York , Vol. 6, 1874, PP.298,301.

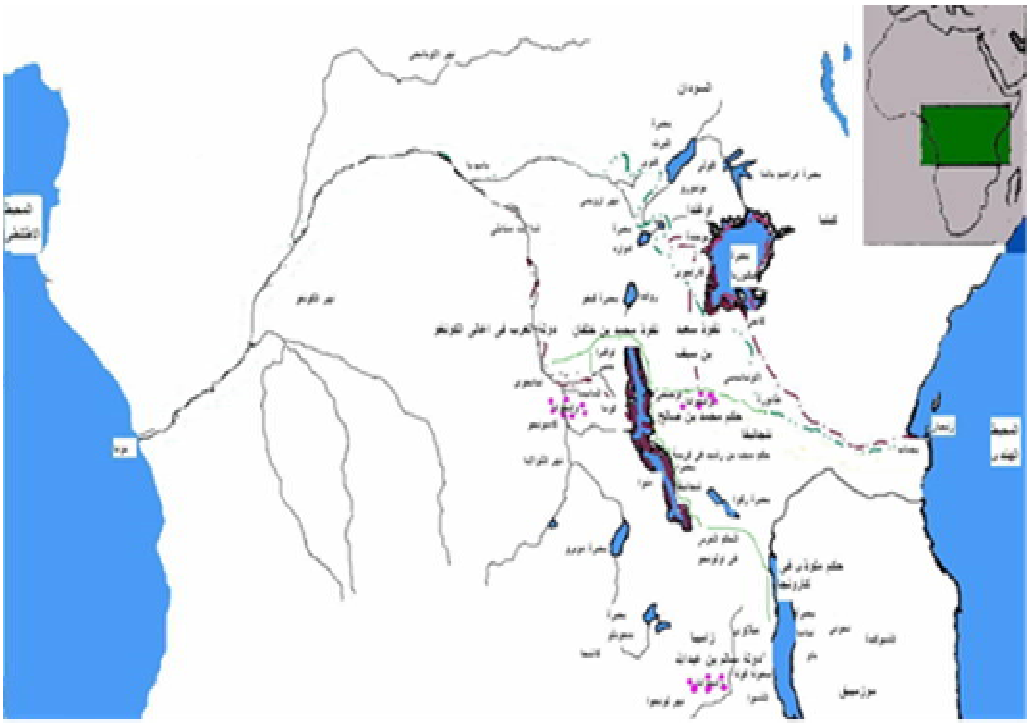

خريطة بتصرف الباحث نقلاعن : What Stanly Has Done for the Map of Africa ,Science, Vol. 15,No. 364 (Jan.1890) P.53

ولعب المنتقلون من مدينة زنجبار دورًا كبيرًا في نشر الإسلام في الداخل، ففي منطقة بحيرة فيكتوريا أصبح الإسلام هو الدين الغالب بانتقال الداعية التاجر أحمد بن إبراهيم إلى بوجندا سنة ١٨٤٤. ناهيك عن انتقال المذاهب السنية(الشافعى والمالكى والحنفي)، وتأثير المذاهب غير السنية (الأباضية وطائفة الإسماعيلية والأحمدية). وكذا انتشار اللغة

---

(١٢٥) Sir Pircy Sykes:–A History of Exploration 'From Earliest Times to the Present Day ' , Second Edition George Rutledge &Sons , London , 1935 P.226.

(١٢٦) Stanly M.Henery :– Through The Dark Continent ,PP.96–100.

العربية ؛ حيث انتشرت في كل المناطق التي تاجر فيها العرب، في مناطق البوجندة والسكوما والسمبوا Sumbwa جنوب بحيرة فيكتوريا، ناهيك عن انتشارها بين الاونياموزى وسكان طابورة واجيجى وأعالى الكونغو. وكان للتقاليد والثقافة العربية انتشار كبير بين قبائل السكوما والاونياموزى وكافة المناطق المحيطة ببحيرة تنجانيقا. حيث ظهر الزى الوطنى متأثرًا بالزى العربى في المنطقة الممتدة بين بحيرة فيكتوريا وبحيرة تنجانيقا سنة ١٨٩٤ في لبس القطنيات العربية والتركية [١٢٧].

ولاشك أن الثورة الاقتصادية التي أحدثها العرب في منطقة البحيرات الأفريقية الكبرى قد أحدثت تغييرًا وحراكًا اجتماعيًّا يصلح أن يُقدَّم كنموذج لما أضافه العرب لسجل التاريخ الاجتماعي في تلك المنطقة، بل يصعب مقارنته بالأثر الاجتماعي للأوربيين فيما بعد. فقد كان للعرب دور كبير في ادخال التعليم الحديث، وفي تغير شكل الملكية والثروة وبالتالى إعادة صياغة البناء الاجتماعي والطبقي في تلك المناطق. وطبيعي أن يحدث هذا التأثير خلال الفترة ١٨٥٧ – ١٨٧٦، حيث كانت عاصمة البوسعيد متحكمة تقريبًا في كل أشكال الأبنية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية في شرق أفريقيا ووسطها. بل كان العرب أول من اكتشفوا إمكانيات المنطقة فربطوها بالتجارة الدولية، وفتحوا الأسواق وشاركوا الأفريقيين في الأرباح، وانعكست سياستهم الاقتصادية في التنافس الذى أوجدوه بين سياسات المناطق بعضها بالبعض الآخر، وبالتالي هم أول من أحدثوا ثورة اقتصادية بالمفهوم الحقيقي عبر منطقة البحيرات [١٢٨].

---

[١٢٧] أحمد عبدالدايم محمد حسين:– الوجود العربى في منطقة البحيرات المرجع السابق، ص ص،٥١٨، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٦.

[١٢٨] نفسه، ص ص،٥٢٧، ٥٣٧، ٥٥٥ .

خامسًا– علماء المدينة وقضاتها ونخبتها الثقافية:–

شهدت مدينة زنجبار انطلاقة حضارية في المحيط الذى تحكمه والمناطق التي تؤثر فيها. وكان تشجيع سلاطين زنجبار لعلمائها، وقيامهم بإنشاء المطبعة السلطانية، ووجود نخبة من العلماء والمفكرين، قد ساعد المدينة على أن تتبوأ مكانتها كعاصمة مؤثرة في العوالم المتأثرة بها. وقد شهد لها جل الرحالة الأوروبيين بقوة التأثير والحضور الثقافي في الداخل الأفريقي. فكان اهتمام سلاطين زنجبار بالجوانب الثقافية، سواء من خلال طباعة الكتب بالمطبعة السلطانية، أو نسخها، أو من خلال الدعم المادي وتشجيع العلماء والمفكرين ودعم مشاريعهم الفكرية في العالم الإسلامي، هو المحرك المهم في هذا الفعل الثقافي. ويتضح من خلال المراسلات الكثيرة التي تمت بين سلاطين زنجبار وبعض العلماء والمفكرين ورؤساء تحرير الصحف في العالمين العربي والإسلامي، وبين مراكز الثقافة العربية في بيروت ومصر وبلاد المغرب ومع الهيئات والمنظمات الإسلامية، خاصة في العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، الحضور الثقافي الطاغى للمدينة، وأنها كانت واجهة جيدة للعمانيين في كافة أنحاء المنطقة. بل كان إنشاء المطبعة السلطانية في مدينة زنجبار من الأمور التي ساعدت على تطور الحركة العلمية والثقافية ونهوضها ليس في زنجبار وحدها، وإنما في شرق أفريقيا ووسطها ككل[١٢٩].

وأحسب أن مدينة زنجبار في القرن ١٩ كانت نموذجًا يحتذى في التعايش والانسجام بين الأجناس. فكان قطاع كبير من العرب ينتمون للمذهب الإباضي، أما السواحيليين،

---

[١٢٩]B. G. Martin:– Notes on Some Members of the Learned Classes of Zanzibar and East Africa in the Nineteenth Century. African Historical Studies, Vol. 4, No. 3 (1971), pp. 526.

فكانوا ينتمون جميعًا إلى المذهب الشافعي السني. فعلى سبيل المثال كان محمد بن علي المنذري قاضيًا في مدينة زنجبار للإباضية، بينما الشيخ محي الدين القحطاني كان قاضيًا للشافعية. وهذا الأخير هو الذى التقى الرحالة ريتشارد بيرتون. وتحدث عنه بأنه كان عالمًا كبيرًا في الشريعة، وأيضًا مؤرخًا وشاعرًا باللغة السواحيلية [١٣٠]. وكانت المدينة يسودها تسامح ديني مع الهندوس والبهرة وغيرهم من المسلمين على غير مذهب الدولة الإباضى. بل نشأت علاقات بين التجار الإسماعيليين والتجار الأمريكيين[١٣١]. هذا بالإضافة إلى أن المدينة تكونت بها طبقة أرستقراطية من مهاجرى عُمان وأحفادهم، وكانت في انسجام تام مع الارستقراطية الهندية والنخبة الأوروبية [١٣٢]. ونقلت لنا الأميرة سالمة على لسان أحد الرحالة سبب هذا الانسجام، بأن المدينة كان يعم فيها الهناء والحبور جميع طبقات الشعب. وأن المرء يستطيع أن يعيش يومه بأربعة شلنات [١٣٣].

ولعل التمثيل السكانى الموجود في المدينة من القبائل الأفريقية الداخلية من الاونياموبزي والشاجا والياو والداجو والدو والماكوندى والماكوا والهيهي والنجونى والجوجو وغيرهم، لم يدلل على النفوذ الثقافي والحضاري في تلك المناطق فحسب، وإنما جعل المدينة بمثابة البوتقة التي انصهرت فيها العناصر الأفريقية السابقة مع العرب والأوروبيين والهنود من كافة الأطياف؛ الهندوس والإسماعيليين والجوجاراتين والسيخ، فضلا عن الاحتكاك الثقافي بين المنتسبين للمذهب الحنفي والشافعى بالإباضيين. فكانت المدينة

---

(١٣٠)Jan Knappart:- " Op.Cit.,, pp. 25

(١٣١)Hatim Amiji:- The Bohras of East Africaournal of Religion in Africa, Vol. 7, Fasc. 1 (1975), pp. 35,36.

(١٣٢)Laura Fair:- Identity, Difference, and Dance: Female Initiation in Zanzibar, 1890 to 1930, A Journal of Women Studies, Vol. 17, No. 3 (1996), pp. 147..

(١٣٣) الاميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان:- المصدر السابق، ص ٢٥٣.

تمثل بوتقة كبيرة ومهمة للتعايش والانسجام في القرن ١٩. وقد انعكس هذا في العلاقات الجيدة بين الإباضيَّين والشافعيّين. فعلى سبيل المثال كان كثير من قضاة مدينة زنجبار من الشافعية، أمثال القاضى أبى بكر أبى أحمد في عهد السلطان ماجد، والقاضى عبد الله القحطاني الوائلي (١٧٩٠-١٨٦٩). وهو الذي أصبح أول قاضي للشافعية في المدينة عام ١٨٣٧ في عهد السلطان سعيد وابنه ماجد، وبعد ان كان ولائه السابق للمزارعة في مومبسة اصبح ولاؤه لسلاطين زنجبار [١٣٤]. وكان أفراد عائلة منديرى Mundhiri خدمًا مخلصين لسلالة البوسعيد، وكان معظمهم قضاة زنجبار في فترة برغش وما تلاه [١٣٥]. وقد زارها الرحالة بيرتون في منتصف القرن التاسع عشر، وتحدث عن طابعها العربى [١٣٦]. وأحد ملامح هذا الطابع لا يظهر في شكل الأبنية القائمة ولا اللغة العربية ولا الملبس، بل في شهر رمضان. فكان يتم رؤية هلال رمضان من سطح القلعة ثم تدوى المدافع بالبشرى، فيندفع الناس في طرقات المدينة وشوارعها في فرح عام بحلول شهر الصيام[١٣٧].

وكتب الشيخ محى الدين القحطاني قصائد ليس فقط باللغة العربية، ولكن بالسواحلية. تم جمعها من قبل ليندون هاريز. وهو الشيخ الذى أرسله السلطان سعيد في مهمة دبلوماسية إلى سيو Siyu ، كوسيط في عام ١٨٤٥-١٨٤٦. وهناك الشيخ عبد الله نافع المزروعي (١٨٢٥-١٨٩٤) وكان شافعيًّا وعينه السلطان ماجد قاضيًا واشتغل بالتدريس، وبقي في زنجبار حتى عام ١٨٨٧، قبل عام من وفاة سيد برغش[١٣٨].وكان

---

(١٣٤) B. G. Martin:- " Op.Cit. pp. 526,529-531.

(١٣٥) R.S. O'FAHEY and KNUT S. VIKØR :- A ZANZIBARI WAQF OF BOOKS: THE LIBRARY OF THE MUNDHIRĪ FAMILY, Sudanic Africa, Vol. 7 (1996), pp. 6 .

(١٣٦) Brian Hoyle:- Urban Waterfront Revitalization in Developing Countries: The Example of Zanzibar's StoneTown, The Geographical Journal, Vol. 168, No. 2 (Jun., 2002), pp. 146149.

(١٣٧) الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان المصدر السابق، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

(١٣٨) B. G. Martin:- Op.Cit., pp. 526-531,536,543.

بالمدينة قضاة سنيون أكثر من الإباضيين، عكس جزيرة بيمبا، فالقضاة الاباضية اكثر فيها من السنة. وقضاة زنجبار من الاباضية هم الشيخ عبدالله بن مبارك النزوى في عهد السلطان سعيد، والشيخ محمد بن على المنذرى في عهدى سعيد وماجد. بل أصبح أخوه الأصغر عبدالله بن على رئيسًا للقضاة في عهدى ماجد وبرغش وحتى عهد خليفة بن حارب. وشغل ابنه على بن محمد منصب قاضى زنجبار، وهو الذي ألف كتابًا في التوحيد وعاش في مالندى مزنجان قرب محطة الطاقة الكهربائية. وأيضًا القاضى هلال بن سعيد. أما القضاة السنة فيأتي على رأسهم الشيخ محيى الدين القحطاني الذي ساعد السلطان ماجد في بناء مسجد الجمعة في مالندى، وعندما اسيئت معاملته فيه، بنى مسجد الجمعة الكبير في مالندى. وهو الذي كتب تاريخ كلوة وشرح خطبة منهاج السالكين، وعاش في ماليندى كيبوندا. وتبعه أحمد بن سالم العلوى قاضيًا على العلويين الشاطريين، لكنه عين قاضيًا لكل البلاد وعاش في أوكوتانى. ثم تبعه الشيخ عبدالعزيز عبدالغنى الأموي، فعين قاضيًا لكلوة ثم انتقل لزنجبار، ونجح في تحويل السلطان خليفة للمذهب السنى. وهو الذي ألف عدة كتب في الفقة والشعر والأدب والطب والرحلات والتاريخ. وكتب تاريخ زنجبار سنة ١٨٩٣، غير أن الكتاب اختفي فيما بعد. وقد عاش في مسجد المناورة في ماليندى، وخلفه في منصب القاضى ابنه برهاان عبالعزيز[١٣٩]. وكان القضاة يعقدون محاكماتهم في منازلهم، وبعد ظهر كل يوم يذهبون إلى بيت الساحل مقر السلطان، للاستماع للقضايا التي يرفض أصحابها الذهاب لبيوت القضاة. وتحدث البعض عن تأليف الكتب الدينية إلى جانب القرآن الكريم، وقيام المشايخ بتعليم الناس. وأن السلطان لم يكن لديه وزراء، لكن الشيوخ كانوا يقومون بنصحه. وكان القانون يديره قاضيان، يشير له أحدهما بقتل القاتل إذا كان من العبيد، ويدفع الدية إذا كان المتهم

---

(١٣٩) نفسه، ص ص ٧٢-٨٠.

عربيًّا. وجرائم السرقة والجرائم الأخرى يعاقب فاعلها بالسجن لفترات مختلفة. أما الحرق فتكون هناك عقوبة لمتلف البضائع [١٤٠].

وفي مسائل التأليف والطرق الصوفية، كان هناك الشيخ عبد العزيز العزول ١٨٣٢-١٨٩٦، والشيخ "جميع المزروعي، وكان كاتبًا غزير الإنتاج، وأيضًا مؤرخًا. وسمى أحد مؤلفاته بتاريخ زنجبار من وقت وصول السلطان سعيد حتى السلطان حمد بن ثوينى، الذى حكم في الفترة من ١٨٩٣-١٨٩٦. وهناك الشيخ محمد البراوي (١٨٤٧-١٩٠٩)، المعروف في شرق أفريقيا باسم "الشيخ عويسو"، والذى وصل إلى زنجبار من برافا في أوائل ثمانينيات القرن التاسع عشر، وأيده الشيخ عبد العزيز، فأسسا معًا الطريقة القادرية في مدينة زنجبار. ووصلها أيضا الشيخ أحمد السميط في أواخر عام ١٨٨٨، فتم تعيينه في منصبه القديم كقاضي، والذي ظل يحتفظ به حتى وفاته في عام ١٩٢٥. وكانت له اتصالات بمثقفين من القاهرة، مثل محمد الكيالي الحلبي ومحمد العنابي . وهناك القاضى الشافعى عبد الله باكثير الذي استمر في منصبه حتى وفاته في مايو ١٩٢٥، بل دفن في مدينة زنجبار بجوار المسجد الجامع في ماليندي[١٤١]. وتحدث البعض عن دور الحضارمة في المدينة، وأنه أشتهر بها الشيخ محمد عبد الله (١٨٥٣-١٩٠٥) ، حيث اسس الطريقة الشاذلية بمساعدة عائلة الشيخ أبى بكر بن سليم. وفي هذا الإطار قامت المطبعة السلطانية بطباعة العديد من الكتب أشهرها، حاشية الترتيب للوجلانى، وكتاب شمس الظهيرة، وتفسير القرآن المسمى برهان الزاد إلى دار المعاد، واللواقح الذهنية في رحلة مولانا السلطان للأقطار الأفريقية الشرقية [١٤٢].

---

[١٤٠]John Studdy Leigh and James S. Kirkman:- Op.Cit., pp.310.

[١٤١]Ibid, pp. 526,537-539,543.

[١٤٢]Anne K. Bang:- Teachers, Scholars and Educationists: The Impact of Hadrami-ʿAlawī Teachers and Teachingson Islamic Education in Zanzibar ca. 1870—

وبعيدًا عن أثرياء المدينة ونخبتها السياسية، كانت هناك نخبة عسكرية جاء بها السلطان سعيد معه من عمان من البلوش، ثن إضاف عليها ابنه ماجد في عام ١٨٧٠ ببعض الشيرازيين ليعملوا في الجيش زنجباري، وعملوا أيضًا في عهد برغش وأصبح لهم مقبرة خاصة بهم في المدينة. وأيضًا كان هنود إسماعيليين على رأسهم كلب علي خان، الطبيب الهندي. وفي عام ١٨٧٧ جاء حاجي ديوجي جمال والشيخ زين العابدين مازنداراني من كربلاء في العراق. وجاء حوالى ٢٥٠ من الاثنا عشرية وعاشوا في المدينة. وفي عام ١٨٩٩ زار الآغا خان الثالث مدينة زنجبار، فأصدر له السلطان فرمانًا بقيادة جماعته من الإسماعيليين[١٤٣]. وكان بالمينة مغنين ومغنيات وراقصات من العبيد، وكن محترفات يتم اصطحابهن في السفريات لإدخال الترفيه والترويح على أفراد الأسرة الحاكمة. وكان في المدينة طبقة من الكتاب الممتهنين الذين يتخذون أماكنهم في السوق يكتبون الرسائل مقابل أجر مالى [١٤٤]. وعلى هذا كانت مدينة ززنجبار في القرن ١٩ واجهة ثقافية مميزة للعرب في شرق أفريقيا ووسطها، فضلا عن كونها عاصمة سياسية لدولة البوسعيد الحاكمة للشرق الأفريقى. وكانت مفتاحًا مهمًّا من مفاتيح تلك المناطق.

1930, Asian Journal of Social Science, Vol. 35, No. 4/5, SPECIAL FOCUS: Arabs in Asia(2007), pp. 457,459.

[١٤٣]Seyyid Saeed Akhtar Rizvi and Noel Q. King:- Some East African Ithna-Asheri Jamaats (1840-1967), Journal of Religion in Africa, Vol. 5, Fasc. 1 (1973), pp.14-16.

[١٤٤] الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان:- المصدر السابق، ص ١٤١، ١٤٢، ١٤٧.

الخاتمـــة

خلصت الدراسة إلى عدة نتائج نوجزها في الآتي:

- أبرزت الدراسة بأن هناك خصوصية ثقافية لمدينة زنجبار، سواء في أساسيات التنظيم وطبيعة الشوارع وشكل المنازل والبيوت، وأنها تأسست لتكون مشرقية الطابع والهوية، رغم كونها مدينة ليبرالية منفتحة على كل الثقافات. وتمثلت خصوصيتها في كونها استطاعت أن تصهر كل الثقافات في ثقافة واحدة. فكانت المدينة مرآة لعصرها، وبوابة رئيسة من بوابات التحديث لمنطقة شرق أفريقيا ووسطها.
- أن كل شروط المدينة قد انطبقت عليها، من نمو سكانى وتنوع عرقي وثقافي وديني، وكان يسودها تعايش وتآلف وانسجام وتقاليد وعادات مميزة. وأن عمارتها كانت وليدة الوعي والواقع، حيث كانت مدينة حكم وسلطة سياسية، وكانت في ذات الوقت مدينة تجارية ودينية، وتجمع بين مكونات ثقافية مختلفة وابنية متعددة الثقافات والزحارف، فكانت بحق مدينة كوزموبوليتانية متعددة الثقافات منفتحة على العالم ككل. وأن التطورات الكبيرة التي حدثت في القرن ١٩ من توسعة المدينة وتخطيطها، وأن التحديث الذي تم على يد البوسعيد في المدينة، من إدخال للكهرباء والتليفونات وخطوط مياه الشرب النظيفة والحمامات العامة والحدائق والمطبعة والقصور السلطانية والبنايات وما إلى ذلك، قد كان له صداه في شرق أفريقيا ووسطها. وكان الحجم الكبير من بنايات المدينة يدل على العظمة، أما الحجم الصغير فكان يدل على الحميمية. وجميعها تمثل تعويضًا للعرب عن وطنهم الأم المتمثل في مسقط وعمان، وهي خصوصية للمدينة عن بقية المدن التي نشأت في المنطقة فيما بعد.
- أن الفاعليين الاجتماعيين في القرن ١٩ قد عكسوا طبيعتهم المنفتحة على المدينة، وقدموا تجربتهم الاجتماعية المتقدمة التي تعرضت للانتكاسة في نهاية العصر الاستعماري سنة ١٩٦٤. حيث عمل الاستعمار البريطاني على ضرب عملية التعايش التي كانت سمة المدينة

طيلة القرن ١٩، فخلقت الإدارة البريطانية الفتن وحرضت الأفريقيين ضد العرب واججت الصراعات العرقية، وقلبت رأس المدينة على عقب. الأمر الذي عرض منشآتها للخطر، وجعل تجربتها في القرن ١٩ أثراً بعد عين.

- أثبتت الدراسة بأن المدينة ظلت هي الفاعل الرئيس في كل ما يحدث في الداخل الأفريقي، إلى أن فرضت بريطانيا حمايتها عليها سنة ١٨٩٠. وأنها كانت مبهرة في مبانيها وفنونها، ناهيك عن جمعها لثقافات متعددة، عربية وهندية وأوروبية وسواحيلية، في بوتقة واحدة. بل إن كل مبنى من مباينها ظل يحمل أفكارًا معينة كانت تدور في رأس صاحبه. فكانت مكانًا متاحًا لاستثمار فوائض الإنتاج الزراعي في المجال الصناعي، وحين بدأ يظهر هذا التحول في عهد السلطان برغش، ضُرب المشروع برمته بوضع زنجبار نفسها تحت الحماية فيما بعد. وكانت المدينة أيضًا مقرًّا للطبقة الارستقراطية والنخبة العربية التي رعت عملية التطور الثقافي والاجتماعي والسياسي التي جرت طيلة القرن ١٩. وبالتالى فإن التكلفة الاجتماعية التي دشنتها وجعلتها حاضرة للعرب، لم يتحملها السلاطين البوسعيد وأبناء الاسرة الحاكمة فقط، بل تحملتها النخب العربية التي عاشت في تلك الفترة أيضًا. فقد أوجدتها بشكل مبهر لتعبر عن سياقات اقتصادية مزدهرة، وعلاقات اجتماعية متماسكة. مدللة على رهان أصحابها على الاستمرار في حكم منطقة شرق أفريقيا عشرات السنين، وتعبيرًا عن شرعية وجودهم ونفوذهم فيها. حيث استطاعت شبكة الثراء والقوة أن تجعلها قاعدة سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية لانطلاقها عبر المنطقة برمتها. وبالتالي، فإن نقد المدينة في العصر الاستعماري يصب في جانب منه في وجوب نقد التجربة الاجتماعية في ذلك العصر، ومعرفة طبيعة الفاعلين الاجتماعيين داخل المدينة في فترة البوسعيد للمقارنة والفهم والعظة.